

The Islamic University of Gaza

Deanship of Research and Graduate Studies

Faculty of Ossoul Ed-deen

Master of Interpretation and Quran Sciences



الجامعة الإسلامية بغزة

عمادة البحث العلمي والدراسات العليا

كلية أصول الدين

ماجستير التفسير وعلوم القرآن

الجنديّة في ضوء الآيات القرآنية "دراسة موضوعية"

The Soldiery in the light of the Quranic Verses "Objective study"

إعداد الباحث

عبد العاطي جبر الخطيب

إشراف

الدكتور/ صبحي رشيد اليازجي

قُدِّمَ هذا البحث استكمالاً لِمُتطلبات الحصول على درجة الماجستير في التفسير وعلوم القرآن

بكلية (أصول الدين) في الجامعة الإسلامية بغزة.

ربيع أول/1439هـ - ديسمبر/2017م

إقرار

أنا الموقع أدناه مقدم الرسالة التي تحمل العنوان:

الجنديّة في ضوء الآيات القرآنية "دراسة موضوعية"

The Soldiery in the light of the Quranic Verses "Objective study"

أقر بأن ما اشتملت عليه هذه الرسالة إنما هو نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمت الإشارة إليه حيثما ورد، وأن هذه الرسالة ككل أو أي جزء منها لم يقدم من قبل الآخرين لنيل درجة أو لقب علمي أو بحثي لدى أي مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى. وأن حقوق النشر محفوظة للجامعة الإسلامية - غزة.

Declaration

I hereby certify that this submission is the result of my own work, except where otherwise acknowledged, and that this thesis (or any part of it) has not been submitted for a higher degree or quantification to any other university or institution. All copyrights are reserves to IUG.

Student's name:	عبد العاطي جبر الخطيب	اسم الطالب:
Signature:	عبد العاطي جبر الخطيب	التوقيع:
Date:	2017/12/16م	التاريخ:

نتيجة الحكم

ملخص البحث

تمثل الجندية في الإسلام القاعدة الأساس لبناء الدولة؛ فيها تُحمى البلاد، وتُقام الشعائر، ويُحقق الأمن؛ لهذا قمت بالكتابة في هذا الموضوع على منهج التفسير الموضوعي؛ للتأصيل لمفاهيم الجندية في كتاب الله سبحانه وتعالى؛ معتمداً على الآيات القرآنية في الغالب الأعم، وقد جعلت البحث في أربعة فصول، وخاتمة.

تناولت في الفصل الأول مفهوم الجندية، ونظائرها في القرآن الكريم، ثم عرجت إلى أهمية الجندية في القرآن، وأتممت الفصل بالحديث عن أنواع الجندية في القرآن الكريم. أما في الفصل الثاني فقد تناولت صور الجندية في القرآن الكريم، ثم تحدثت عن سمات الجندي الراشد، والجندي الفاسد، وانتهيت بالحديث عن التوجيهات والتأييد القرآني للجندي.

كما تناولت في الفصل الثالث الحديث عن حقوق الجندي في القرآن الكريم، وما يحتاج إليه، ثم انتقلت للحديث عن واجبات الجندي في القرآن الكريم.

وكان الفصل الرابع يتناول التطبيق الواقعي للدراسة، فقد تحدثت عن نماذج الجندية في القرآن الكريم، فاشتمل الحديث عن نماذج للجندي الراشد ثم نماذج للجندي الفاسد في القرآن الكريم.

أهم نتائج الدراسة:

- إن القرآن الكريم أرسى قواعد الجندية، وبين معانيها، وفنونها المتعددة في جميع المجالات، وقدم نظرية متكاملة تشمل حياة الجندي وتطلعاته.
- إن الجندي بحاجة إلى قيادة حكيمة راشدة، عارفة بقدرات جنودها، وقادرة على الحفاظ عليهم، وعلى الجندي السمع لهم والطاعة، والالتزام الدقيق لتعليماتهم.

أهم توصيات الدراسة:

- أوصي الجنود أن يبذلوا قصارى جهدهم لتمكين دين الله، وتحرير العباد من عبودية غير الله، حتى تتحرر المقدسات ويُدفع البلاء عن المسلمين.
- أوصي الأمة بحشد كل ما يستطيعون من المال والخبرات، لتصنيع وشراء ما يحتاجه الجندي من السلاح الذي يحقق قوة الرعب والردع لأعداء الأمة.

Abstract

Soldiery in Islam has a special importance as it protects the nation, preserves the practice of worship acts, and ensures security. This was the main motive behind this study. The researcher carried out this study considering the method of objective interpretation in order to highlight the true fundamentals and concepts of soldiery that could be found in the Noble Quran. The study relied on the Qoranic verses in most cases, and was divided into four chapters, and a conclusion.

The first chapter presented the concept of soldiery, its synonyms in the Noble Quran, and its importance and types as mentioned in the Noble Quran.

The first chapter discussed the forms of soldiery in the Noble Quran, and presented the characteristics of the good and corrupt soldier in addition to the Quranic support and guidance directed to the soldier.

The third chapter highlighted the rights of the soldier in the Noble Quran, his/her needs, in addition to his/her duties that were mentioned in the Noble Quran.

The fourth and final chapter included the real application of the study. In this chapter, the researcher discussed the soldiery models that were mentioned in the Noble Quran including the good and corrupt soldier.

The most important results of the study:

- The Noble Quran laid down the rules of soldiery in Islam, and clarified its meanings and multiple branches in all fields. The Noble Quran presented an integrated theory that addresses soldiers' life and aspirations.
- Soldiers need a wise and conscious leadership that is aware about their capabilities, and is able to guard them. On the other hand, soldiers have to present their obedience, and strict adherence to the leaders' instructions.

The most important recommendations of the study:

- I recommend soldiers to do their utmost to enable the religion of Allah, and to free people from slavery, but to Allah. This is essential to liberate Muslims' holy places and protect them from all evils.
- I recommend the Muslim nation to mobilize all their financial capacities and experiences to manufacture and purchase the needed soldiery equipment including weapons to terrify and repel the enemies of Muslim nation.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴾

[الصافات: 173]

الإهداء

- إلى روح والديّ العزيزين الغاليين رحمهما الله، وأسكنهما الفردوس الأعلى.
- إلى القائد العام لكتائب القسام/ محمد ضيف "أبو خالد"، وجنوده الميامين.
- إلى رئيس المكتب السياسي/ إسماعيل هنية "أبو العبد"، وجنود الدعوة الغراء.
- إلى أرواح الشهداء القادة جميعاً، وليس آخرهم المحرر المبعد المطارد الشهيد/ مازن فقها.
- إلى إخوتي وأخواتي الأعزاء على قلبي، الذين كانوا نعم السند والعون، سائلاً المولى أن يديم عليهم الأمن والصحة والنعم.
- إلى زوجتي الغالية وأولادي الأحباب، الذين صبروا معي على عناء الدراسة والحياة، وتحملوا كثرة انشغالاتي.
- إلى زملائي في العمل، وكل من عرفني، وكان لي عوناً ودافعاً لإتمام دراستي.
- إلى كل جندي يجاهد في سبيل الله ويبحث عن الشهادة؛ رغبة لما عند الله.
- إلى أهل غزة العزة المحاصرة، المرابطين على ساحل عسقلان، والذين يجاهدون في كل لحظة من لحظات الحياة.

إليكم جميعاً أهدي هذا العمل المتواضع

شُكْرٌ وَتَقْدِيرٌ

الحمد لله رب العالمين، حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، وأشكره ربي شكراً يوافي جميع نعمائه، فقد وفقني بعظيم فضله، وجميل إحسانه، لإخراج الرسالة بهذه الصورة، وأسأل الله ﷻ أن يجعل عملي خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفعني بما تعلمت، وينفع بها الإسلام والمسلمين، ويضع لها القبول، وبعد،

انطلاقاً من قوله ﷺ: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ﴾ [لقمان: 12]، فإنني أتوجه بالشكر الجزيل لكل من كان له فضل عليّ في إتمام هذا البحث، وأخص بالذكر أستاذي ومشرفي، فضيلة الدكتور/ **صبيح رشيد اليازجي**، على تشجيعه لي، وعلى ما بذله من جهد، ونصح، وتوجيه، وتذليل العقبات التي واجهتني في أثناء البحث. كما أتوجه بالشكر والتقدير لعضوي لجنة المناقشة؛ الأستاذين الفاضلين:

فضيلة الدكتور/ **زهدي محمد أبو نعمة** مناقشاً داخلياً.

فضيلة الأستاذ الدكتور/ **عبد السميع خميس العرايد** مناقشاً خارجياً.

على تشرفهما بقبول مناقشة هذه الرسالة، وإثرائها بالفوائد، والنصائح القيمة.

والشكر موصولٌ لأخي المهندس/ **تيسير جبر الخطيب** "أبو يحيى"، الذي كان عوناً وسنداً، فقد كان له الفضل -بعد الله تعالى- على مواصليتي الدراسة، وعدم التوقف والانقطاع. كما أتقدم بالشكر والتقدير لأساتذة كلية أصول الدين؛ وقد عشت في كنفها سنوات طويلاً، أنهل من نبعها الصافي، وأخص بالذكر الدكتور/ **أحمد جابر العمصي**، الذي دفعني وأعانني على دراسة الماجستير.

كما أتقدم بالشكر والتقدير للجامعة الإسلامية بغزة، إدارة وعاملين، وأخص بالذكر مكتبتها الغراء، منارة العلم والعلماء التي أفادنتني كثيراً في مسيرتي الدراسية، ورسالتي العلمية. وختاماً أتقدم بالشكر والعرفان لكل من ساعدني؛ فأعانني بماله، أو بعلمه، أو بنصحه وإرشاده، أو بدعوة في ظهر الغيب، أو قدم تشجيعاً وتحفيزاً، فلکم مني كل الشكر والتقدير، وجزى الله الجميع خيراً الجزاء.

الباحث/

عبد العاطي جبر أحمد الخطيب

قائمة المحتويات

إقرار.....	أ
نتيجة الحكم.....	ب
ملخص البحث.....	ت
Abstract.....	ث
اقتباس.....	ج
الإهداء.....	ح
شُكْرٌ وَتَقْدِير.....	خ
قائمة المحتويات.....	د
المقدمة.....	1
أولاً: أهمية البحث:.....	2
ثانياً: أسباب اختيار البحث.....	2
ثالثاً: أهداف البحث وغايته.....	2
رابعاً: الدراسات السابقة:.....	3
خامساً: منهج البحث:.....	4
سادساً: خطة البحث:.....	5
الفصل الأول مفهوم الجندية.. أهميتها وأنواعها في القرآن الكريم.....	9
المبحث الأول مفهوم الجندية ونظائرها في القرآن الكريم.....	10
المطلب الأول: مفهوم الجندية في القرآن الكريم.....	10
المطلب الثاني: نظائر الجندية في القرآن الكريم.....	15

المبحث الثاني أهمية الجندية في القرآن الكريم.....	22
المطلب الأول: تحقيق أمر الله تعالى وقدره.....	22
المطلب الثاني: تحقيق النفير في سبيل الله.....	26
المطلب الثالث: تحقيق النصر لأمة الإسلام بتوفر أسبابه.....	36
المطلب الرابع: تحقيق الأمن لأمة الإسلام.....	49
المبحث الثالث أنواع الجندية في القرآن الكريم.....	60
المطلب الأول: الجندية الدعوية.....	60
المطلب الثاني: الجندية العلمية.....	69
المطلب الثالث: الجندية العسكرية.....	74
المطلب الرابع: الجندية الأمنية.....	87
الفصل الثاني صور الجندية وسماتها والتوجيهات والتأييد القرآني.....	97
المبحث الأول أبرز صور الجندية في القرآن الكريم.....	98
المطلب الأول: أبرز صور الجندية في الكائنات الحية.....	98
المطلب الثاني: أبرز صور الجندية في الجمادات.....	114
المبحث الثاني سمات الجندية في القرآن الكريم.....	121
المطلب الأول: سمات الجندي المسلم.....	121
المطلب الثاني: سمات الجندي الفاسد.....	136
المبحث الثالث التوجيهات والتأييد القرآني للجندي.....	147
المطلب الأول: توجيهات القرآن الكريم للجندي المسلم.....	147
المطلب الثاني: تأييد القرآن الكريم للجندي المسلم.....	158

167	الفصل الثالث حقوق وواجبات الجندي في القرآن الكريم.....
168	المبحث الأول حقوق الجندي في القرآن الكريم.....
168	المطلب الأول: إعداد الجندي إعداداً شمولياً.....
174	المطلب الثاني: تزويد الجندي بالمعدات القتالية.....
181	المطلب الثالث: تفقد الجندي ومتابعته.....
189	المطلب الرابع: مشاوره أصحاب الرأي من الجنود.....
197	المطلب الخامس: تكليف الجندي بما يطبق.....
205	المبحث الثاني واجبات الجندي في القرآن الكريم.....
205	المطلب الأول: السمع والطاعة للقيادة.....
210	المطلب الثاني: الالتزام بالتعليمات.....
215	المطلب الثالث: الجهوزية التامة وتطوير الذات.....
221	المطلب الرابع: الثقة بالقائد.....
225	المطلب الخامس: الثبات.....
233	الفصل الرابع نماذج للجنديّة من القرآن الكريم.....
234	المبحث الأول نماذج للجندي الراشد في القرآن الكريم.....
234	المطلب الأول: داود عليه السلام.....
239	المطلب الثاني: أخت موسى عليه السلام.....
243	المطلب الثالث: فتى موسى عليه السلام.....
248	المطلب الرابع: مؤمن آل فرعون عليه السلام.....
254	المبحث الثاني نماذج للجندي الفاسد في ضوء القرآن الكريم.....
254	المطلب الأول: جنود وعصاة قوم فرعون.....

258	المطلب الثاني: جنود طالوت المتخاذلين
263	المطلب الثالث: المنافقون في عهد النبي ﷺ
269	الخاتمة.....
269	أولاً: أهم النتائج:.....
270	ثانياً: أهم التوصيات:.....
271	الفهارس العامة.....
272	أولاً: فهرس الآيات القرآنية.....
294	ثانياً: فهرس الأحاديث النبوية.....
300	المصادر والمراجع.....

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعين به ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً ﷺ عبده ورسوله.

أما بعد،

فإن الله ﷻ قد أتم الدين لهذه الأمة الفضلى، وجعل شريعته أكمل الشرائع بل وأتمها، ولما كانت حاجة الدين لقوة ومنعة، لرد عدوان من سولت له نفسه للاعتداء على المسلمين وأملاكهم، أو أن يقف حاجزاً وحائلاً دون وصول دين الله للعالمين، لذلك كله كانت الحاجة ماسة للجنود المخلصين، الذين يشدون من أزر أمتهم، مدافعين عنها، حافظين الأمن لأبنائها والوحدة لأرضها، ناشرين لدعوة الله في كل أرجاء المعمورة، ليُشَيِّدُوا صرحاً حضارياً راقياً يعيش الناس في ظله بعز وكرامة وأمان.

فالجندية ركيزة من ركائز الإسلام، ودعامة من دعاماته التي قام عليها، وانطلق معتمداً - بعد الله ﷻ - عليها إلى آفاق المعمورة، ينشر الخير والنور والهدى في ربوع الكون، ويوطد دعائم الأمن والسلام فيها، ويُشَيِّدُ حضارةً رائعةً لم يسبق للبشرية أن عرفت مثلاً⁽¹⁾.

"والمسلمون اليوم في حاجة إلى أن يعودوا إلى الإسلام الصحيح الذي أوحاه الله تعالى إلى رسوله ﷺ ليستعيدوا مجدهم، ويكونوا أساتذة الدنيا كما أراد الله تعالى لهم، وهذا الذي يتوق له المصلحون، ويتطلع إليه المخلصون.

ولا يمكن أن يحقق المسلمون ذلك بدون دولة تُحَكِّمُ فيها كتاب الله ﷻ وتقيم شريعة الاسلام، وتؤطر الناس على الحق أطراً، ولا يمكن أن تقوم دولة بغير قيادة، ولا قيمة للقيادة بدون جنود، ولهذا كانت القيادة والجندية في الاسلام أمراً لا مفر منه، ولا غناء عنه"⁽²⁾.

لذا وجدت من الأهمية بمكان البحث والكتابة في موضوع **الجندية في ضوء الآيات القرآنية** كدراسة موضوعية، للوقوف على صفات الجندي كما وضحها القرآن الكريم، وإبراز توجيهات القرآن الكريم للجندي والمسلم، متوكلاً على الله تعالى، طالباً منه العون والتوفيق، وأن ينفع بهذه الدراسة الاسلام والمسلمين، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

(1) ينظر: إعداد الجندي المسلم أهدافه وأسس، العقلا (ص 5).

(2) القيادة والجندية في الاسلام، الوكيل (ج 10/1).

أولاً: أهمية البحث:

1. تعلق موضوع البحث بالقرآن الكريم المصدر الأول للتشريع ودستور أمة الإسلام، وشرف العلم بشرف المعلوم.
2. عناية القرآن الكريم بموضوع الجندية ووفرة الآيات والشواهد القرآنية عليه.
3. أهمية المادة العلمية التي يحتوي عليها هذا الموضوع، فهي مرتبطة بكثير من العلوم والفنون الموزعة في المصادر والمراجع المختلفة.
4. أهمية الجندية في حياة الأمم من حيث البناء والتقدم والرقى، أو التأخر والتشردم والانهييار، فبالجندية الحقبة تنهض الأمم وترتقي وتبني حضارتها، وتصان من كيد الكائدين وترص المتربصين.

ثانياً: أسباب اختيار البحث

1. حاجة الأمة الماسة للجندي والقائد المسلم الملتزم بتوجيهات القرآن الكريم، لإعادة مجد مضاع وإرث سليل، علماً أنه من لا يتقن الجندية فلن يحسن القيادة.
2. الوقوف على الصورة الحقيقية المشرقة للجندي المسلم المنوط به تحقيق الآمال وتبديد الصورة المشوهة التي قرنت بالإرهاب ورسمت في الوقت الحاضر.
3. الوضع الخاص لنا كشعب فلسطيني يطلب التحرر ويسعى لاستعادة أرضه ومقدساته مستشرقين بجيل قرآني فريد، يتجهز لحدار الصهاينة الغزاة بوعي وعقيد صلبة متينة، يلزمه أن يتعرف على حقوق وواجبات الجندية لله تعالى.
4. تشجيع مشرفي د. صبحي اليازجي (أبو حذيفة) _حفظه الله_ على طرق هذا الموضوع والبحث فيه.

ثالثاً: أهداف البحث وغايته

1. ايجاد دراسة قرآنية تُؤصل للنظريات الحديثة في الجندية .
2. تقديم دراسة ورؤية قرآنية واضحة بأسس موضوعية ومنهجية للجندية، تستفيد الأمة الإسلامية منها في إعداد الجنود على طريق القيادة.
3. بيان أوجه الجندية في مجالات متعددة منها الدعوية والتربوية والعسكرية والأمنية.

4. زيادة المعرفة وربط العلوم السلوكية والإدارية بأدلتها الشرعية لتصبح العقول والقلوب أكثر تقبلاً واطمئناناً لها.

5. الوقوف على مقومات النجاح والفشل للجندية في القرآن الكريم.

6. تعرف الجندي على مكانته الهامة والحيوية في بناء الأمة الإسلامية المتميزة.

رابعاً: الدراسات السابقة:

لقد قام الباحث بمراسلة مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بهذا الخصوص، فلم يجد أي رسالة تحمل هذا العنوان.

وبعد التتبع والاطلاع على ما كتب حول موضوع الجندية في القرآن الكريم والبحث عما كتب فيه في المكتبات والمواقع الالكترونية ، لم يقف الباحث على أي رسالة علمية مُحكَّمة تحمل هذا العنوان، ولكنه وجد التالي:

1- النظريات العسكرية بين الإعداد والتخطيط، للباحث: عبد الهادي الأغا (رسالة علمية)، الجامعة الإسلامية - غزة (1426هـ - 2005م)، إشراف الدكتور: جمال الهوبي.

حيث تناول الباحث في الفصل الثاني من الرسالة موضوع القيادة والجندية تحت عنوان (نظريات قرآنية في إعداد الجندي والقائد)، وهذه الدراسة ركزت في الغالب على إظهار الجوانب العسكرية في القائد والجندي، والدراسة التي قمت بها دراسة شاملة لكافة جوانب الجندية في كافة المجالات من منظور قرآني.

2- العسكرية في الاسلام على ضوء ما ورد في القرآن الكريم، بقلم الفريق المتقاعد: عبد العزيز ابن محمد هنيدي.

وتناول الباحث في هذا البحث الخطوات التي قام بها النبي ﷺ في الإعداد لمعركة بدر، وفي نهاية البحث تطرق للحديث عن القائد المسلم في العصر الحديث وأهم صفاته.

3- دروس تربوية في الجندية في سورة الأنفال: إعداد/ أ. د غانم قدوري الحمد، (كلية التربية - جامعة تكريت - العراق).

يتألف البحث من مقدمة وتمهيد ومبحثين وخاتمة؛ حيث تناول في التمهيد التعريف بسورة الأنفال، ثم بين في المبحث الأول مظاهر معية الله تعالى للمؤمنين في بدر مستعيناً بالسنة النبوية، وسيرة المصطفى ﷺ بصورة واضحة، وفي المبحث الثاني لخص أهم مقومات النصر ومعوقاته، ثم ذكر في الخاتمة أهم ما توصل إليه من نتائج.

4- أسلوب القرآن الكريم في تحفيز الجندي المسلم لمواجهة الأعداء: إعداد الدكتور/ صالح يحيى صواب (الأستاذ المشارك في التفسير وعلوم القرآن).

ويتألف البحث من أربع فصول؛ وقد تحدث في الفصل الثالث عن الحوافز للجندي المسلم لمواجهة الأعداء، وأثر تحفيز القائد للجنود في تحقيق النصر، وفي الفصل الرابع تناول فيه النماذج الحسنة والسيئة للجنودية.

والملاحظ في هذه البحوث أنها ركزت على الجوانب العسكرية للجنودية، والدراسة التي يقوم بها الباحث في هذا البحث شاملة للمجالات المتعددة للجنودية، وفق ما قرر القرآن الكريم.

خامساً: منهج البحث:

سيُتبع الباحث -بإذنه تعالى- المنهج الاستقرائي في استقراء الآيات القرآنية ذات الصلة بالموضوع، والاعتماد على منهج التفسير الموضوعي في استنباط الأحكام والفوائد واللطائف المتعلقة بالموضوع، وهو كالتالي:

- 1- جمع الآيات القرآنية المتعلقة بموضوع البحث.
 - 2- الرجوع إلى تفسير الآيات من مراجعها الأصلية.
 - 3- توثيق الآيات القرآنية مع ذكر السورة ورقم الآية في متن البحث.
 - 4- الاستشهاد بالأحاديث النبوية المتعلقة بالموضوع، ونقل حكم العلماء عليها ما أمكن عدا الأحاديث الواردة في الصحيحين.
 - 5- توضيح معاني المفردات الغريبة في الحاشية.
 - 6- الترجمة للأعلام والمغمورين الواردين.
 - 7- إثبات المراجع في الحاشية (اسم الكتاب، المؤلف، الجزء، الصفحة).
 - 8- ثبت المراجع والمصادر في مجموعات حسب طبيعتها، وعلى ترتيب الأحرف الهجائية.
 - 9- إعداد فهرس البحث العلمي:
- فهرس الآيات القرآنية.
 - فهرس الأحاديث النبوية والآثار.
 - فهرس المصادر والمراجع.

– فهرس الموضوعات.

سادساً: خطة البحث:

انطلاقاً من هدف البحث وغايته المنشودة فقد جعلته من مقدمة، وأربعة فصول، وخاتمة.

المقدمة: وقد اشتملت على:

أولاً: أهمية البحث.

ثانياً: أسباب اختيار البحث.

ثالثاً: أهداف البحث وغاياته.

رابعاً: الدراسات السابقة.

خامساً: منهج البحث.

سادساً: خطة البحث.

الفصل الأول

مفهوم الجندية.. أهميتها وأنواعها في القرآن الكريم

يتكون من ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: مفهوم الجندية ونظائرها في القرآن الكريم.

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: الجندية لغة واصطلاحاً والعلاقة بينهما.

المطلب الثاني: نظائر الجندية في القرآن الكريم.

المبحث الثاني: أهمية الجندية في القرآن الكريم.

ويشتمل على أربعة مطالب:

المطلب الأول: تحقيق أمر الله تعالى وقدره.

المطلب الثاني: تحقيق النفير في سبيل الله.

المطلب الثالث: تحقيق النصر لأمة الاسلام بتوفر أسبابه.

المطلب الرابع: تحقيق الأمن لأمة الإسلام.

المبحث الثالث: أنواع الجندية في القرآن الكريم.

ويشتمل على أربعة مطالب:

المطلب الأول: الجندية الدعوية.

المطلب الثاني: الجندية العلمية.

المطلب الثالث: الجندية العسكرية.

المطلب الرابع: الجندية الأمنية.

الفصل الثاني

صور الجندية وسماتها والتوجيهات والتأييد القرآني

يتكون من ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: أبرز صور الجندية في القرآن الكريم.

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: أبرز صور الجندية الكائنات الحية.

المطلب الثاني: أبرز صور الجندية في الجمادات.

المبحث الثاني: سمات الجندية في القرآن الكريم.

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: سمات الجندي المسلم.

المطلب الثاني: سمات الجندي الفاسد.

المبحث الثالث: التوجيهات والتأييد القرآني للجندي.

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: توجيهات القرآن الكريم للجندي المسلم.

المطلب الثاني: تأييد القرآن الكريم للجندي المسلم.

الفصل الثالث

حقوق وواجبات الجندي في القرآن الكريم

يتكون من مبحثين:

المبحث الأول: حقوق الجندي في القرآن الكريم.

ويشتمل على خمسة مطالب:

المطلب الأول: إعداد الجندي اعداداً شمولياً.

المطلب الثاني: تزويد الجندي بالمعدات القتالية.

المطلب الثالث: تفقد الجندي ومتابعته.

المطلب الرابع: مشاوره أصحاب الرأي من الجنود.

المطلب الخامس: تكليف الجندي بما يطبق.

المبحث الثاني: واجبات الجندي في القرآن الكريم.

ويشتمل على خمسة مطالب:

المطلب الأول: السمع والطاعة للقيادة.

المطلب الثاني: الالتزام بالتعليمات.

المطلب الثالث: الجهوزية التامة وتطوير الذات.

المطلب الرابع: الثقة بالقائد.

المطلب الخامس: الثبات.

الفصل الرابع

نماذج للجندية في القرآن الكريم

يتكون من مبحثين:

المبحث الأول: نماذج للجندي المسلم في القرآن الكريم.

ويشتمل على خمسة مباحث:

المطلب الأول: داود عليه السلام.

المطلب الثاني: أخت موسى عليه السلام.

المطلب الثالث: فتى موسى عليه السلام.

المطلب الرابع: مؤمن آل فرعون عليه السلام.

المبحث الثاني: نماذج للجندي الفاسد في القرآن الكريم.

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: جنود وعصاة قوم فرعون.

المطلب الثاني: جنود طالوت المتخاذلين.

المطلب الثالث: المنافقون في عهد النبي صلى الله عليه وسلم.

الخاتمة: وتشتمل على أهم النتائج والتوصيات.

الفهارس:

1. فهرس الآيات القرآنية.

2. فهرس الأحاديث النبوية والآثار.

3. فهرس المصادر والمراجع.

4. فهرس الموضوعات.

الفصل الأول

مفهوم الجندية.. أهميتها وأنواعها في

القرآن الكريم

المبحث الأول

مفهوم الجندية ونظائرها في القرآن الكريم

المطلب الأول: مفهوم الجندية في القرآن الكريم.

أولاً: تعريف الجندية لغة واصطلاحاً:

1- الجندية لغة:

الناظر في كتب اللغة والمعاجم يجد أن (جند) أصلٌ لكلمة الجندية، وقد جاءت على عدة معانٍ منها:

أ- **الجند:** "كل صنف من الخلق يقال لهم: جند على حدة، ويقال: هذا جند قد أقبل، وهؤلاء جند قد أقبلوا، يخرج على الواحد والجميع"⁽¹⁾، "والجند هم الأعوان والأنصار وجمعها أجناد"⁽²⁾.

ب- **عسكر المدينة:** "وخص به عسكر مدن الشام،... ويقال لكل مدينة منها جند"⁽³⁾، "وبذلك يطلق على الجند المرابطين في المدينة لهذا الاسم"⁽⁴⁾.

ج- **الجيش:** "وأطلقت الجندية على الجيش وهم: جند يسيرون لحرب أو غيرها"⁽⁵⁾، "ومنها أخذ معنى جُنْد الجند: جمع جنْداً أو فرقة عسكرية وسيرها إلى الغزاة، ويقال تجند الشاب: وقد تأهب وتطوع فالتحق بالجيش وصار جندياً، وتجنّد للأمر: تأهب وتطوع"⁽⁶⁾.

2- الجندية اصطلاحاً:

ذهب العلماء في تعريفها إلى معان عدة، وقد وقفت على أهمها:

(1) العين، الفراهيدي (ج6/ 86).

(2) الصحاح، الجوهري (ج2/ 460)، وينظر: مقاييس اللغة، ابن فارس (ج1/ 485).

(3) لسان العرب، ابن منظور (ج3/ 132).

(4) تكملة المعاجم العربية، دوزي (ج2/ 306).

(5) تهذيب اللغة، الأزهري (ج11/ 93).

(6) معجم اللغة العربية المعاصرة، عمر (ج1/ 403).

أ- "لفظ يدل على عمل الجندي، واتخاذة الجندي له حرفة، وتطلق على العسكريين في مختلف المناصب والرتب"⁽¹⁾.

ب- "مجموعة الرجال القادرين -على القتال- غير المعذورين في الدولة الإسلامية سواء كانوا مدنيين أو عسكريين"⁽²⁾.

ج- "مجموعة من الجند ينفذون ما يؤمرون به من غير تردد، ويعملون بصمت وإيمان، ويجاهدون لإبراز الدعوة للعالم في قوة وكرامة"⁽³⁾.

ويميل الباحث إلى التعريف الأخير لعدة أسباب وهي على النحو التالي:

1- يتناول جميع فئات المقاتلين من الرجال والنساء (مجموعة من الجند).

2- يصف آلية التنفيذ (من غير تردد، ويعملون بصمت وإيمان).

3- يوضح الهدف الذي بسببه كانت الجنديّة وهو (إبراز الدعوة للعالم في قوة وكرامة).

ثانياً: العلاقة بين التعريف اللغوي والاصطلاحي.

إن المتأمل لمعنى الجنديّة لغةً واصطلاحاً يظهر له مدى الترابط القوي والعلاقة النوعية والتي تبرز في النقاط التالية:

1. كل مجموعة منظمة لديها صفات وسلوك جامع يجمعها ويميزها عن غيرها من الجماعات الأخرى سواء كانوا مدنيين أو عسكريين وقد اتخذ الجنديّة له حرفة، ودخل مسلك الجنديّة.

2. جيش يسيرون لحرب أو غيرها لتنفيذ الأوامر والمهام التي تلقى على عاتقهم لتحقيق الهدف المنشود.

3. الأعوان والأنصار الذين يحملون الفكر وإبراز الدعوة للعالم في قوة وكرامة.

4. حماية الأرض والإنسان بالجنود المخلصين، وعمارة المدينة عن طريق المرابطين في المدن.

(1) المصطلحات العسكرية، خطاب (ج1/157-158).

(2) القيادة والجنديّة في الإسلام، الوكيل (ج2/73).

(3) القتال في الإسلام، أحمد نار (ص 69).

ثالثاً: الجندية في الآيات القرآنية.

(1) الجندية في الآيات المكية

م	الآية	رقمها	السورة
1.	﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ﴾	28	يس
2.	﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُحْضَرُونَ﴾	75	يس
3.	﴿جُنْدٌ مَا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الْأَحْزَابِ﴾	11	ص
4.	﴿وَاتْرِكِ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُغْرَقُونَ﴾	24	الدخان
5.	﴿أَمَنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَكُمْ يَنْصَرُّكُمْ مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِنَّ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي غُرُورٍ﴾	20	الملك
6.	﴿وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْعَالِيُونَ﴾	173	الصفات
7.	﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيَقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ﴾	31	المدثر
8.	﴿ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾	37	النمل
9.	﴿قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا﴾	75	مريم

م	الآية	رقمها	السورة
10.	﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَآتَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾	90	يونس
11.	﴿فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ﴾	78	طه
12.	﴿وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ﴾	95	الشعراء
13.	﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾	17	النمل
14.	﴿حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ التَّمَلِّ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾	18	النمل
15.	﴿وَتُمْكِنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾	6	القصص
16.	﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ﴾	8	القصص
17.	﴿وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ﴾	39	القصص
18.	﴿فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَاُنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾	40	القصص
19.	﴿فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾	40	الذاريات
20.	﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ﴾	17	البروج

(2) الجندية في الآيات المدنية

م	الآية	رقمها	السورة
1.	﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اعْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللَّهِ كَغَمٍّ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةُ كَثِيرَةٍ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾	249	البقرة
2.	﴿وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾	250	البقرة
3.	﴿ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾	26	التوبة
4.	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾	9	الأحزاب
5.	﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾	4	الفتح
6.	﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾	7	الفتح
7.	﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَلَاثِ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾	40	التوبة

وبعد النظر والتفكر في الآيات القرآنية المتعلقة بالجندية لاحظت أن الآيات المكية وردت في (عشرين) موضعاً، وأن الآيات المدنية ذكرت في (سبعة) مواضع، وهذا يدل على أن الله قد جعل مفهوم الجندية في أصول التربية العقدية للصحابه، لصياغة المسلم من جديد على حب الجهاد والاستشهاد، بعد أن كان يعطي ولائه للعشيرة والقبيلة، وكذلك تربيته على الرجولة والكرامة والعزة لله ولرسوله، لتخرج جيلاً قرآنياً فريداً، وبالفعل تخرج من هذه المدرسة رجالاً كالقعقاع والمقداد وخالد والعباس الذين غيروا مجرى التاريخ وأعادوا للإسلام مكانته.

المطلب الثاني: نظائر الجندية في القرآن الكريم.

تعددت النظائر لكلمة الجندية في الآيات القرآنية، وجاءت على النحو التالي:

النظير الأول: الأنصار

(1) الأنصار لغة:

أ. النصر على الأعداء: "نصره الله على عدوه ينصره نصراً، والاسم النصره، والنصير: الناصر، والجمع الأنصار، واستنصره على أعدائه، أي سأل أن ينصره عليهم، وتناصروا: نصر بعضهم بعضاً، وانتصر منه: انتقم"⁽¹⁾، "والنصر إتيان خير وإيتائه، ونصر الله المسلمين: آتاهم الظفر على عدوهم، والنصر: العطاء"⁽²⁾.

ب. مناصرة المظلوم: "نصر المظلوم نصراً: أعانه، ونصره منه: نجاه وخلصه، وهو ناصر ونصر، كصحب، والنصير: الناصر، وأنصار النبي ﷺ غلبت عليهم الصفة، والنصرة: حسن المعونة، والاستنصار: استمداد النصر وسؤاله أن ينصره، وانتصر منه: انتقم"⁽³⁾.

(2) الأنصار اصطلاحاً:

أ. "هم أولئك الذين استجابوا إلى الإسلام من أهل المدينة أوسها وخزرجها في بيعة العقبة الأولى والثانية"⁽⁴⁾، وقد سخر الله هذه الثلة كجند من جنوده للدفاع عن الحق، ومناصرة المستضعفين في الأرض.

(1) الصحاح، الجوهري (ج2/ 829).

(2) مقاييس اللغة، ابن فارس (ج5/ 435).

(3) القاموس المحيط، الفيروز أبادي (ص483).

(4) السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة، أبو شهبه (ج2/ 41).

ب. "الأنصار شعار هو الثوب الذي يلي الجسد والدثار فوقه والمعنى أن الأنصار هم البطانة والخاصة والأصفياء والألصق بي -بالقائد- من سائر الناس"⁽¹⁾.

والبطانة نعني بها:

- بطانة الحق والخير: لقوله تعالى:

م	الآية	رقم الآية	السورة
1.	﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمْ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْخَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾	52	آل عمران
2.	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِّلْخَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْخَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَأَمَنْتَ طَائِفَةٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرْتُ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾	14	الصف

- بطانة الظلم والشر: لقوله تعالى:

م	الآية	رقم الآية	السورة
1.	﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾	270	البقرة
2.	﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾	192	آل عمران
3.	﴿قَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾	72	المائدة
4.	﴿مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا﴾	25	نوح

(1) الديباج، السيوطي (ج3/ 149).

النظير الثاني: الحزب

1) الحزب لغة:

وجاءت بعدة معان منها: .

أ- **الجند والفرق:** "الحزب هو جمع الفرق، وتحزبوا، أي: صاروا فرقاً، ثم يجتمعون، فيكونون جنداً له فحزبه هو جنده، وجند الرجل هم الذين يستعملهم فيما شاء من القتال وغيره"⁽¹⁾.

ب- **أتباع الرجل وأصحابه:** "حزب الرجل الذين يميلون إليه والجمع الأحزاب، وتحازب القوم إذا مالاً بعضهم بعضاً"⁽²⁾، والحزب: "أصحاب الرجل معه على رأيه، وكل قوم تشاكلت قلوبهم وأعمالهم فهم أحزاب وإن لم يلق بعضهم بعضاً بمنزلة عاد وثمود وفرعون أولئك الأحزاب، وتحزب القوم إذا تجمعوا فصاروا أحزاباً، وحزب فلان أحزاباً أي جمعهم"⁽³⁾.

ج- **الجماعة من الناس:** "فالحزب هو الصنف والجماعة من الناس"⁽⁴⁾.

د- **الطائفة:** "الأحزاب الطوائف التي تجتمع على محاربة الأنبياء عليهم السلام"⁽⁵⁾ أو غيرهم.

2) الحزب اصطلاحاً:

أ- "اتفاق عدد من الأفراد على مجموعة من المبادئ والأهداف يبتغون من إنجازها تحقيق الصالح العام، أو على الأقل تحقيق مصالح أعضاء الحزب، وهم أساساً فئة من فئات المجتمع"⁽⁶⁾.

ب- "الجماعة الملتقية على مبدأ تتحمس لتنفيذه، مثل الأحزاب التي نراها في الحياة السياسية، وهي أحزاب بشرية تتصارع في المناهج والغايات، وهم أحرار في ذلك؛ لأنهم يتصارعون بفكر البشر، أما في العقيدة الأولى، فمن المخطط الأعلى، وهو الحق ﷻ، فالمنهج يأتي منه؛ لأن هذا المنهج يوصل إليه؛ قال ﷻ: ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ﴾ [المجادلة: 22]"⁽⁷⁾.

(1) تأويلات أهل السنة، الماتريدي (ج9/ 576).

(2) جمهرة اللغة، ابن دريد (ج1/ 276).

(3) تهذيب اللغة الأزهرية (ج4/ 216).

(4) المرجع السابق، ج4/ 216.

(5) الصحاح، الجوهري (ج1/ 109).

(6) دراسات في المجتمع والسياسة سعد (ص202).

(7) الخواطر، الشعراوي (ج10/ 6395-6396).

(3) الآيات التي ورد فيها ذكر كلمة حزب في القرآن:

م	الآية	رقم الآية	السورة
1.	﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾	56	المائدة
2.	﴿ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا﴾	12	الكهف
3.	﴿فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾	53	المؤمنون
4.	﴿مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾	32	الروم
5.	﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾	6	فاطر
6.	﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾	19	المجادلة
7.	﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾	22	المجادلة

النظير الثالث: فتية.

(1) فتية لغة:

وجاءت بعدة معان منها:

أ- **الفتي والفتية:** "الشاب والشابة، والقياس فتو فتاء، وجماعة الفتى فتية وفتيان، وتفتى فلان أي تشبه بالفتيان، ويجمع الفتى على الأفتاء"⁽¹⁾، وهي بمعنى "الكامل الجزل من الرجال، يقال للجارية الحديثة فتاة وللغلام فتى، وتصغير الفتاة فتية"⁽²⁾.

ب- **الفتوة:** "حمية ومروءة ونجدة وكرم، وهي أن تؤثر الخلق على نفسك بالدنيا والآخرة"⁽³⁾، وهي "الشباب بين طوري المراهقة والرجولة والنجدة، أو نظام ينمي خلق الشجاعة والنجدة في الفتى"⁽⁴⁾.

(2) فتية اصطلاحاً:

أ- "الموافقة وحسن الطاعة، وترك كل مذموم، وملازمة مكارم الأخلاق ومحاسنها، ظاهراً وباطناً وسراً وعلناً، وكل حال من الأحوال، ووقت من الأوقات يطالبك بنوع من الفتوة فلا يخلو حال من الأحوال عن الفتوة"⁽⁵⁾.

ب- "أن يكون أبداً في أمر غيره لله تعالى"⁽⁶⁾.

ت- "هي الصفح عن عثرات الإخوان، وكف الأذى، وبذل الندي، وألا يرى لنفسه فضلاً على غيره، وأن تكون خصماً لربك على نفسك، وأن تتصف ولا تتصف، وألا تتأخر فقيراً، ولا تعارض غنياً"⁽⁷⁾.

ث- "رجل قويّ البنية كان يفرض سيطرته وحمايته على حيّ أو منطقة، يأخذ من أصحابها مالا نظير حمايته لهم"⁽⁸⁾.

(1) العين، الفراهيدي (ج8/ 137).

(2) لسان العرب، ابن منظور (ج15/ 145).

(3) التعريفات، الجرجاني (ص 165).

(4) المعجم الوسيط، مصطفى وآخرون (ج2/ 673).

(5) الفتوة، السلمي (ص 5).

(6) معجم المناهي اللفظية، أبو زيد (ص 402).

(7) معجم مقاليد العلوم، السيوطي (ص 220).

(8) معجم اللغة العربية المعاصرة، عمر (ج3/ 1672).

(3) الآيات التي ورد فيها ذكر كلمة الفتية في القرآن:

م	الآية	رقم الآية	السورة
1.	﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾	30	يوسف
2.	﴿وَقَالَ لِفَتَاتِهِ اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾	62	يوسف
3.	﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾	60	الكهف
4.	﴿فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا﴾	62	الكهف
5.	﴿إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾	10	الكهف
6.	﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾	12	الكهف

النظير الرابع: فئة.

(1) فئة لغة:

وجاءت بعدة معان منها:

- أ- **الفئة:** "الجماعة من الناس يفيئون إلى الرئيس أي يرجعون إليه"⁽¹⁾، والفئة هي: "الفرقة من الناس، والجمع فنون، وفئات"⁽²⁾.
- ب- **الفئة:** "الطائفة، والهاء عوض من الياء التي نقصت من وسطه، أصله فيء مثال فيع لأنه من فاء، والفيء: الخراج والغنيمة"⁽³⁾.

(1) جمهرة اللغة، ابن دريد (ج1/ 245).

(2) تهذيب اللغة، الأزهري (ج15/ 416).

(3) الصحاح، الجوهري (ج1/ 63).

(2) الفئة اصطلاحاً:

أ- "هي الطائفة المقيمة وراء الجيش للالتجاء إليهم عند الهزيمة"⁽¹⁾.

ب- "هي الجماعة المتظاهرة التي يرجع بعضهم إلى بعض في التعاضد"⁽²⁾.

(3) الآيات التي ورد فيها ذكر كلمة فئة في القرآن:

م	الآية	رقم الآية	السورة
1.	﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرَبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللَّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾	249	البقرة
2.	﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَهُمْ رَأَى الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾	13	آل عمران
3.	﴿وَمَنْ يُؤْلَمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرُهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾	16	الأنفال
4.	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾	45	الأنفال
5.	﴿وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا﴾	43	الكهف
6.	﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ﴾	81	القصد ص

(1) التعريفات، الجرجاني (ص 164).

(2) الكلبيات، أبو البقاء (ص 686).

المبحث الثاني

أهمية الجندية في القرآن الكريم.

المطلب الأول: تحقيق أمر الله تعالى وقدره.

إن المتتبع لآيات الله يرى فيها من الحقائق ما يجعله يطمئن إلى مستقبل دين الله في تحقيق قدره ونصره للمسلمين، وقد استخدم الله جنوده المؤمنين فقال ﷺ: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ﴾ [الحشر: 6] فهو قدر الله، وهم طرف من هذا القدر يسلطه على من يشاء، فما يتحركون بهوهم، وما يأخذون أو يدعون لحسابهم، وما يغزون أو يقعدون، وما يخاصمون أو يصلحون، إلا لتحقيق جانب من قدر الله في الأرض منوط بهم وبتصرفاتهم وتحركاتهم في هذه الأرض والله هو المقدر لذلك كله، وهو على كل شيء قدير⁽¹⁾.

أولاً: رسوخ العقيدة الدافع نحو تحقيق أمر الله تعالى وقدره.

الناظر في كتاب الله المحكم نظرة المتفحص المعتبر يجد أنه قد تحقق أمر الله ﷻ بنصرة الفئة المؤمنة على الدوام، فهذه القلة المؤمنة التي جاوزت النهر مع طالوت ممن لم يشرب من النهر إلا غرفة بيده، ملتزماً بما يتلقاه من التعليمات القيادية، فيرتقون بأنفسهم ليتغلبوا على شهوة بطونهم مستحقين أن يكونوا أهلاً لتحقيق قدر الله، فمن ظهرت طاعته في ترك الماء علم أنه يطيع فيما عدا ذلك، ومن غلبته شهوته في الماء، وعصى الأمر فهو بالعصيان في الشدائد أخرى⁽²⁾، فخرجت مجموعة من ضعاف النفوس ليقولوا: ﴿لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ﴾ [البقرة: 249]، كان اليقين النابع من قوة الايمان ورسوخ العقيدة كافياً أن يحملهم على الثبات، وسبب للشجاعة والإقدام على لقاء العدو الذي يفوقهم عدداً⁽³⁾، فانقض الأمل وتفجرت ملامح النصر مكبرين بقولهم: ﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: 249]، فاستجاب لهم ربهم فربط على قلوبهم وأفرغ عليه صبراً، فهزموا فلول العدو بقضاء الله وقدره مستحقين ومحققين وعد الله وقدره ﴿فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ﴾ [البقرة: 251]⁽⁴⁾، فكانت الحاجة ماسة جداً إلى العقيدة السليمة، وذلك بعد ما ضاع

(1) في ظلال القرآن، قطب (ج6/ 3524) بتصرف.

(2) ينظر: البحر المحيط، أبو حيان (ج2/ 586).

(3) ينظر: تفسير المنار، رضا (ج2/ 388).

(4) جامع البيان، الطبري (ج5/ 351) بتصرف.

ملكهم، ونهبت مقدساتهم، وذلوا لأعدائهم، وذاقوا الويل بسبب انحرافهم عن هدي ربهم، وتعاليم نبيهم، لتنتفض نفوسهم انتفاضة جديدة وتستيقظ في قلوبهم العقيدة متشوقين إلى القتال في سبيل الله، فإن ثبات حفنة قليلة من المؤمنين حققت النصر والعز والتمكين، بعد الهزيمة المنكرة، والمهانة الفاضحة، والتشريد الطويل والذل تحت أقدام المتسلطين، وكان هذا النصر كله ثمرة مباشرة لانقضاة العقيدة من تحت الركاب وثبات حفنة قليلة عليها أمام جحافل جالوت⁽¹⁾.

ثانياً: حسن التوكل على الله يحقق أمر الله وقدره.

"التوكل على الله يعني الثقة به، وإسناد الأمور وتفويضها إليه مع تعاطي الأسباب؛ لأن الله أمر بها، ولا بد مع تعاطيها من الثقة بأنه لا يقع إلا ما أراد الله تعالى"⁽²⁾، "والتوكل جماع الإيمان والغاية القصوى، وإن توكل العبد على ربه أن يعلم أن الله هو ثقته"⁽³⁾، "فالتوكل على الله يعمل ولا يعجز، ويفوض أمره إلى الله ويثق بعونه ونصره وتأييده"⁽⁴⁾، "وهو من أعلى المقامات، لوجهين: أحدهما قوله ﷺ: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: 159] والآخر: الضمان الذي في قوله ﷺ: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: 3] وقد يكون واجباً لقوله ﷺ: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: 23] فجعله شرطاً في الإيمان، والظاهر قوله ﷺ: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [آل عمران: 122] فإن الأمر محمول على الوجوب، ثم إن فوق التوكل التفويض وهو الاستسلام لأمر الله تعالى بالكلية، فإن المتوكل له مراد واختيار، وهو يطلب مراده باعتماده على ربه، وأما المفوض فليس له مراد ولا اختيار، بل أسند المراد والاختيار إلى الله تعالى، فهو أكمل أدباً مع الله تعالى"⁽⁵⁾، "إن دوران كافة الأمور على مشيئته تعالى فلا يذل من نصره وإن قل عدده ولا يعز من خذله وإن كثر أسبابه وعدده"⁽⁶⁾.

ثالثاً: الثقة بتحقيق أمر الله تعالى وقدره.

إن أنصار الحق وطلاب الآخرة لا يشكون لوهلة أنهم إلى نصر الله سائرون فهم ورغم قلتهم يوقنون بأن الكثرة ليست سبباً لتحقيق النصر، قال ﷺ: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ

(1) في ظلال القرآن، قطب (ج1/ 262) باختصار.

(2) جهود الشيخ محمد الشنقيطي في تقرير عقيدة السلف، الطويان (ج1/ 163).

(3) جامع العلوم والحكم ابن رجب الحنبلي (ج2/ 497).

(4) صيد الأفكار، المهدي (ج2/ 5).

(5) التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي (ج1/ 169-170).

(6) إرشاد العقل السليم، أبو السعود (ج1/ 243-244).

وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا ﴿ [التوبة: 25]، يذكرهم ﷺ منته عليهم وفضله أن النصر والظفر متى كان إنما كان بالله، لا بكثرتهم وقوتهم؛ لأنه لو كان على الكثرة لوكلوا إليها، فَإِنْ قِيلَ: قد أمرنا بأخذ العدة والقوة ما استطعنا بقوله: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْحَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ [الأنفال: 60]، فإنما أمرنا بما يعجبنا، ومعنى النهي عن الإعجاب بالكثرة والقوة، أنه نهانا أن نفرح بما يؤتينا لنفس الإيتاء، ونتأسى لنفس ما يصيبنا ويفوتنا، إنما علينا أن نفرح بفضل الله ومنته الذي منَّ علينا وخصنا به، وعلى ذلك نشكره، وعلى ذلك الصبر بما يصيبنا ويفوتنا؛ لما جعل لنا لذلك ثواباً في الآخرة وأجرًا عظيمًا، وكذلك الكثرة، أمرنا بها، فإذا آتانا ذلك يعجبنا فضل الله ومنته في تلك الكثرة، لا الكثرة لنفسها والقوة، والله أعلم ⁽¹⁾، فهذه ثقة رسولنا الكريم محمد ﷺ في رحلة الهجرة فعن أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قلت للنبي ﷺ وأنا في الغار: لو أن أحدهم نظر تحت قدميه لأبصرنا، فقال: «مَا ظَنُّكَ يَا أَبَا بَكْرٍ بِاثْنَيْنِ اللَّهُ ثَالِثُهُمَا» ⁽²⁾.

"ولقد بين القرآن الكريم أن العون والسكينة والمدد الإلهي يأتي على فوره كما ظهر في قوله تعالى: ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَلَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: 40]، وهي ثقة موسى عليه السلام لما كان البحر من أمامه وفرعون وجيشه من خلفه ليجسد لنا القرآن العظيم ذلك المشهد في أعظم صورة قال ربنا ﷺ: ﴿فَلَمَّا تَرَاءَى الْجُمُعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ﴾ ﴿قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾ ﴿وَأَرْزَلْنَا ثَمَّ الْآخَرِينَ﴾ ﴿وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ﴾ ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ﴾ [الشعراء: 61 - 66]، وهذا حال بني اسرائيل من جيش طالوت من بعد موسى عليه السلام في قوله تعالى: ﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ﴾ [البقرة: 249]، يعني كم من جند قليل، غلبت فئة كثيرة عدتهم بإذن الله، أي بنصر الله وأمره، إذا خلصت نيتهم، وطابت أنفسهم بالموت في طاعة الله والله مع الصابرين بالنصرة على عدوهم أي معينهم ⁽³⁾، فيفهم بهذا أن الظن في قوله تعالى: ﴿قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللَّهِ﴾ [البقرة: 249]، إما بمعنى يوقنون أنهم ملاقوا الله، ولو كانوا شاكين لكانوا ضلالاً كافرين

(1) ينظر: تأويلات أهل السنة الماتريدي (ج5/ 324).

(2) [صحيح البخاري، البخاري، أصحاب النبي ﷺ/مناقب المهاجرين وفضلهم، 5/ 4: حديث[3653].

(3) بحر العلوم، السمرقندي (ج1/ 164).

وظننت في اللغة بمعنى أيقنت موجود، أو أنهم كانوا يتوهمون أنهم في هذه الموقعة يقتلون في سبيل الله لقلّة عددهم، وعظم عدد عدوهم، وهم أصحاب جالوت، وبهذا يتبين جلياً أنهم يطمحون إلى احدى الحسينيين إما النصر وبه ترتفع راية الإسلام وتنتشر دعوة السماء إلى العالمين، أو الشهادة التي تتحقق بها الآمال وتنال بها الدرجات العاليات من الجنان⁽¹⁾.

رابعاً: الصبر والثبات لتحقيق أمر الله تعالى وقدره.

إن المعارك لا يفوز فيها إلا الأقدر على الصبر والثبات، ودليلنا على ذلك قول الحق ﷻ: ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمَدِّدَ كُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُنَزَّلِينَ﴾ [آل عمران: 124] هذا هو الوعد لكن إذا صبرتم كم يكون المدد؟ يقول الحق ﷻ: ﴿بَلَىٰ إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَذَا يُمَدِّدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ [آل عمران: 125] فكان البدء بثلاثة آلاف لمساندة أهل الإيمان ويزيد العدد في المدد إلى خمسة آلاف إن صبروا واتقوا، إذن فالمدد يأتي على قدر الصبر؛ لأن حنان القدرة الإلهية عليك يزداد ساعة يجذك تتحمل المشقة فيحن عليك ويعطيك جزءاً أكبر، فالله يريد من عبده أن يستنفذ أسباب قوته الخاصة، وحين تستنفذ الأسباب برجولة وثبات، تأتيك معونة الله، ويقول الله لملائكته: هذا يستحق أن يعان فأعينوه⁽²⁾، "وإن الصبر والوقوف للعدو من أعظم الأعمال، وإن النصر هو ثمرة له يأتي بعده تباعاً، فإذا قام المؤمنون بكل وجه لله وبالله وحققوا أمر الله وقدره، فقد استحقوا العون والنصر التثبيت⁽³⁾، "واعلم أن الأمور المطلوبة عند المحاربة من الجندي مجموع أمور ثلاثة:

1- أن يكون الإنسان صبوراً على مشاهدة المخاوف والأمور الهائلة، وهذا هو الركن الأعلى للمحارب فإنه إذا كان جباناً لا يحصل منه مقصود أصلاً.

2- أن يكون قد وجد من الآلات والأدوات والاتفاقات الحسنة مما يمكنه أن يقف ويثبت ولا يصير مضطراً إلى الفرار.

3- أن تزداد قوته على قوة عدوه حتى يمكنه أن يقهر العدو⁽⁴⁾.

(1) معاني القرآن وإعرابه، الزّجاج (ج1/ 331) بتصرف.

(2) الخواطر، الشعراوي (ج2/ 1055).

(3) لطائف الإشارات، القشيري (ج1/ 194) بتصرف.

(4) مفاتيح الغيب، الرازي (ج6/ 515).

نخلص من هذا إلى أن الجند القليل هنا في أرض غزة العزة والإباء، وقدس الصمود والعطاء، وضفة الكرامة الذين يتحقق فيهم قول رسولنا المجاهد محمد ﷺ حين قال: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَذَلِكَ»⁽¹⁾، لا بد أن يأتي يوم النصر العظيم الذي وعد الله به جنوده المخلصين ليعيدوا الحقوق إلى أصحابها والمياه إلى مجاريها، لتشرق شمس الحرية على قباب مساجدنا السماء وتعود الطيور تغرد كل صباح في السماء، يجتمع الشيوخ في المساء يربون الأطفال على حب الشهامة والرجولة والكرامة والإباء، ﴿وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ [إبراهيم: 20]، وسنكون أهلاً له بإذن الله قال ربنا ﷺ: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور: 55].

المطلب الثاني: تحقيق النفير في سبيل الله

إن من أعظم نعم الله على المسلمين في هذه الأرض أن جعل لها جنداً يحمون الديار ويصونون الكرامة ولا يقبلون المذلة والضميم فهو دين العزة والكرامة قال ربنا ﷺ: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهْدَمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: 40]، فكان لا بد لهذه الصفوة المختارة من حوافز تدفعهم لحماية الأوطان وبذل الأرواح الغالية رخيصة في سبيل الله فكان الأمر من العزيز الحكيم حيث قال ﷺ: ﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [التوبة: 41]، لتنتطلق جحافل الجيش الاسلامي إلى حيث أمرت وجعل فيه رزقها، حيث جاء في صحيح البخاري فيما يذكره عبد الله بن عمر ﷺ عن رسولنا الكريم ﷺ قال: «جُعِلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رُمْحِي، وَجُعِلَ الذَّلَّةُ وَالصَّغَارُ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرِي»⁽²⁾، محققين بذلك أجري الدنيا والآخرة لأنه ما ترك قوم الجهاد والنفير والدفاع بالنفس والمال بل وبكل ما يملكون إلا أدلهم الله فليس شرطاً أن تقاتل أعداء الله بأعتى الأسلحة، فإذا لم يتوفر كان ذلك مثبطاً لك عن الجهاد في سبيل الله، بل عليك أن تبدل أقصى طاقاتك بما توفر من الإمكانيات لترهب الأعداء، قال ربنا ﷺ: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْحَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي

(1) [صحيح مسلم، مسلم، الإمامة/لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، 3/ 1523: حديث رقم 1920].

(2) [صحيح البخاري، البخاري، الجهاد والسير/ما قيل في الرماح، 40/4: حديث معلق].

سَبِيلِ اللَّهِ يُوفَّى إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ» [الأنفال: 60]، "فالإسلام يفرض على المسلم أن يكون جندياً لأول إيمانه بصحة تعاليم الدين واعتناقه إياها، وما ذكر الإيمان في مواطن إلا وذكر الجهاد معه في أغلب الأحيان، وإن القرآن الذى يقول: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾ [البقرة: 183]، هو القرآن الذى يقول: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ﴾ [البقرة: 216]، وفى كل تشريعات الإسلام تحضير لطبع النفس المسلمة بطابع الجهاد في سبيل الله، فليس في الدنيا نظام يطبع متبعية على روح الجنديّة الصحيحة كما يطبع الإسلام نفوس أبنائه عليها، والقول في ذلك يطول، وإن أفضل القربات إلى الله أن يخرج الإنسان لله وشريعته عن نفسه وماله، لا يختلف في ذلك اثنان من المسلمين"⁽¹⁾.

أولاً: أنواع النفير:

إن المنتبّع لآيات الكتاب العزيز يجد أن الله ﷻ قد بيّن أنواعاً من النفير يمكن أن نجملها في نوعين رئيسيين هما:

1- النفير العام.

2- النفير الخاص.

وسنتناول كل نوع على حدا بشيء من التفصيل كما يلي:

1- النفير العام/

"النفير العام معناه دعوة جميع القادرين على حمل السلاح للاشتراك في الحرب، إن الجهاد في هذه الحالة (فرض عين) كما يعبر عنه الفقهاء، وذلك في حالة الدفاع؛ أي عند اعتداء العدو على بلاد المسلمين، فعند ذاك يكون النفير عاماً، ولا يتخلف عن الجهاد مسلم إلا ويرمى بالنفاق، ويعاقب بأشدّ العقاب"⁽²⁾، "فإذا عم النفير بأن هجم العدو على بلد، فهو فرض عين يفترض على كل واحد من آحاد المسلمين ممن هو قادر عليه؛ لقوله سبحانه وتعالى ﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ [التوبة: 41] قيل: نزلت في النفير، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ﴾ [التوبة: 120] ولأن الوجوب على الكل قبل عموم النفير ثابت؛ لأن السقوط عن الباقيين بقيام البعض به، فإذا عم النفير لا يتحقق القيام به إلا بالكل، فبقي فرضاً على الكل عيناً بمنزلة

(1) نظرات في كتاب الله، البنا (ص 211).

(2) الرسول القائد، خطاب (ص 58).

الصوم والصلاة، فيخرج العبد بغير إذن مولاه، والمرأة بغير إذن زوجها؛ لأن منافع العبد والمرأة في حق العبادات المفروضة عيناً مستثناة عن ملك المولى والزوج شرعاً، كما في الصوم والصلاة، وكذا يباح للولد أن يخرج بغير إذن والديه؛ لأن حق الوالدين لا يظهر في فروض الأعيان كالصوم والصلاة، والله تعالى أعلم⁽¹⁾.

وهناك مواضع يجب على المجاهد أن ينفر فيها ويأثم إذا تخلف وهي:

الموضع الأول: أن يستنفر الأمير مجاهد بعينه على التخصيص لما ورد في الحديث الصحيح قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا هِجْرَةَ بَعْدَ الْفَتْحِ، وَلَكِنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ، وَإِذَا اسْتَنْفَرْتُمْ فَاَنْفِرُوا»⁽²⁾، يعني: إذا استنفركم ولي أمركم للجهاد في سبيل الله، فانفروا وجوباً، وألا يتخلف أحد إلا من عذره، لقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ ائْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾⁽³⁾ إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَاباً أَلِيماً وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئاً [التوبة: 38-39]⁽³⁾.

الموضع الثاني: إذا حضر العدو بلدة، أي جاء العدو حتى وصل إلى البلد وحاصر أهلها، صار الجهاد فرض عين، ووجب على كل أحد أن يقاتل، حتى على النساء والشيوخ القادرين في هذه الحال، لأن هذا قتال دفاع، وفرق بين قتال الدفاع وقتال الطلب، فيجب في هذا الحال أن ينفر الناس كلهم للدفاع عن بلدهم⁽⁴⁾، "ويبقى الجهاد فرض عين كذلك إذا تعين بغلبة العدو على قطر من الأقطار، فيجب حينئذ على جميع أهل تلك الدار أن ينفروا ويخرجوا إلى الجهاد خفافاً وثقلاً، شباناً وشيوخاً، كل على قدر طاقته، يخرج الابن بغير إذن أبيه، ولا يتخلف أحد يقدر على الخروج، فإن عجز أهل تلك البلدة عن القيام بدحر العدو، كان على من قاربهم وجاورهم أن يخرجوا لتحقيق الهدف المرجو، فالمسلمون كلهم يد واحدة على من سواهم، حتى إذا قام هؤلاء بدفع العدو سقط الفرض عن الباقيين"⁽⁵⁾.

الموضع الثالث: "إذا حضر الصف، والتقيا الصفان، صف الكفار وصف المسلمين؛ صار الجهاد حينئذ فرض عين، ولا يجوز لأحد أن ينصرف كما قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا

(1) بدائع الصنائع، الكاشاني (ج7/ 98).

(2) [صحيح البخاري، البخاري، الجهاد والسير/ فضل الجهاد والسير، 4 / 15: رقم الحديث 2783].

(3) ينظر: شرح رياض الصالحين، العثيمين (ج1/ 32).

(4) ينظر: شرح رياض الصالحين، العثيمين (ج1/ 32).

(5) التفسير المنير، الزحيلي (ج10/ 225).

لَقَيْتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفًا فَلَا تُلُوهُمُ الْأَذْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَنْ يُولَّهُمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِتْنَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [الأنفال: 15 - 16]، وقد جعل النبي ﷺ التولي يوم الزحف من السبع الموبقات⁽¹⁾ حين قال: «اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: «الشِّرْكُ بِاللَّهِ، وَالسَّخَرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ، وَالتَّوَلَّى يَوْمَ الرَّحْفِ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ الْغَافِلَاتِ»⁽²⁾.

الموضع الرابع: "إذا احتيج إلى الإنسان؛ بأن يكون السلاح لا يعرفه إلا فرد من الأفراد، وكان الناس يحتاجون إلى هذا الرجل؛ لاستعمال هذا السلاح الجديد مثلاً؛ فإنه يتعين عليه أن يجاهد وإن لم يستتفره الإمام وذلك لأنه محتاج إليه، ففي هذه المواطن الأربعة، يكون الجهاد فرض عين، وما سوي ذلك فإنه يكون فرض كفاية"⁽³⁾.

2- النفير الخاص/

"ومعناه دعوة بعض القادرين على حمل السلاح للاشتراك في الحرب، أو دعوة القادرين على حمل السلاح في قسم من البلاد، وذلك في حالة التعرض أي في حالة مهاجمة العدو في بلاده إذ يدعى نفر من الأمة للفتح، وعند ذاك يكون النفير خاصاً، وفي هذه الحالة يكون الجهاد (فرض كفاية) كما يعبر عنه الفقهاء"⁽⁴⁾، "وهو أن يفترض على جميع من هو من أهل الجهاد، لكن إذا قام به البعض سقط عن الباقيين؛ لقوله ﷺ: ﴿فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى﴾ [النساء: 95] وعد الله ﷺ المجاهدين والقاعدين الحسنى ولو كان الجهاد فرض عين في الأحوال كلها لما وعد القاعدين الحسنى؛ لأن القعود يكون حراماً، وكذا النبي ﷺ كان يبعث السرايا، ولو كان فرض عين في الأحوال كلها لكان لا يتوهم منه القعود عنه في حال، وإذا كان فرضاً على الكفاية فلا ينبغي للإمام أن يخلي ثغراً من الثغور من جماعة من الغزاة فيهم غنى وكفاية لقتال العدو، فإذا قاموا به يسقط عن الباقيين، وإن ضعف أهل ثغر عن مقاومة الكفرة، وخيف عليهم من العدو فعلى من وراءهم من المسلمين الأقرب فالأقرب أن ينفروا إليهم، وأن يمدوهم بالسلاح، والمال"⁽⁵⁾.

(1) شرح رياض الصالحين، العثيمين (ج1/33).

(2) [صحيح البخاري، البخاري، الحدود/رمي المحصنات، 4/ 10: رقم الحديث 6857].

(3) شرح رياض الصالحين، العثيمين (ج1/33).

(4) الرسول القائد، خطاب (ص58).

(5) بدائع الصنائع، الكاشاني (ج7/98).

ثانياً: شروط وجوب النفير الخاص:

هناك شروط تتعلق بالمجاهدين، وشروط تتعلق بالكفار.

1) الشروط التي تتعلق بالمجاهدين:

إنما يجب الجهاد (عندما يكون فرض كفاية) على من توفرت فيه الشروط التالية:

1- الإسلام: "فلا يجب على كافر أصلي وجوب مطالبة في دار الدنيا، لأن الجهاد عبادة وهي لا تصح من كافر، شأنه في ذلك كشأن الصلاة والصوم ونحوهما"⁽¹⁾.

2- التكليف: "فلا يجب الجهاد على صبي، ولا على مجنون وقد ثبت أن النبي ﷺ كان يرد صغاراً لم يصلوا إلي سن التكليف عن الاشتراك في الغزو، فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَرَضَهُ يَوْمَ أُحُدٍ، وَهُوَ ابْنُ أَرْبَعِ عَشْرَةَ سَنَةً، فَلَمْ يُجْزَنِي ثُمَّ عَرَضَنِي يَوْمَ الْخَنْدَقِ، وَأَنَا ابْنُ خَمْسِ عَشْرَةَ سَنَةً، فَأَجَازَنِي»⁽²⁾، "أي فأذن لي بالخروج والاشتراك في القتال"⁽³⁾.

3- الذكورة: فاحتراز عن الأنوثة فلا يجب الجهاد على المرأة، لضعفها عن القتال، ولأن الأمر فيه سعة، بسبب كونه فرض كفاية، فيكفي أن يقوم به الرجال، وهم أقدر عليه من النساء بغير شك، فعن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، قالت: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلَا نَغْزُو وَنُجَاهِدُ مَعَكُمْ؟ فَقَالَ: «لَكِنَّ أَحْسَنَ الْجِهَادِ وَأَجْمَلُهُ الْحَجُّ، حَجٌّ مَبْرُورٌ»، فقالت عائشة رضي الله عنها: «فَلَا أَدْعُ الْحَجَّ بَعْدَ إِذْ سَمِعْتُ هَذَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ»⁽⁴⁾⁽⁵⁾.

4- الاستطاعة: "وتشمل الاستطاعة الجسمية مطلقاً، والاستطاعة المالية إذا لم يكن لدى الدولة ما تغني به المجاهدين من ركوب وعتاد ونفقة، ونحو ذلك، فلا يجب الجهاد على من ليس مستطيعاً على نحو ما ذكرنا كالأعمى والأعرج، وفائد النفقة، ودليل ذلك قول الله ﷻ: ﴿لَيْسَ عَلَى الضَّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ﴾

(1) الفقه المنهجي، الخن وآخرون (ج8/ 121).

(2) [صحيح البخاري، البخاري، الشهادة/بلوغ الصبيان وشهادتهم، 177/3: حديث رقم 2664].

(3) الفقه المنهجي، الخن وآخرون (ج8/ 122).

(4) [صحيح البخاري، البخاري، جزاء الصيد/حج النساء، 19/3: حديث رقم 1861]

(5) ينظر: الحصني، كفاية الأخيار (ص 499)، والفقه المنهجي، الخن وآخرون (ج8/ 122).

[التوبة: 91-92]، [الحرج: الإثم والذنب، ونفي الحرج نفي للإثم والذنب، وهو يتضمن نفي الوجوب]⁽¹⁾.

5- رضا الوالدين: "قلو لم يرض أبوه وأمه بخروجه للجهاد لم يجز له مخالفتها، لأن حقهما عند الضرورة والحاجة إلى المساعدة ألزم إذ هو فرض عين بينما الجهاد في الحالة التي نذكرها فرض كفاية، جاء رجلٌ إلى النبي ﷺ فاستأذنه في الجهاد، فقال: «أَحْيِي وَالِدَاكَ؟»، قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «فَفِيهِمَا فَجَاهِدْ»⁽²⁾، فكل تطوع فيه منفعة للإنسان ولا ضرر على والديه فيه فلا يحتاج إلى إذنهما فيه كقيام الليل، وصيام التطوع ونحوهما، فإن كان فيه ضرر على الوالدين، أو أحدهما كجهاد التطوع فلهما منعه، وعليه أن يمتنع؛ لأن طاعة الوالدين واجبة، والتطوع ليس بواجب»⁽³⁾، "وكالوالدين في ذلك الغريم صاحب الدين الذي حل أجله مع يسر المدين به، فلا يجوز له الخروج إلي الجهاد إلا بإذن غريمه، وأنت تعلم أن هذا كله في الجهاد الذي هو فرض كفاية"⁽⁴⁾.

2) الشروط التي تتعلق بالكفار:

إنما يجب على المسلمين الخروج لقتال الكفار على وجه الجهاد بعد ملاحظة الشروط التالية:

1- أن يكون الكفار مستأمنين أو معاهدين أو من أهل الذمة وذلك لقوله ﷺ في حق المستأمنين: «وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ» [التوبة: 6]، وقال ﷺ في حق المعاهدين: «وَأَمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ» [الأنفال: 58]، فإذا لم يجد بواذر الخيانة فلا يجوز نكث العهد وخرقه، ومقاتلة أصحاب تلك العهود، قال ﷺ في حرمة قتال أهل الذمة وقتلهم: «مَنْ قَتَلَ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الذِّمَّةِ، لَمْ يَجِدْ رِيحَ الْجَنَّةِ، وَإِنْ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ سَبْعِينَ عَامًا»⁽⁵⁾⁽⁶⁾.

2- أن يسبق القتال تعريف لهم بالإسلام، وشرح لحقيقته، ورد لما قد يكون من شبه لهم فيه، حتى إذا قامت بذلك عليهم الحجة، ولم يتحولوا عن عنادهم على الكفر، قوتلوا على ذلك، ودليل ذلك إرساله ﷺ الرسائل والكتب إلي الملوك والأمراء في العالم يومئذ يعرفهم فيها

(1) الفقه المنهجي، الخن وآخرون (ج8/ 122).

(2) [صحيح البخاري، البخاري، الجهاد والسير/الجهاد بإذن الوالدين، 4/ 59: حديث رقم 3004].

(3) مختصر الفقه الإسلامي، التوبجري (ص1032)

(4) الفقه المنهجي، الخن وآخرون (ج8/ 123).

(5) [مسند أحمد، أحمد، 29/ 614: حديث رقم 18072]، قال الألباني: صحيح.

(6) ينظر: الفقه المنهجي، الخن وآخرون (ج8/ 124).

بالإسلام، ويشرح لهم جوهر رسالته التي أرسله الله بها إلي العالمين، ويأمرهم بالخضوع لهذا الإسلام والدخول فيه، ولقد كان ذلك منه مقدمة لآبد منها بين يدي جهادهم، وليس أدل على هذا الشرط من كتاب رسول الله ﷺ الذي قال فيه: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مِنْ مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ: سَلَامٌ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى، أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدَعَايَةِ الْإِسْلَامِ، أَسْلِمْ تَسْلِمًا، يُؤْتِكَ اللَّهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ، فَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَإِنَّ عَلَيْكَ إِثْمَ الْأَرِيسِيِّينَ، ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: 64]»⁽¹⁾، [بدعاية الإسلام: بدعوته وهي كلمة الشهادة التي يدعي إلي النطق بها أهل الملل الكافرة، توليت: أعرضت عن الإسلام، ورفضت الدخول فيه. إثم الأريسيين: إثم استمرارهم على الباطل والكفر أتباعاً لك، والمراد بالأريسيين الأتباع من أهل مملكته، وهي في الأصل جمع أريسي، وهو الحارث والفلاح، كلمة سواء بيننا وبينكم: مستوية لا تختلف فيها الكتب المنزلة، ولا الأنبياء المرسلون]، فإذا توفر هذان الشرطان، كان لإمام المسلمين أن يقاتلهم إذا اقتضته مصلحة الدعوة الإسلامية، حتى وإن كان ذلك بدون سابق إنذار⁽²⁾.

ثالثاً: حال المنافقين في النفي.

لكنك تجد قوماً آخرين رضوا بأن يكونوا مع الخولاف وطبع الله على قلوبهم، ذكرهم ربنا في كتابه يصف حالهم ومآلهم في كل وقت وحين وهم يشبطون المجاهدين بالصد أحياناً وبالإغراء أخرى، أذناً للمحتل وللعدو لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة، منتفعين فرحين بالدنيا الدنية الفانية متأمرين مرتزقة، قال ربنا ﷺ: «فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ» [التوبة: 81]، وأي بؤس هذا وأي تجارة كاسدة تلك التي يتاجر بها خفاف العقول أن تتبع الجنة وما فيها من النعيم المقيم، لتتعد في المتاع القليل ظانين بأنفسهم الرشاد والفوز والنجاة وهم لا يعقلون الحقيقة الأزلية والسنة الكونية حين قال ربنا ﷺ: «أَيُّنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا» [النساء:

(1) [صحيح البخاري، البخاري، بدء الوحي/كيف كان الوحي إلى رسول الله ﷺ، 1/ 9: حديث رقم 7].

(2) ينظر: الفقه المنهجي، الخن وآخرون (ج8/ 125).

[78]، فلو أنهم كانوا من أصحاب الرأي الشديد لآثروا الباقي على الفاني فما دام أن الموت لا مفر منه والحساب قائم والصراط منصوب والنار مسعرة والجنة مزلفة فليعيدوا الحساب ألف مرة، وأنظر إلى وصف رسولنا الكريم ﷺ وهو يصف أصحاب العافية في الدنيا حين تنصب الموازين في مشهد الحساب ينظرون إلى أهل البلاء يتقاضون أعالي الدرجات، حيث قال بأبي هو وأمي ونفسي ﷺ «يَوَدُّ أَهْلُ الْعَافِيَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِينَ يُعْطَى أَهْلُ الْبَلَاءِ الثَّوَابَ لَوْ أَنَّ جُلُودَهُمْ كَانَتْ قُرِضَتْ فِي الدُّنْيَا بِالْمَقَارِيضِ»⁽¹⁾، كل هذا لما يروونه من عظيم الأجر وواسع الكرم فرينا الكريم لا يجمع على مؤمن عذابي الدنيا والآخرة بل ويزيد بمنه وكرمه وهو أكرم الأكرمين فقد قال ربنا ﷻ: ﴿قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: 10]، إذا فهذا قمة الكرم وعظيم الأجر فليعقل أولئك السذج وليعيدوا النظر والحسابات وليعودوا إلى الطريق المستقيم قبل أن يلحقوا بركب الخاسرين، الذين آثروا الحياة الدنيا فباعوا بسخط الله في الدنيا والآخرة وبئس المصير.

رابعاً: تقديم المال والنفس.

إن المتتبع للآيات القرآنية يجد أن الله يقدم أحياناً ذكر المال على النفس، وأحياناً يقدم النفس على المال مما يشكل على البعض حينما يمر على آيات من كتاب الله ﷻ كما في قوله تعالى: ﴿وَتَجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الصف: 11]، ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: 95]، ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الأفال: 72]، ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [التوبة: 20]، ﴿لَكِنَّ الرُّسُولَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [التوبة: 88]، ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحجرات: 15]، وفي آية التوبة قال ﷻ: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ

(1) [سنن الترمذي، الترمذي، الزهد/ ما جاء في ذهاب البصر، ج4/ 603: حديث رقم 2402]، قال الألباني:

حسن/صحيح الجامع الصغير وزيادته (ج2/ 1358).

وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ» [التوبة: 111] ، قدم النفس عن المال فقال: اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم، وفي ذلك سر لطيف، كما يلي:

1- تقديم المال على النفس:

إن الآيات التي قدم الله ﷻ فيها المال عن النفس كانت تتحدث عن الإعداد قبل المعركة فالمقام هنا مقام تفسير وبيان لمعنى التجارة الرباحة بالجهاد في سبيل الله، وحقيقة الجهاد بذل الجهد والطاقة، والمال هو عصب الحرب وهو مدد الجيش، فبالمال يشتري السلاح، وقد تستأجر الرجال كما في الجيوش الحديثة من الفرق الأجنبية، وبالمال يجهز الجيش، ولذا لما جاء الإنز بالجهاد أعذر الله المرضى والضعفاء، وأعذر معهم الفقراء الذين لا يستطيعون تجهيز أنفسهم، وأعذر معهم الرسول ﷺ إذ لم يوجد عنده ما يجهزهم به كما في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ» [التوبة: 91-92]، وكذلك من جانب آخر، قد يجاهد بالمال من لا يستطيع بالسلاح كالنساء والضعفاء، كما قال ﷺ: «مَنْ جَهَّزَ غَازِيًا، فَقَدْ غَزَا، وَمَنْ خَلَفَ غَازِيًا فِي أَهْلِهِ، فَقَدْ غَزَا»⁽¹⁾⁽²⁾.

2- تقديم النفس على المال:

وهذا في المعركة فإن النفس هي الدماء، وهي المطلوبة للثبات ومقاتلة العدو، وحينها لا ينفع المال، وآية التوبة وهي الآية الوحيدة في كتاب الله التي قدم فيها النفس على المال فهي في معرض الاستبدال والعرض والطلب أو ما يسمى بالمساومة، فقدم النفس؛ لأنها أعز ما يملك الحي، وجعل في مقابلها الجنة وهي أعز ما يوهب، فالتجارة هنا معاملة مع الله إيماناً بالله وبرسوله، وجهاداً بالمال والنفس، والعمل الصالح، وفي آية: إن الله اشترى تقديم بشرى خفية لطيفة بالنصر لمن جاهد في سبيل الله وهي تقديم قوله: فَيَقْتُلُونَ بِالْبَنَاءِ لِلْفَاعِلِ أَيِ فَيَقْتُلُونَ عدوهم، وَيُقْتَلُونَ بِالْبَنَاءِ لِلْمَجْهُولِ، لأن التقديم هنا يشعر بأنهم يقتلون العدو قبل أن يقتلهم ويصيبون منه قبل أن يصيب منهم، ومثل هذا يكون في موقف القوة والنصر، والعلم عند الله تعالى⁽³⁾.

(1) [مسلم، صحيح مسلم، الامارة/فضل اعانة الغازي في سبيل الله، ج3/ 1507: رقم الحديث 1895].

(2) أضواء البيان، الشنقيطي (ج8/ 113) بتصرف.

(3) ينظر: المرجع السابق.

فإذا علمت بهذه الحقيقة وحتى تطمئن أكثر، أضع بين يديك حديث رسول الله ﷺ حين قال: «انْتَدَبَ اللَّهُ لِمَنْ خَرَجَ فِي سَبِيلِهِ، لَا يُخْرِجُهُ إِلَّا إِيمَانٌ بِي وَتَصَدِيقٌ بِرُسُلِي، أَنْ أَرْجِعَهُ بِمَا نَالَ مِنْ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ، أَوْ أُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، وَلَوْلَا أَنْ أَشَقَّ عَلَى أُمَّتِي مَا قَعَدْتُ خَلْفَ سَرِيَّةٍ، وَلَوْ دِدْتُ أَنِّي أُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ أَحْيَا، ثُمَّ أُقْتَلُ ثُمَّ أَحْيَا، ثُمَّ أُقْتَلُ»⁽¹⁾، فلا أعلم أعظم من هذا النفير نفير ولا أعلم أعظم من هذه المهمة مهمة ورسولنا الكريم يحثنا على هذا الأجر الكبير أجر الغزو والنفير، ينال بها المؤمن أجري الدنيا والآخرة فعاجل البشرى أن يرجع بالغنيمة والأجر معاً وهذا فضل وكرم، وأما إذا نال الشهادة فقد ضمن له رسولنا الكريم جنة عرضها السماوات والأرض، ويختتم الرسول ﷺ محفزاً ومرغباً الأمة لما عند الله بما يرى الشهيد من الفضل والسؤدد بتمنيه أن يقتل في سبيل الله ثم يحيا ثم يقتل ثم يحيا ثم يقتل، وإذا كنا نحب الله ورسوله فلا بد لنا أن نسير على هذه الطريق القويم الذي خطها لنا رسولنا الكريم مقتدين بسنته مهتدين بهديه: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران: 31]، وذلك هو الفوز العظيم.

فحري بالجندي المسلم أن يهتدي الطريق ويحسن الاختيار ليتمكن من تحقيق وعد الله ويعلي راية الاسلام فوق ربوع العالمين، محافظاً على بيضة الإسلام من أعدائها الذين لا يفتنون يمكرون ويدبرون ويحيكوا الخطط ليلاً ونهاراً لاستئصال شأفة الاسلام، منفقين في سبيل ذلك أقصى ما يملكون، وأنى لهم ذلك لأن الله قد هيا لدينه جنوداً مخلصين دافعين ومدافعين وجادين ومجاهدين لتقلب هذه النفقات حسرة عليهم وينقلبوا خائبين، مأواهم جهنم بما كانوا يمكرون، قال ربنا ﷻ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنفال: 36]، وعلى كل فالأمور كلها مطلوبة لتحقيق النفير والجهاد في سبيل الله، وكل ما يؤلم ويوجع العدو فإن المسلم مطالب أن يقدمه بين يدي الله تعالى، فيكون بذلك قد حقق النفير في سبيل الله ﷻ.

(1) [صحيح البخاري، البخاري، الإيمان/الجهاد من الإيمان، ج1/ 16: رقم الحديث 36].

المطلب الثالث: تحقيق النصر لأمة الإسلام بتوفر أسبابه

إن الناس يقصرون معنى النصر على صور معينة معهودة لهم، قريبة الرؤية لأعينهم، ولكن صور النصر شتى، وقد يتلبس بعضها بصور الهزيمة عند النظرة القصيرة، إذاً ما النصر؟ وما الهزيمة؟ إننا في حاجة إلى أن نراجع ما استقر في تقديرنا من الصور ومن القيم، إن وعد الله قائم لرسله وللذين آمنوا، ولا بد أن توجد حقيقة الإيمان في القلوب التي ينطبق هذا الوعد عليها، وحقيقة الإيمان كثيراً ما يتجاوز الناس فيها، وهي لا توجد إلا حين يخلو القلب من الشرك في كل صوره وأشكاله، وإن هنالك أشكالاً من الشرك خفية لا يخلص منها القلب إلا حين يتجه لله وحده، ويتوكل عليه وحده، ويطمئن إلى قضاء الله فيه، وقدره عليه، ويحس أن الله وحده هو الذي يصرفه فلا خيرة له إلا ما اختار الله، ويتلقى هذا بالطمأنينة والثقة والرضى والقبول، وحين يصل إلى هذه الدرجة فلن يقدم بين يدي الله، ولن يقترح عليه صورة معينة من صور النصر، فسيكل هذا كله لله، ويلتزم ويتلقى كل ما يصيبه على أنه الخير⁽¹⁾.

وفي هذا المطلب سنتعرف على أسباب النصر وأنواعه ليتبين جلياً كيف يتحقق النصر لأمة الإسلام.

أولاً: أسباب النصر:

من المعلوم يقيناً أن تحقيق النصر لأمة الإسلام له أسباب تُحقِّقه للجند المسلمين على أعدائهم بإذن الله ﷻ وسأذكر معظمها في عشر أسباب كالآتي:

السبب الأول: الإيمان والعمل الصالح.

إن أولى الأسباب التي تحقق النصر للجندي المسلم وللأمة هو الإيمان بالله والعمل الصالح، فقد وعد الله جنوده بالنصر المبين على أعدائهم، وذلك بإظهار دينهم، وإهلاك عدوهم وإن طال الزمن قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ [النور: 55]، ذكر ﷻ في هذه الآية الكريمة أنه وعد الذين آمنوا وعملوا الصالحات من هذه الأمة: ليجعلهم خلفاء الأرض، الذين لهم السيطرة فيها، والآيات تدل على أن طاعة الله بالإيمان به، والعلم الصالح سبب للقوة والاستخلاف في الأرض ونفوذ الكلمة؛ كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: 7]، وكما استخلف الذين من قبلهم، أي: كبنِي إسرائيل، ومن الآيات الموضحة لذلك، قوله تعالى: ﴿وَيُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ

(1) في ظلال القرآن، قطب (ج5/ 3086-3087) باختصار.

عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجَعْلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ» [القصص: 5]، وقوله تعالى عن موسى عليه السلام: «عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَذُوكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ» [الأعراف: 129]، وقوله تعالى: «وَأَوْزَنَّا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا» [الأعراف: 137]، وقد وعدهم الله وأقسم في وعده ليستخلفنهم، وليمكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم، هذا الدين الذي ارتضاه لهم هو دين الإسلام بدليل قوله تعالى: «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا» [المائدة: 3]، وقوله تعالى: «إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ» [آل عمران: 19]، وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: وليمكن لهم دينهم، تمكينه هو تثبيتته وتوطيده⁽¹⁾، "وفي الآية أوضح دليل وأبينه على أن المستخلفين هم الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم هم"⁽²⁾، وقال أبو الدرداء: «إِنَّمَا تُقَاتِلُونَ بِأَعْمَالِكُمْ»⁽³⁾، لذا كان لابد للجندي المؤمن أن يكون عميق الإيمان والاتصال بربه حتى يستحق معية الله ويجلب النصر لأمة الاسلام.

الثاني: نصر دين الله تعالى:

اعلم أن من أسباب تحقيق النصر لأمة الاسلام أن ينصر الجندي المسلم دين الله تعالى ويقوم به قولاً، واعتقاداً، وعملاً ودعوة، قال تعالى: «وَلْيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ» الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ [الحج: 40 - 41]، وقال تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ» وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعَسَا لَهُمْ وَأَصْلٌ أَعْمَالُهُمْ» [محمد: 7 - 8]، "إن ما ورد في الآيات ليدل على أن الذين لا يقيمون الصلاة، ولا يؤتون الزكاة، ولا يأمرون بالمعروف، ولا ينهون عن المنكر، ليس لهم وعد من الله بالنصر البتة، فمثلهم كمثل الأجير الذي لم يعمل لمستأجره شيئاً، ثم جاءه يطلب منه الأجرة، فالذين يرتكبون جميع المعاصي ممن يتسمون باسم المسلمين، ثم يقولون: إن الله سينصرنا مغررون؛ لأنهم ليسوا من حزب الله الموعودين بنصره كما لا يخفى، ومعنى نصر المؤمنين الله نصرهم لدينه ولكتابه، وسعيهم

(1) ينظر: أضواء البيان، الشنقيطي (ج5/ 553-554)، الكشاف، الزمخشري (ج3/ 251).

(2) الكشاف، الزمخشري (ج3/ 252).

(3) [صحيح البخاري، البخاري، الجهاد والسير/ عمل صالح قبل القتال، 4/ 20]

وجهادهم في أن تكون كلمته هي العليا، وأن تقام حدوده في أرضه، وتمتثل أوامره وتجتنب نواهيه، ويحكم في عبادته بما أنزل على رسوله ﷺ⁽¹⁾.

الثالث: التوكل على الله.

"التوكل على الله مع إعداد القوة من أعظم عوامل النصر وهي ميزة تميز الجندي المسلم عن غيره من جنود الطاغوت، قال سبحانه: ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [آل عمران: 160]، ولابد مع التوكل من الأخذ بالأسباب، لأن التوكل يقوم على ركنين عظيمين:

1. الاعتماد على الله، والثقة بوعده ونصره تعالى وكأن الأسباب لا شيء.
2. الأخذ بالأسباب المشروعة كلها وبذل أقصى الجهد وكأن الأسباب كل شيء، ولهذا قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: 60]⁽²⁾.

"إن الإسلام يتخذ للنصر عدته الواقعية التي تدخل في طوق العصبة المسلمة فهو لا يعلق أبصارها بتلك الآفاق العالية إلا وقد أمن لها الأرض الصلبة التي تطمئن عليها أقدامها وهياً لها الأسباب العملية التي تعرفها فطرتها وتؤيدها تجاربيها وإلا إذا أعدها هي للحركة الواقعية التي تحقق هذه الغايات العلوية، فالاستعداد بما في الطوق فريضة تصاحب فريضة الجهاد والنص يأمر بإعداد القوة على اختلاف صنوفها وألوانها وأسبابها"⁽³⁾.

الرابع: الشجاعة والبطولة والتضحية.

من الأسباب التي تحقق النصر لأمة الاسلام الاتصاف بالشجاعة والتضحية بالنفس والاعتقاد بأن الجهاد لا يُقدّم الموت ولا يُؤخّرهُ، ولهذا قال تعالى: ﴿أَيُّهَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ﴾ [النساء: 78]، "بيّن تعالى أنه لا خلاص لهم من الموت، والجهاد موت مستعقب لسعادة الآخرة، فإذا كان لا بد من الموت، فبأن يقع على وجه يكون مستعقباً للسعادة الأبدية كان أولى من أن لا يكون كذلك، ونظير هذه الآية قوله: ﴿قُلْ لَنْ

(1) أضواء البيان، الشنقيطي (ج7/ 252).

(2) كيفية دعوة الوثنيين، القحطاني (ص 63).

(3) في ظلال القرآن، قطب (ج3/ 1543).

يَنْفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذَا لَا تُمَتُّونَ إِلَّا قَلِيلًا» [الأحزاب: 16]⁽¹⁾، ولهذا كان أهل الإيمان الكامل هم أشجع الناس، وأكملهم شجاعة هو إمامنا محمد ﷺ، ومنها على سبيل المثال:

1- في معركة حنين: وقال البراء ﷺ: «كُنَّا وَاللَّهِ إِذَا احْمَرَّ الْبَأْسُ نَتَّقِي بِهِ، وَإِنَّ الشُّجَاعَ مِنَّا لِلَّذِي يُحَازِي بِهِ، يَغْنِي النَّبِيُّ ﷺ»⁽²⁾، فينبغي للجند المسلمين أن يقتدوا بنبيهم ﷺ.

2- "في معركة أحد قاتل رسول الله ﷺ قتالاً بطولياً لم يُقاتله أحد فقد جرح الكفار وجهه، وكسروا رباعيته اليمنى، وكادت السفلى، وهشموا البيضة على رأسه ورموه بالحجارة حتى وقع لشقه، وسقط في حفرة من الحفر التي كان أبو عامر الفاسق يكيد بها المسلمين، فأخذ علي بيده، واحتضنه طلحة بن عبيد الله فلما استندوا إلى الجبل، أدرك رسول الله ﷺ أبي بن خلف على جواد له يقال له: العوذ، زعم عدو الله أنه يقتل عليه رسول الله ﷺ، فلما اقترب منه تناول رسول الله ﷺ الحربة من الحارث بن الصمة فطعنه بها، فجاءت في ترقوته، فكر عدو الله منهزماً، فقال له المشركون: والله ما بك من بأس، فقال: والله لو كان ما بي بأهل ذي المجاز لماتوا أجمعون، وكان يعلف فرسه بمكة ويقول: أقتل عليه محمداً، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: «بَلْ أَنَا أَقْتَلُهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى»، فلما طعنه تذكر عدو الله قوله: أنا قاتله، فأيقن بأنه مقتول من ذلك الجرح، فمات منه في طريقه بسرف مرجعه إلى مكة»⁽³⁾.

الخامس: الدعاء وكثرة الذكر.

من أعظم وأقوى عوامل النصر الاستغاثة بالله وكثرة ذكره؛ لأنه القوي القادر على هزيمة أعدائه ونصر أوليائه، قال تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ [الأنفال: 9]، وقد أمر الله بالذكر والدعاء عند لقاء العدو فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأنفال: 45]، ولهذا كان النبي ﷺ يدعو ربه في معاركه ويستغيث به، فینصره ويمده بجنوده، لَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ نَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْمُشْرِكِينَ وَهُمْ أَلْفٌ، وَأَصْحَابُهُ ثَلَاثُ مِائَةٍ وَتِسْعَةِ عَشَرَ رَجُلًا، فَاسْتَقْبَلَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ الْقِبْلَةَ، ثُمَّ مَدَّ يَدَيْهِ، فَجَعَلَ يَهْتَفُ بِرَبِّهِ: «اللَّهُمَّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ آتِ مَا وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ إِنْ تَهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةُ مِنْ أَهْلِ

(1) مفاتيح الغيب، الرازي (ج10/144).

(2) [صحيح مسلم، الجهاد والسير/في غزوة حنين، 3/1401: حديث رقم 1776].

(3) زاد المعاد، ابن قيم الجوزية (ج3/186-178).

الإسلام لا تُعبد في الأرض»، فما زال يهتف بربه، ماداً يديه مُستقبل القبلة، حتى سقط رداؤه عن منكبيه، فأتاه أبو بكرٍ فأخذ رداءه، فألقاه على منكبيه، ثم التزمه من ورائه، وقال: يا نبي الله، كفأك مُناشدتك ربك، فإنه سينجز لك ما وعدك، فأنزل الله ﷻ: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِئَةِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ [الأنفال: 9] فَأَمَدَهُ اللهُ بِالْمَلَائِكَةِ⁽¹⁾⁽²⁾، وهكذا كان ﷺ يدعو الله في جميع معاركه، ومن ذلك دعاؤه ﷺ يوم الأحزاب على المشركين، فقال: «اللَّهُمَّ مَنْزِلَ الْكِتَابِ، سَرِيعَ الْحِسَابِ، اللَّهُمَّ اهْزِمِ الْأَحْزَابَ، اللَّهُمَّ اهْزِمْهُمْ وَزَلِّزْلَهُمْ»⁽³⁾، وقال ابن عباس ؓ: حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ، «قَالَهَا إِبْرَاهِيمُ ؑ حِينَ أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَقَالَهَا مُحَمَّدٌ ﷺ» حِينَ قَالُوا: «إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ» [آل عمران: 173]⁽⁴⁾، وهكذا ينبغي أن يكون المجاهدون في سبيل الله ﷻ لأن الدعاء يدفع الله به من البلاء ما الله به عليم.

السادس: طاعة الله ورسوله ﷺ.

طاعة الله ورسوله من أقوى دعائم وعوامل النصر، فيجب على كل جندي في جيش المسلمين أن لا يعصي الله طرفة عين، فما أمر الله تعالى به وجب الائتثار به، وما نهى عنه تعالى وجب الابتعاد عنه، ولهذا قال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [الأنفال: 1]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشِ اللَّهَ وَيَتَّقْهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [النور: 52] "ومن يطع الله ورسوله في أمور الدين كلها، ومن يخش الله أي: يخف عذابه وعقابه فيما مضى من الذنوب، ويتقاه فيما يستقبل منها فأولئك هم الفائزون وحدهم، لأجل اتصافهم بطاعة الله وطاعة رسوله وبخشيتة وتقواه"⁽⁵⁾، "﴿وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾ [الأحزاب: 36]، أي ومن يخالف أمر الله أو أمر رسوله ﷺ أو يعصي ما نهى عنه، فقد انحرف عن طريق الهدى والرشاد، ووقع في متاهات الضلال المبين البعيد عن منهج الحق والخير، المؤدي إلى ضياع المصالح والانغماس في المفسد، كما قال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: 63]⁽⁶⁾، وقال ﷺ: «جُعِلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رُمْحِي، وَجُعِلَ

(1) [صحيح مسلم، مسلم، الجهاد والسير/الامداد بالملائكة في غزوة بدر، 3/ 1383: حديث رقم 1763].

(2) [الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (ج7/ 370)].

(3) [صحيح البخاري، البخاري، الجهاد والسير/الدعاء على المشركين بالهزيمة، 4/ 44: حديث رقم 2933].

(4) [صحيح البخاري، البخاري، تفسير القرآن/إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم، 6/ 39: حديث رقم 4563].

(5) [التفسير الواضح، الحجازي (2/ 694)].

(6) [التفسير المنير، الزحيلي (ج22/ 28)].

الدَّلَّةُ وَالصَّغَارُ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرِي»⁽¹⁾، وقال ﷺ أيضاً: «كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبِي»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَنْ يَأْبَى؟ قَالَ: «مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبِي»⁽²⁾، ولا تتحقق طاعة الله ورسوله إلا إذا التزم الجندي المسلم طاعة قائده في ميدان العبادة والجهاد، فقد قال ﷺ: «مَنْ أَطَاعَ أَمِيرِي فَقَدْ أَطَاعَنِي، وَمَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ»⁽³⁾، لذا كان لازماً على الجندي المسلم الذي يسعى لتحقيق النصر لأمة الإسلام ويطمح لدخول الجنة أن يلتزم طاعة الله ورسوله وكذلك أميره ليفوز بخيري الدنيا والآخرة.

السابع: الاعتصام وعدم النزاع.

يجب على الجنود أن يُحَقِّقُوا عوامل النصر، ولا سيما الاعتصام بالله والتكاتف، وعدم النزاع والافتراق، قال تعالى: ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [الأنفال:46]، وقال: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران:103]، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء:59]، فهي أخوة إذن تنبثق من التقوى والإسلام أساسها الاعتصام بحبل الله أي عهده ونهجه ودينه، وليست مجرد تجمع على أي تصور آخر، ولا على أي هدف آخر، ولا بواسطة حبل آخر من حبال الجاهلية الكثيرة، فهذه الأخوة المعتصمة بحبل الله نعمة يمتن الله بها على الجماعة المسلمة الأولى، وهي نعمة يهبها الله لمن يحبهم من عباده دائماً وهو هنا يذكرهم هذه النعمة ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ [آل عمران:103]، وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: دَعَانَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَبَايَعَنَا، فَكَانَ فِيْمَا أَخَذَ عَلَيْنَا: «أَنْ بَايَعَنَا عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي مَنْشَطِنَا وَمَكْرَهِنَا، وَعُسْرِنَا وَيُسْرِنَا، وَأَثَرَةٍ عَلَيْنَا، وَأَنْ لَا نُنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ»، قَالَ: «إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا عِنْدَكُمْ مِنَ اللَّهِ فِيهِ بُرْهَانٌ»⁽⁴⁾ (5).

(1) [صحيح البخاري، البخاري، الجهاد والسير/ما قيل في الرمح، 4/ 40: معلق].

(2) [صحيح البخاري، البخاري، الاعتصام بالكتاب والسنة/الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ، 9/ 92: حديث رقم7280].

(3) [مسند أحمد، أحمد، 12/ 286: حديث رقم7334]، قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح.

(4) [صحيح مسلم، مسلم، الامارة/وجوب طاعة الأمراء...، 3/ 1470: حديث رقم 1709].

(5) (في ظلال القرآن، قطب (ج1/ 442).

الثامن: الصبر والمصابرة.

"يتميز الجندي المسلم بالصبر في الأمور كلها، ولا سيما الصبر على قتال أعداء الله ورسوله، والصبر ثلاثة أنواع: صبر على طاعة الله، وصبر عن محارم الله، وصبر على أقدار الله المؤلمة"⁽¹⁾، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: 200]، "اصبروا على دينكم وصابروا عدوكم ورابطوا في سبيل الله"⁽²⁾، "فهو تعالى أمر بالصبر والمصابرة، وذلك عبارة عن الإتيان بالأفعال الحسنة، والاحتراز عن الأفعال الذميمة، ولما كانت الأفعال صادرة عن القوى أمر بعد ذلك بمجاهدة القوى التي هي مصادر الأفعال الذميمة، وذلك هو المراد بالمرابطة، ثم ذكر ما به يحصل دفع هذه القوى الداعية إلى القبائح والمنكرات، وذلك هو تقوى الله، ثم ذكر ما لأجله وجب ترجيح تقوى الله على سائر القوى والأخلاق، وهو الفلاح"⁽³⁾، قال تعالى: ﴿وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال: 46]، وقال تعالى: ﴿وَكَايْنٍ مِّنْ نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِثْيُونٌ كَثِيرٌ مَّا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ ﴿وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ ﴿فَأَتَاهُمُ اللَّهُ تَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: 146 - 148]، وجاء عنه ﷺ: «...وَأَعْلَمُ أَنَّ فِي الصَّبْرِ عَلَى مَا تَكَرَّهُ خَيْرًا كَثِيرًا، وَأَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ، وَأَنَّ الْفَرْجَ مَعَ الْكُرْبِ، وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا»⁽⁴⁾.

التاسع: ترك المطامع الدنيوية والرغبة فيما عند الله تعالى.

مما يُعين على النصر على الأعداء هو الطمع في فضل الله وسعادة الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: 9]، "كان هذا خلق المهاجرين والأنصار جميعاً، كما وقع في وقعة اليرموك، قال حذيفة العدوي: انطلقت يوم اليرموك أطلب ابن عم لي، ومعني شيء من الماء وأنا أقول: إن كان به رمق سقيته، فإذا أنا به فقلت له: أسقيك؟ فأشار برأسه أن نعم، فإذا أنا برجل يقول: آه، فأشار إلي ابن عمي أن انطلق إليه، فإذا هو هشام بن العاص، فقلت أسقيك؟ فأشار أن نعم،

(1) روائع التفسير، ابن رجب الحنبلي (ج2/ 222).

(2) الهداية الى بلوغ النهاية مكي بن أبي طالب (ج2/ 1209).

(3) مفاتيح الغيب، الرازي (ج9/ 474).

(4) [مسند أحمد، أحمد، 5/ 19: حديث رقم 2803] قال شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح.

فسمع آخر يقول آه، فأشار هشام أن انطلق إليه فجثته، فإذا هو قد مات، فرجعت إلى هشام، فإذا هو قد مات، فرجعت إلى ابن عمي فإذا هو قد مات⁽¹⁾، ولهذا نصر الله نبيه ﷺ وأصحابه من بعده، ومما يدل على الرغبة فيما عند الله تعالى ما فعله:

1- أنس بن النضر ؓ يوم أحد، حيث قال أنس بن مالك ؓ: «عَمِيَ الَّذِي سُمِّيَتْ بِهِ لَمْ يَشْهَدْ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بَدْرًا فَشَقَّ عَلَيْهِ، قَالَ: أَوَّلُ مَشْهَدٍ شَهِدَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ غُيِّبْتُ عَنْهُ، وَإِنْ أَرَانِي اللَّهَ مَشْهَدًا فِيمَا بَعْدُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَيَرَانِي اللَّهَ مَا أَصْنَعُ، فَهَابَ أَنْ يَقُولَ غَيْرَهَا «فَشْهَدَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ»، قَالَ: فَاسْتَقْبَلَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ، فَقَالَ لَهُ أَنَسُ: يَا أَبَا عَمْرٍو، أَيْنَ؟ فَقَالَ: وَاهَا لِرِيحِ الْجَنَّةِ أَجْدُهُ دُونَ أُحُدٍ، قَالَ: «فَقَاتَلْتُهُمْ حَتَّى قُتِلَ»، قَالَ: «فَوُجِدَ فِي جَسَدِهِ بَضْعٌ وَثَمَانُونَ مِنْ بَيْنِ ضَرْبَةٍ وَطَعْنَةٍ وَرَمِيَةٍ»، قَالَ: «فَقَالَتْ أُخْتُهِ فَمَا عَرَفْتُ أَخِي إِلَّا بِبَنَانِهِ، وَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: 23]»، قَالَ: «فَكَانُوا يُرَوْنَ أَنَّهَا نَزَلَتْ فِيهِ وَفِي أَصْحَابِهِ»⁽²⁾⁽³⁾.

2- عمير بن الحمام ؓ في بدر، حينما قال ﷺ لأصحابه: «فُؤِمُوا إِلَىٰ جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ»، قَالَ: يَقُولُ عُمَيْرُ بْنُ الْحُمَامِ الْأَنْصَارِيُّ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، جَنَّةٌ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ؟ قَالَ: «نَعَمْ»، قَالَ: بَخٍ بَخٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا يَحْمِلُكَ عَلَىٰ قَوْلِكَ بَخٍ بَخٍ؟» قَالَ: لَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِلَّا رَجَاءٌ أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِهَا، قَالَ: «فَإِنَّكَ مِنْ أَهْلِهَا»، فَأُخْرِجَ ثَمَرَاتٍ مِنْ قَرْنِهِ، فَجَعَلَ يَأْكُلُ مِنْهُمْ، ثُمَّ قَالَ: لَئِنْ أَنَا حَيِّيتُ حَتَّى أَكُلَ ثَمَرَاتِي هَذِهِ إِنَّهَا لَحَيَاةٌ طَوِيلَةٌ، قَالَ: فَرَمَى بِمَا كَانَ مَعَهُ مِنَ الثَّمَرِ، ثُمَّ قَاتَلَهُمْ حَتَّى قُتِلَ⁽⁴⁾.

العاشر والأخير: إسناده القياده لمن يستحقها.

من أسباب النصر تولية قيادة الجيوش، والسرايا، والأفواج والجيهاات لمن يتسم بالسماات العقية والأخلاقية والشخصية والادارية⁽⁵⁾، ثم الأمل فالأمل، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: 13]، واللَّهُ ﷻ يُحِبُّ أَهْلَ النَّقْوَى، ومحبة للعبد من أعظم الأسباب في توفيق عبده وتسديده ونصره على أعدائه، قال تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ

(1) أضواء البيان، الشنقيطي (ج8/ 44).

(2) [صحيح مسلم، مسلم، الامارة/ثبوت الجنة للشهيد، 1512/3، حديث رقم 1903].

(3) جامع البيان، الطبري (ج20/ 240).

(4) [صحيح مسلم، مسلم، الامارة/ثبوت الجنة للشهيد، 1510/3: حديث رقم 1901].

(5) القيادة في ضوء الآيات القرآنية، الأسطل (ص 53).

يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ» [آل عمران: 76]، وهذا حال النبي ﷺ مع أصحابه حين كان يختار لقيادة الجيوش من يجد فيه المميزات والمؤهلات الكافية التي تؤهله لأن يقود أصحابه نحو تحقيق النصر المؤزر، فهذا علي بن أبي طالب عليه السلام، تَخَلَّفَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي خَيْبَرَ، وَكَانَ رَمِدًا، فَقَالَ: أَنَا أَتَخَلَّفُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، فَلَحِقَ بِهِ، فَلَمَّا كَانَتِ اللَّيْلَةُ الَّتِي فُتِحَتْ قَالَ ﷺ: «لَأُعْطِينَ الرَّايَةَ عَدَا أَوْ لِيَأْخُذَنَّ الرَّايَةَ عَدَا رَجُلٌ يُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، يُفْتَحُ عَلَيْهِ» فَخَنُ نَزَجُوهَا، فَقِيلَ: هَذَا عَلِيٌّ فَأَعْطَاهُ، فَفُتِحَ عَلَيْهِ»⁽¹⁾⁽²⁾.

ثانياً: أنواع النصر، مفهومه وحقيقته.

إن للنصر أنواعاً وأشكالاً متعددة، توضح مفهوم النصر جلياً، وفيما يلي سنبين أنواع النصر ليفهم وعد الله تعالى ومن أصدق من الله قيلاً.

النوع الأول: النصر بالغلبة في حياة الجندي المسلم.

وهو النصر الذي يراه الناس ويحسون به، ويجمع بين انتصار الدين وظهوره وانتصار الداعية كما أنه محبب إلى النفوس، "والنفس مولعة بحب العاجل"⁽³⁾، ولذلك قال ﷺ: «وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ» [الصف: 13]، ومنه ما قد يكون بإهلاك هؤلاء المكذبين، ونجاة الأنبياء والمرسلين ومن آمن معهم، كما حدث لنوح عليه السلام، حيث نجاه الله وأهلك قومه، قال تعالى: «فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ» فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ ﴿١٠﴾ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١١﴾ وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٢﴾ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ ﴿١٣﴾ [القمر: 10 - 14]، "وما دعا نوح على قومه إلا بعد أن أوحى الله إليه أنه لا يؤمن منهم أحد غير القليل الذي آمن، وذلك في قوله تعالى: «وَأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ» [هود: 36]⁽⁴⁾، وكذلك قوم هود عليه السلام، قال تعالى: «وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَحْنُ نَحْيِنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَحْيِنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ» [هود: 58]، وقوم صالح عليه السلام: «فَأَخَذْنَاهُمُ الرِّجْفَ فَأَضَبُّوا فِي دَارِهِمْ جَائِعِينَ» [الأعراف: 78]، وقوم لوط عليه السلام: «وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ» [الأعراف: 84]، وقوم شعيب عليه السلام: «فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذْنَاهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ» [الشعراء: 189]، إن أخذ

(1) [صحيح البخاري، البخاري، المغازي/غزوة خيبر، 5/ 134: حديث رقم 4209].

(2) كيفية دعوة الوثنيين، القحطاني (ص 65).

(3) الأمثال، ابن سلام (ص 240).

(4) أضواء البيان، الشنقيطي (7/ 477).

المجرمين بالعذاب الأليم نصر عظيم للداعية، وكبت للمكذبين والمرجفين، والله يمهّل ولا يهمل أبداً: ﴿فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [سورة العنكبوت: 40]⁽¹⁾، "فكان النصر في الحياة الدنيا بإعلائهم على من كذبنا وإفطارنا بهم، حتى يقهروهم غلبة، ويدلوهم بالظفر ذلة، كالذي فعل من ذلك داود وسليمان عليهما السلام، فأعطاهما من الملك والسلطان ما قهرا به كل كافر، وكالذي فعل بمحمد ﷺ بإظهاره على من كذبه من قومه، وإما بانتقامنا ممن حادّهم وشاقهم بإهلاكهم وإنجاء الرسل ممن كذبهم وعاداهم، كالذي فعل تعالى ذكره بنوح عليه السلام وقومه، من تغريق قومه وإنجائه منهم، وكالذي فعل بموسى عليه السلام وفرعون وقومه، إذ أهلكهم غرقاً، ونجّى موسى عليه السلام ومن آمن به من بني إسرائيل وغيرهم ونحو ذلك"⁽²⁾.

النوع الثاني: النصر بإهلاك الأعداء بعد موت الجندي المسلم.

قد يكون الانتصار بانتقام الله من أعدائهم، ومكذبيهم، بعد وفاة هؤلاء الأنبياء والرسل، "فكان الانتقام في الحياة الدنيا من مكذبيهم بعد وفاة رسولنا من بعد مهلكهم،...، بتسليطه على قتله من سلطنا حتى انتصر الله بهم من قتلته، وكفعل الله تعالى بقتلة يحيى، من تسليط نبوخذ نصر عليهم حتى انتصر الله به من قتله له، وكان انتصار الله ﷻ لعيسى من مريدي قتله بالروم حتى أهلكهم بهم، فقد كان الأنبياء والمؤمنون يقتلون في الدنيا وهم منصورون، وذلك أن تلك الأمة التي تفعل ذلك بالأنبياء والمؤمنين لا تذهب حتى يبعث الله قوماً فينتصر بهم لأولئك الذين قتلوا منهم"⁽³⁾.

النوع الثالث: النصر بنيل الجندي للشهادة في سبيل الله:

إن ما يتصوره الناس هزيمة قد يكون هو النصر الحقيقي، كالقتل، والسجن والطرْد والأذى، أليس قتل الداعية شهادة في سبيل الله، قال ﷻ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: 169]، وقال ﷺ: ﴿قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴿بِمَا عَفَّرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ﴾﴾ [يس: 26-27]، وقال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ تَرَبُّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ﴾ [التوبة: 52]، فقتل الجندي انتصار من عدة جوانب، أهمها:

(1) الأحكام الشرعية للثورات العربية، الشحود (ص 782).

(2) جامع البيان، الطبري (ج21/ 400-401).

(3) المرجع السابق (ج21/401).

1- **الشهادة:** وهي من أعظم أنواع الانتصار ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ ﴿فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [آل عمران: 169-170]، "هؤلاء الشهداء مسرورون بما رأوه من نعيم مقيم وفضل كبير، وتفضيل على غيرهم، بسبب الشهادة، وهم مسرورون أيضا بإخوانهم المجاهدين الذين لم يقتلوا بعد في سبيل الله، وإنما هم على الطريق سائرون يقتفون أثر من تقدمهم من قوافل الشهداء، حينما رأوا ما أعد لهم من الجزاء الحسن، وهو الحياة الأبدية والنعيم الدائم الذي لا يكدره خوف من مكروه ولا حزن على ما فات، وهم يفرحون أيضا بما يتجدد لهم من الثواب على عملهم والرزق والفضل الإلهي الذي يؤتيهم الله من الجنة ونعيمها والفضل في هذه الآية: هو النعيم المذكور وأن الله يأجرهم، أي أنهم يستبشرون بنعمة من الله، ويستبشرون بأن الله لا يضيع أجر المؤمنين"⁽¹⁾.

2- **انتصار المنهج وظهوره:** كما حدث لغلام سورة البروج عندما قتله الملك⁽²⁾، "فإنهم قد انتصروا لمنهج الله فقد تجلى في هذه الحادثة انتصار العقيدة على الحياة، فقد كان في امكانية المؤمنين أن ينجوا بحياتهم في مقابل الهزيمة لإيمانهم، ولكن كم كانوا يخسرون وهم يقتلون هذا المعنى الكبير: معنى زهادة الحياة بلا عقيدة، وبشاعتها بلا حرية، وانحطاطها حين يسيطر الطغاة على الأرواح بعد سيطرتهم على الأجساد! إنه معنى كريم جداً ومعنى كبير جداً هذا الذي ربحوه وهم بعد في الأرض، ربحوه وهم يجدون مس النار فتحترق أجسادهم، وينتصر هذا المعنى الكريم الذي تزكيه النار؟ وبعد ذلك لهم عند ربهم حساب، ولأعدائهم الطاغين حساب"⁽³⁾، "وهذا انتصار إمام أهل السنة الإمام أحمد عندما ثبت على مبدئه في محنة القول بخلق القرآن، ورفض الاستجابة لجميع الضغوط ومحاولات التراجع كان في قمة انتصاره"⁽⁴⁾.

3- **الذكر الطيب بعد وفاته:** قال إبراهيم عليه السلام، ﴿وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾ [الشعراء: 84]، وقد شرف الله حبيبنا محمد ﷺ فقال: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ [الشرح: 4]، "فشهرته في الأرض والسموات، واسمه مكتوب على العرش، وأنه يذكر معه في الشهادة والتشهد، وأنه تعالى ذكره في الكتب المتقدمة، وانتشار ذكره في الآفاق، وأنه ختمت به النبوة، وأنه

(1) التفسير المنير، الزحيلي (ج4/ 165).

(2) ينظر: [صحيح مسلم، مسلم، الزهد والرقائق/ قصة أصحاب الأخدود، 4/ 2300: حديث رقم 3005].

(3) في ظلال القرآن، قطب (ج6/ 3874).

(4) علو الهمة، المقدم (ص 274).

يذكر في الخطب والأذان ومفاتيح الرسائل، وعند الختم وجعل ذكره في القرآن مقرونا بذكره⁽¹⁾، والمقتول في سبيل الله له ذكر طيب عند المؤمنين، وهذا أمر مشاهد ومحسوس.

"وقبل أن نغادر هذا النوع من أنواع الانتصار، لا بد من الوقوف أمام حقيقة تخفى على الكثيرين، وهي نوع من أنواع انتصار الداعية، ذلك أن الداعية عندما يقتل أو يسجن أو يؤذى أو يطرد فإن خصمه قد ذاق ألوان الأذى المعنوي والعذاب النفسي قبل أن يقدم على ما أقدم عليه، بل وأحياناً بعد أن يفعل فعلته، فإنه لا يجد للراحة مكاناً، ولا للسعادة طعماً"⁽²⁾.

"قال ابن تيمية عندما أدخل السجن، وقد أغلق السجان الباب، قال: ﴿فَضْرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾ [الحديد: 13]، وقال وهو في سجنه: ماذا يفعل أعدائي بي؟! أنا جنتي وبستاني في صدري، أنى سرت فهي معي، إن قتلي شهادة، وإخراجي من بلدي سياحة وسجني خلوة"⁽³⁾، وهنا ندرك من المنتصر ومن المنهزم، وأن الانتصار والهزيمة أبعد معنى مما يراه الناس في الظاهر.

النوع الرابع: النصر بقوة الحجة وصحة البرهان.

"إن لقوة الحجة وصحة البرهان الأثر العظيم في إعلاء شأن صاحبهم وإبراز فكرته، قال ربنا ﷺ: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ ﴿[الصفات: 171-172]، والمعنى ولقد سبق منا القول لرسولنا أنهم لهم المنصورون، أي مضى بهذا منا القضاء والحكم في أم الكتاب، وهو أنهم لهم النصر والغلبة بالحجج، قال السدي: ﴿إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ﴾ بالحجج"⁽⁴⁾.

"يقول تعالى: ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ﴾ أي فجعلنا قوم إبراهيم ﴿الْأَسْفَلِينَ﴾ يعني الأذلين حجة، وغلبنا إبراهيم عليهم بالحجة، وأنقذناه مما أرادوا به من الكيد"⁽⁵⁾.

"وكذلك نجد هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ﴾ [الأنعام: 83]، والرفع هو الانتصار، وكذلك في سورة البقرة بعد أن ذكر الله محاجة الذي كفر لإبراهيم في ربه، قال الله تعالى: ﴿قَبِهُتِ الَّذِي كَفَرَ﴾ [البقرة: 258]، والبهت

(1) مفاتيح الغيب، الرازي (ج32/ 208).

(2) صفة الصفوة، ابن الجوزي (ج2/ 48).

(3) الوابل الصيب، ابن قيم الجوزية (ص 48) وينظر: لا تحزن، القرني (ص 126).

(4) جامع البيان، الطبري (ج21/ 130).

(5) جامع البيان، الطبري (ج21/ 71).

هو الهزيمة، أي انهزم الكافر وانتصر إبراهيم بالحجة والبرهان، إذن فانتصار الجندي بقوة حجة هو انتصار حقيقي، بل هو وسيلة من أهم وسائل انتصار الدين وظهوره⁽¹⁾.

النوع الخامس: النصر بالمنع والحفظ.

إن النصر قد يكون بالمنع، أي بحماية الداعية ومنع أعدائه من الوصول إليه، قال ﷺ: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ [الحجر: 94-95]، "يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: إنا كفيناك المستهزين يا محمد، الذين يستهزون بك ويسخرون منك، فاصدع بأمر الله، ولا تخف شيئاً سوى الله، فإن الله كافيك من ناصبك وآذاك كما كافاك المستهزين. وكان رؤساء المستهزين قوماً من قريش معروفين"⁽²⁾، "وقال ﷺ: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ [المائدة: 67]، وقال هود عليه السلام: ﴿فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظِرُونِ﴾ [هود: 55] وهذا نظير ما قاله نوح عليه السلام لقومه: ﴿فَاجْمَعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنْظِرُونِ﴾ [يونس: 71]، اعلم أن هذا معجزة قاهرة، وذلك أن الرجل الواحد إذا أقبل على القوم العظيم وقال لهم: بالغوا في عداوتي وفي موجبات إيذائي، ولا تؤجلون فإنه لا يقول هذا إلا إذا كان واثقاً من عند الله تعالى بأنه يحفظه ويصونه عن كمد الأعداء"⁽³⁾.

"إن الله قد تكفل حفظ الدين والتمكين له في الأرض، لذا فإن الله ﷻ قال عن رسوله ﷺ حين أخرجه قريش من مكة ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: 40].

ولا شك أن خروجه من مكة كان انتصاراً من عدة أوجه، أهمها:

- 1- أن الله نجاه من المشركين، وحماه منهم، وأعماهم عنه، حيث أرادوا قتله.
- 2- أن الدعوة انتقلت إلى بيئة أخرى تحميها وتوازرها بدل أن كان رسول الله ﷺ، محارباً مطارداً، وأصحابه يعذبون ويقتلون، ولا يتمكنون من إظهار عبادتهم لله كما حدث لهم في المدينة.

(1) الأحكام الشرعية للثورات العربية الشحوذ (ص 790).

(2) جامع البيان، الطبري (ج17/ 153).

(3) مفاتيح الغيب، الرازي (ج18/ 365).

3- قيام دولة الإسلام في المدينة، وانطلاقة الجهاد بعد ذلك، ثم بدء دخول الناس في دين الله أفواجاً، أليس هذا هو الانتصار في الحياة الدنيا قبل الآخرة؟!⁽¹⁾.

من خلال ما سبق يتضح لنا المفهوم الشامل للانتصار، ولسنا سوى عبيد لله سبحانه، نسعى لتحقيق عبوديته، ومن كمال العبودية أن نعلم ونوقن يقيناً جازماً لا شك فيه أن وعد الله متحقق لا محالة، قال ﷺ: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: 47].

المطلب الرابع: تحقيق الأمن لأمة الإسلام

"إن تحقيق الأمن لأمة الاسلام يعتبر من أهم مطالب الحياة، بل لا تتحقق أهم مطالبها إلا بتوفره، فهو معنى شامل في حياة الإنسان، وشعور الجندي المؤمن بالأمن يدفعه لأن يمضي مع قدر الله، في طاعة الله، لتحقيق إرادة الله"⁽²⁾، "وإن التزام الإسلام؛ عقيدة وشريعة وقيماً وأصولاً اجتماعية، وتطبيق الشريعة الإسلامية، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والدعوة إلى الله، له بالغ الأثر على أمن واستقرار البلاد، يدركه كل ذي بصيرة، وينعم في ظله الجميع"⁽³⁾، وهذا يقودنا إلى الحديث عن:

أولاً: أهمية تحقيق الأمن لأمة الاسلام:

وتكمن أهمية تحقيق الأمن في نقاط منها:

1- طلب الأمن مقدم على جلب الرزق.

إن المجتمع المسلم إذا لم يتوفر فيه الأمن فإن حالته ستكون صعبة جداً، فهذا حال المسلمون في معظم البلاد التي تعيش الحروب لا يستطيعون توفير المأكل الكريم والملبس والسكن، لذلك كان دعاء نبينا ابراهيم عليه السلام لطلب الأمن مقدماً على الرزق في الآية الكريمة: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة: 126]، "فبدأ بالأمن قبل الرزق لسببين:

(1) ينظر: الأحكام الشرعية للثورات العربية، الشحود (ص 786).

(2) في ظلال القرآن، قطب (ج1/ 208) وينظر: أركان الإيمان، الشحود (ص186-196).

(3) الأمن في حياة الناس، التركي (ص9-10) بتصرف.

الأول: "لأن استتباب الأمن سبب للرزق، فإذا شاع الأمن واستتبَّ ضرب الناس في الأرض، وهذا مما يدرّ عليهم رزق ربهم ويفتح أبوابه، ولا يكون ذلك إذا فقد الأمن، فالمراد من الآية دعاء إبراهيم عليه السلام للمؤمنين من سكان مكة بالأمن والتوسعة بما يُجلب إلى مكة، لأنها بلد لا زرع ولا غرس فيه، فلولا الأمن لم يُجلب إليها الرزق من النواحي وتعذر العيش"⁽¹⁾.

الثاني: "ولأنه لا يطيب طعام ولا يُنتفع بنعمة رزق إذا فقد الأمن، فمن من الناس أحاط به الخوف وتبدد الأمن من حياته ثم وجد لذة بمشروب أو مطعوم، وإن في الجمع بين إطعامهم من جوع وأمنهم من خوف، نعمة عظيمة لأن الإنسان لا ينعم ولا يسعد إلا بتحصيل النعمتين هاتين معاً، إذ لا عيش مع الجوع، ولا أمن مع الخوف، وتكمل النعمة باجتماعهما"⁽²⁾.

"وقد يلتبس هذا الفهم عندما نتأمل في كتاب الله فنجد أن الرزق مقدم على الأمن في سورة قريش لكن الأمر موافق تماماً لما ذكرنا، وذلك أن الإنعام على قسمين أحدهما: دفع الضرر والثاني: جلب النفع والأول أهم وأقدم، ولذلك قالوا: دفع الضرر عن النفس واجب أما جلب النفع فإنه غير واجب، فلهذا السبب بين تعالى نعمة دفع الضرر في سورة الفيل ونعمة جلب النفع في سورة قريش"⁽³⁾، "ولقد بين الرازي وجوه جلب النفع لهم في عدة نقاط:

"أحدها: أنه تعالى لما أمّنهم بالحرم حتى لا يتعرض لهم في رحلتهم كان ذلك سبب إطعامهم بعد ما كانوا فيه من الجوع، قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيَتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ﴾ [العنكبوت: 67].

ثانيها: أنه شق عليهم الذهاب إلى اليمن والشام في الشتاء والصيف لطلب الرزق، فقذف الله تعالى في قلوب الحبشة أن يحملوا الطعام في السفن إلى مكة فحملوه، وجعل أهل مكة يخرجون إليهم بالإبل والخمر، ويشترى طعامهم من جدة على مسيرة ليلتين وتتابع ذلك، فكفاهم الله مؤونة الرحلتين، قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [القصص: 57].

الثالث: أنهم كانوا يسافرون آمنين لا يتعرض لهم أحد، ولا يغير عليهم أحد لا في سفرهم ولا في حضرهم، وكان غيرهم لا يأمنون من الغارة في السفر والحضر وهذا ما ذكره تعالى في سورة قريش"⁽⁴⁾.

(1) مفاتيح الغيب، الرازي (ج4/ 48) بتصرف.

(2) أضواء البيان، الشنقيطي (ج9/ 112).

(3) مفاتيح الغيب، الرازي (ج32/ 298).

(4) المرجع السابق (ج32/ 298-299).

"وكذلك الحال مع نبي الله موسى ﷺ لما توجه لتلقاء مدين فقد كان في حاجة إلى الأمن كما كان في حاجة إلى الطعام والشراب، ولكن حاجة نفسه إلى الأمن كانت أشد من حاجة جسمه إلى الزاد، ومن ثم أبرز السياق في مشهد اللقاء قول الشيخ الوقور: ﴿لَا تَخَفْ﴾، فجعلها أول لفظ يعقب به على قصصه ليلقي في قلبه الطمأنينة، ويشعره بالأمان، ﴿فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [القصص: 25]، فبين العلة أنه لا سلطان لهم على مدين، ولا يصلون لمن فيها بأذى ولا ضرار⁽¹⁾

2- الأمن مطلب الناس جميعاً.

"كل نعيم يخلو من الأمن فهو سراب، لأن النفس لا تجمع شعورين متناقضين في لحظة واحدة أبداً، وكلما زاد النعيم مع فقد الشعور بالأمن زاد الخوف فمالك الملايين يكبر خوفه بمقدار ما يملك، لذلك من الله على المؤمنين بنعمة الأمن في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: 82]، ويتجلى هذا الأمن في دار النعيم، حيث تتسع الملكية لكل مرغوب فيه، وكلما اتسعت الملكية زادت الحاجة إلى الأمن، ﴿إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الصَّغْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرَفَاتِ آمِنُونَ﴾ [سبأ: 37]، ﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ﴾ [الدخان: 55]⁽²⁾.

"لذا كان إبراهيم ﷺ يدعو الله أن يجعل مكة آمنة ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: 35]، أي آمناً من الجبابة وغيرهم أن يُسلطوا عليه، ومن عقوبة الله أن تناله، كما تنال سائر البلدان؛ من خسف، وغرق، وغير ذلك من سخط الله ومثلاته التي تصيب سائر البلاد غيره"⁽³⁾، "ولمّا خاف موسى أعلمه ربه أنه من الآمنين ليهدأ روعه، وتسكن نفسه ﴿وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تُهَنَّرُ كَأَنَّهُ جَانٌّ وَلِي مُدِيرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ﴾ [القصص: 31]، فهي قضية مستمرة ملازمة لك؛ لأنك في معية الله، ومن كان في معية الله لا يخاف، وإلا لو خِفت الآن، فماذا ستفعل أمام فرعون، وهكذا يعطي الحق ﷻ لموسى ﷺ ذرية⁽⁴⁾ معه سبحانه، وذرية حتى يواجه فرعون وسحرته

(1) في ظلال القرآن، قطب (ج5/ 2687).

(2) سورة الواقعة ومنهجها في العقائد، غريب (ص 91).

(3) جامع البيان، الطبري (ج2/ 44-45).

(4) الذرية: عادةً وجزأة على الحرب وكل أمر، وقد دَرَبَ بالشيء إذا اعتاده وضرب به، الصحاح (ج1/ 124).

والمأجراً جميعاً، دون خوف ولا وجل، وليكون على ثقة من نصر الله وتأييده في جولته الأخيرة أمام فرعون⁽¹⁾.

"وقد انتفع موسى ﷺ بكل هذه المواقف، وتعلم من هذه العجائب التي رآها فزادته ثقة وثباتاً؛ لذلك لما كاد فرعون أن يلحقَ بجنوده موسى وقومه، وقالوا: ﴿إِنَّا لَمُذْرُكُونَ﴾ [الشعراء: 61]، استعاد موسى ﷺ قضية ﴿إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ﴾ [القصص: 31]، فقال بملء فيه: ﴿قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ [الشعراء: 62]، فحيثية الثقة عند موسى ﷺ هي معية الله له، ثقة من آمنه الله، وجعله في معيته وحفظه، وهذا الأمن قد كفله الله تعالى لجميع أنبيائه ورسله، فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [الصافات: 171 - 173]⁽²⁾.

"وإن سيادة المنهج الإلهي في مجتمع معناه أن يجد كل عامل جزاءه العادل في هذا المجتمع، وأن يجد كل فرد الأمن والسكينة والاستقرار الاجتماعي، فضلاً على الأمن والسكينة والاستقرار القلبي بالإيمان ومن شأن هذا كله أن يتمتع الناس متاعاً حسناً في هذه الدنيا قبل أن يلقوا جزاءهم الأخير في الآخرة"⁽³⁾.

3- الأمن يحقق كمال العبودية لله.

يظهر ذلك جلياً في العبادات نذكر منها:

أ- الصلاة:

حيث قال تعالى: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 238-239]، الأمر هنا بالمحافظة على الصلوات، يعني إقامتها في أوقاتها، وإقامتها صحيحة الأركان، مستوفية الشرائط، فأما إذا كان الخوف الذي لا يدع مجالاً لإقامة الصلاة تجاه القبلة، فإن الصلاة تؤدي ولا تنتقف، وذلك حيث يقتضيه حاله، وهذا الأمر عجيب حقاً، وهو يكشف عن مدى الأهمية البالغة التي ينظر الله بها إلى الصلاة، ويوحى بها لقلوب المسلمين، إنها عدة

(1) الخواطر، الشعراوي (ج18 / 10916).

(2) المرجع السابق، ج18 / 10916.

(3) في ظلال القرآن، قطب (ج4 / 1905).

في الخوف والشدّة، فلا تترك في ساعة الخوف البالغ، يؤديها فيتصل بربه أحوج ما يكون للاتصال به، وأقرب ما يكون إليه والمخافة من حوله⁽¹⁾.

"وقال ﷺ: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَادْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا﴾ [النساء: 103]، فإذا زال خوفكم من عدوكم وأمنتم أيها المؤمنون، واطمأنت أنفسكم بالأمن فأقيموا الصلاة، فأتَمُوا حدودها المفروضة عليكم، غير قاصريها عن شيء من حدودها"⁽²⁾.

ب-الحج:

فالأمن يعتبر شرطاً من شروط وجوب الحج، فإن كان الطريق غير آمن، ويحتاج فيه إلى خفارة⁽³⁾، لم يجب عليه الحج؛ لأن في ذلك تغريباً بالنفس والمال⁽⁴⁾، قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾ [البقرة: 196]، ولما أخبر الله نبيه ﷺ بأنهم سيدخلون البيت الحرام ويؤدون نسكهم بعدما صدهم المشركون عنه قرن ذلك بالأمن فقال: ﴿لَقَدْ صَدَّقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: 27]، "وقد تكرر الأمن في الآية مرتين فقال تعالى في الأولى ﴿آمِنِينَ﴾، وفي الثانية ﴿لَا تَخَافُونَ﴾ وهذا فيه بيان كمال الأمن، وذلك لأن بعد الحلق يخرج الإنسان عن الإحرام فلا يحرم عليه القتال، وكان عند أهل مكة يحرم قتال من أحرم ومن دخل الحرم فقال: تدخلون آمنين، وتحلقون، ويبقى أمنكم بعد خروجكم عن الإحرام"⁽⁵⁾.

"وإن انتشار الدعوة الإسلامية المباركة يكون في وقت الأمن أكثر من غيره من الأوقات، فإن النبي ﷺ لما خرج إلى الحديبية كان معه خمسمائة وألف من أصحابه، فلمّا انعقد الصلح وكان من بنوده: وقف الحرب عشر سنوات يأمن فيها الناس، دخل كثير منهم في دين الله، فبعد عامين وبضعة أشهر خرج مع النبي ﷺ لفتح مكة عشرة آلاف من المسلمين"⁽⁶⁾.

(1) في ظلال القرآن، قطب (ج1/ 257-258) باختصار.

(2) جامع البيان، الطبري (ج9/ 166).

(3) الخفارة: الأمان، والخفير هو المجير، ينظر: لسان العرب، ابن منظور (ج4/ 253).

(4) ينظر: البيان، العمراني (ج4/ 33)، موسوعة الفقه الإسلامي، التويجري (ج3/ 225).

(5) مفاتيح الغيب، الرازي (ج28/ 87).

(6) الرسول القائد، خطاب (ص 335).

4- تحقيق الأمن أعظم من نعمة الصحة.

"للأمن أهمية عظيمة في حياة الإنسان، لدرجة أن يقدمها على نعمة الصحة، فقد سئل بعض العلماء: الأمن أفضل أم الصحة؟ فقال: الأمن أفضل، والدليل عليه أن شاة لو انكسرت رجلها فإنها تصح بعد زمان، ثم إنها تقبل على الرعي والأكل، ولو أنها ربطت في موضع وربط بالقرب منها ذئب فإنها تمسك عن العلف ولا تتناوله إلى أن تموت، وذلك يدل على أن الضرر الحاصل من الخوف أشد من الضرر الحاصل من ألم الجسد⁽¹⁾.

ومما يدل على أهميته قول نبينا ﷺ: «مَنْ أَصْبَحَ آمِنًا فِي سِرِّهِ، مُعَافًى فِي جَسَدِهِ، عِنْدَهُ طَعَامٌ يَوْمِهِ، فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا»⁽²⁾، فقد قدم النبي ﷺ الأمن أولاً لما له من الأهمية البالغة، والمصاب إذا فقد الأمن فإنه لن يتحصل على الرعاية الكاملة، وهناك العديد من جرحى الحروب من باغتهم المنية بسبب الإهمال الطبي أو عدم القدرة على الخروج لتلقي العلاج كما هو الحال في غزتنا المحاصرة، وما يواجه المجاهدين من الأخطار إذا خرجوا للعلاج، والله المستعان.

"إن الله قد أكرم أوليائه في الجنة بالأمن من كل خوف وفزع، فلا يخشوا من إخراج ولا انقطاع ولا فناء، قال رب العالمين: ﴿ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِينَ﴾ [الحجر: 46]، وقال: ﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِينَ﴾ [الدخان: 55]، وقال: ﴿وَهُمْ فِي الْعُرْفَاتِ آمِنُونَ﴾ [سبا: 37]⁽³⁾.

ثانياً: وسائل تحقيق الأمن:

1- توحيد الله تعالى وعدم الظلم.

فالتوحيد أمن في الدنيا والآخرة؛ قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور: 55]، وقال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: 82] "الذين آمنوا وأخلصوا أنفسهم لله، لا يخلطون بهذا الإيمان

(1) مفاتيح الغيب، الرازي (ج19/ 104)

(2) [البخاري: الأدب المفرد، باب من أصبح آمناً في سربه، ص 112: حديث رقم 300]، قال الألباني: حسن/ صحيح الجامع الصغير وزيادته (ج2/ 1044).

(3) التفسير المنير، الزحيلي (ج14/ 39).

شركاً في عبادة ولا طاعة ولا اتجاه، هؤلاء لهم الأمن، وهؤلاء هم المهتدون⁽¹⁾، "فلا أمن إلا بإقامة العبادة الخالية من شوائب الشرك فالذين صدقوا بوجود الله ووحداً، وأخلصوا العبادة لله وحده لا شريك له، ولم يشركوا به شيئاً، ولم يخلطوا إيمانهم بمعصية تفسقهم، هم الآمنون يوم القيامة، المهتدون في الدنيا والآخرة"⁽²⁾، "وَلَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ آيَةُ: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام: 82] ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَأَيْنَا لَا يَظْلَمُ نَفْسَهُ؟ قَالَ: "لَيْسَ ذَاكَ، هُوَ الشَّرْكُ، أَلَمْ تَسْمَعُوا مَا قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ: ﴿لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشَّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: 13]"⁽³⁾.

2- شكر الله على نعمائه:

"قالنعم تثبت بالشكر وتذهب بالجحود، والشكر من جملة مقامات السالكين وهو أيضاً ينتظم من علم وحال وعمل فالعلم هو الأصل فيورث الحال والحال يورث العمل فأما العلم فهو معرفة النعمة من المنعم والحال هو الفرح الحاصل بإنعامه والعمل هو القيام بما هو مقصود المنعم ومحبو به ويتعلق ذلك العمل بالقلب وبالجوارح وباللسان قال تعالى: ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ [سبأ: 13]"⁽⁴⁾، وفي القرآن الكريم حكاية ما قاله موسى ﷺ لقومه: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: 7]، "فالصلاة شكر، والصيام شكر، وكل خير تعلمه الله شكر، وأفضل الشكر الحمد"⁽⁵⁾.

وقال فيما يخص نعمة الأمن: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾﴾ [سبأ: 15-19]، "أعرضوا عن شكر الله، وعن العمل الصالح، والتصرف الحميد فيما أنعم الله عليهم، فسلبهم سبب هذا الرخاء الجميل الذي يعيشون فيه، وأرسل السيل الجارف الذي يحمل العرم في طريقه وهي الحجارة لشدة تدفقه، فحطم السد وانساحت المياه فطغت وأغرقت ثم لم يعد الماء يخزن بعد ذلك فجفت واحترقت، وتبدلت تلك الجنان الواسعة إلى صحراء تتناثر فيها الأشجار البرية فلم ينفعهم النذير الأول ولم يوجههم إلى التضرع إلى الله، لعله يرد عليهم ما ذهب من الرخاء بل دعا الله

(1) في ظلال القرآن، قطب (ج2/ 1142).

(2) التفسير المنير، الزحيلي (ج7/ 272).

(3) [مسند أحمد، أحمد، 7/ 129: حديث رقم 4031]، قال شعيب الأرنؤوط: اسناده صحيح.

(4) إحياء علوم الدين، الغزالي (ج4/ 81).

(5) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (ج6/ 500).

أن يبعد بين أسفارهم تلك التي كانت قريبة وآمنة بين قراهم، فشردوا ومزقوا وتفرقوا في أنحاء الجزيرة مبددي الشمل وعادوا أحاديث يرويها الرواة، وقصة على الألسنة والأفواه⁽¹⁾.

وقال ﷺ: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [النحل: 112]، "ذكر الله صفة قرية للعبرة، كانت بأهلها آمنة من العدو، مطمئنة لا يزعجها خوف، يأتيها رزقها الوافر هنيئاً سهلاً واسعاً من سائر البلاد، فجاءهم رسول من جنسهم، فكذبوه فيما أخبرهم به من أنه رسول إليهم، مبلغ عن ربه بأن يعبدوه ويطيعوه ويشكروه على النعمة، وتمادوا في كفرهم وعنادهم، فعذبوا بعذاب الاستئصال الشامل، بما ظلموا أنفسهم بالكفر والمعاصي، وما ظلمهم الله أبداً"⁽²⁾، "وقد سماه لباساً؛ لأنه يظهر عليهم من الهزال وشحوبة اللون وسوء الحال ما هو كاللباس"⁽³⁾.

3- تطبيق الحدود.

فإقامة الحدود هي ركيزة أساسية من ركائز الأمن ولكنها بحاجة إلى تقدير الأمور بقدرها كما وتحتاج إلى العلماء المختصين العارفين بالسياسة الشرعية وأحوال المسلمين، "وقد كان تشريع الحدود والقصاص للزجر والردع عن الجرائم التي تمس الأفراد في أنفسهم وأبدانهم وأعراضهم وأموالهم، يقول ﷺ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ﴾ [البقرة: 178]، ومع ذلك ندب الشارع الحكيم إلى العفو مقابل الدية أو بغير مقابل، يقول الله تعالى: ﴿فَمَنْ عَفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبِعْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدِّاءُ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ﴾ [البقرة: 178]، فيتحقق الأمن للفرد كما تحمي المجتمع وتوفر له الأمن والاستقرار، فالملكية في الشرع الإسلامي، لها حرمة ولها حماية توفر الزجر والردع معاً، ولذلك كانت عقوبة السرقة في قوله تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ﴾ [المائدة: 38]، عقوبة تهديد وزجر، قبل أن تكون عقوبة شائعة في المجتمعات التي تطبق شرع الله⁽⁴⁾.

"إن أمن الجماعة المسلمة في دار الإسلام، وصيانة النظام العام الذي تستمتع في ظله بالأمان، ضروري كأمن الأفراد، بل أشد ضرورة لأن أمن الأفراد لا يتحقق إلا به فضلاً على

(1) في ظلال القرآن، قطب (ج5/ 2902).

(2) التفسير المنير، الزحيلي (ج14/ 251).

(3) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (ج10/ 194).

(4) الأمن في حياة الناس، التركي (ص 52).

صيانة هذا النموذج الفاضل من المجتمعات، وإحاطته بكل ضمانات الاستقرار كما يزاول الأفراد فيه نشاطهم الخير، فالذي يهدد أمنه هو عنصر خبيث يجب استئصاله ما لم يتب إلى الرشد والصواب، لذا تقرر عقوبة هذا العنصر الخبيث، وهو المعروف في الشريعة الإسلامية بحد الحرابة حيث قال تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة: 33] ، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه: أَنَّ رَهْطًا (...) قَدِمُوا الْمَدِينَةَ «فَأَمَرَ لَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ بِلِقَاحٍ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَخْرُجُوا فَيَشْرِبُوا مِنْ أَبْوَالِهَا وَالْبَانِهَا» فَشَرِبُوا حَتَّى إِذَا بَرِنُوا قَتَلُوا الرَّاعِيَ، وَاسْتَأْفَوْا النَّعَمَ، فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ غُدْوَةً، فَبَعَثَ الطَّلَبَ فِي إِيْرِهِمْ، فَمَا ارْتَفَعَ النَّهَارُ حَتَّى جِيءَ بِهِمْ «فَأَمَرَ بِهِمْ فَقَطَّعَ أَيْدِيَهُمْ وَأَرْجُلَهُمْ وَسَمَرَ أَعْيُنَهُمْ، فَأُلْقُوا بِالْحَرَّةِ يَسْتَسْقُونَ فَلَا يُسْقَوْنَ»⁽¹⁾⁽²⁾.

وسياسة العقاب تترك بالغ الأثر إذ تحقيق الزجر والردع للجاني ولأمثاله وللناس قاطبة، والاسلام يأخذ بمبدأ الستر على غير المجاهر بالمعصية، ويدراً الحدود بالشبهات الكثيرة مما يؤدي إلى ندرة العقوبة، فيمنع الجريمة أو يخفف منها، بل ويصلح المجرم ويستقيم أمره، ويضمن نظافة المجتمع وطهره وحمايته من ظاهرة الإجرام، وينشر ظاهرة الخوف من العقاب الدنيوي والأخروي كما يحقق الأمن والاستقرار الدائم، ويحصر الجريمة في أضيق نطاق ممكن، يحافظ على المقاصد العامة للتشريع⁽³⁾.

4- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

"إن الجندي المسلم مستخلف في الأرض لعمارتها وإصلاحها بمنهج الله القويم، وإن الوظيفة الضرورية لإقامة منهج الله في الأرض، ولتغليب الحق على الباطل، والمعروف على المنكر، والخير على الشر يقررها قوله تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: 104]، فمنهج الله في الأرض ليس مجرد وعظ وإرشاد وبيان، فهذا شطر أما الشطر الآخر فهو القيام بسلطة الأمر والنهي، على تحقيق المعروف ونفي المنكر من الحياة البشرية، وصيانة تقاليد الجماعة الخيرة من أن يعيث

(1) [صحيح البخاري، البخاري، الحدود/سمر النبي ﷺ أعين المحاربين، 8/ 163: حديث رقم 6805].

(2) في ظلال القرآن، قطب (ج2/ 878).

(3) الفقه الإسلامي وأدلته، الزحيلي (ج7/ 5288) باختصار.

بها كل ذي هوى وكل ذي شهوة وكل ذي مصلحة، وضمانة هذه التقاليد الصالحة من أن يقول فيها كل امرئ برأيه ويتصوره، زاعماً أن هذا هو الخير والمعروف والصواب، والدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من ثم تكليف ليس بالهين ولا باليسير، فلا بد من جماعة تتلاقى على هاتين الركيزتين: الإيمان بالله والأخوة في الله، لتقوم على هذا الأمر العسير الشاق بقوة الإيمان والتقوى ثم بقوة الحب والألفة، وإن قيام هذه الجماعة ضرورة من ضرورات المنهج الإلهي⁽¹⁾.

"كما أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو منجاة لأصحابه، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا دُسُوا مَا دُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعِقَابٍ بَيِّسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ [الأعراف : 165]، فلما نسوا ما ذكروا به أي فلما أبى الظالمون قبول النصيحة، أنجينا الناهين عن السوء وهم فريق الواعظين وفريق اللائمين، وقد كانوا أحزم وأقوى لأنهم أنكروا بالقول والفعل⁽²⁾، "وأراد بالذين ظلموا تاركي النهي عن المنكرات أي لم يهتموا بما هو ركن عظيم من أركان الدين وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واتبعوا طلب الشهوات واللذات واشتغلوا بتحصيل الرئاسة، وقد قال رسول الله ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَأْمُرَنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ أَوْ لَيُوشِكَنَّ اللَّهُ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عِقَابًا مِنْهُ ثُمَّ تَدْعُوهُ فَلَا يَسْتَجَابُ لَكُمْ»⁽³⁾»⁽⁴⁾.

5- الرجوع لأهل العلم الموثوق بعلمهم.

"إن مما يذهب بأمن الناس انتشار المفاهيم الخاطئة حيال نصوص القرآن والسنة، وعدم فهمهما بفهم السلف الصالح، وهل كُفِّرَ الناس وأريقَتِ الدماء وقُتِلَ الأبرياء وخُفِرَتِ الذمم بقتل المستأمنين وفُجِّرَتِ البقاع إلا بهذه المفاهيم المنكوسة، لذا قال ربنا ﷻ: ﴿إِنْ تَنَارَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: 59]، وقال ﷻ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا الْعِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ، وَالْفَقْهُ بِالتَّفَقُّهِ، وَمَنْ يَرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَإِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ»⁽⁵⁾»⁽⁶⁾.

(1) في ظلال القرآن، قطب (ج1/ 444).

(2) التفسير المنير، الزحيلي (ج9/ 144).

(3) [سنن الترمذي، الترمذي، الفتن/ ما جاء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، 4/ 468: حديث رقم 2169]، قال الألباني: حسن/ صحيح الجامع الصغير وزيادته (ج2/ 1189).

(4) مفاتيح الغيب، الرازي (ج18/ 409).

(5) المعجم الكبير، الطبراني (ج19/ 395)، قال ابن حجر: حسن/ ابن حجر، فتح الباري (ج1/ 161).

(6) في ظلال القرآن، قطب (ج5/ 3145).

"يا جند الإسلام إياكم وهذه الدعوات الخطيرة التي تدعو إلى التكفير والتفجير، واعلموا أن من أعظم الواجبات الرجوع لأهل العلم الموثوق بعلمهم فيما يُشكل عليكم لأن الله جعلهم هداة مهتدين، قال تعالى: ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [الشورى: 10]، والله أنزل حكمه القاطع في هذا القرآن وقال قوله الفصل في أمر الدنيا والآخرة وأقام للناس المنهج الذي اختاره لهم في حياتهم الفردية والجماعية، وفي نظام حياتهم ومعاشهم وحكمهم وسياستهم، وأخلاقهم وسلوكهم، وبيّن لهم هذا كله بياناً شافياً، وجعل هذا القرآن دستوراً شاملاً لحياة البشر، أوسع من دساتير الحكم وأشمل، فإذا اختلفوا في أمر أو اتجاه فحكم الله فيه حاضر في هذا الوحي الذي أوحاه إلى رسوله ﷺ لتقوم الحياة على أساسه"⁽¹⁾.

6- الدعاء.

إن الدعاء نعمة من نعم الله وهو حصن حصين لا بد للمسلمين أن يتسلحوا به، ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: 60]، وقال تعالى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [الأعراف: 55]، وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: لم يكن رسول الله ﷺ يدع هؤلاء الدعوات حين يمسي وحين يصبح «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي دِينِي وَدُنْيَايَ وَأَهْلِي وَمَالِي، اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَاتِي، وَآمِنْ رَوْعَاتِي، اللَّهُمَّ احْفَظْنِي مِنْ بَيْنِ يَدَيْ، وَمِنْ خَلْفِي، وَعَنْ يَمِينِي، وَعَنْ شِمَالِي، وَمِنْ فَوْقِي، وَأَعُوذُ بِعَظَمَتِكَ أَنْ أُغْتَالَ مِنْ تَحْتِي»⁽²⁾، "وطلب العبد من الله ﷻ الحفظ له من جميع الجهات؛ لأن العبد بين أعدائه من شياطين الإنس والجن كالشاة بين الذئاب إذا لم يكن له حافظ من الله فما له من قوة، وخص الاستعاذة بالعظمة عن الاغتيال من تحته؛ لأن الاغتيال أخذ الشيء خفية وهو أن يخسف به الأرض كما صنع الله تعالى بقارون أو بالغرق كما صنع بفرعون فالكل اغتيال من التحت"⁽³⁾، فالمسلم إذاً بحاجة إلي حفظ الله ورعايته لأن ذلك يحقق له الأمن، وهذا لا يتأتى إلا بالدعاء الذي قد يكون سبباً في تغيير القدر والله أعلم، وقد تم التوسع في الدعاء في المطلب الأول من هذا المبحث.

(1) في ظلال القرآن، قطب (ج5/ 3145).

(2) [مسند أحمد، أحمد، 8/ 403: حديث رقم 4785]، قال شعيب الأرناؤوط: اسناده صحيح.

(3) سبل السلام، الصنعاني (ج2/ 711).

المبحث الثالث

أنواع الجندية في القرآن الكريم.

المطلب الأول: الجندية الدعوية

"إن أحسن الناس حالاً هم الدعاة إلى توحيد الله تعالى وطاعته وعبادته، وإلى العمل الصالح؛ وهو أداء ما فرض الله على الإنسان واجتتاب ما حرمه، والذين يتخذون الإسلام ديناً ومنهجاً ومذهباً، ويعمل كل واحد مع إخوته المسلمين على كل ما يشد أواصر الأخوة والتعاون والتناصر معهم"⁽¹⁾، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: 33]، "إذا قال رب العزة ﷻ: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: 122] ليدل على أنه يجب أن يكون المقصود من التفقه والتعلم دعوة الخلق إلى الحق، وإرشادهم إلى الدين القويم والصراط المستقيم، لأن الآية تدل على أنه تعالى أمرهم بالتفقه في الدين، لأجل أنهم إذا رجعوا إلى قومهم أنذروهم بالدين الحق، وأولئك يحذرون الجهل والمعصية ويرغبون في قبول الدين، فكل من تفقه وتعلم لهذا الغرض كان على المنهج القويم والصراط المستقيم، ومن عدل عنه وطلب الدنيا بالدين كان من الأخسرين أعمالاً الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا"⁽²⁾، وفي هذا المطلب سنتناول حكم الدعوة إلى الله والمكلفون بالدعوة، وشروطها وأساليبها.

أولاً: حكم الدعوة إلى الله في حق الجندي، وهل الجندي مكلف بها؟

1- حكم الدعوة إلى الله.

الدعوة إلى الله هي الدعوة إلى الإيمان به وبما جاءت به رسله بتصديقهم فيما أخبروا به وطاعتهم فيما أمروا، قال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾ [الشورى: 13]، كما تتضمن الأمر بكل ما أمر الله به والنهي عن كل ما نهى الله عنه، فالدعوة إلى الله واجبة على الجنود، يدعون إلى الله كما دعا قديهم إلى الله، وقد وصف أمته

(1) التفسير الوسيط، الزحيلي (ج3/ 2307).

(2) مفاتيح الغيب، الرازي (ج16/ 172).

بذلك في غير موضع كما وصفه بذلك فقال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [آل عمران: 110]، وقال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [التوبة: 71]، وهذا واجب على الأمة وهو الذي يسميه العلماء فرض كفاية، وكل جندي من الأمة يجب عليه أن يقوم من الدعوة بما يقدر عليه إذا لم يقم به غيره فما قام به غيره سقط عنه وما عجز لم يطالب به⁽¹⁾.

2- هل الجندي مكلف بالدعوة؟

الدعوة وظيفة كل جندي مسلم أورثه الله الكتاب والسنة من نبيه ﷺ، ولا سيما في الأزمنة التي تخلت فيها الحكومات عن العمل للإسلام والدعوة إلى الله والجهاد في سبيله، فإن ذلك أصبح متحتماً في عنق كل مسلم، فيعتبر عاصياً مفرطاً في جنب الله إن قصر في ذلك أو تخلى عنه، فلينتبه المسلمون لواجبهم ويحاسبوا أنفسهم⁽²⁾، والمسلمون قسمان:

أ- عالم يبين الحق بنفسه، ويدعو الناس إلى اتباعه كما قال مؤمن آل فرعون: ﴿وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِيكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ ﴿يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ﴾ [غافر: 38 - 39]، "ألقى الرجل المؤمن كلمته الأخيرة مدوية صريحة، وذلك بعد أن تدرج في أساليب الدعوة بالحجة والبرهان، فدعا القوم إلى اتباعه في الطريق إلى الله، وهو طريق الرشاد، ويكشف لهم عن حقيقة الحياة الدنيا بأنها متاع زائل لا ثبات له ولا دوام، وأما الآخرة فهي الأصل وإليها النظر والاعتبار⁽³⁾."

ب- مسلم لكنه غير عالم، فهذا يأمر الناس ويدعوهم إلى اتباع الرسل والعلماء كما قال الله ﷻ عن صاحب يس: ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾ ﴿اتَّبِعُوا مَن لَّا يَسْأَلْكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [يس: 20 - 21]، فالعالم يبين الحق بنفسه، وغير العالم يرشد الناس إلى اتباع العلماء فهم أعرف الخلق بالله⁽⁴⁾.

ثانياً: شروط الدعوة إلى الله.

إن الدعوة إلى الله تحتاج إلى توفر بعض الشروط في الجندي، ليتمكن من إيصال دعوته للناس وهي:

(1) ينظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية (ج15/ 157-166)، والدعوة إلى الله، ابن باز (ص14-20).

(2) ينظر: الأجوبة المفيدة، الدوسري (ص 35).

(3) ينظر: في ظلال القرآن، قطب (ج5/ 3082).

(4) ينظر: مختصر الفقه الإسلامي، التويجري (ص 1095).

1. رسوخ العقيدة: "يجب أن يكون الجندي ذو عقيدة راسخة وصادقة، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا﴾ [الحجرات: 15]، وكما ابتليت شعوب كثيرة بدعاة خالية قلوبهم من العقيدة الإسلامية الصحيحة"⁽¹⁾، وتستنبط الدعوة الناجحة قواعدها من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وتطبيق الصحابة، والتابعين واتباعهم لذلك على الوجه الصحيح، قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: 153]⁽²⁾.

2. تعلم العلم الشرعي: "الفقه في الدين والبصيرة في أسلوب الدعوة استنتاجاً من قوله تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ [يوسف: 108]، ادعو الله على بصيرة وحجة وبرهان أنا ومن اتبعني إلى سирتي وطريقتي وسيرة أتباعي الدعوة إلى الله، لأن كل من ذكر الحجة وأجاب عن الشبهة فقد دعا بمقدار وسعه إلى الله وهذا يدل على أن الدعوة إلى الله تعالى إنما يحسن ويجوز مع هذا الشرط وهو أن يكون على بصيرة مما يقول وعلى هدى ويقين، فإن لم يكن كذلك فهو محض الغرور"⁽³⁾، "الفقه قبل الأمر ليعرف المعروف وينكر المنكر"⁽⁴⁾، "والدعوة الناجحة هي الدعوة إلى الله تعالى على بصيرة"⁽⁵⁾.

3. القدرة على الصبر: إن الصبر والتحمل والرفق هو علاج الأوضاع القائمة في الأقطار الإسلامية، لأن الجندي يحتاج زمناً طويلاً يقرب من طول عمر الجاهلية المزمنة أو أطول حتى يتمكن من نشر دعوته⁽⁶⁾، "وقد أمر الله رسوله ﷺ بملازمة أهل الصبر والتحلي بالصبر قال ﷺ: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ [طه: 132]، وقال ﷺ: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدَ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف: 28]⁽⁷⁾، والرفق عند الأمر ليسلك أقرب الطرق إلى تحصيل المقصود والحلم بعد الأمر ليصبر على أذى المأمور المنهي فإنه كثيراً ما يحصل له الأذى بذلك، ولهذا قال ﷺ في ذكر وصايا لقمان لابنه: ﴿يَا

(1) الإسلام في أفريقيا، علي (ص 35).

(2) فتاوى إسلامية، المسند (ج4/ 268).

(3) مفاتيح الغيب، الرازي (ج18/ 520).

(4) مجموع الفتاوى، ابن تيمية (ج15/ 167).

(5) فتاوى إسلامية، المسند (ج4/ 268).

(6) ينظر: الإسلام في أفريقيا، علي (ص 26).

(7) فتاوى إسلامية، المسند (ج4/ 269).

بُنِيَ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿[لقمان: 17]، وقد أمر نبينا بالصبر في مواضع كثيرة كما قال ﷺ في أول المدثر: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴿قُمْ فَأَنْذِرْ ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿وَتِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ﴿وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ ﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾ [المدثر: 1 - 7] وقال ﷺ: ﴿وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ﴾ [المزمل: 10]"⁽¹⁾.

4. **الحكمة والاعتزان وعدم الطيش:** والحكمة بأوجز عبارة وأدقها هي اللين في موضع اللين والشدة في موضع الشدة، قال ﷺ: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: 125]، ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [البقرة: 269]"⁽²⁾، "إن مثل جندي الدعوة المؤمن القوي كمثل السيل المنحدر من شواهد الجبال، فيه قوة الاندفاع وسر الانتفاع، ولكن السيل لا يعجل إلى العقبات أو الهضاب فيمزقها، بل يدور حولها ويحيط بأطرافها، ويمضي إلى ما خلفها، ويتركها معزولة عما عداها، ثم يعلو ماؤه ويغزر فيضيه، فيرتفع على جوانبها بالتدرج حتى يغطي قممها، ويخضع رؤوسها الشامخة لسلطانها، فرسالتك أيها الداعية قد نزلت من الماء لا من الجبل، وأنت سر اندفاعها وانتفاع قلبها، وأنت الذي يجب أن تسبح بدعوتك في كل مكان، فإذا صادفتك عقبة من قانون عتيد، أو شخصية طاغية، فلا تعرض لها بغير ما يعرض لها السيل، ادعها بالحكمة والموعظة الحسنة، ولا تقف عندها فذلك خرق وجهل، بل افعل ما يفعل السيل؛ در حولها، وامض في سبيلك إلى ما وراءها، وادع الناس إلى جانبك حتى تغدو منعزلة عما عداها، ويقنعها الواقع بقوة أمر الله، أو يغيبها الله عن النظر"⁽³⁾.

5. **تجنب المداهنة:** وهي من أخطر الصفات في الداعية وهي التودد والتملق للناس على حساب الدين بحيث يعجز في النهاية عن بيان الحق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مراعاة لخواطر الجمهور، فيصير حاله إذا صلح الناس صلح معهم وإذا فسدوا فسد معهم، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ [الأحزاب: 39]"⁽⁴⁾، فلا يحسبون للخلق حساباً فيما يكلفهم الله به من أمور الرسالة، ولا يخشون أحداً إلا الله الذي أرسلهم للتبليغ والعمل والتنفيد.

(1) مجموع الفتاوى، ابن تيمية (ج15 / 167).

(2) الإسلام في أفريقيا، علي (ص 26).

(3) موسوعة الأخلاق والزهد والرقائق، عبد الرحمن (ج2 / 149).

(4) ينظر: فتاوى إسلامية، ابن باز وآخرون (ج4 / 269).

"وإذا ما طبقنا هذه الشروط أو ما يقاربها من الصفات في الدعاة الذين يعملون في حقل الدعوة إلى الله صرنا قريبين من درب النجاح في عملنا بإذن الله، وإن كنا ندرك الحاجة الماسة إلى إعادة النظر في تنظيم عمل الدعوة بصفة عامة بل العمل الإسلامي من حيث هو لم يحظ بالتنظيم الدقيق بعد، علماً بأن العمل القليل المنظم خير وأكثر ثمرة من العمل الكثير غير المنظم كما لا يخفى"⁽¹⁾، "يخافونه ولا يخافون أحداً سواه فلا تمنعهم سطوة أحد عن إبلاغ رسالات الله وسيد الناس في هذا المقام بل وفي كل مقام محمد ﷺ، ثم ورث مقام البلاغ عنه أمته من بعده، فكان أعلى من قام بها بعده أصحابه ﷺ، بلغوا عنه كما أمرهم به في جميع أقواله وأفعاله وأحواله، في ليله ونهاره، وحضره وسفره، وسره وعلا نيته، ثم ورثه كل خلف عن سلفهم إلى زماننا هذا، فبنورهم يقتدي المهندون، وعلى منهجهم يسلك الموفقون، فنسأل الله الكريم المنان أن يجعلنا من خلفهم"⁽²⁾.

ثالثاً: أساليب الجندي في الدعوة إلى الله.

الجندي يحتاج إلى فهم أساليب الدعوة ووسائل تبليغها، حتى يكون على قدر من الكفاءة لتبليغ الدعوة إلى الله تعالى بإحكام وإتقان وبصيرة، وذلك كالتالي:

1- **تشخيص وتحديد الداء في المدعوين:** وذلك ليسهل معرفة الدواء، "والنجاح المحقق والدائم في الأعمال يتوقف على الأسلوب الناجح والمنهج المعقول، والخطة السليمة، وبما أن غرس العقيدة في القلب ليس أمراً سهلاً، فيحتاج ذلك إلى حكمة في الخطاب، وإثارة العاطفة، وإقناع العقل، وتنبيه الفكر"⁽³⁾.

"والأساليب تتنوع مراعاة لحال المدعوين؛ لأن من الناس طائفة ذات نفوس مشرقة، وعقول ذكية، وإدراك سريع، وهؤلاء تكفيهم الإشارة، ويناسبهم الإيجاز، وترضيهم الكلمات القليلة ذات الدلالات الموجزة، والمعاني الدقيقة فيكفيها الدلائل القطعية اليقينية وهي الحكمة، ومن الناس طائفة ذات عقول متوسطة، ونفوس خاملة، وطباع لا تتحرك إلا إذا استثيرت وانفعلت، وهؤلاء يناسبهم بسط الكلام، وتكرار العبارة، وسوق المعنى بأكثر من طريق، والمكالمة مع هؤلاء لا تمكن إلا بالموعظة الحسنة، ومن الناس طائفة ذات عقل وفهم، لكنها محبة للجدل والحوار، كثيرة السؤال والاعتراض، مرة لتفهم، وأخرى لتظهر ذاتها في حوار ونقاش، والمكالمة اللائقة

(1) الإسلام في أفريقيا، علي (ص 26).

(2) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (ج6/ 427).

(3) التفسير الوسيط، الزحيلي (ج2/ 1318).

بهؤلاء المجادلة التي تفيد الإفحام والإلزام قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل: 125]، وهذا هو التفسير الدقيق للآية والله أعلم⁽¹⁾، "والداعية إلى الله ﷻ هو طبيب الأرواح والقلوب فعليه أن يسلك هذا الأسلوب في معالجة الأرواح، والداء عند الناس قد يكون كفرًا، وقد يكون معصية، فعلى الداعية أن يعطي الدواء على حسب الداء"⁽²⁾.

2- إزالة الشبهات التي تمنع المدعويين من رؤية الداء والإحساس به: المقصود بالشبهة هنا: ما يثير الشك والارتباك في صدق الداعي وأحقية ما يدعو إليه قال تعالى: ﴿قَالَتْ رَسُولُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُخْرِجَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ [إبراهيم: 10]، فيمنع ذلك من رؤية الحق والاستجابة له، أو تأخير هذه الاستجابة⁽³⁾، "وغالبًا ترتبط الشبهة بعادة موروثة، أو مصلحة قائمة، أو رئاسة دنيوية، أو حمية جاهلية، فتؤثر الشبهة بسبب هذه الأمور في النفوس الضعيفة المتصلة بهذه الأشياء، وتتعلق بها وتحسبها حجة وبرهانًا تدفع به الحق، وتخاصم الدعاة إلى الله تعالى"⁽⁴⁾.

3- الترغيب والترهيب: "إن الإيمان لا يتم إلا بالرجاء والخوف قال تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المائدة: 98]، اعلم أنه تعالى لما قدم الترهيب والترغيب بقوله أن الله شديد العقاب وأن الله غفور رحيم، ثم أتبعه بالتكليف بقوله ما على الرسول إلا البلاغ يعني أنه كان مكلفاً بالتبليغ فلما بلغ خرج عن العهدة وبقي الأمر من جانبكم وأنا عالم بما تبدون وبما تكتُمون، فإن خالفتم فاعلموا أن الله شديد العقاب، وإن أطعتم فاعلموا أن الله غفور رحيم"⁽⁵⁾، "والترغيب كل ما يشوق المدعو إلى الاستجابة وقبول الحق والثبات عليه، والترهيب: كل ما يخيف ويحذر المدعو من عدم الاستجابة أو رفض الحق أو عدم الثبات عليه بعد قبوله"⁽⁶⁾، "ترغيب فيما وعد الله من حسن الجزاء في الدنيا، وحسن العافية في الآخرة: ﴿وَأُخْرَىٰ يُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الصف: 13]،

(1) مفاتيح الغيب، الرازي (ج20/ 287) بتصرف، وينظر: السيرة النبوية والدعوة في العهد المكي، غلوش (ص 430).

(2) الحكمة في الدعوة، القحطاني (ج1/ 124).

(3) ينظر: مفهوم الحكمة في الدعوة، القحطاني (ص 124).

(4) أصول الدعوة، زيدان (ص 426).

(5) مفاتيح الغيب، الرازي (ج12/ 441).

(6) أصول الدعوة، زيدان (ص 437).

وترهيب من وعيد الله وغيرته على حرمانه، والخوف من أليم عقابه عاجلاً وأجلاً: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: 102]⁽¹⁾.

4- **تعهد المستجيبين من المدعوين بالتربية والتعليم والتوجيه:** وذلك حتى لا يعودوا إلى سالف عهدهم من المعاصي والفجور، ومن أعظم وسائل التربية المؤثرة الاتصال بكتاب الله تعالى تلاوة وتدبراً وفهماً، والاتصال الدائم بالسنة النبوية، وسيرة السلف الصحابة عليهم السلام فعلى الداعية أن يعين المستجيبين على هذه الأمور العظيمة قال تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾ [العصر: 1 - 3]⁽²⁾، قال أبو جعفر: "فأوصى بعضهم بعضاً بلزوم العمل بما أنزل الله في كتابه، من أمره، واجتناب ما نهى عنه فيه"⁽³⁾، قال البقاعي: "ولأن الإنسان ينشط بالوعظ وينفعه اللّفظ بالصبر الناشئ عن زكاة النفس على العمل بطاعة الله وترك معصيته"⁽⁴⁾.

5- **القول الحسن:** فإذا أحكم صاحب الدعوة قوله وسدد لفظه فقد أوتي من الحكمة باباً عظيماً، يقول الله ﷻ: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: 83]، فدعوة الله للكفار لا بد أن تكون بالقول الحسن كما قال تعالى لموسى وهارون عليهما السلام: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ [طه: 44]، فجاء هذا الأمر من الله لهما بالرفق مع فرعون رغم كفره وعناده وكبريائه وتمرده وعناده.

وأما دعوة الفساق فالقول الحسن فيه معتبر، قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ [النحل: 125]، وقال ﷺ: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: 34]، وأما في الأمور الدنيوية فمن المعلوم بالضرورة أنه إذا أمكن التوصل إلى الغرض بالتلطف من القول لم يحسن سواه، فنثبت أن جميع آداب الدين والدنيا داخلة تحت قوله تعالى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: 83]⁽⁵⁾.

(1) الحكمة في الدعوة، القحطاني (ج1/ 125).

(2) ينظر: مفهوم الحكمة في الدعوة، القحطاني (ص 124) بتصرف.

(3) جامع البيان، الطبري (ج24/ 590).

(4) نظم الدرر، البقاعي (ج22/ 240) باختصار.

(5) ينظر: مفاتيح الغيب، الرازي (ج3/ 589).

6- **التصريح والتعريض:** قد يبلغ التعريض للمنصوح ما لا يبلغه التصريح، فالتعريض والتورية أشد وطأة على حمل المجادل إلى الغرض، وأهجم به على الغلبة، مع قلة شغب الخصم وكسر شوكته⁽¹⁾، ومن القول الحسن الجنوح إلى التعريض والتلميح دون التصريح، لأن التصريح يهتك حجاب الهيبة، ويورث الجراءة على الهجوم، والتبجح بالمخالفة، ويهيج على الإصرار والعناد، أما التعريض فيستميل النفوس الفاضلة، والأذهان الذكية، والبصائر اللامحة: لذا فقد استخدم الله هذا الأسلوب في كتابه حيث قال ﷺ: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: 173]، فإن عدم التصريح بعين القائل تترك له مساحة للعودة والاستقامة⁽²⁾.

7- **النصيحة لا الفضيحة:** "النصيحة إحسان إلى من تنصحه بصورة الرحمة له والشفقة عليه والغيرة له وعليه فهو إحسان محض يصدر عن رحمة ورقة ومراد الناصح بها وجه الله ورضاه والإحسان إلى خلقه فيتلطف في بذلها غاية التلطف ويحتمل أذى المنصوح ولائحته ويعامله معاملة الطبيب العالم المشفق على المريض المشبع مرضاً وهو يحتمل سوء خلقه وشراسته ونفرته ويتلطف في وصول الدواء إليه بكل ممكن فهذا شأن الناصح"⁽³⁾، "فالمؤمن يستر وينصح والفاجر يهتك ويُعير، والنصح يقتزن به الستر، وكان يقال: من أمر أخاه على رؤوس الملأ فقد عيَّره، وكان السلف يكرهون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على هذا الوجه، ويحبون أن يكون سراً فيما بين الأمر والمأمور فإن هذا من علامات النصح فإن الناصح ليس له غرض في إشاعة عيوب من ينصح له وإنما غرضه إزالة المفسدة التي وقع فيها، وأما إشاعة وإظهار العيوب فهو مما حرمه الله ورسوله قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجِبُونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النور: 19]"⁽⁴⁾،

8- **أدب التعامل ولين الجانب:** "فالنفوس مجبولة على حب من يحسن إليها ويتلقاها باللين ويبسط لها في المحيا، والشدة قد تدفع إلى المكابرة والنفور والإصرار، فتأخذ النفس العزة بالإثم، فالتعامل المؤثر ما كان دمثاً يفتح القلوب ويشرح"⁽⁵⁾.

(1) ينظر: الكشف، الزمخشري (ج3/ 318)، و(ج3/ 581).

(2) مفهوم الحكمة في الدعوة، حميد (ص39) بتصرف.

(3) الروح، ابن قيم الجوزية (ص 257).

(4) الفرق بين النصيحة والتعيير، ابن رجب الحنبلي (ص 17).

(5) مفهوم الحكمة في الدعوة، حميد (ص 46).

وقد بين ربنا ﷺ ذلك في قوله: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: 215]، وقال: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: 29]، "رحماء بينهم وهم فقط إخوة دين، فهي الشدة لله والرحمة لله، وهي الحمية للعقيدة، والسماحة للعقيدة، فليس لهم في أنفسهم شيء، ولا لأنفسهم فيهم شيء، وهم يقيمون عواطفهم ومشاعرهم، كما يقيمون سلوكهم وروابطهم على أساس عقيدتهم وحدها، يشتدون على أعدائهم فيها، ويلينون لإخوتهم فيها"⁽¹⁾، وهذا حال الأعرابي الذي بال في المسجد، فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ: أَنَّ أَعْرَابِيًّا بَالَ فِي الْمَسْجِدِ، فَقَامُوا إِلَيْهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تُزْرِمُوهُ»⁽²⁾ ثُمَّ دَعَا يَدُلُّو مِنْ مَاءٍ فَصَبَّ عَلَيْهِ⁽³⁾.

9- **المدارة:** هي الرفق بالجاهل في التعليم، وبالفاسق في النهي عن فعله، وترك الإغلاظ عليه حيث لا يظهر ما هو فيه، والإنكار عليه بلطف القول والفعل، ولاسيما إذا احتيج إلى تألفه ونحو ذلك، وهي صورة من صور التعامل الدال على الحكمة، والموصل إلى المقصود مع حفظ ما للداعي والمدعو من كرامة ومروءة⁽⁴⁾، قال تعالى: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾ [المؤمنون: 96]، "فإنَّ المدارة محثوث عليها ما لم تؤدَّ إلى تلم دين وإزراء بمروءة"⁽⁵⁾، وعد قوم من باب التقية الجائزة مداراة الكفار والفسقة والظلمة والآنفة الكلام لهم والتبسم في وجوههم لكف أذاهم، بشرط أن لا تكون هذه المدارة مخالفة لأصول الدين وتعاليمه، فإن كانت مخالفة فلا تجوز، لكن لا تتبغي المدارة فيما يחדش الدين، أو يمكن للأعداء⁽⁶⁾.

10- **إقالة العثرات والغض عن الأخطاء:** إذا كانوا كراماً ذوي هيئات أو كان ذلك سبيلاً إلى دنفها وتقليلها فإن إقالة العثرة ليست إقراراً للباطل ولكنها إنقاذاً للواقع فيه⁽⁷⁾، وقد كان هذا المعلم واضحاً في قصة حاطب حينما قال رسولنا الكريم ﷺ: "إِنَّهُ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا، وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَكُونَ قَدْ أَطْلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ: اغْمُلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ"⁽⁸⁾، ففي

(1) في ظلال القرآن، قطب (ج6/ 3332).

(2) زرم البول، بالكسر، إذا انقطع، أي لا تقطعوا عليه بوله، لسان العرب (ج12/ 263).

(3) [صحيح البخاري، البخاري، الأدب/الرفق في الأمر كله، 8/ 12: حديث رقم 6025].

(4) مفهوم الحكمة في الدعوة، حميد (ص 50).

(5) الكشف، الزمخشري (ج3/ 202).

(6) التفسير الوسيط، طنطاوي (ج2/ 77-78) باختصار.

(7) ينظر: مفهوم الحكمة في الدعوة، حميد (ص 57).

(8) [صحيح البخاري، البخاري، الجهاد والسير/الجاسوس، 4/ 60: حديث رقم 3007].

هذه الحادثة ما يكشف عن منحنيات النفس البشرية العجيبة، وتعرض هذه النفس للحظات الضعف البشري مهما بلغ من كمالها وقوتها وأن لا عاصم إلا الله من هذه اللحظات فهو الذي يعين عليها ليعينه وينهضه من عثرته⁽¹⁾.

والنفوس تملك قدراً كبيراً من التأهيل في قبول ما عند الدعاة، وهي قريبة من الخير مستعدة له فليفقه هذه السنن الدعاة إلى الله، وليتجنبوا المزالق والمنعطفات الخطيرة التي يعتمد أعداء الملة من الكفار والمنافقين وضعها في الطريق، والله الموفق والمعين، والهادي إلى سواء السبيل.

المطلب الثاني: الجندية العلمية

إن هذا الدين منهج حركي، لا يفقهه إلا من يتحرك به، فالذين يخرجون للجهاد به هم أولى الناس بفقهه بما يتكشف لهم من أسرارهِ ومعانيهِ، أما الذين يقعدون فهم الذين يحتاجون أن يتلقوا ممن تحركوا، لأنهم لم يشاهدوا ما شاهد الذين خرجوا ولا فقهوا فقههم ولا وصلوا من أسرار هذا الدين إلى ما وصل إليه المتحركون وبخاصة إذا كان الخروج مع رسول الله ﷺ، ولعل هذا عكس ما يتبادر إلى الذهن، من أن المتخلفين عن الغزو والجهاد والحركة، هم الذين يتفرغون للنفقه في الدين ولكن هذا وهم، لا يتفق مع طبيعة هذا الدين، إن الفقه الإسلامي وليد الحركة الإسلامية، فقد وُجد الدين أولاً ثم وُجد الفقه، وليس العكس هو الصحيح، وفي أثناء مزاولة المجاهد للحياة الفعلية، واستيحاء شريعته وحدها، جدت له أقضية فرعية بتجدد الحالات الواقعية في حياته، وهنا فقط بدأ استنباط الأحكام الفقهية، ومن خلال معاينة الواقع يتضح لنا أن الفقه لم يكن مستنبطاً من الأوراق الباردة بعيداً عن حرارة الحياة الواقعة⁽²⁾، قال ﷺ: «وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ» [التوبة: 122]، وقال ﷺ: «مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ»⁽³⁾، وفي هذا المطلب سنتناول التالي:

(1) في ظلال القرآن، قطب (ج6/ 3538-3539) باختصار.

(2) في ظلال القرآن، قطب (ج3/ 1734-1735) بتصرف.

(3) [مسند أحمد، أحمد، 14/ 66: حديث رقم 8316]، قال الألباني: صحيح، ينظر: صحيح الجامع الصغير وزيادته (ج2/ 1080).

أولاً: حكم طلب العلم:

1- ما طلبه فرض عين: "وهو تعلم المكلف ما لا يتأدى الواجب الذي تعين عليه فعله إلا به، ككيفية الوضوء والصلاة ونحوها، فيجب على الإنسان أن يتعلم أمور دينه قبل كل شيء، قال الله تبارك وتعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [محمد: 19]، فبدأ الله تعالى بالعلم قبل العمل، فمثلاً: إذا أراد أن يتطهر الإنسان ويتوضأ للصلاة فلا بد أن يعرف كيف يتوضأ، وإذا أراد أن يصلي فيجب عليه أن يعرف كيف يصلي"⁽¹⁾، وحمل عليه بعضهم حديث النبي ﷺ: «طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ»⁽²⁾، "وقد يكون طلب العلم واجباً على الإنسان عيناً أي فرض عين، وضابطه أن يتوقف عليه معرفة عبادة يريد فعلها أو معاملة يريد القيام بها، فإنه يجب عليه في هذه الحال أن يعرف كيف يتعبد لله بهذه العبادة وكيف يقوم بهذه المعاملة"⁽³⁾.

"وقد أجمعت الأمة على أن علم ما لا يسع جهله فرض على الإنسان أن يعلمه، فإذا علمه كان طلب ما سوى ذلك فضلاً لا فرضاً"⁽⁴⁾، ثم إن بعض الأشياء لا يجب طلبها إلا بعد وجوبها، ويجب من ذلك كله ما يتوقف أداء الواجب عليه غالباً دون ما يطرأ نادراً، فإن وقع وجب التعلم حينئذ، فيجب على من أراد البيع أن يتعلم أحكام ما يقدم عليه من المبيعات، كما يجب معرفة ما يحل وما يحرم من المأكول، والمشروب، والملبوس، ونحوها مما لا غنى له عنه غالباً، وكذلك أحكام عشرة النساء إن كان له زوجة، ثم إذا كان الواجب على الفور كان تعلم الكيفية على الفور، وإن كان على التراخي كالحج فعلى التراخي عند من يقول بذلك"⁽⁵⁾.

2- ما طلبه فرض كفاية: "طلب العلم والتفقه في الدين من فروض الكفاية كالجهاد، فإذا قام به بعض الناس سقط الفرض عن سائرهم، إلا ما لا يسع الإنسان جهله، قال تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ

(1) مجموع فتاوى ورسائل العثيمين، العثيمين (ج26/ 47).

(2) [سنن ابن ماجه، ابن ماجه، الايمان وفضائل الصحابة/فضل العلماء، 1/ 81: حديث رقم224]، قال

الألباني: حديث صحيح/ صحيح الجامع الصغير وزيادته (ج2/ 727).

(3) العلم، العثيمين (ص 18).

(4) الإمام أبو العباس ابن سريج وآراؤه الأصولية، الجبوري (ص161).

(5) الموسوعة الفقهية الكويتية، مجموعة من المؤلفين (ج29/ 78-79).

يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: 122]⁽¹⁾، "وهو تحصيل ما لا بد للناس منه في إقامة دينهم من العلوم الشرعية كحفظ القرآن، والأحاديث، وعلومهما، والأصول، والفقه، والنحو، واللغة، والتصريف، ومعرفة رواة الحديث، والإجماع، والخلاف، ولو أطبقوا كلهم على تركه أثم كل من لا عذر له ممن علم ذلك وأمكنه القيام به"⁽²⁾، "أما ما لا يحتاج إليها من الأمور فلا يلزمه تعلمه إلا أن يكون فرض كفاية عليه فمثلاً تعلم المعاملات، تعلم البيع الصحيح، والإجارة الصحيحة، والرهن الصحيح، والوقف الصحيح ليس بواجب على كل أحد، بل يجب على من أراد أن يتعامل بهذا، وأما غيره فلا يجب عليه إلا إذا قدرنا أنه ليس في العالم من يعرف هذا، فإنه يكون فرض كفاية وإن لم يقيم به أحد فيجب على الإنسان"⁽³⁾، "وإن تعلم الصناعات والطب والهندسة والجيولوجيا وما أشبه ذلك من فروع الكفايات لا لأنها من العلوم الشرعية، ولكن لأنها لا تتم مصالح الأمة إلا بها، ولهذا أنبه الإخوان الذين يدرسون مثل هذه العلوم أن يكون قصدهم بتعلم هذه العلوم نفع إخوانهم المسلمين ورفع أمتهم الإسلامية، فالأمة الإسلامية الآن ملايين لو أنها استغلت مثل هذه"⁽⁴⁾.

3- ما طلبه محرم: "كطلب تعلم السحر والشعوذة، والتنجيم، وكل ما كان سبباً لإثارة الشكوك، ويتفاوت في التحريم، السحر يحرم تعلمه، وتعليمه، وفعله، والدلالة عليه، قال تعالى: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السَّحَرَ﴾ [البقرة: 102]"⁽⁵⁾، واختلف العلماء فيمن يتعلم السحر ويستعمله فقال بعضهم: إنه يكفر بذلك، وهو قول جمهور العلماء منهم مالك، وأبو حنيفة وأصحاب أحمد، وغيرهم، وعن أحمد ما يقتضي عدم كفره، وعن الشافعي أنه إذا تعلم السحر قيل له صف لنا سحر، فإن وصف ما يستوجب الكفر مثل سحر أهل بابل من التقرب للكواكب، وأنها تفعل ما يطلب منها فهو كافر، وإن كان لا يوجب الكفر فإن اعتقد إباحته فهو كافر وإلا فلا، وأقوال أهل العلم في ذلك معروفة"⁽⁶⁾.

(1) المقدمات الممهدة، القرطبي (ج1/ 43).

(2) الموسوعة الفقهية الكويتية، مجموعة من المؤلفين (ج29/ 79).

(3) مجموع فتاوى ورسائل العثيمين، العثيمين (ج26/ 47).

(4) المرجع السابق، ج26/ 50.

(5) مختصر الفقه الإسلامي، التوجيهي (ص 989).

(6) أضواء البيان، الشنقيطي (ج4/ 50).

ثانياً: فضل طلب العلم، وأثره على الجندي.

إن فضيلة طلب العلم في كتاب الله لها عدة وجوه:

الوجه الأول: "أن الله تعالى سمى العلم بالحكمة ثم إنه تعالى عظم أمر الحكمة وذلك يدل على عظم شأن العلم، فقال تعالى في مواضع القرآن: ﴿وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ﴾ [البقرة: 231]، يعني مواضع القرآن، وقال ﷺ: ﴿وَأُنْزِلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ﴾ [النساء: 113]، يعني المواضع⁽¹⁾.

الوجه الثاني: الحكمة بمعنى الفهم والعلم قوله تعالى: ﴿وَأَتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ [مريم: 12]، وقال: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ﴾ [لقمان: 12]، يعني الفهم والعلم، وقال: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ﴾ [الأنعام: 89]⁽²⁾.

الوجه الثالث: ذكر الله ﷻ أولي الأمر في كتابه وهم العلماء في أصح الأقوال لأن الملوك يجب عليهم طاعة العلماء ولا ينعكس، وقد ذكر ربنا ﷻ العالم في موضعين من كتابه في المرتبة الثانية، قال: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾ [آل عمران: 18]، وقال: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [النساء: 59]، ثم إنه سبحانه وتعالى زاد في الإكرام، فجعلهم في المرتبة الأولى في آيتين فقال تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ [آل عمران: 7]، وقال: ﴿قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ [الرعد: 43]⁽³⁾.

الوجه الرابع: "اعلم أنه تعالى ذكر الدرجات لأربعة أصناف:

أولها: للمؤمنين من أهل بدر، قال ﷺ: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ [الأنفال: 2 - 4].

(1) مفاتيح الغيب، الرازي (ج2/ 399).

(2) المرجع السابق، (ج2/ 399).

(3) المرجع نفسه (ج2/ 399-400).

الثانية: للمجاهدين، قال ﷺ: ﴿وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ ﴿دَرَجَاتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً﴾ [النساء: 95-96].

الثالثة: للصالحين، قال ﷺ: ﴿وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى﴾ [طه: 75].

الرابعة: للعلماء، قال ﷺ: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة: 11]⁽¹⁾.

كذلك فإن الله ﷻ وصف العلماء في كتابه بخمس مناقب، وهذا يدل على فضل العلم:

أحدها: الإيمان، قال تعالى: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ﴾ [آل عمران: 7].

ثانيها: التوحيد والشهادة، قال ﷺ: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾ [آل عمران: 18].

الثالث والرابع: البكاء والخشوع، قال ﷺ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾ ﴿وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبَّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبَّنَا لَمَفْعُولًا﴾ ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ [الإسراء: 107-109].

خامسها: الخشية، كما في قوله ﷺ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: 28]⁽²⁾.

"والعلم أفضل من المال بسبعة أوجه: أولها: العلم ميراث الأنبياء، والمال ميراث الفراعنة. الثاني: العلم لا ينقص بالنفقة والمال ينقص، والثالث: يحتاج المال إلى الحافظ والعلم يحفظ صاحبه، والرابع: إذا مات الرجل يبقى ماله والعلم يدخل مع صاحبه قبره، والخامس: المال يحصل للمؤمن والكافر والعلم لا يحصل إلا للمؤمن، والسادس: جميع الناس يحتاجون إلى صاحب العلم في أمر دينهم ولا يحتاجون إلى صاحب المال، السابع: العلم يقوي الرجل على المرور على الصراط والمال يمنعه"⁽³⁾.

(1) مفاتيح الغيب، الرازي (ج2/ 399-400).

(2) المرجع السابق، ج2/ 399-400.

(3) المرجع نفسه، ج2/ 403.

"وطلب العلم أفضل من قيام الليل، لأن طلب العلم لا يعدله شيء لمن صحت نيته، ينوي به رفع الجهل عن نفسه وعن غيره فإذا كان الإنسان يسهر في أول الليل لطلب العلم ابتغاء وجه الله سواء كان يدرسه ويعلمه الناس فإنه خير من قيام الليل، وإن أمكنه أن يجمع الأمرين فهو أولى، لكن إذا تزاحم الأمران فطلب العلم الشرعي أفضل وأولى"⁽¹⁾.

المطلب الثالث: الجندية العسكرية

وفيه:

أولاً: فضل الجهاد:

1- فضل القتال:

الجهاد في الإسلام ذروة سنامه، وسياج مبادئه، وطريق الحفاظ على بلاد الإسلام والمسلمين، فهو من أهم مبادئ الإسلام العظمى؛ لأنه سبيل العزة والكرامة والسيادة، لهذا كان فريضة محكمة، وأمرًا ماضيًا إلى يوم القيامة، وما ترك قوم الجهاد إلا ذلًا وغزوًا في عقر دارهم وخذلهم الله، وسلط عليهم شرار الناس وأرادلهم، لذا كان لزاماً على الجندي الذي ينخرط في صفوف المجاهدين في سبيل الله أن يعلم فضل الجهاد وأنه ممن ينالون شرف حمل لواء الحق في مواجهة الباطل⁽²⁾، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۖ تُوْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ۖ يَغْفِرَ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِينَ وَطِبَّاتٍ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [الصف: 11-13]، جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ يَغْدِلُ الْجِهَادُ؟ قَالَ: «لَا أَجِدُهُ» قَالَ: «هَلْ تَسْتَطِيعُ إِذَا خَرَجَ الْمُجَاهِدُ أَنْ تَدْخُلَ مَسْجِدَكَ فَتَقُومَ وَلَا تَقُورَ، وَتَصُومَ وَلَا تُفْطِرَ؟»، قَالَ: وَمَنْ يَسْتَطِيعُ ذَلِكَ؟، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: «إِنَّ فَرَسَ الْمُجَاهِدِ لَيْسَتْ فِي طَوْلِهِ، فَيُكْتَبُ لَهُ حَسَنَاتٌ»⁽³⁾، "إذا لا بد من الجهاد، ولا بد من مواجهة الشر المسلح بالخير المسلح، ولا بد من لقاء الباطل المنترس بالعدد بالحق المتوشح بالعدة، وإلا كان الأمر انتحاراً، أو كان هزلاً لا يليق بالمؤمنين، ولا بد من بذل الأموال والأنفس

(1) مجموع فتاوى ورسائل العثيمين، العثيمين (ج50/26-51).

(2) ينظر: الفقه الإسلامي وأدلته، الزحيلي (ج8/5846).

(3) [صحيح البخاري، البخاري، الجهاد والسير/فضل الجهاد والسير، 4/15: حديث رقم 2785].

كما طلب الله من المؤمنين، وكما اشترى منهم أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة، فإما أن يقدر لهم الغلب أو يقدر لهم الاستشهاد فذلك شأنه سبحانه وذلك قدره المصحوب بحكمته، أما هم فلهم إحدى الحسنيين عند ربهم⁽¹⁾، قال ﷺ: ﴿وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: 35].

2- فضل الرباط:

"الرباط هو: الإقامة في الثغور، وهي: الأماكن التي يخاف على أهلها أعداء الإسلام، والمرابط هو: المقيم فيها المعد نفسه للجهاد في سبيل الله والدفاع عن دينه وإخوانه المسلمين"⁽²⁾، "والثغور التي يمكن أن تكون منافذ ينطلق منها العدو إلى دار الإسلام يجب أن تُحصَّن تحصيناً منيعاً حتى لا تكون جانب ضعف يستغله العدو، ويجعله منطلقاً له؛ ولهذا جعل الله للمرابطين في سبيله الثواب العظيم"⁽³⁾، وقد أمر الله المجاهدين بالرباط فقال ﷺ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: 200]، "والرباط يضاعف أجره إلى يوم القيامة، لأنه لا معنى للنماء إلا المضاعفة، وهي غير موقوفة على سبب فتنتقطع بانقطاعه، بل هي فضل دائم من الله تعالى إلى يوم القيامة، وهذا لأن أعمال البر كلها لا يتمكن منها إلا بالسلامة من العدو والتحرز منه بحراسة بيضة الدين وإقامة شعائر الإسلام، وهذا العمل الذي يجري عليه ثوابه هو ما كان يعمل من الأعمال الصالحة"⁽⁴⁾، "والرباط أفضل من المقام بمكة إجماعاً"⁽⁵⁾، قال ﷺ: «رِبَاطُ يَوْمٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا»⁽⁶⁾، وقال ﷺ: «رِبَاطُ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ خَيْرٌ مِنْ صِيَامِ شَهْرٍ وَقِيَامِهِ، وَإِنْ مَاتَ جَرَى عَلَيْهِ عَمَلُهُ الَّذِي كَانَ يَفْعَلُهُ، وَأُجِرِيَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ، وَأَمِنَ الْفِتَانَ»⁽⁷⁾، "والمرابطة الإقامة في مواقع الجهاد، وفي الثغور المعرضة لهجوم الأعداء، وقد كانت الجماعة المسلمة لا تغفل عيونها أبداً، ولا تستسلم للرقاد، فما هادئها أعداؤها قط، منذ أن نوديت لحمل أعباء الدعوة، والتعرض بها للناس، وما يهادنها أعداؤها قط في أي زمان أو في أي مكان وما تستغني عن المرابطة للجهاد، حيثما كانت إلى آخر الزمان، ولا يدرك الحاجة إلى هذا الحارس اليقظ، إلا من يعاني مشاق هذا الطريق ويعالج

(1) في ظلال القرآن، قطب (ج2/ 742-743).

(2) مجموع الفتاوى، ابن باز وآخرون (ج2/ 445).

(3) الجهاد في سبيل الله تعالى، القحطاني (ص 36).

(4) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (ج4/ 325).

(5) الفتاوى الكبرى، ابن تيمية (ج5/ 539).

(6) [صحيح البخاري، البخاري، الجهاد والسير/ فضل رباط يوم في سبيل الله، 4/ 35: حديث رقم 2892].

(7) [صحيح مسلم، مسلم، الامارة/ فضل الرباط في سبيل الله، 3/ 1520: حديث رقم 1913].

الانفعالات المتناقضة المتكاثرة المتواكبة في شتى الحالات وشتى اللحظات⁽¹⁾، "وفائدة الرباط أن يُعلم أنك لم تغفل عن عدوك وأنت لن تترك العدة والاستعداد له إلى أن يأتي بالمداهمة، ولكن تكون أنت مستعداً لها في كل وقت، والمرابطة تعني: الإعداد لكل ما يمكن أن يردَّ عن الحق صيحة الباطل"⁽²⁾.

3- فضل تجهيز الغازي وخلافته في أهله.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [الأنفال: 72]، وقال ﷺ: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [التوبة: 20]، وقال ﷺ: ﴿وَأَنْفَقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: 195]، "والجهاد كما يحتاج للرجال يحتاج للمال. ولقد كان المجاهد المسلم يجهز نفسه بعدة القتال، ومركب القتال، وزاد القتال، فلم تكن هناك رواتب يتناولها القادة والجند، إنما كان هناك تطوع بالنفس وتطوع بالمال، ولكن كثيراً من فقراء المسلمين الراغبين في الجهاد، والذود عن منهج الله وراية العقيدة، لم يكونوا يجدون ما يزودون به أنفسهم، ولا ما يتجهزون به من عدة الحرب، وكانوا يجيئون إلى النبي ﷺ يطلبون أن يحملهم إلى ميدان المعركة البعيد، الذي لا يبلغ على الأقدام من أجل هذا كثرت التوجيهات القرآنية والنبوية إلى الإنفاق في سبيل الله، الإنفاق لتجهيز الغزاة، وصاحبت الدعوة إلى الجهاد دعوة إلى الإنفاق في معظم المواضع، وهنا يعد عدم الإنفاق تهلكة ينهى عنها المسلمون، والإمساك عن الإنفاق في سبيل الله تهلكة للنفس بالشح، وتهلكة للجماعة بالعجز والضعف، وبخاصة في نظام يقوم على التطوع، كما كان يقوم الإسلام"⁽³⁾، "إن الله تعالى لما أمر بالقتال والاشتغال بالقتال لا يتيسر إلا بالآلات وأدوات يحتاج فيها إلى المال، وربما كان ذو المال عاجزاً عن القتال وكان الشجاع القادر على القتال فقيراً عديم المال، فلماذا أمر الله تعالى الأغنياء بأن ينفقوا على الفقراء الذين يقدر على القتال، ولزوم الإنفاق على كل ميسر، فإن كنت من رجال الدين فأنفق مالك في سبيل الله وفي طلب مرضاته، وإن كنت من رجال الدنيا فأنفق مالك في دفع الهلاك والضرر عن نفسك"⁽⁴⁾، وحقيقة الجهاد بذل الجهد والطاقة، والمال هو عصب الحرب وهو مدد الجيش، وهو أهم من الجهاد

(1) في ظلال القرآن، قطب (ج1/ 552).

(2) الخواطر، الشعراوي (ج4/ 1976).

(3) في ظلال القرآن، قطب (ج1/ 191-192) باختصار.

(4) مفاتيح الغيب، الرازي (ج5/ 293).

بالسلاح، فبالمال يشتري السلاح، وقد تستأجر الرجال كما في الجيوش الحديثة من الفرق الأجنبية، وبالمال يجهز الجيش، وكذلك من جانب آخر، قد يجاهد بالمال من لا يستطيع بالسلاح كالنساء والضعفاء، قال ﷺ: «مَنْ جَهَّزَ غَازِيًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَقَدْ غَزَا، وَمَنْ خَلَفَ غَازِيًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِخَيْرٍ فَقَدْ غَزَا»⁽¹⁾⁽²⁾.

ثانياً: أنواع الجهاد وحكمها.

1- جهاد الدفع:

"قتال الدفع أوسع من قتال الطلب وأعمّ وجوباً، ولهذا يتعيّن على كل أحد يقيم للجهاد، ويجاهد فيه العبد بإذن سيده وبدون إذنه، والولد بدون إذن أبيه، والغريم بغير إذن غريمه، وهذا كجهاد المسلمين يوم أحد والخندق"⁽³⁾، قال ﷺ: «وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ» [البقرة: 251]، وقال ﷺ: «وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهْدَمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ» [الحج: 40]، "وقتل الدفع هو أشد أنواع دفع الصائل عن الحرمه والدين فواجب إجماعاً فالعدو الصائل الذي يفسد الدين والدنيا لا شيء أوجب بعد الإيمان من دفعه فلا يشترط له شرط بل يدفع بحسب الإمكان"⁽⁴⁾، "فالجهاد واجباً عليهم؛ لأنه حينئذٍ جهاد ضرورة ودفع، لا جهاد اختيار، ومعلوم في اعتقاد جميع المسلمين أنه إذا خاف أهل الثغور من العدو، ولم تكن فيهم مقاومة لهم، فخافوا على بلادهم وأنفسهم وذرائعهم أن الفرض على كافة الأمة أن ينفر إليهم من يكف عاديّتهم عن المسلمين، وهذا لا خلاف فيه بين الأمة، إذ ليس من قول أحدٍ من المسلمين إباحة القعود عنهم حتى يستبيحوا دماء المسلمين وسبب ذرائعهم"⁽⁵⁾، "وإذا تعيّن الجهاد بغلبة العدو على قطر من الأقطار، وجب على جميع أهل تلك الدار أن ينفروا، ويخرجوا إليه خفافاً وثقلاً، شباباً وشيوخاً، كلٌّ على قدر طاقته، فإن عجز أهل تلك البلدة عن القيام بعدوهم كان على من قاربهم وجاورهم أن يخرجوا على حسب ما لزم أهل تلك البلدة حتى يعلموا أنّ منهم طاقة على القيام بهم ودفعهم، وكذلك كل من علم بضعفهم عن عدوهم وعلم أنه

(1) [صحيح البخاري، البخاري، الجهاد والسير/فضل من جهز غازياً، 4/ 27: حديث رقم 2843].

(2) أضواء البيان، الشنقيطي (ج8/ 113) باختصار.

(3) الفروسية، ابن قيم الجوزية (ص 188)، وينظر: الانتجاد، ابن المناصف (ص 46).

(4) الفتاوى الكبرى، ابن تيمية (ج5/ 538).

(5) أحكام القرآن، الجصاص (ج4/ 312).

يدركهم ويمكنه غياثهم لزمه الخروج إليهم، فالمسلمون كلهم يد على سواهم⁽¹⁾، "وجهادُ الدِّفع على درجاتٍ في التعيُّن والوجوب، فيختلف باختلاف ما يُدفع عنه، فالدفاع عن مكة والمدينة وبيت المقدس أكد من غيره في البلاد، والدفاع عن العلماء والمجاهدين والصلحاء أكد من غيره في العباد، والدفاع عن أعراض المؤمنين الطاهرات، والهاشميات الصالحات، أكد من غيره في الأعراس، وكل ذلك وكيدٌ محتتم"⁽²⁾.

2- جهاد الطلب:

"هو أن يغزو الكفار في بلادهم لدعوتهم إلى الله تعالى؛ فإن أبوا قبول الدعوة والإسلام، دُعوا إلى دفع الجزية، فإن أبوا فالقتال"⁽³⁾، قال ﷺ: ﴿كُنِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 216]، "أوضحت الآية أن الجهاد فرض، وهو امتحان للمؤمن، وطريق إلى الجنة، ويراد به قتال الأعداء من الكفار، وإنما كان الجهاد كرها، لأن فيه إخراج المال ومفارقة الوطن والأهل، والتعرض بالجسد للشجاج والجراح وقطع الأطراف وذهاب النفس، فكانت كراهيتهم لذلك، لا أنهم كرهوا فرض الله تعالى، وبالرغم من كراهة الجهاد لما فيه من المشقة، فإنه سبيل العزة والغلبة والنصر، أو الشهادة، وعند ما ترك المسلمون الجهاد، وجبنوا عن القتال، وأكثروا من الفرار، وتفرقت كلمتهم، وتشتتت وحدتهم، استولى العدو على بلادهم في الأندلس وفلسطين وغيرهما"⁽⁴⁾، "وجهاد الطلب الخالص؛ لا يرغب فيه إلا أحد رجلين: إما عظيم الإيمان يقاتل لتكون كلمة الله هي العليا، ويكون الدين كله لله، وإما راغب في المغنم والسبي، وجهاد الطلب الخالص لله يقصده سادات المؤمنين"⁽⁵⁾، قال ﷺ: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: 111]، "قال الجمهور من الأمة: أول فرضه إنما كان على الكفاية دون تعيين، غير أن النبي ﷺ كان إذا استنفرهم تعيين عليهم النفير لوجوب طاعته، والذي استمر عليه الإجماع أن الجهاد على كل أمة محمد ﷺ فرض كفاية، فإذا قام به من قام من المسلمين سقط عن

(1) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (ج8/ 151).

(2) الخلاصة في أحكام دفع الصائل، الشحوذ (ص 5)

(3) الجهاد في سبيل الله تعالى، القحطاني (ص 29).

(4) التفسير المنير، الزحيلي (ج2/ 263).

(5) الفروسية، ابن قيم الجوزية (ص 189).

الباقين⁽¹⁾، "جهاد المشركين مطلقاً وغزوهم في بلادهم حتى لا يكون فتنة ويكون الدين كله لله ليعم الخير أهل الأرض وتتسع رقعة الإسلام ويزول من طريق الدعوة دعاة الكفر والإلحاد، وينعم العباد بحكم الشريعة العادل، وتعاليمها السمحة، وليخرجوا بهذا الدين القويم من ضيق الدنيا إلى سعة الإسلام، ومن عبادة الخلق إلى عبادة الخالق سبحانه، ومن ظلم الجبابرة إلى عدل الشريعة وأحكامها الرشيدة، وهذا هو الذي استقر عليه أمر الإسلام وتوفي عليه نبينا محمد ﷺ⁽²⁾، قَالَ ﷺ: «أَمَرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الْإِسْلَامِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ»⁽³⁾، وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ الْفَتْحِ «لَا هِجْرَةَ، وَلَكِنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ، وَإِذَا اسْتَفْرَضْتُمْ فَأَنْقِرُوا»⁽⁴⁾، "أقل ما يفعل مرة في كل عام؛ لأن الجزية تجب على أهل الذمة في كل عام، وهي بدل عن النصر، فكذاك مبدلها وهو الجهاد، فيجب في كل عام مرة، إلا من عذر، مثل أن يكون بالمسلمين ضعف في عدد أو عدة، أو يكون ينتظر المدد يستعين به، أو يكون الطريق إليهم فيها مانع أو ليس فيها علف أو ماء، أو يعلم من عدوه حسن الرأي في الإسلام، فيطمع في إسلامهم إن أخر قتالهم، ونحو ذلك مما يرى المصلحة معه في ترك القتال، فيجوز تركه بهدنة فإن النبي ﷺ قد صالح قريشاً عشر سنين، وأخر قتالهم حتى نقضوا عهده، وأخر قتال قبائل من العرب بغير هدنة، وإن دعت الحاجة إلى القتال في عام أكثر من مرة وجب ذلك؛ لأنه فرض كفاية، فوجب منه ما دعت الحاجة إليه"⁽⁵⁾.

تحذير في ترك الجهاد:

قال تعالى: ﴿إِلَّا تَنْفَرُوا يُعَذِّبَكُمُ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التوبة: 39]، وقال ﷺ: ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: 195]، وقال ﷺ: ﴿رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [التوبة: 87]، "توعد الله تعالى من ترك الجهاد، بأن يعذبهم عذاباً مؤلماً في الدنيا

(1) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (ج3/ 38).

(2) مجموع الفتاوى، ابن باز وآخرون (ج2/ 439).

(3) [صحيح البخاري، البخاري، الإيمان/﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾]، 1/ 14: حديث رقم 25].

(4) [صحيح مسلم، مسلم، الحج/تحريم مكة، 3/ 1487: حديث رقم 1353].

(5) (المغني، ابن قدامة (ج9/ 198).

كالهلاك بالقحط وغلبة العدو، ويستبدل بهم قوماً غيرهم، لنصرة نبيه وإقامة دينه⁽¹⁾، "فمن ترك الجهاد عذبه الله عذاباً أليماً بالذل وغيره، ونزع الأمر منه فأعطاه لغيره، فإن هذا الدين لمن ذب عنه، ومتى جاهدت الأمة عدوها ألف الله بين قلوبها، وإن تركت الجهاد شغل بعضها ببعض"⁽²⁾، "والعذاب الذي يتهدد بهم ليس عذاب الآخرة وحده، فهو كذلك عذاب الدنيا، عذاب الذلة التي تصيب القاعدين عن الجهاد والكفاح، والغلبة عليهم للأعداء، والحرمان من الخيرات واستغلالها للمعادين وهم مع ذلك كله يخسرون من النفوس والأموال أضعاف ما يخسرون في الكفاح والجهاد ويقدمون على مذبح الذل أضعاف ما تتطلبه منهم الكرامة لو قدموا لها الفداء، وما من أمة تركت الجهاد إلا ضرب الله عليها الذل، فدفعت مرغمة صاغرة لأعدائها أضعاف ما كان يتطلبه منها كفاح الأعداء"⁽³⁾، قال ﷺ: «مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَغْزُ، وَلَمْ يُحَدِّثْ بِهِ نَفْسَهُ، مَاتَ عَلَى شُعْبَةٍ مِنْ نِفَاقٍ»⁽⁴⁾.

ثالثاً: حكمة مشروعية الجهاد:

1- إعلاء كلمة الله في الأرض:

ليكون الدين كله لله، وإخراج الناس من الظلمات إلى النور، ونشر الإسلام، وإقامة العدل⁽⁵⁾، قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ﴾ [البقرة: 193]، "إنما هو القتال لتلك الأهداف المحددة التي من أجلها شرع الجهاد في الإسلام، القتال لإعلاء كلمة الله في الأرض، وإقرار منهجه في الحياة، وحماية المؤمنين به أن يفتنوا عن دينهم، أو أن يجرفهم الضلال والفساد"⁽⁶⁾، "فتقاتلوه حتى تظهروا عليهم فلا يفتنوكم عن دينكم فلا تقعوا في الشرك، وقد أمر الله تعالى بقتالهم حتى لا يكون منهم القتال الذي إذا بدأوا به كان فتنة على المؤمنين لما يخافون عنده من أنواع المضار، فبقتالهم يزول الكفر ويثبت الإسلام، ويزول ما يؤدي إلى العقاب ويحصل ما يؤدي إلى الثواب"⁽⁷⁾، "ومن يقاتل في طلب إقامة دين الله وإعلاء

(1) التفسير المنير، الزحيلي (ج10/ 216).

(2) جامع المسائل، ابن تيمية (ج5/ 300).

(3) في ظلال القرآن، قطب (ج3/ 1655).

(4) [صحيح مسلم، مسلم، الإمارة/ ذم من مات ولم يغز، 3/ 1517: حديث رقم 1910].

(5) ينظر: مختصر الفقه الإسلامي، التوجيهي (ص 1027).

(6) في ظلال القرآن، قطب (ج1/ 187).

(7) مفاتيح الغيب، الرازي (ج5/ 291).

كلمة الله فيقتل: أي فيقتله أعداء الله، أو يغلبهم، فيظفر بهم فسوف نعطيهم في الآخرة ثواباً وأجراً عظيماً⁽¹⁾.

2- ابتلاء الله واختباره لعباده:

"اليتبين الصادق من الكاذب، والمؤمن من المنافق، وليُعلم المجاهد والصابر، وليس قتال الكفار لإلزامهم بالإسلام، ولكن لإلزامهم بالخضوع لأحكام الإسلام"⁽²⁾، قال ﷺ: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ﴾ [البقرة: 216]، ﴿قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ﴾ [آل عمران: 154]، "يتميز أهل الحق من أهل الباطل من بين الصفوف التي تقف ابتداء تحت راية الحق، ويظهر الصامدون الصابرون المثابرون الذين يستحقون نصر الله، لأنهم أهل لحمل أماناته، والقيام عليها، وعدم التفریط فيها تحت ضغط الفتنة والمحنة، عند ذلك يجمع الله الخبيث على الخبيث، فيلقي به في جهنم، وتلك غاية الخسران"⁽³⁾، "إن تقلب الأحوال بين الدول ليظهر العدل ويستقر النظام، ويعلم الناظر في السنن العامة، يظهر له أن الله تعالى بعلمه يريد تحقيق إيمان المؤمنين، وانكشاف الصابرين على مناجزة الأعداء، كقوله ﷺ: ﴿لِيُمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ [الأنفال: 37]، فيعلم الناس الفرق بينهما وبميزوه، ولذا لم يقبل النبي ﷺ لمطاردة المشركين في غزوة حمراء الأسد إلا من قاتل، فذهب المؤمنون الصادقون بالرغم من تعبهم وعنائهم"⁽⁴⁾.

3- باب من أبواب الجنة:

"إن الله يفتح للجندي باباً من أعظم الأبواب وأوسعها، كما يُذهب الله به الهم والغم، وتُثال به الدرجات العلى في الجنة"⁽⁵⁾، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١﴾ تُوْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢﴾ يَغْفِرَ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِينٌ طَيِّبَةٌ فِي جَنَّاتٍ عَذْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [الصف: 10 - 12]، وقال ﷺ: ﴿وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾ [الحديد: 19]، "إن الدين لا يقوم بغير حراسة ولا

(1) جامع البيان، الطبري (ج8/ 541).

(2) مختصر الفقه الإسلامي، التويجري (ص 1027).

(3) في ظلال القرآن، قطب (ج3/ 1507).

(4) التفسير المنير، الزحيلي (ج4/ 100).

(5) مختصر الفقه الإسلامي، التويجري (ص 1027).

يتحقق في الأرض بغير جهاد؛ لتأمين العقيدة وتأمين الدعوة وحماية أهله من الفتنة وشريعته من الفساد ومن ثم كان للشهداء في سبيل الله مقامهم، وكان لهم قريبهم من ربهم، القرب الذي يعبر عنه بأنهم «عند ربهم»، قال ﷺ: «أَرْوَاهُمْ فِي جَوْفِ طَيْرٍ خُضِرَ، لَهَا قَنَادِيلُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ، تَسْرُحُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَتْ، ثُمَّ تَأْوِي إِلَى تِلْكَ الْقَنَادِيلِ»⁽¹⁾، وقال: قال رسول الله ﷺ: «مَا أَحَدٌ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ يُحِبُّ أَنْ يَرْجَعَ إِلَى الدُّنْيَا، وَلَهُ مَا عَلَى الْأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا الشَّهِيدُ، يَتَمَنَّى أَنْ يَرْجَعَ إِلَى الدُّنْيَا، فَيُقْتَلَ عَشْرَ مَرَّاتٍ لِمَا يَرَى مِنَ الْكَرَامَةِ»⁽²⁾،⁽³⁾ "إن الذي خص الله به الشهداء، وأفاد المؤمنين بخبره عنهم تعالى ذكره، إعلامه إياهم أنهم مرزوقون من مآكل الجنة ومطاعمها في برزخهم قبل بعثهم، ومنعمون بالذي ينعم به داخلوها بعد البعث من سائر البشر، من لذيذ مطاعمها الذي لم يطعمها الله أحداً غيرهم، فذلك هو الفضيلة التي فضلهم بها من غيرهم، والفائدة التي أفاد المؤمنين بالخبر عنهم"⁽⁴⁾.

4- نصره المظلومين:

إن نصره المظلومين واجبة على المسلمين، قال تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا﴾ [النساء: 75]، قال ﷺ: ﴿إِذْ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ [الحج: 39]، "إن الجهاد واجب، فلا عذر للمسلمين في ترك المقاتلة وقد بلغ حال المستضعفين من الرجال والنساء والولدان من المسلمين إلى ما بلغ في الضعف، فهذا حث شديد على القتال، وبيان العلة التي لها صار القتال واجباً، وهو ما في القتال من تخليص هؤلاء المؤمنين من أيدي الكفرة"⁽⁵⁾، "فأوجب تعالى الجهاد لإعلاء كلمته وإظهار دينه واستنقاذ المؤمنين الضعفاء من عباده، وإن كان في ذلك تلف النفوس، وتخليص الأسارى واجب على جماعة المسلمين إما بالقتال وإما بالأموال"⁽⁶⁾.

(1) [صحيح مسلم، مسلم، الإمامة/بيان أن أرواح الشهداء في الجنة، 3/ 1502: حديث رقم 1887].

(2) [صحيح البخاري، البخاري، الجهاد والسير/تمني المجاهد أن يرجع إلى الدنيا، 4/ 22: حديث رقم 2817].

(3) في ظلال القرآن، قطب (ج6/ 3490).

(4) جامع البيان، الطبري (ج3/ 216).

(5) مفاتيح الغيب، الرازي (ج10/ 141).

(6) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (ج5/ 279).

5- رد العدوان:

"وبه يكون حفظ الإسلام، وحماية عقيدة التوحيد، قال تعالى: ﴿فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: 194]، وقال تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهْدَمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾⁽¹⁾، "شرع القتال في سبيل الله لرد العدوان وحماية الدعوة، وحرية الدين الإلهي، وكان تشريع القتال متصفاً بالعدل والحق، فهو لا اعتداء فيه على أحد، ولا يتجاوز فيه ما تقتضيه الضرورة الحربية، وليس الهدف منه التدمير والتخريب، ولا الإرهاب المجرد، فلا يقتل غير المقاتلين، ولا تقتل النساء والصبيان ونحوهم من الرهبان والعجزة والمرضى والشيخوخ، ولا تقطع الزروع والثمار، ولا تذبح الحيوانات إلا لمأكلة، كما جاء في الوصايا النبوية ووصايا الخلفاء الراشدين"⁽²⁾، "وإن القوة المادية التي يملكها الباطل قد تزلزل القلوب وتفتن النفوس وتزيغ الفطرة، وللصبر حد وللاحتمال أمد، وللطاقة البشرية مدى تنتهي إليه، والله أعلم بقلوب الناس ونفوسهم، ومن ثم لم يشأ أن يترك المؤمنين للفتنة، إلا ريثما يستعدون للمقاومة، ويتهيأون للدفاع، ويتمكنون من وسائل الجهاد، وعندئذ أذن لهم في القتال لرد العدوان"⁽³⁾.

6- إذلال الكفار، وإرغام أنوفهم، والانتقام منهم:

قال سبحانه: ﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْرِجُهُمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: 14]، قال صاحب المنار: "باشروا قتالهم كما أمرتم فإنكم إن قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم بتمكينها من رقابهم قتلاً، ومن صدورهم ونحورهم طعناً، يعقبهم في قلوبهم بأساً، لا يدع في أنفسهم بأساً"⁽⁴⁾، "قاتلوهم يجعلكم الله ستار قدرته، وأداة مشيئته، فيعذبهم بأيديكم ويخزهم بالهزيمة وهم يتخايلون بالقوة، وينصركم عليهم ويشف صدور جماعة من المؤمنين ممن آذاهم وشردهم المشركون، يشفها من غيظها المكظوم، بانتصار الحق كاملاً،

(1) الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى، القحطاني (ج2/ 524).

(2) التفسير المنير، الزحيلي (ج2/ 183).

(3) في ظلال القرآن، قطب (ج4/ 2424).

(4) تفسير المنار، رضا (ج10/ 177).

وهزيمة الباطل، وتشريد المبطلين⁽¹⁾، وقد ضمن الله للمسلمين من تلك المقاتلة عدة فوائد، تشتمل كل فائدة منها على كرامة للمؤمنين وإهانة لهؤلاء المشركين كالتالي:

الأولى: تعذيب المشركين بأيدي المسلمين وهذه إهانة للمشركين وكرامة للمسلمين.

الثانية: خزي المشركين وهو يستلزم عزة المسلمين.

الثالثة: نصر المسلمين، وهذه كرامة صريحة لهم وتستلزم هزيمة المشركين وهي إهانة لهم.

الرابعة: شفاء صدور فريق من المؤمنين، وهذه صريحة في شفاء صدور طائفة من المؤمنين وهم خزاعة، وتستلزم شفاء صدور المؤمنين كلهم، وتستلزم حرج صدور أعدائهم.

الخامسة: إذهاب غيظ قلوب فريق من المؤمنين أو المؤمنين كلهم، وتستلزم إغاضة أعدائهم⁽²⁾.

رابعاً: آداب الجهاد.

أهم آداب الجهاد في الإسلام:

1- **التوكل على الله:** وحسن تقواه، وطلب النصر منه وحده، قال تعالى: ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرْكُم مِّنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [آل عمران: 160]، "يعني لما ثبت أن الأمر كله بيد الله، وأنه لا راد لقضائه ولا دافع لحكمه، وجب أن لا يتوكل المؤمن إلا عليه، وقوله: وعلى الله فليتوكل المؤمنون يفيد الحصر، أي على الله فليتوكل المؤمنون لا على غيره⁽³⁾.

2- **ذكر الله وتكبيره:** والصدق في القتال، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأنفال: 45]، "هذه هي عوامل النصر الحقيقية: الثبات عند لقاء العدو، والاتصال بالله بالذكر، فاذكروا الله عند جزع قلوبكم، فإن ذكره يعين على الثبات في الشدائد، والطاعة لله والرسول⁽⁴⁾"، "ذكر الله كثيراً: بذكره في القلب واللسان، والتضرع والدعاء بالنصر والظفر لأن النصر لا يحصل إلا بمعونة الله تعالى، وذكر الله في أثناء القتال يحقق معنى العبودية لله، ويشعر بمعنى الإيمان والتقويض لله

(1) في ظلال القرآن، قطب (ج3/ 1612).

(2) ينظر: التحرير والتوير، ابن عاشور (ج10/ 135).

(3) ينظر: مفاتيح الغيب، الرازي (ج9/ 411).

(4) في ظلال القرآن، قطب (ج3/ 1528).

والتوكل عليه، ويقوي الروح المعنوية، فبذكره تطمئن القلوب، ويؤمل النصر والفرج، وبدعائه تتبدد الكروب والمخاوف، ويحلو الموت في سبيل الله عز وجل⁽¹⁾.

3- الدعاء والصبر والإخلاص لله في العمل: قال تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِينَ﴾ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿[الأنفال: 9-10]، "وإن الدعاء في وقت الشدة وفي أثناء المعركة مفيد ومحقق للغاية، لأن الدعاء آية الإيمان، والعون على الثبات"⁽²⁾.

4- اجتناب المعاصي: فهي أعظم سبب لتسلط الكفار على المسلمين، قال ﷺ: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾ [الشورى: 30]، "أي ما يعجل الله تعالى من مصائب عقابه إما على جهة المحنة أو على جهة العقوبة المعجلة فبذنوبكم ولا يعجل المحنة والعقاب على كثير منها"⁽³⁾.

5- عرض الإسلام على الكفار الذين لم تبلغهم الدعوة: فإن أبوا فالجزية، فإن أبوا حل قتالهم، قال تعالى: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [التوبة: 29].

6- البعد عن الفخر والعجب والرياء: قال ﷺ: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ﴾ ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَدَّ بَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿[التوبة: 25-26]، "ويوم حنين الذي هزموا فيه بكثرتهم ثم نصرهم الله بقوته، يوم أن انضم إلى جيش الفتح ألفان فقط من الطلقاء، يوم أن غفلت قلوب المسلمين لحظات عن الله مأخوذة بالكثرة في العدد والعتاد؛ ليعلم المؤمنون أن التجرد لله، وتوثيق الصلة به هي عدة النصر التي لا تخذلهم حين تخذلهم الكثرة في العدد والعتاد وحين يخذلهم المال والإخوان والأولاد"⁽⁴⁾.

(1) التفسير المنير، الزحيلي (ج10 / 24).

(2) المرجع السابق (ج2 / 435).

(3) مفاتيح الغيب، الرازي (ج3 / 579).

(4) في ظلال القرآن، قطب (ج3 / 1616).

7- سؤال الله العافية: وعدم تمني لقاء العدو، قال ﷺ: «أَيُّهَا النَّاسُ، لَا تَتَمَنَّوْا لِقَاءَ الْعَدُوِّ، وَاسْأَلُوا اللَّهَ الْعَافِيَةَ، فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاصْبِرُوا، وَاعْلَمُوا أَنَّ الْجَنَّةَ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ»⁽¹⁾، "أي لا محيص للإنسان عما قدره الله له وعليه، ولكن أمرنا الله تعالى بالتحرز من المخاوف والمهلكات، وباستفراغ الوسع في التوقي من المكروهات"⁽²⁾.

8- عدم تحريق الآدمي والحيوان بالنار: فعن أبي هريرة رضي الله عنه، أَنَّهُ قَالَ: بَعَثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي بَعْثٍ فَقَالَ: «إِنْ وَجَدْتُمْ فَلَانًا وَفُلَانًا فَأَحْرِقُوهُمَا بِالنَّارِ»، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ أَرَدْنَا الْخُرُوجَ: «إِنِّي أَمَرْتُكُمْ أَنْ تُحْرِقُوا فَلَانًا وَفُلَانًا، وَإِنَّ النَّارَ لَا يُعَذَّبُ بِهَا إِلَّا اللَّهُ، فَإِنْ وَجَدْتُمُوهُمَا فَأَقْتُلُوهُمَا»⁽³⁾، "ومن ثم كانت تلك الآداب مرعية حتى مع أعدائهم الذين فتنوهم ومثلوا ببعضهم أشنع التمثيل، ولما فار غضب برسول الله ﷺ فأمر بحرق فلان وفلان (رجلين من قريش) عاد فنهى عن حرقهما، لأنه لا يحرق بالنار إلا الله"⁽⁴⁾.

9- عدم قتل النساء والأطفال والشيوخ الكبار والرهبان إذا لم يقاتلوا: وكل من اجتنب الحرب لا يحل قتله، فإن قاتلوا، أو حرّضوا، أو كان لهم رأي وتدبير في الحرب قُتلوا، قال ﷺ: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [البقرة: 190]، "والعدوان يكون بتجاوز المحاربين المعتدين إلى غير المحاربين من الأمنيين المسالمين الذين لا يشكلون خطرا على الدعوة الإسلامية ولا على الجماعة المسلمة، كالنساء والأطفال والشيوخ والعباد المنقطعين للعبادة من أهل كل ملة ودين"⁽⁵⁾.

10- النهي عن الغلول: قال ﷺ: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ وَمَنْ يَغُلَّ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [آل عمران: 161]، "والغلول هو الخيانة، إلا أنه في عرف الاستعمال صار مخصوصا بالخيانة في الغنيمة"⁽⁶⁾، "ولقد كان من بين العوامل التي جعلت الرماة يزيلون مكانهم من الجبل، خوفهم ألا يقسم لهم رسول الله ﷺ من الغنائم، كذلك كان بعض المنافقين قد تكلموا بأن بعض غنائم بدر من قبل قد اختفت ولم يستحوا

(1) [صحيح البخاري، البخاري، الجهاد والسير/كان النبي ﷺ إذا لم يقاتل أول النهار آخر القتال حتى تزول الشمس، 4/ 51: حديث رقم 2966].

(2) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (ج3/ 233).

(3) [صحيح البخاري، البخاري، الجهاد والسير/لا يعذب بعذاب الله، 4/ 61: حديث رقم 3016].

(4) في ظلال القرآن، قطب (ج1/ 189).

(5) المرجع السابق، ج1/ 188.

(6) مفاتيح الغيب، الرازي (ج9/ 411).

أن يهمسوا باسمه ﷺ في هذا المجال، فهنا يأتي السياق بحكم عام ينفي عن الأنبياء عامة إمكان أن يغلوا، أي أن يحتجزوا شيئاً من الأموال والغنائم أو يقسموا لبعض الجند دون بعض، أو يخونوا إجمالاً في شيء، فهو ليس من شأنه ﷺ أصلاً ولا من طبعه ولا من خلقه، فالنفي هنا نفي لإمكان وقوع الفعل، وليس نفياً لحله أو جوازه، فطبيعة النبي الأمانة العادلة العفيفة لا يتأتى أن يقع منها الغلول ابتداءً، ثم يهدد الذين يغلون، ويخفون شيئاً من المال العام أو من الغنائم، ذلك التهديد المخيف⁽¹⁾.

11- طاعة الأمير: وعدم منازعته أمر الجهاد، قال ﷺ: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال: 46]، "أن حصول التنازع ضد مصلحة العالم لأن ذلك يفضي إلى الهرج والمرج والقتل والنهب، فلهذا السبب أمر الله تعالى بإقامة الدين على وجه لا يفضي إلى التفرق"⁽²⁾، "وذهبت ريح أصحاب محمد ﷺ حين نازعوه يوم أحد"⁽³⁾، فكان لزاماً على الجندي التزام الطاعة؛ لأن القائد يستطيع أن يقدر الموقف بحسب ما توفر لديه من كم معلوماتي لم يصل إليه الجندي فلزمت الطاعة.

المطلب الرابع: الجندية الأمنية

"إن سيادة المنهج الإلهي في مجتمع معناه أن يجد كل عامل جزاءه العادل في هذا المجتمع، وأن يجد كل فرد الأمن والسكينة والاستقرار الاجتماعي، فضلاً على الأمن والسكينة والاستقرار القلبي بالإيمان، ومن شأن هذا كله أن يتمتع الناس متاعاً حسناً في هذه الدنيا قبل أن يلقوا جزاءهم الأخير في الآخرة"⁽⁴⁾، "فنعمة الأمن نعمة ماسة بالإنسان، عظيمة الوقع في حسه، متعلقة بحرصه على نفسه"⁽⁵⁾، وفي هذا المطلب سنتناول النقاط التالية:

(1) في ظلال القرآن، قطب (ج1/ 504).

(2) مفاتيح الغيب، الرازي (ج27/ 588).

(3) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (ج8/ 25).

(4) في ظلال القرآن، قطب (ج4/ 1905).

(5) المرجع السابق (ج4/ 2109).

أولاً: شروط تعيين جندي الأمن.

العمل في جهاز الأمن من أخطر أنواع العمل في الدولة المسلمة لتعلقه بأسرار الدولة وأمنها، ولما كان الأمر كذلك وجب توفر شروط معينة، وضوابط محكمة لاختيار العاملين في هذا الجهاز الحساس، ومن أبرز هذه الشروط:

1- الإسلام:

جهاز الأمن شديد الحساسية، لذا يمنع تعيين المشترك أو الذمي، لأنه لا سبيل لهؤلاء على المؤمنين، قال تعالى: ﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ [النساء: 141]، ومن ولى ذمياً على مسلم فقد جعل له سبيلاً عليه، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: 51]، "أن موالاة الكفار بمعنى الركون إليهم والمعونة، والمظاهرة، والنصرة إما بسبب القرابة، أو بسبب المحبة مع اعتقاد أن دينه باطل فهذا لا يوجب الكفر إلا أنه منهي عنه، لأن الموالاة بهذا المعنى قد تجره إلى استحسان طريقته والرضا بدينه، وذلك يخرجهم عن الإسلام فلا جرم هدد الله تعالى فيه فقال: ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً﴾ [آل عمران: 28] ⁽¹⁾، قال أبو موسى الأشعري لعمر بن الخطاب رضي الله عنه: إن لي كاتباً نصرانياً، فقال: مالك قاتلك الله، ألا اتخذت حنيفاً، أما سمعت قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ﴾ [المائدة: 51] قلت: له دينه ولي كتابته، فقال: لا أكرمهم إذا أهانهم الله، ولا أعزهم إذا أذلهم الله، ولا أدنيهم إذا أبعدهم الله، قلت: لا يتم أمر البصرة إلا به، فقال: مات النصراني والسلام، فما تصنع بعده، فما تعمله بعد موته فاعمله الآن واستغن عنه بغيره" ⁽²⁾؛ وذلك أنهم لا يخلصون النصيحة، ولا يؤدون الأمانة" ⁽³⁾.

"ولم يثبت في كتب السنة أو السيرة، أن النبي ﷺ، أو الخلفاء الراشدين أسندوا مهمة أمنية لغير المسلمين بل جميع المهمات الأمنية كانت تسند للمسلمين دون سواهم، ولكن كانوا يستعينون بغير المسلمين كمصادر بشرية للمعلومات كما حدث ذلك في مواطن عديدة من أبرزها: الاستعانة بعبد الله بن أريقط في الهجرة، استعانوا به كدليل لهم، وكذلك استعان سيدنا

(1) مفاتيح الغيب، الرازي (ج8/ 192).

(2) المرجع السابق، ج12/ 375.

(3) أحكام القرآن، ابن العربي (ج2/ 139).

أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه بأهل السامرة⁽¹⁾ بالأردن وفلسطين، وكانوا أهل ذمة استعان بهم في جمع المعلومات عن الروم⁽²⁾، وبناء على ذلك لا يجوز تعيين المشركين في جهاز الأمن، ولكن يمكن الاستفادة منهم في مهمات معلوماتية خاصة ومحدودة.

2- العقل.

الخطاب لا يوجه إلا لمن يفهمه، إذ لا يفهم الخطاب إلا العاقل، وإن العمل الأمني تكليف، والتكليف لا يكون إلا لعاقل، فهو يحتاج إلى تفكير وحسن تدبير وتصرف، وكل ذلك لا يتوفر إلا لمن يتوفر فيه العقل، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [العنكبوت: 35] وقال ﷺ: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَى﴾ [طه: 128] وقال ﷺ: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: 21] وقال ﷺ: «رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلَاثَةٍ: عَنِ النَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ، وَعَنِ الصَّبِيِّ حَتَّى يَحْتَلِمَ، وَعَنِ الْمَجْنُونِ حَتَّى يَعْقِلَ»⁽³⁾، وعليه فلا يستقيم أن نوظف في جهاز الأمن الإسلامي إلا من يتمتع بكامل قواه العقلية، فأى نقص أو أي ضعف في القوة العقلية يمنع الفرد من أن ينتمي لهذا الجهاز، فلا بد من مراعاة هذا الشرط عند اختيارنا للعاملين في هذا المجال⁽⁴⁾.

3- العلم.

"اعلم أن مهمة جندي الأمن غاية في الحساسية وذلك لأن مهمته متعلقة بالرقابة والاطلاع على أسرار العباد وتصرفاتهم، فلا بد أن يتعرف هذا الجندي على حكم التجسس وحدوده وحكم التهديد والتعذيب والحبس والتخريب وغيرها مما هو من متطلبات العمل الأمني حتى يقوم بأداء عمله على علم وهدى وبصيرة، فلا يظلم ولا يتجاوز حدود الشرع الحنيف"⁽⁵⁾، قال تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ [النساء: 83]، "وأولوا الأمر هم أهل العلم والفقهاء"⁽⁶⁾، والاستنباط منه لا

(1) السامرة: هي مدينة نابلس، ينظر: آثار البلاد وأخبار العباد (ص 277).

(2) السيرة النبوية، الندوي (ص 139).

(3) [سنن أبي داود، أبو داود، الحدود/في المجنون يسرق أو يصيب حدا، 4 / 141: حديث رقم: 44403]، قال

الألباني: صحيح/ صحيح الجامع الصغير وزيادته (ج 1/ 659).

(4) رجل الأمن في الاسلام، أحمد (ص 11) بتصريف.

(5) المصدر السابق.

(6) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (ج 5 / 291).

يمكن إلا مع الإحاطة بمعناه⁽¹⁾، "أي لو أنهم ردوا ما يبلغهم من أنباء الأمن أو الخوف إلى الرسول ﷺ إن كان معهم، أو إلى أمرائهم المؤمنين، لعلم حقيقته القادرون على استتباط هذه الحقيقة واستخراجها من ثنايا الأنبياء المتناقضة، والملابسات المتراكمة"⁽²⁾.

4- العدالة.

"العدالة تعني الاستقامة"⁽³⁾، "وهي أن يكون متجنباً للكبائر، ولا يكون مصراً على الصغائر، ويكون صلاحه أكثر من فساد، وصوابه أكثر من خطئه"⁽⁴⁾.

فشرط العدالة ركن أساسي في اختيار رجل الأمن لأن العمل في الأمن يعد مهمة حساسة، والفساق ليس أهلاً لها، لأنه يكون بمثابة الشاهد في أغلب الأحيان، فلا تقبل شهادته إلا أن يكون عدلاً، قال تعالى: ﴿وَأَشْهِدُوا ذَوِي عَدْلٍ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ﴾ [الطلاق: 2]، وقال ﷺ: ﴿وَأَسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ﴾ [البقرة: 282]، والفساق لا يستأمن ولا نرضى شهادته، "فقد دل قوله ﷺ: ﴿ذَوِي عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾ أن قد يكون منا فاسق، وأن الفسق لا يخرج من الإيمان، وكذلك قوله: ﴿مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ﴾، فثبت أن قد يكون منا من لا يرضى، وأن خروجه ممن يرضى لا يخرج من الإيمان"⁽⁵⁾، "فلهذا يجب على كل ولي أمر أن يستعين بأهل الصدق والعدل، وإذا تعذر ذلك استعان بالأمثل فالأمثل وإن كان فيه كذب وظلم، فإن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر وبأقوام لا خلاق لهم، والواجب إنما هو فعل المقدور"⁽⁶⁾.

ولا ينتهي دور القائمين على جهاز الأمن باختيار من يحمل هذه الصفات بل لا بد من المتابعة والمراقبة لجندي الأمن لأنه قد يخون الأمين، ويكذب الصادق وبخاصة في مجال المخابرات التي يكثر فيها المغريات المادية والمعنوية التي يتعرض لها العاملون في هذا المجال، فإن تركهم قد يقود للانحراف فيصير عيناً عليك بدلاً من أن يكون عيناً لك.

(1) مفاتيح الغيب، الرازي (ج2/ 251).

(2) في ظلال القرآن، قطب (ج2/ 724).

(3) القاموس المحيط، الفيروز أبادي (ص 1030).

(4) الدر المختار، ابن عابدين (ج5/ 465).

(5) تأويلات أهل السنة، الماتريدي (ج10/ 55).

(6) الحسبة في الإسلام، ابن تيمية (ص 12).

5- تكليف الإمام.

"مهمة الإمام حفظ الدين على الأصول التي أجمع عليها سلف الأمة، فإن زاغ ذو شبهة عنه بين له الحجة وأوضح له الصواب، وأخذه بما يلزمه من الحقوق والحدود، ليكون الدين محروساً من خلل والأمة ممنوعة من الزلل"⁽¹⁾.

ولما كان الإمام عاجزاً بنفسه عن القيام بمهمة الأمن لزمه الاستعانة بغيره في ذلك، فكان عليه استكفاء الأمناء وتقليد النصحاء فيما يفوضه إليهم من الأعمال، وينوب في التكليف عن الامام من يفوضهم الامام لولاية البلاد من الحكام والوزراء، وكذلك من قيادات العمل الأمني والاستخباري في الدولة⁽²⁾.

ثانياً: صفات رجل الأمن.

1- الاخلاص منذ الوهلة الأولى.

العمل الأمني عبادة من أدق العبادات وأخطرها وأكثرها عرضة للفتن، وحتى ينال صاحبها محبة الله أولاً ومحبة الناس فلا بد له من إخلاص هذه العبادة، قال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [البينة: 5]، فإذا أحب الله هذا الجندي فسيوضع له القبول في الأرض، كما قال رسولنا المعلم ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ فَقَالَ: إِنِّي أَحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبُّهُ، قَالَ: فَيَحِبُّهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يَنَادِي فِي السَّمَاءِ فَيَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ، فَيَحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، قَالَ ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ»⁽³⁾، وقبول رجل المخابرات عند الناس له أثره الكبير في ازالة الصورة الذهنية السيئة عنه، ليلتف الناس حوله ويكونوا عوناً وسنداً له في أداء مهماته.

الإخلاص هو السمة الواضحة في أفراد جهاز المخابرات النبوي، فعند استعراض أسماء الأشخاص الذين كانوا يعملون في جهاز مخابرات المصطفى ﷺ، نجدهم من الذين يشهد لهم بالإيمان الراسخ والاخلاص الواضح، والتفاني في خدمة الإسلام، فقد ضم هذا الجهاز سيدنا أبا بكر الصديق ﷺ في مهمة الحراسة الشخصية في الهجرة، وسيدنا عمر ﷺ في بعض المهام الحساسة، وعلي ﷺ في مهمة النوم في الفراش وغيرها وحذيفة صاحب الاختراق المشهور،

(1) الأحكام السلطانية، الفراء (ص 27).

(2) المرجع السابق (ص 28) باختصار.

(3) [صحيح مسلم، مسلم، البر والصلة والآداب/إذا أحب الله عبداً حبيه لعباده، 4/ 2030:حديث رقم 2637].

وعبد الله بن أنيس رضي الله عنه صاحب مهمة قتل سفيان بن خالد، ومحمد بن مسلمة رضي الله عنه منفذ عملية اغتيال كعب بن الأشرف وغيرهم من الصحابة الكرام، لم يكن دافعهم الشهرة أو السعي وراء لقمة العيش أو الخروج من مصيبة أو من أجل الانتقام من شخص ما، أو من أجل تحقيق مآرب الدنيا، بل كان رائدهم مرضاة الله تعالى، والسعي لجنة عرضها السماوات والأرض⁽¹⁾.

وعليه فلا بد لنا أن نتأسى بهؤلاء العظام في اخلاصهم وتفانيهم في عملهم حتى يكتب الله لنا التوفيق والسداد، كما كتبه ويسره لهم.

2- الصدق والتبين والتثبت من صحة المعلومة.

إن العمل في جهاز الأمن يحتاج إلى الدقة المتناهية وذلك لأن كل معلومة ترد إلى جندي الأمن ينبغي عليها قرار، فإذا كانت المعلومة خاطئة فستكون النتائج كارثية، لذلك فقد نبهنا الشارع الحكيم إلى التثبت والتبين وتحري الدقة في الحصول على المعلومة فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْحِرُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ [الحجرات: 6]، "إن مدلول الآية عام، وهو يتضمن مبدأ التمهيص والتثبت من خبر الفاسق فأما الصالح فيؤخذ بخبره، لأن هذا هو الأصل في الجماعة المؤمنة، وخبر الفاسق استثناء، والأخذ بخبر الصالح جزء من منهج التثبت لأنه أحد مصادره، أما الشك المطلق في جميع المصادر وفي جميع الأخبار، فهو مخالف لأصل الثقة المفروض بين الجماعة المؤمنة، ومعطل لسير الحياة وتنظيمها في الجماعة، والإسلام يدع الحياة تسير في مجراها الطبيعي، ويضع الضمانات والحوجز فقط لصيانتها لا لتعطيلها ابتداء فالأصل في الجماعة المؤمنة أن يكون أفرادها موضع ثقتهما، وأن تكون أنبأؤهم مصدقة مأخوذاً بها، فأما الفاسق فهو موضع الشك حتى يثبت خبره، وبذلك يستقيم أمر الجماعة وسطاً بين الأخذ والرفض لما يصل إليها من أنباء،"⁽²⁾، "وإن الله تعالى أمر بالتثبت قبل القبول، ولا معنى للتثبت بعد إنفاذ الحكم، فإن حكم الحاكم قبل التثبت فقد أصاب المحكوم عليه بجهالة"⁽³⁾، "فلا تعجل الجماعة في تصرف بناء على خبر فاسق، فتصيب قوماً بظلم عن جهالة وتسرع، فتندم على ارتكابها ما يغضب الله، وبجانب الحق والعدل في اندفاع"⁽⁴⁾، "وفي الآية مراعاة للمؤمنين حيث لم ينسب جميع آرائهم إلى الخطأ، وفيه إشارة إلى تصويب رأي بعضهم، ووجوب التثبت من الأخبار المنقولة والروايات المروية، أخذاً

(1) المخابرات في الدولة الإسلامية، العوض (ص 230).

(2) في ظلال القرآن، قطب (ج6/ 3341).

(3) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (ج16/ 313).

(4) في ظلال القرآن، قطب (ج6/ 3341).

بالحيطة والحذر، ومنعاً من إيذاء الآخرين بخطأ فادح، فيصبح المتسرع في الحكم والتصديق نادماً على العجلة وترك التأمل والتأني⁽¹⁾.

3- الصبر على مشاق العمل وتبعاته.

الجندي الأمني يتميز عن غيره من الجنود بصفة الصبر، ذلك لما يتسم العمل الأمني من المشاق والمتاعب في الحصول على المعلومة عند متابعة الخارجين عن القانون وملاحقة المجرمين المعتدين، وقد أمر الله ﷻ بالصبر في أكثر من سبعين موضعاً، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: 200]، وقال ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: 153]، وقال ﷻ: ﴿وَإِنْ تَصَبَّرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً﴾ [آل عمران: 120]، "والصبر حبس النفس على ما يقتضيه العقل أو الشرع، أو على العبد عما يقتضيان حبسها عنه، وصابروا الكفار أي: غالبوهم بالصبر فلا يكونوا أشد منكم"⁽²⁾، "فاصبروا على الدين وتكاليفه وصابروا أعداء الله في الجهاد، بالمغالبة في الصبر على شدائد الحرب لا تكونوا أقل صبراً منهم وثباتاً"⁽³⁾، "وخص المصابرة بالذكر بعد أن ذكر الصبر: لكونها أشد منه وأشق وأكمل وأفضل من الصبر على ما سواه"⁽⁴⁾.

"إذا فلا بد لرجل الأمن أن يكون صبوراً على ما لعله يصير إليه من عقوبة إن ظفر به العدو بحيث لا يخبر بأحوال ملكه ولا يطلع على وهن في مملكته؛ فإن ذلك لا يخلصه من يد عدوه، ولا يدفع سطوته عنه، بل ولا يعرف أنه جاسوس أصلاً؛ فإن ذلك مما يحتم هلاكه ويفضي إلى حقه"⁽⁵⁾.

4- الحكمة في اتخاذ القرار.

الحكمة في اتخاذ القرار مما يميز جندي الأمن ويعينه في تأدية واجبه على أتم وجه "وتعني: العدل، والعلم، والحلم، والإتقان، والمنع عن الفساد"⁽⁶⁾، قال تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: 269]، "يعني بذلك جل ثناؤه: يؤتي الله

(1) التفسير المنير، الزحيلي (ج26 / 228).

(2) دليل الفالحين، ابن علان (ج1 / 145).

(3) الكشف، الزمخشري (ج1 / 460).

(4) فتح القدير، الشوكاني (ج1 / 475)، وينظر: فتح البيان، صديق خان (ج2 / 409).

(5) صبح الأعشى، القلقشندي (ج1 / 160).

(6) القاموس المحيط، الفيروز أبادي (ص 1095).

الإصابة في القول والفعل من يشاء من عباده، ومن يؤت الإصابة في ذلك منهم، فقد أوتي خيراً كثيراً⁽¹⁾، "والحكيم عند الله: هو العالم العامل"⁽²⁾، "فمن أوتي الحكمة فقد أوتي القصد والاعتدال فلا يفحش ولا يتعدى الحدود وأوتي إدراك العلل والغايات فلا يضل في تقدير الأمور وأوتي البصيرة المستنيرة التي تهديه للصالح الصائب من الحركات والأعمال، وذلك خير كثير متنوع الألوان"⁽³⁾.

"ومن هنا تظهر الحاجة إلى هذه الصفة التي تجعل من رجل الأمن يتصرف التصرف الحكيم، الرشيد في عمله الأمني، فيختار المنهج المناسب مع العدو، ومن ثمة الوسيلة المثلى للحصول على مبتغاه، ومن أساليب الحكمة أن يستخدم الرفق حيث تكون الحاجة إليه، والحزم حيث لا ينفع اللين، فيظهر في كل مقام بما يناسبه، وإذا أخل بذلك جنى نتائج عكسية وأساء أكثر مما أحسن وأفسد أكثر مما أصلح، ورجل الأمن أشبه برسول ولي الأمر إلى الناس فعليه أن يبذل ما في وسعه لتحقيق الهدف الذي من أجله أرسل والمتمثل في الأمن والحفاظ على أسرار الأمة"⁽⁴⁾.

5- الطاعة والتقيّد بالأوامر.

الطاعة هي أساس العمل الأمني، والطاعة التامة لتنفيذ الأوامر هي دعامة نجاح عمل الأمن والاستخبارات، وذلك لاختلاف وخطورة المهام الموكلة لرجل الأمن، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [النساء: 59]، ويتمثل لنا رجل الأمن الأول الصحابي الجليل حذيفة بن اليمان ؓ في شدة التزامه وانضباطه يوم الخندق حين قال له رسولنا الكريم ﷺ: "أَذْهَبْ فَأَتِنِي بِخَبَرِ الْقَوْمِ، وَلَا تَدْعُهُمْ عَلَيَّ"، يَقُولُ: فَلَمَّا وَلَّيْتُ مِنْ عِنْدِهِ جَعَلْتُ كَأَنَّمَا أَمْشِي فِي حَمَامٍ حَتَّى أَتِيَهُمْ، فَرَأَيْتُ أَبَا سُفْيَانَ يَصْلِي ظَهْرَهُ بِالنَّارِ، فَوَضَعْتُ سَهْمًا فِي كَيْدِ الْقَوْسِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَرْمِيَهُ، فَذَكَرْتُ قَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «وَلَا تَدْعُهُمْ عَلَيَّ»، وَلَوْ رَمَيْتُهُ لَأَصْبَبْتُهُ فَرَجَعْتُ وَأَنَا أَمْشِي فِي مِثْلِ الْحَمَامِ، فَلَمَّا أَتَيْتُهُ فَأَخْبَرْتُهُ بِخَبَرِ الْقَوْمِ"⁽⁶⁾، فكان حذيفة ؓ مثلاً في السمع والطاعة دون اجتهاد أو اخلال حيث كان بمقدوره أن يقتل القائد العام للجيش

(1) جامع البيان، الطبري (ج5/ 576).

(2) الكشاف، الزمخشري (ج1/ 316).

(3) في ظلال القرآن، قطب (ج1/ 312).

(4) رجل الأمن في الاسلام، أحمد (ص 64).

(5) الذعر: الفرع، يريد لا تعلمهم بنفسك وامش في خفية، ينظر: النهاية في غريب الحديث (ج2/ 161).

(6) [صحيح مسلم، مسلم، الجهاد والسير/ غزوة الأحزاب، 3/ 1414: حديث رقم 1788].

لكن التزامه التام منعه من ذلك، فحري بجنود الأمن التزام التعليمات؛ لأن في ذلك النجاة لهم والنجاح لعملهم.

6- الشجاعة والإقدام.

إن العمل في الأمن هو عمل مكلف وباهظ، ومخاطره كبيرة وجسيمة قد تؤدي بحياة صاحبها، لذا لابد لرجل الأمن أن يتحلى بصفة الشجاعة فلا يخاف في الله لومة لائم، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ [الأحزاب: 39]، "فهي صفة الأنبياء ﷺ، وإن لكل نفس كتاباً مؤجلاً إلى أجل مرسوم، ولن تموت نفس حتى تستوفي هذا الأجل المرسوم، فالخوف والهلع، والحرص والتخلف، لا تطيل أجلاً، والشجاعة والثبات والإقدام والوفاء لا تقصر عمراً، فلا كان الجبن، ولا نامت أعين الجبناء. والأجل المكتوب لا ينقص منه يوم ولا يزيد! بذلك تستقر حقيقة الأجل في النفس، فتترك الاشتغال به، ولا تجعله في الحساب، وهي تفكر في الأداء والوفاء بالالتزامات والتكاليف الإيمانية، وبذلك تنطلق من عقال الشح والحرص، كما ترتفع على وهلة الخوف والفرع، وبذلك تستقيم على الطريق بكل تكاليفه وبكل التزاماته، في صبر وطمأنينة، وتوكل على الله الذي يملك الآجال وحده، قال ﷺ: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ﴾ [المائدة: 3]"⁽¹⁾.

وكان رسولنا الكريم ﷺ أشجع الناس فعن عليّ ﷺ، قال: "لَمَّا حَضَرَ النَّبَأُ يَوْمَ بَدْرٍ انْقَيْنَا بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَكَانَ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ، مَا كَانَ أَحَدٌ أَقْرَبَ إِلَى الْمُشْرِكِينَ مِنْهُ"⁽²⁾.

7- الحس الأمني وقوة الملاحظة.

نقصد بها الفراسة والحدس الصائب والتحليل السريع وربط المعلومات والأحداث مما يقود إلى تنبؤ وقوع الحدث والقدرة على السيطرة والمعالجة قبل وقوعه أو فور وقوعه للسيطرة على الجناة، وهذه الصفة تعتبر من أهم صفات جندي الأمن، قال تعالى: ﴿وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ﴾ [النساء: 102]، في الآية الكريمة دلالة على تعلم آداب الحرب وأخذ الأهبة فيه؛ حيث أمرهم ﷺ بمجاهدة العدو في غير آي من القرآن"⁽³⁾، "وفي قوله خذوا حذرکم: المعنى أنه لما رخص لهم في وضع السلاح حال المطر وحال المرض أمرهم مرة أخرى بالتيقظ والتحفظ والمبالغة في الحذر، لنلا يجتروا

(1) في ظلال القرآن، قطب (ج1/ 487).

(2) [مسند أحمد، أحمد، 2/ 307: حديث رقم 1042]، قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح.

(3) تأويلات أهل السنة، الماتريدي (ج3/ 346).

العدو عليهم احتيلاً في الميل عليهم واستغنائاً منهم لوضع المسلمين أسلحتهم⁽¹⁾، "ولعل هذا الاحتياط، وهذه اليقظة، وهذا الحذر يكون أداة ووسيلة لتحقيق العذاب المهيّن الذي أعده الله للكافرين، فيكون المؤمنون هم ستار قدرته وأداة مشيئته، وهي الطمأنينة مع ذلك الحذر والثقة في النصر على قوم أعد الله لهم عذاباً مهيناً"⁽²⁾.

8- الخبرة والمهارة.

"العمل في أجهزة الأمن عمل فني يتطلب مهارة عالية وكفاية فنية متخصصة واثقاً في الأداء، فهذه الأجهزة تتعامل مع عدو ماهر مزود من أدوات وتقنيات تمكنه من كشف الأسرار، وتجاوز الأستار، باستشعار عن بعد، وتسجيل وتصوير وتزوير للوثائق مريع، لذا لزم المتصدي لمثل هذا العدو أن يكون خبيراً ماهراً متقناً لعلومه"⁽³⁾.

فالعلم والخبرة والمهارة تأتي بعد خوض التجارب، فتجنّب الجماعة التجربة معناه حرمانها الخبرة، وحرمانها المعرفة، وحرمانها التربية⁽⁴⁾، "كذلك فهم بحاجة لسؤال العارفين من السابقين للوصول إلى أفضل النتائج، قال تعالى: ﴿فَاسْأَلْ بِهِ خَيْرًا﴾ [الفرقان: 59]، قال علي رضي الله عنه: ما أخذ الله على الجاهلين أن يتعلموا حتى أخذ على العلماء أن يعلموا"⁽⁵⁾.

"إن القيادة المؤمنة هي التي تملك استنباط الحقيقة بما تملكه من الخبرة والمهارة، كما تملك تقدير المصلحة في إذاعة الخبر لذا كان القرآن يربي، فيغرس الإيمان والولاء للقيادة المؤمنة ويعلم نظام الجندية بدقة متناهية"⁽⁶⁾.

ومن الضرورات أن يتعلم الجندي الأمني فنون القتال المختلفة كما وعليه أن يحافظ على سلامة جسده وقوة بنيته، كذلك عليه معرفة لغة أعدائه، كما يلزمه التعلم على ما يلزمه من أنواع السلاح والمعدات العسكرية وغيرها⁽⁷⁾.

(1) مفاتيح الغيب، الرازي (ج11/ 206)

(2) في ظلال القرآن، قطب (ج2/ 749).

(3) الأمن والمخابرات رؤية اسلامية، نميري (ص30).

(4) في ظلال القرآن، قطب (ج1/ 532).

(5) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (ج4/ 305).

(6) في ظلال القرآن، قطب (ج2/ 724).

(7) رجل الأمن في الاسلام، أحمد (ص 26) بتصرف.

الفصل الثاني
صور الجنديّة وسماتها والتوجيهات
والتأييد القرآني

المبحث الأول

أبرز صور الجندية في القرآن الكريم

المطلب الأول: أبرز صور الجندية في الكائنات الحية.

أولاً: صور الجندية في الإنس.

1- الأنبياء والمرسلين:

ومن أعظم مهامهم:

أ- دعوة الآخرين إلى ما يؤمنون به.

إن الأنبياء هم جنود الدعوة إلى الله، بل هم أول الدعاة وأكثر من أؤدي في سبيل الله، قال تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ﴾ [البقرة: 213]، "فبين تعالى أنه إنما بعث الرسل مبشرين ومنذرين ولأجل الدعوة إلى وحدانيته والإيمان بتوحيده وعدله"⁽¹⁾، ثم بين حالهم فقال ﷺ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: 43]، "يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: وما أرسلنا من قبلك يا محمد إلى أمة من الأمم، للدعاء إلى توحيدها، والانتهاة إلى أمرنا ونهيها، إلا رجالاً من بني آدم نوحى إليهم وحيناً لا ملائكة، يقول: فلم نرسل إلى قومك إلا مثل الذي كنا نرسل إلى من قبلهم من الأمم من جنسهم وعلى منهاجهم"⁽²⁾.

ب- الميثاق بتصديق بعضهم بعضاً.

كذلك فقد بين الميثاق الذي كلف به الأنبياء والمرسلين فقال ﷺ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ﴾ [آل عمران: 81]، "هذا ميثاق أخذه الله على النبيين أن يصدق بعضهم بعضاً، وأن يبلغوا كتاب الله ورسالاته، فبلغت الأنبياء كتاب الله ورسالاته إلى قومهم، وأخذ عليهم - فيما بلغتهم رسلهم - أن يؤمنوا بمحمد ﷺ ويصدقوه وينصروه"⁽³⁾، "ثم يسألهم ربنا عما أرسلوا به فقال ﷺ:

(1) مفاتيح الغيب، الرازي (ج3/ 476).

(2) جامع البيان، الطبري (ج17/ 207).

(3) المرجع السابق، ج6/ 555.

﴿وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا عَلِيًّا﴾ [الأحزاب: 7] وتغليظ الميثاق هو سؤالهم عما فعلوا في الإرسال كما قال تعالى: ﴿وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الأعراف: 6] وهذا لأن الملك إذا أرسل رسولاً وأمره بشيء وقبله فهو ميثاق، فإذا أعلمه بأنه يسأل عن حاله في أفعاله وأقواله يكون ذلك تغليظاً للميثاق عليه حتى لا يزيد ولا ينقص في الرسالة⁽¹⁾.

ج- دعوة الآخرين من الخالفين لهم في الفكرة.

وقد تألق رسولنا الكريم ﷺ: في جنديته لربه فكان خير داعٍ وخير مجاهد قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ [المائدة: 67] وهذا أمر من الله تعالى ذكره نبيه محمداً ﷺ، بإبلاغ هؤلاء اليهود والنصارى من أهل الكتابين الذين قص تعالى ذكره قصصهم في هذه السورة، وذكر فيها معائبهم وخبث أديانهم، وسائر المشركين غيرهم، ما أنزل عليه فيهم من معائبهم، وما أمرهم به ونهاهم عنه، وأن لا يشعر نفسه حذراً منهم أن يصيبوه في نفسه بمكروه ما قام فيهم بأمر الله، ولا جزءاً من كثرة عددهم وقلة عدد من معه، وأن لا يتقى أحداً في ذات الله، فإن الله تعالى ذكره كافيه كل أحد من خلقه، وأعلمه تعالى ذكره أنه إن قصر عن إبلاغ شيء مما أنزل إليه إليهم، فهو في تركه تبليغ ذلك وإن قل ما لم يبلغ منه فهو في عظيم ما ركب بذلك من الذنب بمنزلته لو لم يبلغ من تنزيله شيئاً⁽²⁾.

د- تمسكهم بالجهاد في سبيل الله.

"كما أمره ربنا بالجهاد في سبيله فقال ﷺ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: 73] فقد أمر الله النبي ﷺ بضرورة حماية المحضن الذي تتم فيه الوقاية من النار، فلا يترك هذه العناصر المفسدة الجائرة الظالمة، تهاجم المعسكر الإسلامي من خارجه كما كان الكفار يصنعون، أو تهاجمه من داخله كما كان المنافقون يفعلون، وتجمع الآية بين الكفار والمنافقين في الأمر بجهادهم والغلبة عليهم لأن كلا من الفريقين يؤدي دوراً مماثلاً في تهديد المعسكر الإسلامي، وتحطيمه أو تقطيعه فجهادهم هو الجهاد الواقعي من النار وجزاؤهم هو الغلبة عليهم من رسول الله والمؤمنين في الدنيا"⁽³⁾.

(1) مفاتيح الغيب، الرازي (ج25/ 159).

(2) ينظر: جامع البيان، الطبري (ج10/ 467).

(3) في ظلال القرآن، قطب (ج6/ 3620).

هـ - مكرمة الله لمن بذل جهده لإعلاء كلمة الله.

"وقد أفنى الأنبياء في سبيل نشر دين الله وتحكيم شريعته حياتهم، وأنفقوا أوقاتهم وأموالهم، فأكرمهم الله تعالى بنعم كثيرة بسبب تضحياتهم وجهودهم في سبيل نشر الدعوة إلى الله سبحانه، وإصلاح الناس، قال ﷺ: ﴿إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ﴾ [الصفات: 172]، ومضمون هذه النعم: النبوة وعلو المكانة، ونجاتهم من المآزق والمحن، ونصرهم على معارضيهم، وهدايتهم إلى الطريق القويم، وإبقاء الثناء الحسن والسمعة العالية والتحية لهم على مر الزمان، وبهذا النوع من الجزاء على إخلاصهم وطاعتهم لربهم، يجزي الله تعالى كل المحسنين⁽¹⁾، "كذلك فقد عصم نبينا من القتل فقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ [المائدة: 67] ولم يكن المقصود هو منع الجهاد في سبيل الله والمعاناة في سبيل نشر الدعوة، ولكن الحق يبين لرسوله: إن أحداً غير قادر على أن يأخذ حياتك، ولم يمنع سبحانه المتاعب عن رسوله الكريم حتى لا يكون هناك أحد الداعين إلى الله لا يتحمل من الآلام أكثر مما تحمل رسوله ﷺ"⁽²⁾.

2- الصحابة وأتباع الرسل.

أ - طبيعة العلاقة بينهم قائمة على الولاء والبراء.

الصحابة هم أفضل الناس بعد الأنبياء وأفضلهم أبو بكر ﷺ ثم عمر ﷺ ثم عثمان ﷺ ثم علي ﷺ رضوان الله عليهم أجمعين⁽³⁾، قال تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: 29] إنها الصورة الوضيئة التي يرسمها القرآن لواقع صحابة رسول الله ﷺ بأسلوبه البديع، فقد تناول الحالات الثابتة في حياتهم، فتسجل لهم في اللقطة الأولى أنهم أشداء على الكفار وفيهم آباؤهم وإخوتهم وذوو قراباتهم وصحابتهم، ولكنهم قطعوا هذه الوشائج جميعاً، رحماء بينهم وهم فقط إخوة دين، فهي الشدة لله والرحمة لله، وهي الحمية للعقيدة، والسماحة للعقيدة، فليس لهم في أنفسهم شيء، وهم يقيمون عواطفهم ومشاعرهم، كما يقيمون سلوكهم وروابطهم على أساس عقيدتهم وحدها يشتدون على أعدائهم فيها، ويلينون لإخوتهم فيها قد تجردوا من الأنانية والهوى، ومن الانفعال لغير الله⁽⁴⁾، "ولقد ناضل رسول الله ﷺ، وعلى أتباع رسول الله أن يناضلوا في سبيل نشر الدعوة، فإن رأيت أهل الدين في استرخاء وترهل

(1) التفسير الوسيط، الزحيلي (ج3/ 2183).

(2) الخواطر، الشعراوي (ج6/ 3289).

(3) ينظر: الفقه الأكبر، أبو حنيفة (ص 41).

(4) في ظلال القرآن، قطب (ج6/ 3331) باختصار.

وعدم قدرة على النضال في سبيل البلاغ عن الله فلتعلم أن هؤلاء القوم لن يأخذوا ميراث النبوة، ولذلك إذا رأيت عالماً من علماء الإسلام ليس له أعداء فأعلم أنه قد نقص ميراثه من ميراث الأنبياء⁽¹⁾.

ب- النصر والممانعة لقادتهم.

"كذلك كان أتباع الأنبياء السابقين على أحسن حال من النصر والممانعة لأنبيائهم قال تعالى: ﴿وَكَايْنٍ مِنْ نَبِيِّ قَاتِلٍ مَعَهُ رَيْبُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران: 146]، إن أتباع الأنبياء ﷺ قد أصابهم من الفتن والمحن نحو ما أصابهم، أو ما هو أشد منه فصبروا، فعن النبي ﷺ: «لَقَدْ كَانَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَيْمِشْتُ بِأَمِشَاطِ الْحَدِيدِ، مَا دُونَ عِظَامِهِ مِنْ لَحْمٍ أَوْ عَصَبٍ، مَا يَصْرِفُهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَيُوضَعُ الْمِنْشَارُ عَلَى مَفْرَقِ رَأْسِهِ، فَيُشَقُّ بِاثْنَيْنِ مَا يَصْرِفُهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ»⁽²⁾⁽³⁾.

ج- التضحية في نصر الدعوة.

"وإن كثيراً من الأنبياء قتلوا والذين بقوا بعدهم ما وهنوا في دينهم، بل استمروا على جهاد عدوهم ونصرة دينهم، ، كما قتل ممن كان معهم ربيون كثير فما ضعف الباقون ولا استكانوا لقتل من قتل من إخوانهم، بل مضوا على جهاد عدوهم، فكان ينبغي أن يكون حالنا هكذا"⁽⁴⁾.

وقد كان الغلام الذي جاء ذكره في سورة البروج من أعظم قصص السابقين في الجندية لله وحسن الولاء والصبر⁽⁵⁾، وكذلك الحال مع أصحاب الكهف الذين فروا بدينهم محافظين على ثوابتهم ليحقق لهم الله النصر ولدينه التمكين فقال ﷺ: «وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْعَالِيُونَ» [الصفات: 173]⁽⁶⁾.

3- جند الطاغوت.

الطاغوت في كل زمان ومكان قد جمعهم الاتفاق على نصر الشيطان، ومعاداة دين الله بحثاً عن مصالحهم الشخصية الضيقة، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ

(1) الخواطر، الشعراوي (ج3/ 1371).

(2) [صحيح البخاري، البخاري، مناقب الأنصار/ ما لقي النبي ﷺ وأصحابه، 5/ 45: حديث رقم 3852].

(3) الكشف، الزمخشري (ج3/ 439).

(4) مفاتيح الغيب، الرازي (ج9/ 380).

(5) ينظر: السيرة النبوية، ابن هشام (ج1/ 34).

(6) ينظر: عقيدة التوحيد في القرآن الكريم، ملكاوي (ص 225).

فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿النساء: 76﴾، فهم يقاتلون في سبيل الطاغوت، لتحقيق مناهج شتى وإقرار شرائع شتى وإقامة قيم شتى ونصب موازين شتى غير ميزان الله! مستخدمين في سبيل الوصول إليها أسوأ الأساليب وأكثرها حقارة ووقاحة، لا يميزون في طريقهم الحلال عن الحرام، ولا يعرفون للبشرية معنى فإذا كانت أرواح البشر وجماعهم تصلح أن تكون السلم الأسرع للوصول إلى أعلى درجات الريح وتحقيق الأهداف فلتنفى البشرية جمعاء، مستندين بذلك إلى ولاية الشيطان بشتى رباياتهم، وشتى مناهجهم، وشتى شرائعهم، وشتى قيمهم، وشتى موازينهم فكلهم أولياء الشيطان⁽¹⁾.

وقد تميز من هؤلاء الجنود فرعون وثمود الذين تجندوا على الله ورسله بأذاهم ومكرهم⁽²⁾، قال تعالى: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ ﴿فِرْعَوْنٌ وَثَمُودٌ﴾﴾ [البروج: 17-18]، "يسميهما ربنا بالجنود إشارة إلى قوتهم واستعدادهم، فكانوا يأمرهم أقوامهم بالباطل ويدفعوهم إليه دفعاً ليقول لهم فرعون: ﴿مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ [غافر: 29]، لتكون النتيجة الحتمية التي لا مناص منها واضحة المعالم في قوله تعالى: ﴿فَكُذِّبُوا فِيهَا هُمْ وَالْعَاوُنُ ﴿وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ﴾﴾ [الشعراء: 94-95]⁽³⁾، "الكبكة تكرير الكب جعل التكرير في اللفظ دليلاً على التكرير في المعنى كأنه إذا ألقى في جهنم ينكب مرة بعد مرة حتى يستقر في قعرها وجنود إبليس متبعوه من عصاة الإنس والجن"⁽⁴⁾، فبأس الجندية تلك التي تقود إلى الخسارة قال تعالى: ﴿إِنَّا إِنَّا جَزَبَ الشَّيْطَانُ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [المجادلة: 19].

ثانياً: صور الجندية في الملائكة.

1- الملائكة المقاتلة.

"الملائكة قد شاركت المؤمنين في القتال يوم بدر قال تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ [الأنفال: 9] حتي كان الناس يعرفون قتلى الملائكة ممن قتلوهم بضرب فوق الأعناق وعلى البنان مثل سمة النار قد أحرق به"⁽⁵⁾، قال سهيل بن عمرو ؓ: ولقد رأيت يوم بدر رجالاً بيضاً على خيل بلق بين السماء

(1) في ظلال القرآن، قطب (ج2/ 709) بتصرف.

(2) جامع البيان، الطبري (ج24/ 346).

(3) في ظلال القرآن، قطب (ج6/ 3876).

(4) مفاتيح الغيب، الرازي (ج24/ 518).

(5) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (ج4/ 194).

والأرض معلمين، يقتلون ويأسرون"⁽¹⁾، "وَعَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ، وَمَعَهُ رَجُلَانِ يُقَاتِلَانِ عَنْهُ، عَلَيْهِمَا ثِيَابٌ بَيْضٌ، كَأَشَدَّ الْقِتَالِ مَا رَأَيْتُهُمَا قَبْلُ وَلَا بَعْدُ»⁽²⁾، فيه بيان كرامة النبي ﷺ على الله تعالى وإكرامه إياه بإنزال الملائكة تقاتل معه وبيان أن الملائكة تقاتل، وأن قتالهم لم يختص بيوم بدر، وهذا هو الصواب خلافاً لمن زعم اختصاصه، وفيه فضيلة الثياب البيض وأن رؤية الملائكة لا تختص بالأنبياء بل يراهم الصحابة والأولياء وفيه منقبة لسعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي رأى الملائكة⁽³⁾ (4).

2- الملائكة تأتي بالبشرى.

"الملائكة بشرت مريم بالولد الصالح حين بشرتها باصطفاء الله إياها وتطهيره لها وأمرتها بمزيد عبادته والاستغراق في شكره قال ﷺ: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾ [آل عمران: 45]"⁽⁵⁾، "فها هي تتلقى التبليغ عن طريق الملائكة بالأمر الخطير، إنها بشارة كاملة وإفصاح عن الأمر كله، بشارة بكلمة من الله اسمه المسيح عيسى بن مريم"⁽⁶⁾.

"كذلك فقد بشرت الملائكة نبي الله زكريا ﷺ شفاهاً خطاباً أسمعته، وهو قائم يصلي في محراب عبادته، ومحل خلوته، ومجلس مناجاته، وصلاته بولد من صلبه، قال ﷺ: ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِيَحْيَى﴾ [آل عمران: 39]"⁽⁷⁾.

3- الملائكة تثبت المؤمنين.

"المراد بالنتيبت أن يخطروا ببالهم ما تقوى به قلوبهم وتصح عزائمهم ونياتهم في القتال، وأن يظهروا ما يتيقنون به أنهم ممدون بالملائكة، وقيل: كان الملك يتشبه بالرجل الذي يعرفون وجهه فيأتي فيقول: إني سمعت المشركين يقولون: والله لن حملوا علينا لننكشفن، ويمشى بين الصفيين فيقول: أبشروا، فإن الله ناصركم لأنكم تعبدونه وهؤلاء لا يعبدونه، قال تعالى: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى

(1) إمتاع الأسماع، المقرئزي (ج1/ 106).

(2) [صحيح البخاري، البخاري، المغازي/ {إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا}، 5/ 97: حديث رقم 4054].

(3) المنهاج، النووي (ج15/ 66).

(4) شمائل الرسول ﷺ، زواوي (ج1/ 141).

(5) تفسير المنار، رضا (ج3/ 250).

(6) في ظلال القرآن، قطب (ج1/ 397).

(7) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (ج2/ 37).

الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبَّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأَلْتِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ ﴿[الأنفال: 12]﴾⁽¹⁾، "فالتثبيت يعني بشروهم بالنصر أو ثبتوهم على القتال بالحضور معهم، وتكثير سوادهم، وهذا أمر منه سبحانه للملائكة الذين أوحى إليهم بأنه معهم"⁽²⁾.

4- الملائكة تنزل بأوامر الله.

"أعظم أمر نزلت به الملائكة هو القرآن الكريم فهو تنزيل رب العالمين نزل به جبريل عليه السلام، قال ﷺ: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾ [الشعراء: 193]"⁽³⁾، "ولجبريل عليه السلام مزيد اختصاص بهذا المعنى إذ هو من سائر الملائكة كالرسول ﷺ من أفراد أمته، وجعله أميناً عليه لئلا يتصرف في حقائقه، ثم نزل به كما هو على قلب حبيبنا محمد ﷺ كما قال على قلبك أي تلاه عليك يا محمد حتى وعيته بقلبك"⁽⁴⁾، "وقد أعلمنا الله ﷻ أن جبريل عليه السلام هو الذي يقوم منهم بهذه الوظيفة: ﴿يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ [النحل: 2]، ووصفه بأنه ذو مرة (أي قوة) وأن رسول الله ﷺ رآه على هيئته الملائكية مرتين اثنتين، بينما جاءه في صور شتى في مرات الوحي التالية: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ﴾ [النجم: 13-14]"⁽⁵⁾، "كما ينزل في ليلة القدر برفقة الملائكة بكل أمر قضاه الله في تلك السنة، من رزق وأجل وغير ذلك، قال تعالى: ﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾ [القدر: 4]"⁽⁶⁾.

"كذلك فقد وكلت الملائكة بتدبير أحوال الأرض في الرياح والأمطار وغير ذلك، وتدبير أمر الدنيا إلى أربعة يترأسون غيرهم من الملائكة، هم جبريل وميكائيل وملك الموت وإسرافيل، فأما جبريل فموكل بالرياح والجنود، وأما ميكائيل فموكل بالقطر والنبات، وأما ملك الموت فموكل بقبض الأنفس في البر والبحر، وأما إسرافيل فهو ينزل بالأمر عليهم، وليس من الملائكة أقرب من إسرافيل، وبينه وبين العرش مسيرة خمسمائة عام، وقد وكلوا بأمر عرفهم الله بها"⁽⁷⁾.

(1) الكشف، الزمخشري (ج2/ 204).

(2) فتح القدير، الشوكاني (ج2/ 333).

(3) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (ج13/ 138).

(4) روح البيان، الإستانبولي (ج6/ 306).

(5) في ظلال القرآن، قطب (ج2/ 1043).

(6) جامع البيان، الطبري (ج24/ 534).

(7) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (ج19/ 194).

"وهم يحملون عرش الرحمن، وهم خزنة الجنة وخزنة النار، يستقبلون أهل الجنة بالسلام والدعاء، ويستقبلون أهل النار بالتأنيب والوعيد، وهم يتعاملون مع أهل الأرض في صور شتى، فهم يقومون عليهم حفظة بأمر الله يتابعونهم ويسجلون عليهم كل ما يصدر عنهم ويتوفونهم إذا جاء أجلهم، وهم يبلغون الوحي إلى الرسل ﷺ وهم ينتزلون على المؤمنين بالثبوت والمدد والتأييد، وهم مشغولون بأمر المؤمنين، يسبحون ربهم، ويستغفرون للذين آمنوا من ذنوبهم، ويدعون ربهم لهم دعاء المحب المشفق المشغول بشأن من يحب"⁽¹⁾.

ثالثاً: صور الجندي في الجن.

"الجن مكلفون على لسان نبينا ﷺ بدلالة الكتاب والسنة وإجماع المسلمين، وأن كافرهم في النار بإجماع المسلمين، قال تعالى: ﴿فَكُبِّبُوا فِيهَا هُمْ وَالْعَاوُنُ﴾ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿[الشعراء: 94-95] فمن لم يجب داعي الله من الجن، ولم يؤمن به لم يغفر له، ولم يجره من عذاب أليم، بل يعذبه ويدخله النار كما بين الله ذلك في سورة الجن فقال ﷺ: ﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ [الجن: 15]، وأن مؤمنهم اختلف في دخولهم الجنة، والظاهر دخولهم الجنة والله أعلم"⁽²⁾، ونذكر صور الجن كالتالي:

أ- الجند من الجن المؤمنين.

"الجن خلق لا نعرف عنهم إلا ما قصه الله علينا من أمرهم في القرآن، منهم طائفة آمنت برسول الله ﷺ ولم يرهم هو أو يعرف منهم إيمانهم ولكن أخبره الله بذلك إخباراً: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴿[الجن: 1-2]، ونعرف أن الله سخر طائفة منهم لسليمان ﷺ ﴿وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ﴾ [سبأ: 12]، يبنون له المحاريب والتماثيل والجفان الكبيرة للطعام، ويغوصون له في البحر، ويأتمرون بأمره بإذن الله ﴿وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُم حَافِظِينَ﴾ [الأنبياء: 82]"⁽³⁾.

"وقد تجند جماعة من الجن للدعوة إلى الله وذلك بعد أن سمعوا كتاب الله ﷺ من رسول الله ﷺ قال تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ﴾ [الأحقاف: 29]، وكانوا سبعة نفر من أهل نصيبين، فجعلهم

(1) في ظلال القرآن، قطب (ج2/1042).

(2) أضواء البيان، الشنقيطي (ج7/240).

(3) المرجع السابق (ج5/2635).

رسول الله ﷺ رسلاً إلى قومهم⁽¹⁾، "قال ابن عباس ؓ في تفسير قوله تعالى: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا﴾ [الأنعام: 130] فأما رسل الإنس فرسل من الله إليهم، وأما رسل الجن فرسل رسل الله من بني آدم، وهم الذين إذا سمعوا القرآن فولوا إلى قومهم منذرين⁽²⁾، "وعن ابن عباس ؓ قال: مَا قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى الْجِنِّ وَمَا رَأَاهُمْ، انْطَلَقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي طَائِفَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ عَامِدِينَ إِلَى سُوقِ عُكَازٍ وَقَدْ حِيلَ بَيْنَ الشَّيَاطِينِ وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ، وَأُرْسِلَتْ عَلَيْهِمُ الشُّهُبُ فَرَجَعَتِ الشَّيَاطِينُ إِلَى قَوْمِهِمْ فَقَالُوا: مَا لَكُمْ، قَالُوا: حِيلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ وَأُرْسِلَتْ عَلَيْنَا الشُّهُبُ، قَالُوا: مَا ذَاكَ إِلَّا مِنْ شَيْءٍ حَدَثَ فَاضْرِبُوا مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا فَانْظُرُوا مَا هَذَا الَّذِي حَالَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ فَانْطَلَقُوا يَضْرِبُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا فَمَرَّ النَّقَرُ الَّذِينَ أَخَذُوا نَحْوَ تَهَامَةٍ وَهُوَ يَنْخُلُ عَامِدِينَ إِلَى سُوقِ عُكَازٍ وَهُوَ يُصَلِّي بِأَصْحَابِهِ صَلَاةَ الْفَجْرِ فَلَمَّا سَمِعُوا الْقُرْآنَ اسْتَمَعُوا لَهُ، وَقَالُوا: هَذَا الَّذِي حَالَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ فَرَجَعُوا إِلَى قَوْمِهِمْ فَقَالُوا: يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ عَلَى نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ﴾ [الجن: 1]⁽³⁾.

"ولما علم نبي الله سليمان ؑ بقدوم ملكة سبأ جعل يبعث الجن يأتونه بمسيرها ومنتهائها كل يوم وليلة، حتى إذا دنت قال من يأتيني بعرشها ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ﴾ [النمل: 39]⁽⁴⁾، "والعفريت: المارد الغليظ الشديد الداهية"⁽⁵⁾.

ب- الجند من الجن الكافر.

إن ما ذكرناه من أفعال الخير والبر التي يفعلها الجن في الدعوة إلى الله ومناصرة أنبيائه، إلا أن هناك جماعة أخرى من الجن قد تجندوا لخدمة إبليس ممن اشتهر بلفظة الشيطان وإن كانت هذه التسمية تشمل المتمرد من غيرهم⁽⁶⁾.

"وتعهد الشيطان بالقعود لعباد الله على طريق الله لا يمكنهم من سلوكه وأنه سيأتيهم من كل جهة يصرفهم عن هداة، وهو إنما يأتيهم من ناحية نقط الضعف فيهم ومداخل الشهوة، ولا

(1) جامع البيان، الطبري (ج22/ 135).

(2) المرجع السابق (ج12/ 122).

(3) [صحيح مسلم، مسلم، الصلاة/الجهر بالقراءة في الصباح، 1/ 331: حديث رقم 449].

(4) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (ج6/ 191).

(5) فتح القدير، الشوكاني (ج4/ 160).

(6) ينظر: مفاتيح الغيب، الرازي (ج1/ 70).

عاصم لهم منه إلا بالتقوي بالإيمان والذكر والتقوي على إغوائه ووسوسته، والاستعلاء على الشهوات وإخضاع الهوى لهدى الله، والمعركة مع الشيطان هي المعركة الرئيسية، إنها المعركة مع الهوى والشهوات والشر والفساد في الأرض الذي يقود الشيطان أوليائه، فالشيطان وراءهما جميعاً⁽¹⁾.

"وإن من الأعمال التي يقومون بها تعليم الناس السحر والإفساد بين الناس، قال تعالى: ﴿وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾ [البقرة: 102]، ليفتنوا به العامة ويضلونهم عن طلب الأشياء من أسبابها الظاهرة ومناهجها المشروعة"⁽²⁾، وقد أخرج البخاري في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها، قالت: سحر النبي ﷺ، حتى كان يخيل إليه أنه يفعل الشيء وما يفعله، حتى شفاه الله وأذهب عنه ذلك الشر⁽³⁾، "والسحر في الحقيقة لا يؤثر بطبعه ولا بقوة ذاتية فيه، فلا يحدث الضرر منه إلا بأمر الله وإرادته، فهو مجرد سبب ظاهري فقط، وإذا أصيب إنسان بضرر بعمل من أعمال السحرة، فإنما ذلك بإذن الله تعالى، وما السحر حينئذ إلا وسيلة أو سبب قد يرتبط المسبب أو النتيجة به، إذا شاء الله، فهو الذي يوجد المسببات حين حصول الأسباب قال تعالى: ﴿وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [البقرة: 102]"⁽⁴⁾.

رابعاً: صور الجنديّة في الحيوانات.

أ- الخيل.

"ذكر الله تعالى في كتابه العزيز أنواعاً من الحيوانات التي يستخدمها المقاتلين في سبيل الله، بل وجعلها أسماء لسور القرآن وأقسم بها فقال ﷻ: ﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا﴾ ﴿فَالْمُرِيَّاتِ قَدْحًا﴾ ﴿فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا﴾ ﴿فَأَثَرُنَ بِهِ نَقْعًا﴾ ﴿فَوْسَطْنَ بِهِ جَمْعًا﴾ [العاديات: 1 - 5]، عني بالعاديات ضبْحاً: الخيل التي تعدو، وهي تحمم"⁽⁵⁾، "فيقسم الله سبحانه بخيل المعركة، ويصف حركاتها واحدة تلو الأخرى منذ أن تبدأ عدوها وجريها ضابحة بأصواتها المعروفة حين تجري، قارعة للصخر بحوافرها حتى توري الشرر منها، مغيرة في الصباح الباكر لمفاجأة العدو، مثيرة للنقع

(1) في ظلال القرآن، قطب (ج3/ 1275).

(2) تفسير المنار، رضا (ج1/ 329).

(3) ينظر: [صحيح البخاري، البخاري، بدء الخلق/صفة إبليس وجنوده، 4/ 122: حديث رقم 3268].

(4) التفسير المنير، الزحيلي (ج1/ 245).

(5) جامع البيان، الطبري (ج24/ 557).

والغبار، غبار المعركة على غير انتظار، وهي تتوسط صفوف الأعداء على غرة فتوقع بينهم الفوضى والاضطراب، إنها خطوات المعركة على ما يألفه المخاطبون بالقرآن أول مرة، والقسم بالخيال في هذا الإطار فيه إحياء قوي بحب هذه الحركة والنشاط لها، بعد الشعور بقيمتها في ميزان الله والتفاته سبحانه إليها⁽¹⁾، وقد قال ﷺ: «الْخَيْلُ مَغْفُودٌ بِنَوَاصِيهَا الْخَيْرُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ: الْأَجْرُ وَالْغَنِيمَةُ»⁽²⁾، "وكنى بالناصية عن جميع ذات الفرس يقال فلان مبارك الناصية ومبارك الغرة أي الذات وفي هذه الأحاديث استحباب رباط الخيل واقتنائها للغزو وقتال أعداء الله وأن فضلها وخيرها والجهد باق إلى يوم القيامة قال ﷺ: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ﴾ [الأنفال: 60]⁽³⁾.

ب- الضفادع.

"وقد جعل الله الضفادع عذاباً لفرعون وقومه قال تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ﴾ [الأعراف: 133] فأرسل الله عليهم الضفادع، فدخلت بيوتهم وامتألت منها أنيتهم وأطعمتهم، ولا يكشف أحد شيئاً من ثوب ولا طعام ولا شراب إلا وجد فيه الضفادع، وكان الرجل إذا أراد أن يتكلم وثبت الضفدع إلى فيه، وكانت تمتلئ منها مضاجعهم فلا يقدر على الرقاد، وكانت تقذف بأنفسها في القدور وهي تغلى، وفي التناير وهي تفور"⁽⁴⁾.

ج- دابة الأرض.

"ثم إذا كان آخر الزمان ولم يأمر الناس بالمعروف ولم ينهوا عن المنكر أخرج الله لهم دابة من الأرض تكلمهم قال تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ [النمل: 82] أي تقول إن الناس، يعني الكفار، بآياتنا لا يوقنون، يعني بالقرآن وبمحمد ﷺ، وذلك حين لا يقبل الله من كافر إيماناً ولم يبق إلا مؤمنون وكافرون في علم الله قبل خروجها، والله أعلم"⁽⁵⁾، "ففي هذه الآية العظيمة إخبار عن خروج دابة تكلم الناس حينما يأتي أمر الله كمقدمة من مقدمات الساعة، ولا ينبغي أن يُبحث عما وراء ذلك من الغرائب التي قيلت في وصف هذه الدابة فذلك لم يصح منه شيء، وإن خروج الدابة غيب من

(1) في ظلال القرآن، قطب (ج6/ 3958)

(2) [صحيح مسلم، مسلم، الامارة/الخيال في نواصيها الخير، 3/ 1493: حديث رقم 1872].

(3) المنهاج، النووي (ج13/ 16).

(4) الكشف، الزمخشري (ج2/ 147).

(5) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (ج13/ 238).

الغيوب، فيجب علينا الوقوف عند ما أخبر به القرآن والسنة الصحيحة، ولم يأت فيها سوى أنها دابة ستخرج، وأنها ستكلم الناس، وأن ذلك من أمارات الساعة وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه، قال: حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَدِيثًا لَمْ أُنْسَهُ بَعْدُ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ أَوَّلَ الْآيَاتِ خُرُوجًا، طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَخُرُوجُ الدَّابَّةِ عَلَى النَّاسِ ضُحَى، وَأَيُّهُمَا مَا كَانَتْ قَبْلَ صَاحِبَتِهَا، فَأَلْأَخَرَى عَلَى إِثْرِهَا قَرِيبًا»⁽¹⁾⁽²⁾.

د - الحيتان.

"وقد كانت الحيتان سبباً لمسح بني اسرائيل وذلك حين أمرهم نبي الله موسى عليه السلام ألا يصطادوا في يوم السبت فكان إذا كان السبت ظهرت الحيتان على الماء، فهو قوله: ﴿إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا﴾ [الأعراف: 163] ، أي ظاهرة على الماء، ذلك لمعصيتهم موسى وإذا كان غير يوم السبت، صارت صيداً كسائر الأيام، فظنوا أن ما قال لهم موسى كان باطلاً فتجروا واصطادوا، فمسخهم الله قردة بمعصيتهم، فلم يحياوا في الأرض إلا ثلاثة أيام، ولم يعيش مسخ قط فوق ثلاثة أيام، ولم يأكل ولم يشرب ولم ينسل"⁽³⁾.

"كما كان الحوت حرزاً ومسجداً لنبي الله يونس عليه السلام، وحفظه الله في بطن الحوت بفضل سالف أعماله الصالحة والتسبيح"⁽⁴⁾.

هـ - الكلب.

"وقد ورد ذكر الكلب في قصة أصحاب الكهف قال عليه السلام: ﴿وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعِيهِ بِالْوَصِيدِ﴾ [الكهف: 18] وكان كلبهم الذي تبعهم بإلهام الله للحراسة باسطاً ذراعيه بفناء الكهف أو بباب الكهف يحرس عليهم الباب، وهذا من سجيته وطبيعته، كأنه يحرسهم، وقد أصابه ما أصابهم من النوم على تلك الحال، وهذه فائدة صحبة الأخيار"⁽⁵⁾.

"كما أجاز الاسلام لنا استخدام الكلاب في بعض المهام قال تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ﴾ [المائدة: 4] وقد أجمعت الأمة على أن الكلب إذا لم يكن أسود وعلمه مسلم فيجيب إذ دعي، وينزجر بعد ظفره بالصيد إذا زجر، وأن يكون لا

(1) [صحيح مسلم، مسلم، الفتن وأشرط الساعة/في خروج الدجال...، 4/ 2260: حديث رقم 2941].

(2) (العقائد الإسلامية، سابق (ص 249).

(3) جامع البيان، الطبري (ج2/ 168) باختصار.

(4) (الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (ج15/ 122).

(5) (التفسير المنير، الزحيلي (ج15/ 223).

يأكل من صيده الذي صاده، وأثر فيه بجرح أو تنبيب، وصاد به مسلم وذكر اسم الله عند إرساله أن صيده صحيح يؤكل بلا خلاف، فإن انخرم شرط من هذه الشروط دخل الخلاف⁽¹⁾.

"وقد قال رسول الله ﷺ: «مَنْ أَمْسَكَ كَلْبًا، فَإِنَّهُ يَنْقُصُ كُلَّ يَوْمٍ مِنْ عَمَلِهِ قِيرَاطٌ، إِلَّا كَلَبَ حَرْثٍ أَوْ مَاشِيَةٍ»، وعنه ﷺ: «إِلَّا كَلَبَ غَنَمٍ أَوْ حَرْثٍ أَوْ صَيْدٍ»، وقال ﷺ: «كَلَبَ صَيْدٍ أَوْ مَاشِيَةٍ»⁽²⁾، في هذا الحديث إباحة اتخاذ الكلاب للصيد والماشية وكذلك الزرع وكراهة اتخاذها لغير ذلك إلا أنه يدخل في معنى الصيد وغيره مما ذكر اتخاذها لجلب المنافع ودفع المضار قياساً فتمحض كراهة اتخاذها لغير حاجة لما فيه من ترويع الناس وامتناع دخول الملائكة للبيت الذي هم فيه»⁽³⁾.

خامساً: صور الجندية في الطيور.

أ- الهدد.

"لقد كان للطير دوره البارز كجندي من الجنود الفاعلة على الأرض قال تعالى: ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ﴾ [النمل: 17]، فالحشر هو الإحضار والجمع من الأماكن المختلفة، والمعنى أنه جعل الله تعالى كل هذه الأصناف جنوده ولا يكون كذلك إلا بأن يتصرف على مراده، ولا يكون كذلك إلا مع العقل الذي يصح معه التكليف، فلذلك قلنا إن الله تعالى جعل الطير في أيامه مما له عقل، وليس كذلك حال الطيور في أيامنا وإن كان فيها ما قد ألهمه الله تعالى الدقائق التي خصت بالحاجة إليها أو خصها الله بها لمنافع العباد»⁽⁴⁾، "وقد تميز بهذا الدور الهدد الذي كان ينتمي لجيش نبي الله سليمان عليه السلام، ليدل على ذلك قوله ﷺ: ﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ﴾ [النمل: 20] الذي كان يرى الماء من تحت الأرض كما يرى الماء في الزجاج، ليأتيه بعد لحظات بالخبر اليقين والسلطان المبين ﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ نَحُطْ بِهِ﴾ [النمل: 22] ووصف مكثه بقصر المدّة للدلالة على إسرعه خوفاً من سليمان، وليعلم كيف كان الطير مسخراً له، ولبيان ما أعطى من المعجزة الدالة على نبوته وعلى قدرة الله تعالى»⁽⁵⁾، "﴿وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾ [النمل: 22] فأعلم سليمان ما لم

(1) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (ج6/ 66).

(2) [صحيح البخاري، البخاري، المزارعة/اقتناء الكلب للحرث، 3/ 103: حديث رقم 2322].

(3) فتح الباري، ابن حجر (ج5/ 6).

(4) مفاتيح الغيب، الرازي (ج24/ 548).

(5) الكشف، الزمخشري (ج3/ 359).

يكن يعلمه، ودفع عن نفسه ما توعدده من العذاب والذبح، وليكون نعم الجندي المثابر ونعم الداعية البارِع بعد أن تفنن في تزيين الخطاب وتحسينه وتحفيز سيدنا سليمان ﷺ لدعوتهم للإسلام فينجح في تحقيق أهدافه ويكون سبباً في هذا الفتح المبين⁽¹⁾.

ب- الغراب.

"ثم كان الغراب قد امتلك الجرأة والقدرة على تعليم القاتل من ابني آدم كيف يوارى سواة أخيه المقتول، قال تعالى: ﴿قَبَعَتْ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ﴾ [المائدة: 31] بعث الله غرابين فاقتتلا، فقتل أحدهما الآخر، فحفر له بمنقاره ورجليه ثم ألقاه في الحفرة، فتعلم قابيل ذلك من الغراب⁽²⁾، "كما أن دفن الغراب لأخيه الغراب، قد يكون من عادات الغربان، كما يقول بعض الناس وقد يكون حدثاً خارقاً أجراه الله، وهذه كتلك سواء، فالذي يُودع الأحياء غرائزهم هو الذي يجري أي حدث على يد أي حي هذا من قدرته، وهذا من قدرته على السواء"⁽³⁾.

ت- الطير الأبابيل.

"كما أرسل الله الطير الأبابيل على أصحاب الفيل قال تعالى: ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾ [الفيل: 3] فكانت طيراً متفرقة، يتبع بعضها بعضاً من نواح شتي؛ وهي جماع لا واحد لها"⁽⁴⁾، "كانت طيراً من السماء لم ير قبلها، ولا بعدها مثلها"⁽⁵⁾، "وهي تحمل حجارة من طين شديد القوة ترمي به الكفار ليصيروا كالعصف المأكول"⁽⁶⁾.

سادساً: صور الجنديّة في الحشرات.

أ- الجراد والقمل عقاب وعذاب.

"إن الله ﷻ قد جعل الحشرات جنداً يعذب به الكفار وينصر به المؤمنون قال تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ﴾ [الأعراف: 133]، بعث الله على فرعون وقومه الجراد فأكلت عامة زروعهم وثمارهم، ثم أكلت كل شيء حتى الأبواب وسقوف البيوت والثياب

(1) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (ج13/ 181) بتصرف.

(2) مفاتيح الغيب، الرازي (ج11/ 341).

(3) في ظلال القرآن، قطب (ج2/ 877).

(4) جامع البيان، الطبري (ج24/ 605).

(5) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (ج20/ 196).

(6) أضواء البيان، الشنقيطي (ج9/ 103).

ولم يدخل بيوت بنى إسرائيل منها شيء، ففزعوا إلى موسى ووعدوه التوبة، فكشف عنهم بعد سبعة أيام، فقالوا: ما نحن بتاركي ديننا، فأقاموا شهراً⁽¹⁾، "فسلط عليهم القمل: وهو كبار القراد، أو السوس، أو صغار الذباب أو البراغيث أو القمل المعروف الذي يلدغ ويمص الدم، فأكل ما أبقاه الجراد، ولحس الأرض، أي أنه سلط عليهم بعد الجراد من الآفات الزراعية من صغار الذر كالوددة، فأكلت الزروع واستأصلت كل شيء أخضر، كل ذلك آيات واضحات بينات ظاهرات، لا يشكل على عاقل أنها من عند الله، ولا يقدر عليها غيره، وأنها عبرة ونقمة على كفرهم"⁽²⁾.

ب- نملة واحدة تنقذ شعبها.

"وقد كرم الله النملة بأن ذكرها في كتابه وذلك عندما امتلأت باليقظة والانتباه، والتي هي من صفات الجندي المسلم أن يكون حريصاً محافظاً على حياة المسلمين، فهي أمة لها حرس، قالت حارسة منهم هذا القول تحذيراً لبقية النمل ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ﴾ [النمل: 18]، وواضح في هذا القول ما تتميز به مملكة النمل من نظام يعرف فيه كل مهمته، ويؤديها على أكمل وجه، فهذه النملة لا بد أنها كانت تقوم بمهمة الحراسة وتقف في الدرك، ترقب الجو من حولها، وكأنها جندي الدورية اليقظ"⁽³⁾، "ومملكة النمل كمملكة النحل دقيقة التنظيم، تتنوع فيها الوظائف، وتؤدي كلها بنظام عجيب، يعجز البشر غالباً عن اتباع مثله، على ما أوتوا من عقل راق وإدراك عال"⁽⁴⁾.

كما أثنت على سليمان عليه السلام وأخبرت بأحسن ما تقدر عليه بأنهم لا يشعرون إن حطموكم، ولا يفعلون ذلك عن عمد منهم، فنفت عنهم الجور⁽⁵⁾، "ومما يدعو للتعجب أنها عرفت اسمه وأنها قالت: وهم لا يشعرون فوسمته وجنده بالصلاح والرفاة وأنهم لا يقتلون ما فيه روح لغير مصلحة، وهذا تنويه برأفته وعدله الشامل لكل مخلوق لا فساد منه، أجراه الله على نملة ليعلم شرف العدل ولا يحتقر مواضعه، وأن ولي الأمر إذا عدل سرى عدله في سائر الأشياء وظهرت آثاره فيها حتى كأنه معلوم عند ما لا إدراك له"⁽⁶⁾.

(1) الكشف، الزمخشري (ج2/ 147).

(2) التفسير المنير، الزحيلي (ج9/ 62).

(3) الخواطر، الشعراوي (ج17/ 10759).

(4) في ظلال القرآن، قطب (ج5/ 2636).

(5) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (ج13/ 172) بتصرف.

(6) التحرير والتنوير، ابن عاشور (ج19/ 243).

ج- النحلة جندي الدقة والنظام.

"وإن النحل الذي هو مخلوق صغير من مخلوقات الله الكثيرة، لديه نظاماً مستقلاً، فيصنع هذا المخلوق الصغير أشكالاً سداسية دقيقة من الشمع قال تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ [النحل: 68]، وكل نحلة تقوم بواجبها من إنتاج العسل الشهي، ومنها تعمل مرشدات عندما تجد مصدراً للغذاء، تفرز عليه مادة ترشد إليه بقية أخواتها، وهناك حراساً للخلية، فلا تدخل الخلية نحلة غريبة عنها إلا قتلوها، وهناك نوع آخر أو نحل آخر يعمل بالنظافة، ولذلك فهي لا تلقي مخلفاتها إلا خارج الخلية"⁽¹⁾.

"وقد شبه الرسول ﷺ المؤمن بالنحلة فقال: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِ مَثَلُ النَّحْلَةِ لَا تَأْكُلُ إِلَّا طَيِّبًا، وَلَا تَضَعُ إِلَّا طَيِّبًا»⁽²⁾، ووجه المشابهة بين المؤمن والنحلة، الالتزام والنظام، حذق النحل وفطنته، وقلة أذاه وخفارته ومنفعته، وقنوعه وسعيه في النهار، وتنزهه عن الأقدار، وطيب أكله، فإنه لا يأكل من كسب غيره، ونحوه وطاعته لأمره"⁽³⁾، "فهي لقلة مؤنتها وكثرة نفعها كما قيل إن قعدت على عش لم تكسره وإن وردت على ماء لم تكدره، فلا يصدر من باطنه وظاهره إلا طيب الأفعال وذكي الأخلاق وصالح الأعمال فلا يطمح في صلاح الأعمال إلا بعد طيب الغذاء ويقدر صفاء حله تنمو أعماله وتذكو، وقال علي عليه السلام: كونوا في الدنيا كالنحلة كل الطير يستضعفها وما علموا ما ببطنها من النفع والشفاء"⁽⁴⁾.

(1) موسوعة الأخلاق والزهد والرقائق، عبد الرحمن (ج1/ 220).

(2) [صحيح ابن حبان، ابن حبان، ما جاء في صفات المؤمنين/تمثيل المصطفى ﷺ المؤمن بالنحلة، 1/ 482: حديث رقم 247]، قال الألباني: صحيح/ صحيح الجامع الصغير (ج2/ 1017).

(3) حياة الحيوان الكبرى، الدميري (ج2/ 466).

(4) فيض القدير، المناوي (ج5/ 514).

المطلب الثاني: أبرز صور الجندية في الجمادات.

أولاً: الماء.

"إن الماء هو أحد مصادر الحياة على وجه الأرض قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ [الأنبياء: 30]، وهو داخلٌ في تكوين كل شيء، فالحيوان والنبات يحيا على الماء فإن فقد الماء مات وانتهى، وكذلك الأدنى من الحيوان والنبات فيه مائبة أيضاً، فكل ما فيه لمعة أو طراوة أو ليونة فيه ماء" (1).

1- طوفان قوم نوح عليه السلام.

إن نوح عليه السلام دعا قومه ليلاً ونهاراً، ولقد حاول أن يسلك إلى آذان قومه وقلوبهم بشتى الوسائل، وقد لبث فيهم داعياً إلى الله ألف سنة إلا خمسين عاماً، لكنهم لم يؤمنوا له، قال تعالى: ﴿وَقَوْمُ نُوحٍ لَمَّا كَذَبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ﴾ [الفرقان: 37] وقال ﷻ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾ [العنكبوت: 14] فأنجاه الله في الفلك والذين معه من المؤمنين به (2)، "وأخذ الظالمين الطوفان أي عقيب تمام المدة المذكورة فغرق من في الدنيا كلها من الكفار، والطوفان يطلق على كل ما يطوف بالشيء ويحيط به على كثرة وشدة وغلبة من السيل والريح والظلام والقتل والموت والطاعون والجذري والحصبة والمجاعة وقد غلب على طوفان الماء" (3)، وقد بين تعالى نوع العذاب الذي عذب به قوم نوح، في قوله تعالى: ﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ ۖ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾ [القمر: 11-12] (4).

"وقد أنجى الله نوح ومن معه، لتتجو القلة من جميع الأخطار، ويعلن استخلافها في الأرض، لتعيد تعميرها وتجديد الحياة فيها، فهذه سنة الله في الأرض، وهذا وعده لأوليائه فيها، فإذا طال الطريق على العصابة المؤمنة مرة، فيجب أن تستيقن أن العاقبة والاستخلاف للمؤمنين، وألا تستعجل وعد الله حتى يجيء، والله لا يخدع أوليائه، ولا يعجز عن نصرهم بقوته، ولا يسلمهم كذلك لأعدائه ولكنه يعلمهم ويدربهم ويزودهم بزد الطريق" (5).

(1) الخواطر، الشعراوي (ج15/ 9525).

(2) ينظر: جامع البيان، الطبري (ج12/ 502).

(3) روح البيان، الإسطنبولي (ج6/ 455).

(4) أضواء البيان، الشنقيطي (ج5/ 268).

(5) في ظلال القرآن، قطب (ج3/ 1812).

2- الطوفان في عهد موسى ﷺ إلى قوم فرعون.

"إن الله قد جعل الطوفان آية من الآيات التي أجراها على يد نبيه الكريم موسى ﷺ فقال تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ﴾ [الأعراف: 133] والطوفان ما طاف بهم وغلبيهم من مطر أو سيل، قيل: طغى الماء فوق حرثهم، وذلك أنهم مطروا ثمانية أيام في ظلمة شديدة، لا يرون شمساً ولا قمراً، ولا يقدر أحدهم أن يخرج من داره، فامتألت بيوت القبط ماء حتى قاموا في الماء إلى تراقيهم، فمن جلس غرق، ولم تدخل بيوت بنى إسرائيل قطرة، وفاض الماء على وجه أرضهم وركد فمنعهم من الحرث والبناء والتصرف، ودام عليهم سبعة أيام⁽¹⁾، "فصرخوا إلى فرعون واستغاثوا به فأرسل إلى موسى ﷺ، وقال: اكشف عنا العذاب فقد صارت مصر بحرراً واحداً فإن كشفت هذا العذاب آمنا بك فأزال الله عنهم المطر وأرسل الرياح فجففت الأرض فكذبوا ولم يؤمنوا"⁽²⁾.

3- اليم يحفظ موسى ﷺ طفلاً بأمر الله.

إن الله ﷻ بعلمه وحكمته قد ألهم أم موسى، فقال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفَتْ عَلَيْهِ فَالْقِيهِ فِي الْيَمِّ﴾ [القصص: 7] فإذا خفت عليه وهو في حضنك وهو في رعايتك، إذا خفت عليه وهو تحت عينيك، إذا خفت عليه فالقيهِ في اليم ولا تخافي ولا تحزني، إنه هنا في اليم في رعاية اليد التي لا أمن إلا في جوارها، اليد التي لا خوف معها، اليد التي لا تقرب المخاوف من حماها، اليد التي تجعل النار برداً وسلاماً، وتجعل البحر ملجأً ومناماً، اليد التي لا يجرو فرعون الطاغية أن يدنوا من حماها الآمن العزيز الجنب"⁽³⁾.

"وقد وردت قصة إلقاء موسى في اليم في أكثر من موضع لفائدة جلية، دون تكرار، ففي آية القصص تدل على أن الله سبحانه وتعالى يعدُّ أم موسى إعداداً إيمانياً للحدث وأنها ستلقيه في اليم عندما يحدث خطر وتخاف عليه من القتل، وفيه تطمين لها ألا تخاف ولا تحزن، ولكن عند وقوع الحدث تتغير القصة على نمط سريع ﴿أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ﴾ [طه: 39]، فهو كلام يناسب لحظة وقوع الحدث، فالآية الثانية التي تكمل لنا

(1) الكشاف، الزمخشري (ج2/ 146).

(2) مفاتيح الغيب، الرازي (ج14/ 345).

(3) في ظلال القرآن، قطب (ج5/ 2679).

هذه اللقطة وهو أن أم موسى ستلقيه في تابوت، ثم بعد ذلك نعلم أن الله ﷻ أصدر أمره إلى الماء أن يلقي التابوت إلى الساحل، فتكتمل الصورة⁽¹⁾.

4- اليَمُّ يلتهم فرعون وجنوده.

إن الله ﷻ أوحى إلى موسى ﷺ أن يرحل ببني إسرائيل ليلاً من أرض مصر التي طال عذابهم فيها إلى أرض فلسطين، فعلم فرعون بذلك، فتبعهم بجيش كبير، وأدركهم مع طلوع الشمس قرب ساحل البحر الأحمر، وأيقن بنو إسرائيل أنه مهلكهم لا محالة، فأوحى الله إلى موسى ﴿اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾ [الشعراء: 63] واقتفى فرعون وجنوده أثرهم طمعاً في إدراكهم فأطبق عليهم وعاد كما كان أولاً، وبنو إسرائيل ينظرون قال تعالى: ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ [البقرة: 50]⁽²⁾، "وإن بني إسرائيل قالت: ما مات فرعون وما كان ليموت أبداً، فلما سمع الله تكذيبهم نبيه ﷺ رمى به على ساحل البحر كأنه ثور أحمر يتراءاه بنو إسرائيل فلما اطمأنوا رأوا قوماً يعكفون على أصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة حتى زجرهم موسى وقال أغير الله أبغيكم إلهاً وهو فضلكم على العالمين أي عالمي زمانه"⁽³⁾.

ثانياً: عصا موسى.

1- العصا تنقلب إلى ثعبان بإذن الله.

"إن للعصا تاريخاً طويلاً مع الإنسان، فهي لازمة من لوازم التأديب والرياضة، ولازمة من لوازم الأسفار، ولها أهميتها في الرعي فيستند عليها، ويروح الإنسان بين قدميه فيريح القدم التي تعبت، وينتقل من جنب إلى جنب وهذا ما عناه سيدنا موسى ﷺ لما قال: ﴿قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى﴾ [طه: 18]⁽⁴⁾.

"فجاء الأمر من الله ﷻ إن كانت العصا بالنسبة لك بهذه البساطة، وهذه مهمتها عندك فلها عندي مهمة أخرى، فانظر إلى مهمتها عندي، وإلى ما لا تعرفه عنها، ﴿وَأَلْقَى عَصَاكَ﴾ [النمل: 10] فلما ألقى موسى عصاه وجدها ﴿تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ﴾ [النمل: 10] يعني: حية تسعى وتتحرك حركة سريعة هنا وهناك"⁽⁵⁾.

(1) الخواطر، الشعراوي (ج1/ 237-238) باختصار.

(2) التفسير الوسيط، طنطاوي (ج1/ 125) باختصار.

(3) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (ج1/ 392).

(4) الخواطر، الشعراوي (ج15/ 9249).

(5) المرجع السابق (ج17/ 10745).

"وكانت هذه المرة الأولى بمثابة تدريب لموسى ﷺ؛ ليألف العصا على هذه الحالة، وكأن الله تعالى أراد لموسى أن يُجري هذه التجربة أمامه، ليكون على ثقة من صدق هذه الآية، فإذا ما جاء لقاء فرعون ألقاها دون خوف، وهو واثق من نجاحه في هذه الجولة ليكون الإلقاء الثاني للعصا أمام فرعون وخاصته، ثم الإلقاء للمرة الثالثة أمام السحرة فيحقق الحسم والانتصار بإذن الله قال ﷻ: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾ [الأعراف: 117]"⁽¹⁾.

2- العصا تفلق البحر بإذن الله.

"كذلك فقد كان لعصا موسى ﷺ استخدامات أخرى، وذلك أنه لما انتهى إلى البحر قال له مؤمن آل فرعون: أين أمرت فهذا البحر أمامك وقد غشيك آل فرعون؟ قال: أمرت بالبحر ولا يدرى موسى ما يصنع، فأوحى الله تعالى إليه: أن اضرب بعصاك البحر، فضربه فصار فيه اثنا عشر طريقاً: لكل سبط طريق، فذلك قوله تعالى: ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾ [الشعراء: 63]"⁽²⁾. وكان موسى قد قال للبحر: انفرق فأبى، فأوحى الله إليه أن اضرب بعصاك البحر فضربه فانفلق ولا شبهة في أن المراد ضرب فانفلق لأنه كالمعلوم من الكلام إذ لا يجوز أن ينفلق من غير ضرب ومع ذلك يأمره بالضرب لأنه كالعبث ولأنه تعالى جعله من معجزاته التي ظهرت بالعصا"⁽³⁾.

3- العصا تفجر الحجر بإذن الله.

"كما كان تفجير الماء بعصا موسى معجزة ظاهرة له، وهي لا تكون لغير نبي، وذلك حين عطش بني إسرائيل من شدة الحر في التيه، وطلبوا من موسى ﷺ السقيا، فأمره الله أن يضرب بعصاه أي حجر، فضرب فانفجرت منه المياه المتدفقة بقوة، وخرجت منه اثنتا عشرة عينا، لكل جماعة منهم عين يشربون منها حتى لا تقع بينهم الشحنة، قال ﷻ: ﴿وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ﴾ [البقرة: 60]"⁽⁴⁾.

(1) الخواطر، الشعراوي (ج17/ 10561).

(2) الكشاف، الزمخشري (ج3/ 317).

(3) مفاتيح الغيب، الرازي (ج22/ 81).

(4) التفسير المنير، الزحيلي (ج1/ 168).

ثالثاً: الريح.

1- ريح الصبا.

"إن الله قد أرسل على جيش المشركين ريحاً شديدة فأزالت خيامهم وأكفأت قدورهم وأطفأت نيرانهم، واختل أمرهم، وهلك كراعهم وخفهم، وقوله تعالى: ﴿إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ﴾ توطئة لقوله: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا﴾، لأن ذلك هو محل المنة، والريح المذكورة هنا هي ريح الصبا وكانت باردة وقلعت الأوتاد والأطناب وسفت التراب في عيونهم وماجت الخيل بعضها في بعض وهلك كثير من خيلهم وإبلهم، وفيها قال النبي ﷺ: «نُصِرْتُ بِالصَّبَا، وَأُهْلِكْتُ عَادٌ بِالدَّبُورِ»⁽¹⁾،⁽²⁾، وكانت هذه الريح معجزة للنبي ﷺ، لأن النبي ﷺ والمسلمين كانوا قريبون منها، لم يكن بينهم وبينها إلا عرض الخندق، وكانوا في عافية منها، ولا خبر عندهم بها"⁽³⁾.

2- ريح الدبور

"إن الله ﷻ قد بين في مواضع كثيرة أنه بعد الإملاء والإمهال لعاد أهلهم بالريح العقيم؛ كقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا عَادُ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾ [الحاقة: 6] وقوله تعالى: ﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾ [الذاريات: 41] وقوله: ﴿بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الأحقاف: 24] ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ﴾ [القمر: 19]⁽⁴⁾، وفي معنى الصرصر لعلماء التفسير وجهان معروفان:

أحدهما: أن الريح الصرصر هي الريح العاصفة الشديدة الهبوب التي يسمع لهبوبها صوت شديد، وعلى هذا فالصرصر من الصرة التي هي الصيحة المزعجة.

الوجه الثاني: أن الصرصر من الصر الذي هو البرد الشديد المحرق، والأظهر أن كلا القولين صحيح، فقد جمعت بين الأمرين، فهي عاصفة شديدة الهبوب، باردة شديدة البرد"⁽⁵⁾، "وسميت بالعاتية لأنهم ما قدروا على ردها بحيلة من استتار ببناء أو استناد إلى جبل"⁽⁶⁾.

(1) [صحيح البخاري، البخاري، المغازي/غزوة الخندق وهي الأحزاب، 5/ 109: حديث رقم 4105].

(2) التحرير والتنوير، ابن عاشور (ج21/ 279).

(3) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (ج14/ 144).

(4) أضواء البيان، الشنقيطي (ج5/ 268).

(5) المرجع السابق (ج7/ 16).

(6) مفاتيح الغيب، الرازي (ج30/ 621).

رابعاً: النار.

1- النار برداً وسلاماً على إبراهيم عليه السلام.

"إن الله خالق النار وهي جند من جنوده مسير بأمره، وإن قوم إبراهيم عليه السلام اختاروا المعاقبة بالنار لأنها أهول ما يُعاقب به وأفظعه، وجاء في الحديث: «لَا يُعَذَّبُ بِالنَّارِ، إِلَّا رَبُّ النَّارِ»⁽¹⁾، ولهذا عظموا النار وتكلفوا في تشهير أمرها وتقخير شأنها، ولم يألوا جهداً في ذلك، وقد أطاعت النار أمر الله وإرادته، وكانت برداً وسلاماً عليه، وأرادوا أن يكيّدوه ويمكروا به، فما كانوا إلا مغلوبين مقهورين، قال تعالى: ﴿وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ﴾ [الأنبياء: 70]⁽²⁾.

"ولم يملك إبراهيم عليه السلام دفعا، لكن الله حسبه فيقول ملتجئاً: «حَسْبِيَ اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ»⁽³⁾، فكانت النتيجة واضحة جلية ﴿فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ﴾ [العنكبوت: 24] وكان في نجاته من النار على النحو الخارق الذي تمت به آية لمن تهياً قلبه للإيمان، ولكن القوم لم يؤمنوا على الرغم من هذه الآية الخارقة، لأن المعجزات الخارقة لا تهدي القلوب الجاحدة، ذلك لمن يريد أن يتدبر تاريخ الدعوات، وتصريف القلوب، وعوامل الهدى والضلال"⁽⁴⁾.

"واختلفوا في أن النار كيف بردت في قوله تعالى: ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ [الأنبياء: 69] على ثلاثة أقوال:

أحدها: أن الله تعالى أزال عنها ما فيها من الحر والإحراق، وأبقى ما فيها من الإضاءة والإشراق والله على كل شيء قدير.

وثانيها: أن الله تعالى خلق في جسم إبراهيم كيفية مانعة من وصول أذى النار إليه، كما يفعل بخزنة جهنم في الآخرة.

وثالثها: أنه سبحانه خلق بينه وبين النار حائلاً يمنع من وصول أثر النار إليه"⁽⁵⁾.

2- النار ترشد موسى عليه السلام وتشد إزره.

(1) [مسند أحمد، أحمد، 421/25: حديث رقم 16034] قال شعيب الأرنؤوط: صحيح.

(2) [الكشاف، الزمخشري (ج3/ 126) باختصار.

(3) [صحيح البخاري، البخاري، تفسير القرآن/إن الناس قد جمعوا لكم، 6/ 39: حديث رقم 4564].

(4) [في ظلال القرآن، قطب (ج5/ 2731).

(5) [مفاتيح الغيب، الرازي (ج22/ 159).

إن النار التي من خصائصها الإحراق والإرهاب قد جعلها الله ﷻ آية تثبيت لقلب موسى ﷺ ليزداد قوة في مواجهة التكليف الثقيل في مواجهة فرعون، فذهب موسى ليأنس بالنار أو يجد دليلاً لطريقه فتحقق المطلوب، قال ﷻ: ﴿فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ [القصص: 29] فناده الله وأرسله إلى فرعون، وشفعه في أخيه هارون فأرسله معه، وأراه في ذلك الوقت معجزة العصا واليد ليستأنس بذلك قبل حضوره عند فرعون⁽¹⁾، "ومعنى ﴿فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ [النمل: 8] أي بورك من في مكان النار، ومن حول مكانها، فالبركة أمر عام في كل من كان في تلك الأرض وفي ذلك الوادي وحواليهما من أرض الشام"⁽²⁾، "وقال بورك من في النار، ولم يقل بورك على النار أي: بورك على من في النار وهو موسى ﷺ أو على من في قرب النار لا أنه كان في وسطها"⁽³⁾.

"وقد رأى موسى ﷺ مشهداً عجيباً، رأى النار تشتعل في فرع من الشجرة، فالنار تزداد، والفرع يزداد خُضرة، فلا أن النار تحرق الخضرة ولا رطوبة الخضرة ومائيتها تطفئ النار، فمن يقدر على هذه المسألة؟ لذلك قال بعدها: ﴿وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [النمل: 8] ففي مثل هذا الموقف إياك أن تقول: كيف، بل نزه الله عن تصرفاتك أنت، فهذا عجيب لا يُتصور بالنسبة لك، أمّا عند الله فأمر يسير"⁽⁴⁾.

"السبب الذي لأجله بورك البقعة، وبورك من فيها وحواليها حدوث هذا الأمر العظيم فيها وهو تكليم الله موسى ﷺ وجعله رسلاً وإظهار المعجزات عليه ولهذا جعل الله أرض الشام موسومة بالبركات في قوله: ﴿وَجَعَلْنَاهُ لُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: 71] وحققت أن تكون كذلك فهي مبعث الأنبياء صلوات الله عليهم، ومهبط الوحي وكفاتهم أحياء وأمواتاً"⁽⁵⁾.

(1) ينظر: أضواء البيان، الشنقيطي (ج3/ 430).

(2) الكشف، الزمخشري (ج3/ 350).

(3) فتح القدير، الشوكاني (ج4/ 146).

(4) الخواطر، الشعراوي (ج17/ 10742).

(5) مفاتيح الغيب، الرازي (ج24/ 544).

المبحث الثاني

سمات الجندية في القرآن الكريم.

المطلب الأول: سمات الجندي المسلم.

السمة الأولى: سلامة الاعتقاد:

"الدين الإسلامي بناء متكامل يشمل جميع حياة المسلم منذ ولادته وحتى مماته، ثم ما يصير إليه بعد موته، وهذا البناء الضخم يقوم على أساس متين هو العقيدة الإسلامية التي تتخذ من وحدانية الخالق منطلقاً لها، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: 162]، لذا نجد أن الرسول ﷺ مكث ثلاثة عشر سنة بمكة المكرمة ينزل عليه القرآن، وكان في غالبه ينصب على البناء العقدي، حتى إذا ما تمكنت العقيدة في نفوس أصحابه رضوان الله عليهم نزلت التشريعات بعد الهجرة إلى المدينة"⁽¹⁾.

"قال إيمان بالله هو نقطة التحول في حياة البشرية من العبودية لشتى القوى، وشتى الأشياء، وشتى الاعتبارات، إلى عبودية واحدة لله تتحرر بها النفس من كل عبودية، وهو نقطة التحول كذلك من الفوضى إلى النظام، ومن التيه إلى القصد، ومن التفكك إلى وحدة الاتجاه، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحجرات: 15]"⁽²⁾، "ولقد بين الله سبحانه لعباده حقيقة الإيمان الذي يقبل الله به الأعمال ويتحقق به وعد الله للمؤمنين، فمن شروط الاستخلاف في الأرض تحقيق الإيمان بكل معانيه والالتزام بشروطه والابتعاد عن نواقضه"⁽³⁾.

"والولاء لله تعالى ولرسوله ﷺ وللمؤمنين، والبراء من الشيطان وحزبه وأعوانه وأنصاره هي التطبيق العملي والصريح لرسوخ العقيدة عند الجندي المسلم، ولن تتحقق كلمة التوحيد في الأرض إلا بتحقيق الولاء لمن يستحق الولاء والبراء ممن يستحق البراء، وهي التفسير الدقيق لقول رسولنا الكريم ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُورِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ»⁽⁴⁾"⁽⁵⁾، "وإن الولاء القلبى ينقلب إلى واقع عملي كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ

(1) أركان الإيمان، الشحوذ (ص 4).

(2) في ظلال القرآن، قطب (ج1/ 159).

(3) تبصير المؤمنين بفقہ النصر والتمكين، الصلابي (ص 188).

(4) [صحيح مسلم، مسلم، البر والصلة والآداب/تحريم ظلم المسلم، 4/ 1987:حديث رقم2564].

(5) الولاء والبراء في الإسلام، القحطاني (ص 11).

اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴿٥٦﴾ [المائدة: 55-56]، فأخبرنا الله ﷻ أن عباده المؤمنين أشد حبا له ولرسوله وللمؤمنين؛ وذلك لأنهم لم يشركوا معه في محبته أحداً كما فعل مدعو محبته من المشركين الذين اتخذوا من دونه أندادا يحبونهم كحبه، وعلامة حب العبد ربه تقديم محبته وإن خالفت هواه وبغض ما يبغض ربه وإن مال إليه هواه، وموالاة من والى الله ورسوله ومعاداة من عاداه، واتباع رسوله ﷺ واقتفاء أثره وقبول هدايته⁽¹⁾.

السمة الثانية: الإخلاص.

"الإخلاص هو تصفية العمل بصالح النية عن جميع شوائب الشرك، قال الله تبارك وتعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ [الزمر: 3] وقال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾ [البينة: 5]، وقال تعالى: ﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ [الزمر: 2]، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ [الزمر: 11]، ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْبُدْ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي﴾ [الزمر: 14]⁽²⁾، "فالإخلاص التام والتجرد لله تعالى وعقد النية والمداومة على تجديدها لله شرط من شروط قبول العمل، فمن أخلص أعماله لله، متبعا في ذلك رسول الله ﷺ، فهذا الذي عمله مقبول، ومن فقد الإخلاص، والمتابعة لرسول الله ﷺ، أو أحدهما فعمله مردود داخل في قوله تعالى: ﴿وَقَدْ مَنَّا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ [الفرقان: 23] فلا يدع الجندي أي مدخل للشيطان ليخلط عليه أمره ويضيع عليه دينه"⁽³⁾، "قال ابن تيمية: إن العمل إذا كان خالصا ولم يكن صوابا لم يقبل، وإذا كان صوابا ولم يكن خالصا لم يقبل، حتى يكون خالصا صوابا، والخالص أن يكون لله، والصواب أن يكون على السنة"⁽⁴⁾.

"جاء رجل إلى النبي ﷺ، فقال: الرجل يقاتل للمغنم، والرجل يقاتل للذكر، والرجل يقاتل ليرى مكانه، فمن في سبيل الله؟ قال: «مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»⁽⁵⁾، فالقتال يقع بسبب خمسة أشياء طلب المغنم وإظهار الشجاعة والرياء والحمية والغضب وكل منها يتناوله المدح والذم فلهذا لم يحصل الجواب بالإثبات ولا بالنفي، وقوله من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله، المراد بكلمة الله دعوة الله إلى الإسلام

(1) معارج القبول، الحكمي (ج2/ 424).

(2) المرجع السابق، ج2/ 423.

(3) عقيدة المسلم، القحطاني (ج2/ 705) بتصرف.

(4) مجموع الفتاوى، ابن تيمية (ج3/ 124).

(5) [صحيح البخاري، البخاري، الجهاد والسير/ من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا، 20/4: حديث رقم: 2810].

ويحتمل أن يكون المراد أنه لا يكون في سبيل الله إلا من كان سبب قتاله طلب إعلاء كلمة الله فقط بمعنى أنه لو أضاف إلى ذلك سبباً من الأسباب المذكورة أخل بذلك⁽¹⁾، "فالذي يحصل لأهل الإيمان عند تجريد توحيد قلوبهم إلى الله وإقبالهم عليه دون ما سواه بحيث يكونون حنفاء له مخلصين له الدين، لا يحبون شيئاً إلا له، ولا يتوكلون إلا عليه، ولا يوالون إلا فيه، ولا يعادون إلا له ولا يسألون إلا إياه، ولا يرجون إلا إياه، ولا يخافون إلا إياه، يعبدونه ويستعينون له وبه، هو أمر لا يعرفه بالذوق والوجد إلا من له نصيب، وما من مؤمن إلا له منه نصيب، قال ﷺ: «ذَاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللَّهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا»⁽²⁾»⁽³⁾.

السمة الثالثة: التقوى.

التقوى أن تعمل بطاعة الله على نور من الله، ترجو ثواب الله، وأن تترك ما نهى الله على نور من الله تخشى عقاب الله، وهذا أجمع ما قيل في التقوى فهو يعني أن تعمل بطاعة الله على علم لا عن جهل، لأن الذي يعمل بطاعة الله عن جهل قد يفسد أكثر مما يصلح، ويتضمن أن القائم بطاعة الله يقوم بها وهو مؤمن بالثواب الذي جعله الله تعالى على هذه الطاعة، كما يتضمن الإيمان باليوم الآخر والجزاء على الأعمال، وأن تترك ما نهى الله على نور من الله تخشى عقاب الله يعني تترك ما نهى الله عن علم بأن الله نهاك عن هذا الشيء لا عن عدم رغبة فيه أو عن جهل في هذا الأمر، لأنك إنما تتركه تخشى عقاب الله⁽⁴⁾.

"وقد حث القرآن على تقوى الله وطاعته وذيل كثيراً من أحكامه ببيان شأن التقوى، وأهميتها، والتماس الأسباب المساعدة على هذه التقوى فيقول سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: 35] والتقوى تدفع المؤمن إلى التفكير في ملكوت السماوات والأرض لمعرفة أسرار الله في كونه، وسنته في خلقه، وهي الباعث على امتثال الأوامر واجتناب النواهي، وهي المحققة للإحسان في طاعة الله ورسوله، لذا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَمَرَ أَمِيرًا عَلَى جَيْشٍ، أَوْ سَرِيَّةٍ، أَوْصَاهُ فِي خَاصَّتِهِ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَمَنْ مَعَهُ مِنْ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا⁽⁵⁾»⁽⁶⁾.

(1) فتح الباري، ابن حجر (ج6/28).

(2) [صحيح مسلم، مسلم، الإيمان/ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربا، 1/62: حديث رقم34].

(3) الفتاوى الكبرى، ابن تيمية (ج5/286).

(4) مجموع فتاوى ورسائل، العثيمين (ج7/326) باختصار.

(5) [صحيح مسلم، مسلم، الجهاد والسير/تأمر الإمام الأمراء على البعوث، 3/1357: حديث رقم1731].

(6) الموسوعة القرآنية خصائص السور، شرف الدين (ج2/213).

"والتقوى قسمان: تقوى القلوب وتقوى الجوارح، والأصل تقوى القلوب، وتقوى الجوارح من لوازم تقوى القلوب، وهي ثمرة تقوى القلوب، فالتقوى في الحقيقة في القلب كما قال سبحانه: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعِظْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ [الحج: 32] وتقوى الجوارح لا قيمة لها ولا وزن بدون تقوى القلوب"⁽¹⁾.

وللتقوى أثرها على الجندي الراشد نذكر منها:

1- "السهولة واليسر في كل أمر: قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾ [الطلاق: 4]، واليسر في الأمر غاية ما يرجوه الإنسان، وإنها لنعمة كبرى أن يجعل الله الأمور ميسرة لعبده؛ فلا عنت ولا مشقة ولا عسر ولا ضيق يأخذ الأمور ببسر في شعوره وتقديره، وينالها ببسر في حركته وعمله، ويرضاها ببسر في حصيلتها ونتيجتها، ويعيش من هذا في يسر رخي ندي حتى يلقي الله"⁽²⁾.

2- "معية الله لجنوده للمتقين: قال الله ﷻ: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: 194]، وقال ﷻ: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ [النحل: 128]، وهذه معية التوفيق والتسديد، والنصرة، والتأييد، والإعانة، والحماية، كما قال الله ﷻ حكاية عن محمد ﷺ وقوله لأبي بكر رضي الله عنه: ﴿لَا تَخْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: 40]، وأما المعية العامة فهي معية شاملة لكل شيء، بسمعه، وبصره، وعلمه، قال تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد: 4]⁽³⁾.

3- "تيسير العلم النافع: قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: 282]، أي اتقوا الله في جميع ما أمركم به ونهاكم عنه، وهو يعلمكم ما فيه قيام مصالحكم وحفظ أموالكم وتقوية رابطتكم، فإنكم لولا هدايته لا تعلمون ذلك، وهو سبحانه العليم بكل شيء، فإذا شرع شيئاً فإنما يشرعه عن علم محيط بأسباب درء المفساد وجلب المصالح لمن تبعه شرعه"⁽⁴⁾.

4- "إطلاق نور البصيرة: قال تعالى: ﴿إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾ [الأنفال: 29]، إن تقوى الله تعالى في الأمور كلها تعطي صاحبها نوراً يفرق به بين الحق والباطل، وبين

(1) موسوعة فقه القلوب، التويجري (ج2/ 1889).

(2) في ظلال القرآن، قطب (ج6/ 3602).

(3) نور التقوى وظلمات المعاصي، القحطاني (ص 20).

(4) تفسير المنار، رضا (ج3/ 128).

دقائق الشبهات التي لا يعلمهن كثير من الناس، وعندما تسيطر تقوى الله على الصف المسلم يصبح يتحرك بفرقان رباني⁽¹⁾.

5- "الحفظ من كيد الأعداء ومكرهم: قال تعالى: ﴿وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ [آل عمران: 120]، يرشدهم تعالى إلى السلامة من شر الأشرار وكيد الفجار باستعمال الصبر والتقوى والتوكل على الله الذي هو محيط بأعدائهم، فلا حول ولا قوة لهم إلا به، وهو الذي ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن⁽²⁾.

6- "البركات من السماء والأرض: قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأعراف: 96] أي: لو أن القرى المهلكة آمنوا بالله ورسله واجتنبوا الكفر والمعاصي لوسعنا عليهم الخير ويسرناه لهم من كل جانب، مكان ما أصابهم من فنون العقوبات التي بعضها من السماء وبعضها من الأرض⁽³⁾.

7- "سبب لنزول المدد من السماء، قال الله تعالى: ﴿بَلَىٰ إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ [آل عمران: 125]⁽⁴⁾.

8- "حفظ الذرية الضعاف: قال تعالى: ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [النساء: 9]، وفي الآية إشارة إلى إرشاد المسلمين الذي يخشون ترك ذرية ضعاف بالتقوى في سائر شئونهم حتى تحفظ أبنائهم ويدخلوا تحت حفظ الله وعنايته، ويكون في إشعارها تهديد بضياح أولادهم إن فقدوا تقوى الله، وإشارة إلى أن تقوى الأصول تحفظ الفروع، وأن الرجال الصالحين يحفظون في ذريتهم الضعاف كما في آية: ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾ [الكهف: 82] فإن الغلامين حفظا ببركة أبيهما في أنفسهما ومالهما⁽⁵⁾.

9- "السلامة من الخوف والحزن، فمن اتقى ما حرم الله عليه: من الشرك، والكبائر، والصغائر، وأصلح أعماله الظاهرة والباطنة، فلا خوف عليه من الشر، ولا يحزن على ما

(1) تبصير المؤمنين بفقه النصر والتمكين، الصلابي (ص 239).

(2) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (ج1/ 329).

(3) محاسن التأويل القاسمي (ج7/ 221).

(4) نور الهدى وظلمات الضلال، القحطاني (ص 340).

(5) محاسن التأويل، القاسمي (ج5/ 47).

مضى، فإذا انتفى الخوف والحزن حصل الأمن التام، والسعادة والفلاح الأبدي، قال الله ﷻ: ﴿فَمَنِ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الأعراف: 35]⁽¹⁾.

10- "المتقون يدخلون الجنة وينجون من النار: قال تعالى: ﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا﴾ [مريم: 63]، قال تعالى: ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ [ق: 31]، قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَخْشِرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا﴾ [مريم: 85]⁽²⁾.

السمة الرابعة: ذكر الله والدعاء.

"ذكر الله وتكبيره، والصدق في القتال، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأنفال: 45]، هذه هي عوامل النصر الحقيقية: الثبات عند لقاء العدو، والاتصال بالله بالذكر، فاذكروا الله عند جزع قلوبكم، فإن ذكره يعين على الثبات في الشدائد، والطاعة لله والرسول"⁽³⁾، "يكون ذكر الله كثيراً: بذكره في القلب واللسان، والتضرع والدعاء بالنصر والظفر لأن النصر لا يحصل إلا بمعونة الله تعالى، وذكر الله في أثناء القتال يحقق معنى العبودية لله، ويشعر بمعنى الإيمان والتقويض لله والتوكل عليه، ويقوي الروح المعنوية، فبذكره تطمئن القلوب، ويؤمل النصر والفرج، وبدعائه تتبدد الكرب والمخاوف، ويحلو الموت في سبيل الله ﷻ"⁽⁴⁾، "وقوله تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأنفال: 45] للعلماء في هذا الذكر ثلاثة أقوال:

الأول: اذكروا الله عند جزع قلوبكم، فإن ذكره يعين على الثبات في الشدائد.

الثاني: اثبتوا بقلوبكم، واذكروه بألسنتكم، فإن القلب لا يسكن عند اللقاء ويضطرب اللسان، فأمر بالذكر حتى يثبت القلب على اليقين، ويثبت اللسان على الذكر، ويقول ما قاله أصحاب طالوت: ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: 250] وهذه الحالة لا تكون إلا عن قوة المعرفة، وانتقاد البصيرة، وهي الشجاعة المحمودة في الناس.

الثالث: اذكروا ما عندكم من وعد الله لكم في ابتياعه أنفسكم ومثامنته لكم"⁽⁵⁾.

(1) تيسير الكريم الرحمن، السعدي (ص 288).

(2) تبصير المؤمنين بفقہ النصر والتمكين، الصلابي (ص 243).

(3) في ظلال القرآن، قطب (ج3/ 1528).

(4) التفسير المنير، الزحيلي (ج10/ 24).

(5) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (ج8/ 23).

"وإن الدعاء في وقت الشدة وفي أثناء المعركة مفيد ومحقق للغاية، لأن الدعاء آية الإيمان، والعون على الثبات، قال تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَبَ لَكُمْ أَنِّي مُبْدِّكُمْ بِالْف مِنْ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: 9-10]"⁽¹⁾.

"وقال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ [البقرة: 186] ولم يقل فقل إني قريب فتدل على تعظيم حال الدعاء من وجوه الأول: كأنه سبحانه وتعالى يقول عبدي أنت إنما تحتاج إلى الوساطة في غير وقت الدعاء أما في مقام الدعاء فلا واسطة بيني وبينك، الثاني: أن قوله: وإذا سألك عبادي عني يدل على أن العبد له وقوله: إني قريب يدل على أن الرب للعبد، فثبت أن الدعاء يفيد القرب من الله، فكان الدعاء أفضل العبادات، وقال ﷺ: "إِنَّ الدُّعَاءَ هُوَ الْعِبَادَةُ"، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: 60]⁽²⁾، معناه أنه معظم العبادة وأفضل العبادة، والآيات كثيرة في هذا الباب فمن أبطل الدعاء فقد أنكر القرآن، قال ﷺ: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ [الأعراف: 55]، وقال ﷺ: ﴿قُلْ مَا يَعْْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ﴾ [الفرقان: 77]"⁽³⁾.

السمة الخامسة: الفهم والفقه:

"العلم عبارة عن الإدراك الكلي، والفهم جودة الذهن، والذهن قوة تقتض الصور والمعاني، وتشمل الإدراكات العقلية والحسية، يقال: فهمت الشيء، أي: عقلته وعرفته، ويقال: فهم وفهم، بتسكين الهاء وفتحها، وهذا قد فسر الفهم بالمعرفة، وهو غير العلم"⁽⁴⁾، "الفهم قوة ذهنية يتوصل بها إلى استنباط الأشياء الدقيقة التي قد يصل إليها الفهم ولا يصل إليها العلم"⁽⁵⁾.

"الفهم السليم لنصوص القرآن والتفقه في الدين يقودان الجندي إلى معرفة الصواب، فالفقه قبل الأمر ليعرف المعروف وينكر المنكر"⁽⁶⁾، فلا يكون تبعاً لأهوائه ضائعاً أنه على الجادة كما هو حال قاتل علي بن أبي طالب ؓ خليفة رسول الله، حين قال لصاحبه وهو يحرضه على قتل علي: "إِنْ قُتِلْنَا سَعَدْنَا بِالذِّكْرِ فِي الدُّنْيَا وَبِالْجَنَّةِ فِي الْآخِرَةِ"⁽⁷⁾، ونسي سقيم الفهم أن النبي

(1) التفسير المنير، الزحيلي (ج2/ 435).

(2) [مسند أحمد، أحمد، 30/ 298: حديث رقم 18352]، قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح.

(3) مفاتيح الغيب، الرازي (ج5/ 264).

(4) عمدة القاري، العيني (ج2/ 52).

(5) منار القاري، قاسم (ج1/ 174).

(6) مجموع الفتاوى، ابن تيمية (ج15/ 167).

(7) تاريخ الخميس، البكري (ج2/ 281).

ﷺ قال: "أَلَا أُحَدِّثُكُمْ بِأَشَقَى النَّاسِ رَجُلَيْنِ؟" قُلْنَا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: "أَحْيَمَرُ ثَمُودَ الَّذِي عَقَرَ النَّاقَةَ، وَالَّذِي يَضْرِبُكَ يَا عَلِيُّ عَلَى هَذِهِ، يَعْنِي قَرْنَهُ، حَتَّى تُبَلَّ مِنْهُ هَذِهِ، يَعْنِي لِحْيَتَهُ"⁽¹⁾، ونحن نرى اليوم من أحداث الأسنان من يكفرون المسلمين لخطأ فهمهم فيستبيحون الدماء وينتهكون الأعراض، ظانين أنهم مهتدون، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وكلما ازداد الجندي فقها قدر على التعامل مع الأحداث بأفضل الطرق وهذا الدين منهج حركي، لا يفقهه إلا من يتحرك به، فالذين يخرجون للجهاد به هم أولى الناس بفقهه بما يتكشف لهم من أسرارهِ ومعانيهِ، وإن الفقه الإسلامي وليد الحركة الإسلامية، فقد وُجد الدين أولاً ثم وُجد الفقه، وليس العكس هو الصحيح، فالحركة بهذا الدين هي التي أنشأت ذلك الفقه، ولم يكن قط فقها مستتبطيناً من الأوراق الباردة، بعيداً عن حرارة الحياة الواقعة، من أجل ذلك كان الفقهاء متفهمين في الدين، يجيء فقهم للدين من تحركهم به، ومن تحركه مع الحياة الواقعة لمجتمع مسلم حي، يعيش بهذا الدين، ويجاهد في سبيله، ويتعامل بهذا الفقه الناشئ بسبب حركة الحياة الواقعة، قال ﷺ: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: 122]⁽²⁾، بهذا يكون المقصود من التفقه والتعلم دعوة الخلق إلى الحق، وإرشادهم إلى الدين القويم والصراط المستقيم، لأن الآية تدل على أنه تعالى أمرهم بالتفقه في الدين، لأجل أنهم إذا رجعوا إلى قومهم أنذروهم بالدين الحق، وأولئك يحذرون الجهل والمعصية ويرغبون في قبول الدين، فكل من تفقه وتعلم لهذا الغرض كان على المنهج القويم والصراط المستقيم، ومن عدل عنه وطلب الدنيا بالدين كان من الأخسرين أعمالاً الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا⁽³⁾.

السمة السادسة: الصبر.

"هو خلق فاضل من أخلاق النفس يمتنع به من فعل ما لا يحسن ولا يجمل وهو قوة من قوى النفس التي بها صلاح شأنها وقوام أمرها"⁽⁴⁾، وقد أمر الله ﷻ بالصبر في أكثر من سبعين موضعاً، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: 200]، وقال ﷺ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾

(1) [مسند أحمد، أحمد، 30/ 257: حديث رقم 18321]، قال الألباني: صحيح/ صحيح الجامع الصغير وزيادته (ج1/ 505).

(2) في ظلال القرآن، قطب (ج3/ 1734) باختصار.

(3) ينظر: مفاتيح الغيب، الرازي (ج16/ 172).

(4) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، ابن قيم الجوزية (ص 16).

[البقرة: 153]، وقال ﷺ: ﴿وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضْرُكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا﴾ [آل عمران: 120]، "والصبر حبس النفس على ما يقتضيه العقل أو الشرع، أو على العبد عما يقتضيان حبسها عنه، وصابروا الكفار أي: غالبوهم بالصبر فلا يكونوا أشد منكم"⁽¹⁾، "قاصبروا على الدين وتكاليفه وصابروا أعداء الله في الجهاد، بالمغالبة في الصبر على شدائد الحرب لا تكونوا أقل صبراً منهم وثباتاً"⁽²⁾، "وخص المصابرة بالذكر بعد أن ذكر الصبر: لكونها أشد منه وأشق وأكمل وأفضل من الصبر على ما سواه"⁽³⁾.

"وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ما أصابتنى مصيبة إلا وجدت فيها ثلاث نعم:

الأولى: أنها لم تكن في ديني.

الثانية: أنها لم تكن أعظم مما كانت.

الثالثة: أن الله يجازي عليها الجزاء الكبير"⁽⁴⁾.

السمة السابعة: الطاعة والتقيّد بالأوامر.

"الطاعة هي أساس الجندية، والسمع والطاعة لولي الأمر في المعروف أصل من أصول الواجبات الدينية حتى أدرجها الأئمة في جملة العقائد الإيمانية"⁽⁵⁾، وقد تواترت النصوص القطعية من الكتاب والسنة على تأكيد ضرورة طاعة ولاة الأمر في المعروف ولزومها، والسبب في ذلك كما يقول الإمام النووي: "اجتماع كلمة المسلمين، فإن الخلاف سبب لفساد أحوالهم في دينهم ودنياهم"⁽⁶⁾، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [النساء: 59]، "نزلت الآية في الرعية من الجيوش وغيرهم؛ عليهم أن يطيعوا أولي الأمر الفاعلين لذلك في قسمهم وحكمهم ومغازيهم وغير ذلك؛ إلا أن يأمرؤا بمعصية الله فإذا أمرؤا بمعصية الله فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق؛ فإن تنازعوا في شيء رده إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ"⁽⁷⁾.

(1) دليل الفالحين، ابن علان (ج1/ 145).

(2) الكشف، الزمخشري (ج1/ 460).

(3) فتح القدير، الشوكاني (ج1/ 475).

(4) التفسير المنير، الزحيلي (ج2/ 42).

(5) بدائع السلك، ابن الأزرقي (ج1/ 77).

(6) المنهاج، النووي (ج12/ 225).

(7) مجموع الفتاوى، ابن تيمية (ج28/ 245).

ويتمثل لنا رجل الأمن الأول الصحابي الجليل حذيفة بن اليمان ؓ في شدة التزامه وانضباطه يوم الخندق حين قال له رسولنا الكريم ﷺ: "أَذْهَبْ فَأَتِنِي بِخَبَرِ الْقَوْمِ، وَلَا تَدْعُرْهُمْ عَلَيَّ"، يَقُولُ: فَلَمَّا وَلَّيْتُ مِنْ عِنْدِهِ جَعَلْتُ كَأَنَّمَا أَمْشِي فِي حَمَامٍ حَتَّى أَتَيْتُهُمْ، فَرَأَيْتُ أَبَا سُفْيَانَ يَصْلِي ظَهْرَهُ بِالنَّارِ، فَوَضَعْتُ سَهْمًا فِي كَبِدِ الْقَوْسِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَرْمِيَهُ، فَذَكَرْتُ قَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «وَلَا تَدْعُرْهُمْ عَلَيَّ»، وَلَوْ رَمَيْتُهُ لَأَصَبْتُهُ فَرَجَعْتُ وَأَنَا أَمْشِي فِي مِثْلِ الْحَمَامِ، فَلَمَّا أَتَيْتُهُ فَأَخْبَرْتُهُ بِخَبَرِ الْقَوْمِ⁽¹⁾، فكان حذيفة ؓ مثلاً في السمع والطاعة دون اجتهاد أو اخلال حيث كان بمقدوره أن يقتل القائد العام للجيش لكن التزامه التام منعه من ذلك، فحري بالجنود أن يتقيدوا بالتعليمات لأن في ذلك النجاة لهم والنجاح لعملهم⁽²⁾.

قال ابن تيمية: "وفي الحقيقة فالواجب في الأصل إنما هو طاعة الله، لكن لا سبيل إلى العلم بمأموره وبخبره كله إلا من جهة الرسول والمبلغ عنه، أما مبلغ أمره وكلماته، فتجب طاعته وتصديقه في جميع ما أمر وأخبر، وأما ما سوى ذلك فإنما يطاع في حال دون حال، كالأمراء الذين تجب طاعتهم في محل ولايتهم ما لم يأمرؤا بمعصية الله، فإنه لا معصوم بعد الرسول ﷺ ولا تجب طاعة أحد بعده في كل شيء"⁽³⁾.

وقد أوجب الله على الجند طاعة الأمير، وعدم التنازع، قال ﷺ: «وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ» [الأنفال: 46]، "إن حصول التنازع ضد مصلحة العالم لأن ذلك يفضي إلى الهرج والمرج والقتل والنهب، فلهذا السبب أمر الله تعالى بإقامة الدين على وجه لا يفضي إلى التفرق"⁽⁴⁾، "ولقد ذهب ربح أصحاب محمد ﷺ حين نازعوه يوم أحد"⁽⁵⁾.

"وكان الصحابة ؓ إذا أمرهم النبي ﷺ بأمر وأراد فعله لمصلحتهم، سألوه إن كان أمراً تجب طاعته نفذوا، وإن كان إنما أراد من أجل مصلحتهم وهم لا يرونه راجعوه في ذلك، وما كان ﷺ يغضب عليهم، بل إنه كان يوافقهم على رأيهم ما دام غير مأمور به من الله، ومن ذلك إرادته

(1) سبق تخريجه ص 94.

(2) انظر: فقه السيرة، الغزالي (ص 310).

(3) مجموع الفتاوى، ابن تيمية (ج 19 / 69).

(4) مفاتيح الغيب، الرازي (ج 27 / 588).

(5) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (ج 8 / 25).

ﷺ مصالحة غطفان على ثلث ثمار المدينة في غزوة الأحزاب لينسحبوا شفقة على أصحابه، فاستشار السعدين في ذلك، فقالوا: يا رسول الله إن كان الله أمرك بهذا فسمعاً وطاعة، وإن كان شيء تصنعه لنا فلا حاجة لنا فيه، لقد كنا نحن وهؤلاء القوم على الشرك بالله وعبادة الأوثان، وهم لا يطمعون أن يأكلوا منها ثمرة إلا قرى أو بيعاً، فحين أكرمنا الله بالإسلام وهدانا له وأعزنا بك نعطيهم أموالنا؟! والله لا نعطيهم إلا السيف، فصوب رأيهما⁽¹⁾.

السمة الثامنة: الدهاء والذكاء والخدعة والحيلة.

إن هذه الصفات عظيمة الأثر في حياة الجندي، فهي المنجاة له من المواقف المحرجة الخطيرة، كما تعينه في تنفيذ مهماته بسهولة ويسر، وتوفر له كما كبيراً من المعلومات في أقصر وقت ممكن، "وإن حكم الحيل الشرعية التي يتوصل بها إلى مصالح ومنافع دينية، كقوله تعالى لآيوب العليه: ﴿وَحُذِّ بِيدِكَ ضِعْفًا﴾ ليتخلص من جلدتها ولا يحنث، وكقول إبراهيم العليه: هي أختي، لتسلم من يد الكافر، وما الشرائع كلها إلا مصالح وطرق إلى التخلص من الوقوع في المفساد، وقد علم الله تعالى في هذه الحيلة التي لقنها يوسف العليه -حيث وضع السقاية في وعاء أخيه- مصالح عظيمة فجعلها سلماً وذريعة إليها، فكانت حسنة جميلة وانزاحت عنها وجوه القبح لما ذكرنا"⁽²⁾.

كما أننا نجد في سيرة الرسول ﷺ الكثير من الشواهد الدالة على فطنته وفطنة أصحابه نور بعضها على سبيل المثال لا الحصر:

1- ذكاء الرسول ﷺ يوم بدر لما سأل الرجل عن خبر قريش، فلما فرغ قال: ممن أنتما؟ فقال رسول ﷺ: نحن من ماء، ثم انصرف عنه⁽³⁾.

2- "حنكة الصحابي الجليل النعيم بن مسعود رضي الله عنه في غزوة الأحزاب عندما استخدم ذكاءه ودهاءه في إيقاع الشك بين اليهود وقريش وغطفان منفذاً وصية الرسول ﷺ: ما استطعت أن تخذل الناس فخذل، فاستطاع أن يصنع الفرقة بينهم ويخذلهم حتى قالوا: صدقكم والله نعيم"⁽⁴⁾.

(1) زاد المعاد، ابن قيم الجوزية (ج3/ 244).

(2) الكشاف، الزمخشري (ج2/ 492).

(3) التفسير الوسيط، طنطاوي (ج6/ 17) بتصرف.

(4) المغازي، الواقدي (ج2/ 480)، وينظر: زاد المعاد، الجوزية (ج3/ 244).

3- "دهاء سيدنا حذيفة رضي الله عنه حين فاجأ مجالسيه قبل أن يسألاه، فينكشف أمره، ذلك حين قام أبو سفيان فقال: يا معشر قريش، لينظر امرؤ من جلسه، قال حذيفة: فأخذت بيد الرجل الذي كان إلى جنبي فقلت: من أنت؟ قال: فلان ابن فلان"⁽¹⁾.

والجندي المسلم يحرص كل الحرص على التفكير في أساليب النصر وأسباب النكيل من خسائر أمته، وأساليب دحر أعدائه وتفريق كلمتهم، وإنزال الخسائر الفادحة بهم، وقد فتح الرسول ﷺ لجنود الإسلام القاعدة العامة للمكر بأعدائهم حين قال: «الْحَرْبُ خَدْعَةٌ»⁽²⁾، فيه التحريض على أخذ الحذر في الحرب، والندب إلى خداع الكفار، وأن من لم يتيقظ لذلك لم يأمن أن ينعكس الأمر عليه"⁽³⁾، وقال النووي: واتفقوا على جواز خداع الكفار في الحرب كيفما أمكن، إلا أن يكون فيه نقض عهد أو أمان فلا يجوز"⁽⁴⁾، "لذا فلا بد أن يكون كثير الدَّهَاء والحيل والخديعة: ليتوصل بدعائه إلى كل موصل، ويدرك مقصده من أي طريق أمكنه، فإنه متى كان قاصراً في هذا الباب أو شك أن يقع ظفر العدو به أو يعود صفر اليدين من طلبته"⁽⁵⁾.
السمة التاسعة: الشجاعة والاقدام.

"إن الجندية عمل شاق، ومخاطره كبيرة وجسيمة قد تؤدي بحياة صاحبها، والشجاعة تحمله على عزة النفس، وإيثار معالي الأخلاق والشيم، وعلى البذل والندى، الذي هو شجاعة النفس وقوتها على إخراج المحبوب ومفارقته، وتحمله على كظم الغيظ، فإنه بقوة نفسه وشجاعته يمسك عنانها، ويكبحها بلجامها عن النزغ والبطش، كما قال النبي ﷺ: «لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرْعَةِ، إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ»⁽⁶⁾، وهو حقيقة الشجاعة، وهي ملكة يقتدر بها العبد على قهر خصمه"⁽⁷⁾، "قال حكماء الإسلام: للإنسان قوى ثلاث: العقلية والغضبية والشهوية، وكمال القوة الغضبية الشجاعة، وكمال القوة الشهوية الجود، وكمال القوة العقلية الحكمة. والأحسن إشارة إليه لأن حسن الصورة تابع لاعتدال المزاج، واعتدال المزاج تابع لصفة النفس الذي به جودة القريحة، وهذه الثلاث هي أمهات الأخلاق"⁽⁸⁾.

(1) البداية والنهاية، ابن كثير (ج6/63).

(2) [صحيح البخاري، البخاري، الجهاد والسير/الحرب خدعة، 4/64: حديث رقم 3030].

(3) فتح الباري، ابن حجر (ج6/158).

(4) المنهاج، النووي (ج12/45).

(5) صبح الأعشى، القلقشندي (ج1/159).

(6) [صحيح البخاري، البخاري، الأدب/الحذر من الغضب، 8/28: حديث رقم 6114].

(7) مدارج السالكين، ابن قيم الجوزية (ج2/294).

(8) عمدة القاري، العيني (ج14/117).

"والشجاعة صفة الأنبياء ﷺ، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ﴾ [الأحزاب: 39]، أنهم جردوا الخشية ووحدها بقوله: ولا يخشون أحدا إلا الله، فلا تخش غيره ولا تلتفت إلى غيره"⁽¹⁾، "وإن لكل نفس كتاباً مؤجلاً إلى أجل مرسوم، ولن تموت نفس حتى تستوفي هذا الأجل المرسوم قال ﷺ: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنَ﴾ [المائدة: 3]، فالخوف والهلع، والحرص والتخلف، لا تطيل أجلاً، والشجاعة والثبات والإقدام والوفاء لا تقصر عمراً، وبذلك تتطلق من عقال الشح والحرص، كما ترتفع على وهلة الخوف والفرح، وبذلك تستقيم على الطريق بكل تكاليفه وبكل التزاماته، في صبر وطمأنينة، وتوكل على الله الذي يملك الآجال وحده"⁽²⁾.

مواقف الشجاعة والإقدام في حياة سيد الأنام نذكر بعضاً منها:

- 1- وكان رسولنا الكريم ﷺ أشجع الناس فعن عليٍّ، قال: «لَمَّا حَضَرَ النَّبَأُ يَوْمَ بَدْرٍ انْقَيْنَا بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَكَانَ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ، مَا كَانَ أَحَدٌ أَقْرَبَ إِلَى الْمُشْرِكِينَ مِنْهُ»⁽³⁾.
- 2- في معركة أحد قاتل ﷺ قتالاً بطولياً لم يقاقله أحد وقتل أبي بن خلف⁽⁴⁾.
- 3- في معركة حنين: جاء رجل إلى البراء فقال: أكنتم وليتم يوم حنين يا أبا عمار، فقال: أشهد على نبي الله ﷺ ما ولى، ولكنه حسر إلى هذا الحي من هوازن، وهم قوم رماة فرموهم برشق من نبل كأنها رجل من جراد فانكشفوا، فأقبل القوم إلى رسول الله ﷺ وأبو سفيان يقود به بغلته، فنزل ودعا واستنصر وهو يقول: «أَنَا النَّبِيُّ لَا كَذِبَ، أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ» قال البراء: «كُنَّا وَاللَّهِ إِذَا احْمَرَّ النَّبَأُ نَتَقَى بِهِ، وَإِنَّ الشُّجَاعَ مِنَّا لِلَّذِي يُحَادِي بِهِ، يَعْنِي النَّبِيَّ ﷺ»^{(5)»(6)}.
- 4- عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ، وَأَشْجَعَ النَّاسِ، وَأَجْوَدَ النَّاسِ، وَلَقَدْ فَرَعَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ فَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ سَبَقَهُمْ عَلَى فَرَسٍ»، وَقَالَ: «وَجَدْنَاهُ بَحْرًا»⁽⁷⁾، "فإن القيام في

(1) مفاتيح الغيب، الرازي (ج25/ 171).

(2) في ظلال القرآن، قطب (ج1/ 487).

(3) [مسند أحمد، أحمد، 2/ 307: حديث رقم 1042]، قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح.

(4) زاد المعاد، ابن قيم الجوزية (ج3/ 178).

(5) سبق تخريجه ص39.

(6) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (ج8/ 101).

(7) [صحيح البخاري، البخاري، الجهاد والسير/ الشجاعة في الحرب والجبن، 4/ 22: حديث رقم 2820].

نحر العدو، وبيع العبد نفسه من الله تعالى لا يوازيه عمل، فالتقدم إليه أفضل، ولا خلاف فيه ولا خفاء به، ولم يكن أحد يتقدم الحرب بين يدي رسول الله ﷺ، لأنه كان أشجع الناس⁽¹⁾.

"وهكذا أصحابه ﷺ ومن بعدهم من أهل العلم والإيمان فينبغي للمجاهدين أن يقتدوا بنبيهم ﷺ، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: 21]"⁽²⁾.

السمة العاشرة: تعلم آداب القتال:

"يتطلب عند القتال التقيد بقواعد وآداب معينة كثيرة، لتحقيق النصر، والعز، ولأنه موقف حاسم حساس يحتاج لضوابط لها أهميتها في الموقف القتالي، وأثارها في صفوف المقاتلين، ومن المعلوم أن القرآن الكريم ليس كتاباً دينياً فحسب، وإنما هو دستور رصين متين في العقيدة والعبادة، والأخلاق والأنظمة، والسلم والحرب، لذا اشتملت توجيهاته على وصايا حكيمة، ومبادئ قديمة في الجهاد"⁽³⁾، وهي ما يطلق عليها أخلاقيات القتال نذكر منها بإيجاز:

1- **عدم قتل النساء والأطفال والشيوخ الكبار والرهبان إذا لم يقاتلوا**، وكل من اجتنب الحرب لا يحل قتله، فإن قاتلوا، أو حرّضوا، أو كان لهم رأي وتبدير في الحرب قُتلوا، قال ﷺ: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [البقرة: 190]، "والعدوان يكون بتجاوز المحاربين المعتدين إلى غير المحاربين من الأمنيين المسالمين الذين لا يشكلون خطراً على الدعوة الإسلامية ولا على الجماعة المسلمة، كالنساء والأطفال والشيوخ والعباد المنقطعين للعبادة من أهل كل ملة ودين"⁽⁴⁾.

2- **عدم تحريق الآدمي والحيوان بالنار**، فعن أبي هريرة ؓ، أَنَّهُ قَالَ: بَعَثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي بَعْثٍ فَقَالَ: «إِنْ وَجَدْتُمْ فَلَانًا وَفُلَانًا فَأَحْرِقُوهُمَا بِالنَّارِ»، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ أَرَدْنَا الْخُرُوجَ: «إِنِّي أَمَرْتُكُمْ أَنْ تَحْرِقُوا فَلَانًا وَفُلَانًا، وَإِنَّ النَّارَ لَا يُعَذَّبُ بِهَا إِلَّا اللَّهُ، فَإِنْ وَجَدْتُمُوهُمَا فَأَقْتُلُوهُمَا»⁽⁵⁾، "ومن ثم كانت تلك الآداب مرعية حتى مع أعدائهم الذين فتنهم

(1) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (ج10/ 20).

(2) الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى، القحطاني (ج2/ 539).

(3) التفسير الوسيط، الزحيلي (ج1/ 806).

(4) في ظلال القرآن، قطب (ج1/ 188).

(5) سبق تخريجه ص86.

ومثلوا ببعضهم أشنع التمثيل.. ولما فار الغضب برسول الله ﷺ فأمر بحرق فلان وفلان (رجلين من قريش) عاد فنهى عن حرقهما، لأنه لا يحرق بالنار إلا الله⁽¹⁾.

3- النهي عن الغلول، قال ﷺ: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ وَمَنْ يَغُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [آل عمران: 161]، "والغلول هو الخيانة، إلا أنه في عرف الاستعمال صار مخصوصا بالخيانة في الغنيمة"⁽²⁾، "ولقد كان من بين العوامل التي جعلت الرماة يزاولون مكانهم من الجبل، خوفهم ألا يقسم لهم رسول الله ﷺ من الغنائم، كذلك كان بعض المنافقين قد تكلموا بأن بعض غنائم بدر من قبل قد اختفت ولم يستحووا أن يهمسوا باسمه ﷺ في هذا المجال، فهنا يأتي السياق بحكم عام ينفي عن الأنبياء عامة إمكان أن يغلوا، وطبيعة النبي الأمانة العادلة العفيفة لا يتأتى أن يقع منها الغلول ابتداء، ثم يهدد الذين يغلون، ويخفون شيئاً من المال العام أو من الغنائم، ذلك التهديد المخيف"⁽³⁾.

4- سؤال الله العافية، وعدم تمني لقاء العدو، قال ﷺ: «أَيُّهَا النَّاسُ، لَا تَتَمَنَّوْا لِقَاءَ الْعَدُوِّ، وَاسْأَلُوا اللَّهَ الْعَافِيَةَ، فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاصْبِرُوا، وَاعْلَمُوا أَنَّ الْجَنَّةَ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ»⁽⁴⁾، "أي لا محيص للإنسان عما قدره الله له وعليه، ولكن أمرنا الله تعالى بالتحرز من المخاوف والمهلكات، وباستفراغ الوسع في التوقي من المكروهات"⁽⁵⁾.

5- اجتناب المعاصي، فهي أعظم سبب لتسلط الكفار على المسلمين، قال ﷺ: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾ [الشورى: 30]، "أي ما يعجل الله تعالى من مصائب عقابه إما على جهة المحنة أو على جهة العقوبة المعجلة فبذنوبكم ولا يعجل المحنة والعقاب على كثير منها"⁽⁶⁾.

(1) في ظلال القرآن، قطب (ج1/189).

(2) مفاتيح الغيب، الرازي (ج9/411).

(3) في ظلال القرآن، قطب (ج1/504).

(4) سبق تخريجه ص 86.

(5) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (ج3/233).

(6) مفاتيح الغيب، الرازي (ج3/579).

المطلب الثاني: سمات الجندي الفاسد.

السمة الأولى: الشرك بالله وموالاة الكفار.

"الجندي الفاسد يقاتل لغير الله، ويعتقد صحة المذاهب الهدامة ويدعو إليها مع معرفة حقيقتها، ومن هذه المذاهب ما جدّ في هذا العصر من مذاهب هي في حقيقتها حرب على الإسلام، ودعوة للاجتماع على غير هديه، كالقومية والوطنية، فكثير من المنافقين في هذا العصر ممن يسمون "علمانيين" أو "حداثيين" أو "قوميين" يعرفون حقيقة هذه المذاهب، ويدعون إلى الاجتماع على هذه الروابط الجاهلية، ويدعون إلى نبذ رابطة الإيمان والإسلام التي ذكرها ربنا جل وعلا بقوله: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: 10]⁽¹⁾.

"وقد نهانا ربنا عن اتخاذ الكافرين أولياء قال تعالى: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: 28] إن من تولى اليهود والنصارى من المسلمين، فإنه يكون منهم بتوليهم إياهم، وبين في موضع آخر أن توليهم موجب لسخط الله، والخلود في عذابه، وأن متوليهم لو كان مؤمناً ما تولاهم، وهو قوله تعالى: ﴿تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ [المائدة: 80]، ويفهم من ظواهر هذه الآيات أن من تولى الكفار عمداً اختياراً، رغبة فيهم أنه كافر مثلهم ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَاِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: 51]⁽²⁾.

"وقد جاء رجلٌ إلى النبي ﷺ فقال: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا الْقِتَالُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟ فَإِنْ أَحَدَنَا يُقَاتِلُ غَضَبًا، وَيُقَاتِلُ حَمِيَّةً، فَرَفَعَ إِلَيْهِ رَأْسَهُ، قَالَ: وَمَا رَفَعَ إِلَيْهِ رَأْسَهُ إِلَّا أَنَّهُ كَانَ قَانِمًا، فَقَالَ: «مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعَلِيَا، فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﷻ»⁽³⁾، وجاء رجلٌ (آخر) إلى النبي ﷺ فقال: الرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِلْمَغْنَمِ، وَالرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِلذَّكْرِ، وَالرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِيُرَى مَكَائِهِ، فَمَنْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟ قَالَ: «مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعَلِيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»⁽⁴⁾، فالحاصل من رواياتهم أن القتال يقع بسبب خمسة أشياء طلب المغنم وإظهار الشجاعة والرياء والحمية والغضب وكل منها يتناوله المدح والذم فلهذا لم يحصل الجواب بالإثبات ولا بالنفي قوله من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله، المراد بكلمة الله دعوة الله إلى الإسلام ويحتمل أن يكون المراد أنه

(1) مختصر تسهيل العقيدة الإسلامية، الجبرين (ص 84).

(2) أضواء البيان، الشنقيطي (ج1/ 412).

(3) [صحيح البخاري، البخاري، العلم/من سأل وهو قائم عالم جالس، 1/ 36: حديث رقم 123].

(4) [صحيح البخاري، البخاري، الجهاد والسير/من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا، 4/ 20: حديث رقم 2810].

لا يكون في سبيل الله إلا من كان سبب قتاله طلب إعلاء كلمة الله فقط بمعنى أنه لو أضاف إلى ذلك سبباً من الأسباب المذكورة أخل بذلك ويحتمل أن لا يخل إذا حصل ضمناً⁽¹⁾.

ومظاهر الموالاة للكفار كثيرة نذكر منها:

1- الاطمئنان إلى الكفار أو الثقة بهم في أمر عام، والتجسس لهم: واطلاعهم على أسرار المسلمين الخاصة بمصلحة الدين، كما فعل حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه⁽²⁾ لأن فيه إعانة للكفر على الإيمان⁽³⁾، "وإن المنافقين لما كانوا يظهرون الإسلام يمكنهم ذلك من الاطلاع على أسرار المسلمين ثم يخبرون الكفار بذلك فكانت تتضاعف المحنة من هؤلاء المنافقين، لذلك جعل الله عذابهم أزيد من عذاب الكفار"⁽⁴⁾.

2- الرضى بكفر الكافرين وعدم تكفيرهم: أو الشك في كفرهم أو تصحيح أي مذهب من مذاهبهم الكافرة قال تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [المجادلة: 22]⁽⁵⁾، "فإن من تولاهم ونصرهم على المؤمنين، فهو من أهل دينهم وملتهم، فإنه لا يتولى متول أحداً إلا وهو به وبدينه وما هو عليه راض، وإذا رضى ورضي دينه، فقد عادى ما خالفه وسخطه، وصار حكمه حكمه"⁽⁶⁾، "فما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه، وما يجمع إنسان في قلب واحد ودين: ودّاً لله ورسوله وودّاً لأعداء الله ورسوله، فإما إيمان أو لا إيمان، أما هما معاً فلا يجتمعان"⁽⁷⁾.

3- الركون إليهم: قال تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ [هود: 113] الركون حقيقته: الاستناد والاعتماد، والسكون إلى الشيء والرضا به وهذه الآية دالة على هجران أهل الكفر والمعاصي من أهل البدع وغيرهم فإن صحبتهم كفر أو معصية إذ الصحبة لا تكون إلا عن مودة⁽⁸⁾.

(1) فتح الباري، ابن حجر (ج6/28).

(2) ينظر: [صحيح البخاري، البخاري، الجهاد والسير/الجاسوس، 4/59: حديث رقم 3007].

(3) ينظر: التفسير المنير، الزحيلي (ج3/201).

(4) مفاتيح الغيب، الرازي (ج11/251).

(5) الولاء والبراء في الإسلام، البركاتي (ص 232).

(6) جامع البيان، الطبري (ج10/400).

(7) في ظلال القرآن، قطب (ج6/3514).

(8) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (ج9/108).

4- التولي العام واتخاذهم أعواناً وأنصاراً وأولياء: أو الدخول في دينهم وقد نهى الله عن ذلك فقال: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: 28] ، فمن اتخذ الكفار أعواناً وأنصاراً وظهوراً يواليهم على دينهم ويظاهرون على المسلمين فليس من الله في شيء، أي قد برئ من الله وبرئ الله منه، بارتداده عن دينه ودخوله في الكفر⁽¹⁾، "والولاية إعزاز وأمانة، وهم يستحقون للذل والخيانة، والله يغني عنهم المسلمين، فلا يجوز استعمالهم لما فيه من إعلائهم على المسلمين"⁽²⁾.

5- مداهنتهم ومداراتهم ومجاملتهم على حساب الدين: قال تعالى: ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾ [القلم: 9] "المداهنة هي إظهار الرضا بما يصدر من الظالم أو الفاسق من قول باطل، أو عمل مكروه، فهي بلادة في النفس، واستكانة للهوى، وقبول ما لا يرضى به ذو دين، أو عقل، أو مروءة"⁽³⁾، قال ﷺ: «لَتَتَّبِعَنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، شَبْرًا شَبْرًا وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ تَبِعْتُمُوهُمْ»، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى؟ قَالَ: «فَمَنْ»⁽⁴⁾، "قالمداهن يتلطف بصاحب الباطل ليقره على باطله ويتركه على هواه فهي لأهل النفاق"⁽⁵⁾.

6- الاستعانة بهم واتخاذهم بطانة من دون المؤمنين: قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا﴾ "أي: أولياء أصفياء من غير أهل ملتكم، وبطانة الرجل: خاصته، تشبيها ببطانة الثوب التي تلي بطنه، لأنهم يستبطنون أمره ويطلعون منه على ما لا يطلع عليه غيرهم، ثم بين العلة في النهي عن مباطنتهم، فقال جل ذكره: لا يألونكم خبالا، أي: لا يقصرون ولا يتركون جهدهم فيما يورثكم الشر والفساد"⁽⁶⁾، "فالتحذير للجماعة المسلمة من أن تتخذ من أعدائها الطبيعيين بطانة، وأن تجعل منهم أمناء على أسرارها ومصالحها، وهم للذين آمنوا عدو، يجيء هذا التحذير في صورة شاملة خالدة، ما نزال نرى مصداقها في كل وقت، وفي كل أرض، صورة رسمها هذا القرآن، فغفل عنها أهل هذا القرآن، فأصابهم من غفلتهم وما يزال يصيبهم الشر والأذى

(1) جامع البيان، الطبري (ج6/ 313).

(2) فتاوى في التوحيد، ابن جبرين (ص 48).

(3) سوء الخلق، أحمد الحمد (ص 162).

(4) [صحيح البخاري، البخاري، الاعتصام بالكتاب والسنة/للتبع سنن من كان قبلكم، 103/9:حديث رقم7320].

(5) الروح، ابن قيم الجوزية (ص 231).

(6) معالم التنزيل، البغوي (ج1/ 498).

والمهانة⁽¹⁾، "وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أنه قال: قلت لعمر بن الخطاب رضي الله عنه: إن لي كاتباً نصرانياً، فقال: مالك قاتلك الله، ألا اتخذت حنيفاً، أما سمعت قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ﴾ [المائدة: 51] قلت: له دينه ولي كتابته، فقال: لا أكرمهم إذا أهانهم الله، ولا أعزهم إذا أذلهم الله، ولا أدنيهم إذا أبعدهم الله، قلت: لا يتم أمر البصرة إلا به، فقال: مات النصراني والسلام، يعني هب أنه قد مات فما تصنع بعده، فما تعمله بعد موته فاعمله الآن واستغن عنه بغيره"⁽²⁾.

السمة الثانية: الكبر.

"الكبر والخيلاء مرضان نفسيان يصيبان الجندي إذا فسد فينشآن من النقص الذي يصاب به، فلا يتكبر ولا يختال من كان كبير النفس واسع العقل أبداً، ولهذا نهى الإنسان عنهما نهياً معللاً بقوله: ﴿إِنَّكَ لَنْ تَخِرَّقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طَوْلاً﴾ [الإسراء: 37] إذا سرت عليها ولن تبلغ بتطاولك الجبال وهذا تهكم بالمتكبر والمختال"⁽³⁾.

"وينبغي ليكون الجندي الفاسد متكبراً أن يرى لنفسه مرتبة ولغيره مرتبة، ثم يرى مرتبة نفسه فوق مرتبة غيره، فعند هذه الاعتقادات الثلاثة يحصل فيه خلق الكبر، بل إن هذه العقيدة تنتفخ فيه، فيحصل في قلبه اعتداد، وهزة، وفرح، وركون إلى ما اعتقده، وعز في نفسه بسبب ذلك، فتلك العزة، والهزة، والركون إلى العقيدة هو خلق الكبر، لذلك قال النبي ﷺ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبَرٍ»⁽⁴⁾، وإنما صار حجاباً دون الجنة لأنه يحول بين العبد وبين أخلاق المؤمنين كلها وتلك الأخلاق هي أبواب الجنة والكبر وعزة النفس يغلق تلك الأبواب كلها لأنه لا يقدر على أن يحب المؤمنين ما يحب لنفسه"⁽⁵⁾.

"وأصول الخطايا كلها ثلاثة: الكبر وهو الذي أصر إبليس إلى ما أصره، والحرص وهو الذي أخرج آدم من الجنة، والحسد وهو الذي جرأ أحد بني آدم على أخيه فمن وقى شر هذه الثلاثة فقد وقى الشر فالكفر من الكبر والمعاصي من الحرص والبغي والظلم من الحسد"⁽⁶⁾.

(1) في ظلال القرآن، قطب (ج1/ 451).

(2) مفاتيح الغيب، الرازي (ج12/ 375).

(3) التفسير الواضح، حجازي (ج2/ 373).

(4) [صحيح مسلم، مسلم، الإيمان/تحريم الكبر وبيانها، 1/ 93: حديث رقم 91].

(5) إحياء علوم الدين، الغزالي (ج3/ 344).

(6) الفوائد، ابن قيم الجوزية (ص 58).

ومظاهر الكبر التي يحذر الجندي من الوقوع فيها كثيرة نذكر منها⁽¹⁾:

1- تصغير الوجه: وهو ميل في العنق، بإمالة عن النظر كبراً، قال ﷺ: ﴿وَلَا تُصَغِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾ [لقمان: 18]⁽²⁾، "فهو الإعراض على جهة الكبر، أي لا تعرض بوجهك عن الناس متكبراً، وأصله الميل، ويقال: رجل أصعر إذا كان به داء، فيميل رأسه وعنقه من ذلك إلى أحد الجانبين، ويقال: معناه لا تكلم أحداً وأنت معرض عنه، فإن ذلك من الجفاء والإيذاء"⁽³⁾.

2- الاختيال في المشي: وهو الذي يري الناس عظمة نفسه وهو التكبر ويعني التبختر والتعالي في المشية خيلاء، وهو محرم بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾ [الإسراء: 37]⁽⁴⁾، ويقول ﷺ: «بَيْنَمَا رَجُلٌ يَجُرُّ إِزَارَهُ مِنْ الْخِيَلَاءِ، حُسْفَ بِهِ، فَهُوَ يَتَجَلَّجُلُ فِي الْأَرْضِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»⁽⁵⁾.

وقد رخص في الاختيال في الحرب⁽⁶⁾، فهي مشية يبغضها الله إلا بين الصنفين لإبراز هيبة المسلمين أمام أعدائهم⁽⁷⁾.

3- الترفع عن مجالسة من هو أدنى منه⁽⁸⁾: "فقد اقترح أشرف الجاهلية أن يخصص لهم النبي ﷺ مجلساً لا يكون فيه هؤلاء الفقراء الضعاف، كي يظل للسادة امتيازهم واختصاصهم ومهابتهم في المجتمع الجاهلي فقد روى سعد بن أبي وقاص ﷺ قال: "كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ سِتَّةَ نَفَرٍ، فَقَالَ الْمُشْرِكُونَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: اطْرُدْ هَؤُلَاءِ لَا يَجْتَرِئُونَ عَلَيْنَا، قَالَ وَكُنْتُ أَنَا وَابْنُ مَسْعُودٍ، وَرَجُلٌ مِنْ هَذِيلٍ، وَبِلَالٌ، وَرَجُلَانِ لَسْتُ أَسْمِيَهُمَا، فَوَقَعَ فِي نَفْسِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقَعَ فَحَدَّثَ نَفْسَهُ فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ [الأنعام: 52]⁽⁹⁾، لقد تقول أولئك الكبراء على هؤلاء الضعاف، فقضى الله سبحانه في هذه الدعوى بقضائه الفصل ورد دعواهم من أساسها"⁽¹⁰⁾.

(1) ينظر: إحياء علوم الدين، الغزالي (ج3/ 354).

(2) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني (ص 5).

(3) بحر العلوم، السمرقندي (ج3/ 26).

(4) مفاتيح، الغيب الرازي (ج25/ 122).

(5) [صحيح البخاري، البخاري، اللباس/ من جر ثوبه من الخيلاء، 141 / 7: حديث رقم 5790].

(6) ينظر: إرشاد الساري، القسطلاني (ج5/ 103).

(7) ينظر: فيض القدير المناوي (ج4/ 277).

(8) ينظر: مختصر منهاج القاصدين، المقدسي (ص 229).

(9) [صحيح مسلم، مسلم، فضائل الصحابة/ فضل سعد بن أبي وقاص، 4 / 1878: حديث رقم 2413].

(10) في ظلال القرآن، قطب (ج2/ 1100).

4- حبه القيام له: والقيام على ضربين:

الأول: قيام عند مجيء الإنسان، فقد كان السلف لا يكادون يفعلونه، قال أنس رضي الله عنه: "مَا كَانَ شَخْصٌ أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَكَانُوا إِذَا رَأَوْهُ لَمْ يَقُومُوا لِمَا يَعْلَمُونَ مِنْ كَرَاهِيَّتِهِ لِذَلِكَ"⁽¹⁾، وقد قال العلماء: يستحب القيام للوالدين والإمام العادل وفضلاء الناس، وقد صار هذا كالشعار بين الأفاضل، فإذا تركه الإنسان في حق من يصلح أن يفعل في حقه لم يأمن أن ينسبه إلى الإهانة والتقصير في حقه فيوجب ذلك حقدًا، واستحباب هذا في حق القائم لا يمنع الذي يقام له أن يكره ذلك، ويرى أنه ليس بأهل لذلك⁽²⁾.

الثاني: قيام على رأسه وهو قاعد، فهذا منهي عنه، قال ﷺ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَتَمَثَّلَ لَهُ الرَّجَالُ قِيَامًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»⁽³⁾، "هذا الخبر إنما فيه نهى من يقام له عن السرور بذلك لا نهى من يقوم له إكراماً له، وأجاب عنه ابن قتيبة بأن معناه من أراد أن يقوم الرجال على رأسه كما يقام بين يدي ملوك الأعاجم وليس المراد به نهى الرجل عن القيام لأخيه إذا سلم عليه"⁽⁴⁾.

السمة الثالثة: التولي يوم الزحف والفرار من المعركة.

الزحف: الدنو قليلاً، وأصله الاندفاع على الألية، ثم سمي كل ماش في الحرب إلى الآخر زاحفاً⁽⁵⁾، والتولي يوم الزحف: الفرار عن القتال يوم ازدحام الطائفتين، ويقال: التولي الإعراض عن الحرب والفرار من الكفار إذا كان بإزاء كل مسلم كافران، وإن كان بإزاء كل مسلم أكثر من كافرين يجوز الفرار، والزحف الجماعة الذين يزحفون إلى العدو أي يمسون إليهم بمشقة، من زحف الصبي إذا دب على أسته⁽⁶⁾.

"ويتعين الجهاد إذا التقى الزحفان، وتقابل الصفان؛ فيحرم على من حضر الانصراف، وتعين عليه المقام؛ لقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأنفال: 45]، وقوله: ﴿وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال: 46]، وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا

(1) [مسند أحمد، أحمد، 19/ 350، حديث رقم: 12345]، قال شعيب الأرنؤوط: صحيح.

(2) مختصر منهاج القاصدين، المقدسي (ص 230).

(3) [سنن الترمذي، الترمذي، الأدب/ ما جاء في قيام الرجل للرجل، 5/ 91: حديث رقم 2755]، قال الألباني:

صحيح، صحيح الجامع الصغير وزيادته (ج2/ 1033).

(4) فتح الباري، ابن حجر (ج11/ 50).

(5) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (ج7/ 380).

(6) عمدة القاري، العيني (ج14/ 62).

الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا رَحُّوا رَحْمًا فَلَا تُؤَلُّوهُمْ الْأَذْبَارُ ﴿[الأنفال: 15]﴾⁽¹⁾، "في الآيات أمر بالثبات عند قتال الكفار، كما في الآية قبلها النهي عن الفرار عنهم، فالتقى الأمر والنهي على سواء، وهذا تأكيد على الوقوف للعدو والتجلد له"⁽²⁾، "والفرار والتولي كبيرة موبقة بظاهر القرآن الكريم وصريح قول النبي ﷺ: «اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: «الشِّرْكُ بِاللَّهِ، وَالسَّحَرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ، وَالتَّوَلَّى يَوْمَ الرَّحْفِ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ الْغَافِلَاتِ»⁽³⁾، وفي الحديث دليل على أن الفرار من الكبائر المحرمة، لقوله تعالى: ﴿فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ﴾ [الأنفال: 16]، وقد أجاز التحيز إلى فئة وهو أن يرى القتال في غير موضعه أصلح وأنفع فينتقل إليه، وإن بعدت إذ لم تفصل الآية، وكانت الهزيمة محرمة وإن كثر الكفار لقوله تعالى: ﴿فَلَا تُؤَلُّوهُمْ الْأَذْبَارُ﴾ [الأنفال: 15]، ثم خفت عنهم بقوله: ﴿إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ﴾ [الأنفال: 65] فأوجب على كل واحد مصابرة عشرة، ثم خفف عنهم وأوجب على الواحد مصابرة اثنين بقوله: ﴿الآن خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ﴾ [الأنفال: 66]، واستقر الشرع على ذلك فحينئذ حرمت الهزيمة لقول ابن عباس ؓ: من فر من اثنين فقد فر ومن فر من ثلاثة فلم يفر"⁽⁴⁾.

السمة الرابعة: المكر والخداع.

هو: الحيل الخفية التي يمارسها الجندي الفاسد لإيصال الشر لمن لا يستحقه، قال تعالى في قوم نوح: ﴿وَمَكْرُوا مَكْرًا كُبَّارًا﴾ [نوح: 22] فتحسين القبيح للناس، وتقبيح الحسن، هو المكر الكُبار الذي لا يزال يزاوله دعاة الضلال قديماً وحديثاً؛ لصرف الناس عن الحق إلى الباطل، وإخراجهم من النور إلى الظلمات، كما قال تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الظَّالِمُونَ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾ [البقرة: 257]⁽⁵⁾، "ومن ثم كان سالك المكر والخديعة حتى يفعل المعصية أبغض عند الناس ممن يتظاهر بها وفي قلوبهم أوضع وهم عنه أشد نفرة"⁽⁶⁾.

(1) المغني، ابن قدامة (ج9/ 197).

(2) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (ج8/ 23).

(3) [صحيح البخاري، البخاري، الحدود/رمي المحصنات 8/ 175: حديث رقم 6857].

(4) نيل الأوطار، الشوكاني (ج7/ 297 - 298).

(5) شرح مسائل الجاهلية، الفوزان (ص 215).

(6) فتح الباري، ابن حجر (ج12/ 336) بتصرف.

قال أهل العلم في تفسير قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ [فاطر: 10] هم المراءون بأعمالهم يعني يمكرون بالناس يوهمون أنهم في طاعة الله تعالى وهم بغضاء إلى الله ﷻ يراءون بأعمالهم، ﴿وَمَكْرُؤٌ وَلَيْكَ هُوَ يَبُورُ﴾ [فاطر: 10] أي يفسد ويبطل ويظهر زيفهم عن قريب لأولى البصائر والتهى، فإنه ما أسر أحد سريرة إلا أبداها الله تعالى على صفحات وجهه وفلتات لسانه، وما أسر أحد سريرة إلا كساه الله تعالى رداءها، إن خيراً فخير وإن شراً فشر⁽¹⁾، "وإن قريشاً حين اجتمعوا في دار الندوة وتداولوا الرأي في إحدى ثلاث مكرات يمكرونها برسول الله ﷺ: إما إثباته، أو قتله، أو إخراجه كما حكى الله سبحانه عنهم ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ﴾ [الأنفال: 30]، ﴿وَمَكْرُؤٌ وَلَيْكَ هُوَ يَبُورُ﴾ [فاطر: 10] يعني: ومكر أولئك الذين مكروا تلك المكرات الثلاث هو خاصة يبور، أي: يكسد ويفسد، دون مكر الله بهم حين أخرجهم من مكة وقتلهم وأثبتهم في قليب بدر، فجمع عليهم مكراتهم جميعاً وحقق فيهم قوله ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ [الأنفال: 30] وقوله: ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ [فاطر: 43]⁽²⁾، وفي الحديث «والمكر والخداع في النار»⁽³⁾، تدخل أصحابها في النار في الآخرة، لأنها من أخلاق الكفار لا من أخلاق المؤمنين الأخيار، وفي هذا أبلغ تحذير عن التخلق بهذه الأخلاق الذميمة، والخروج عن أخلاق الإيمان الكريمة»⁽⁴⁾.

السمة الخامسة: الغدر والخيانة.

"هو الرجوع عما يبذله الجندي الفاسد من نفسه وبضمن الوفاء به، وهو خلق مستقبح، وإن كان يصاحبه فيه منفعة، وهو بالقادة أقبح، ولهم أضرر"⁽⁵⁾، "وقد قدم على النبي ﷺ فأسلموا ثم أتوا رسول الله ﷺ فقالوا قد استوخمنا"⁽⁶⁾ هذه الأرض، فقال لهم: هذه نعم لنا فخرجوا فيها فاشربوا ألبانها وأبوالها، فخرجوا فيها فاشربوا من أبوالها وألبانها واستصحوا، فمالوا على الراعي فقتلوه واطردوا الذود وارتدوا فبعث رسول الله ﷺ في آثارهم، فأدركوهم وقد أشرفوا على بلادهم، فما ترجل النهار حتى جيء بهم، فأمر بهم، فقطعت أيديهم وأرجلهم وسملت أعينهم بمسامير أحميت، ثم

(1) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (ج6/ 537) باختصار.

(2) الكشف، الزمخشري (ج3/ 603).

(3) [صحيح ابن حبان: ابن حبان، الحظر والاباحة/الزجر عن أن يمكر المرء أخاه المسلم، 12/ 369: حديث

رقم 5559]، قال الألباني: صحيح/ صحيح الجامع الصغير (ج2/ 1139).

(4) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (ج14/ 360).

(5) نضرة النعيم، حميد وآخرون (ج11/ 5025).

(6) أي استنقلوها ولم يوافق هواؤها أبدانها/ لسان العرب، ابن منظور (ج12/ 631).

حبسهم حتى ماتوا، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة: 33]⁽¹⁾.

"عن النبي ﷺ قال: «لكل غادر لواء يوم القيامة يعرف به»⁽²⁾ والحكمة في هذا أنه لما كان الغدر خفياً لا يطلع عليه الناس، فيوم القيامة يصير علماً منشوراً على صاحبه بما فعل"⁽³⁾.

"قال علماؤنا: إنما كان الغدر في حق الإمام أعظم منه في غيره لما في ذلك من المفسدة، فإنهم إذا غدروا وعلم ذلك ولم ينبذوا بالعهد لم يأمنهم العدو على عهد ولا صلح، فيعظم ضرره، ويكون ذلك منفراً عن الدخول في الدين، وموجباً لدم أئمة المسلمين، فأما إذا لم يكن للعدو عهد فينبغي أن يتحايّل عليه بكل حيلة، وتدار عليه كل خديعة وعليه يحمل قوله ﷺ: «الحرب خدعة»⁽⁴⁾⁽⁵⁾.

"وخرج رسول الله ﷺ إلى بني النضير يستعينهم في دفع دية، للجوار الذي كان رسول الله ﷺ عقد لهما، قالوا: نعم يا أبا القاسم، نعينك على ما أحببت، مما استعنت بنا عليه، ثم خلا بعضهم ببعض، فقالوا: إنكم لن تجدوا الرجل على مثل حاله هذه ورسول الله ﷺ إلى جنب جدار من بيوتهم قاعد فمن رجل يعلو على هذا البيت، فيلقي عليه صخرة، فيريحنا منه؟ فانتدب لذلك أحدهم، فقال: أنا لذلك، فصعد ليلقي عليه صخرة كما قال، فأتى رسول الله ﷺ الخبر من السماء بما أراد القوم، فقام وخرج راجعاً إلى المدينة، فنزل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [المائدة: 11]⁽⁶⁾.

السمة السادسة: الكذب

"الإخبار عن الشيء على خلاف ما هو عمداً كان أو جهلاً، لكن لا يأثم في الجهل، وإنما يأثم في العمد"⁽⁷⁾، "وقد اتسم بالكذب أهل الكفر والنفاق قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ

(1) سبق ذكره ص 57.

(2) [صحيح البخاري، البخاري، الجزية/إثم الغدر للبر والفاجر، 9/ 25: حديث رقم 3186].

(3) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (ج3/ 334).

(4) [صحيح البخاري، البخاري، الجهاد والسير/الحرب خدعة، 4/ 64: حديث رقم 3030].

(5) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (ج8/ 33).

(6) السيرة النبوية، ابن هشام (ج2/ 190)/ وينظر: الكشاف، الزمخشري (ج1/ 614).

(7) المنهاج، النووي (ج1/ 69).

لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ﴿[النحل: 105] فهم لا يصدقون بحجج الله وإعلامه، لأنهم لا يرجون على الصدق ثواباً، ولا يخافون على الكذب عقاباً، فهم أهل الإلفك وافتراء الكذب، لا من كان راجياً من الله على الصدق الثواب الجزيل، وخائفاً على الكذب العقاب الأليم⁽¹⁾، "ففي هذه الآية دلالة قوية على أن الكذب من أكبر الكبائر وأفحش الفواحش"⁽²⁾.

"وقد تظاهرت نصوصُ الكتاب والسنة على تحريم الكذب في الجملة، وهو من قبائح الذنوب وفواحش العيوب، ويكفي في التنفير منه الحديث المتفق على صحته: فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اتَّعَمَّنَ خَانَ"⁽³⁾⁽⁴⁾.

وقد رخص النبي ﷺ الكذب على الأعداء في الحرب⁽⁵⁾، قال النووي: وقد ضبط العلماء ما يُباح منه، وأحسن ما رأيته ما ذكره الإمام الغزالي قال: الكلام وسيلة إلى المقاصد، فكل مقصود محمود يمكن التوصل إليه بالصدق والكذب جميعاً، فالكذب فيه حرام، لعدم الحاجة إليه، وإن أمكن التوصل إليه بالكذب ولم يكن بالصدق، فالكذب فيه مباح إن كان تحصيل ذلك المقصود مباحاً، وواجب إن كان المقصود واجباً، وينبغي أن يقابل بين مفسدة الكذب والمفسدة المترتبة على الصدق، فإن كانت المفسدة في الصدق أشد ضرراً فله الكذب وإن كان عكسه، أو شك، حرم عليه الكذب⁽⁶⁾.

السمة السابعة: الإفساد في الأرض.

"الإفساد ضد الإصلاح، وهو جعل الشيء فاسداً خارجاً عما ينبغي أن يكون عليه، وحقيقته العدول عن الاستقامة إلى ضدها"⁽⁷⁾.

"إن الإفساد بعد الإصلاح أظهر قبحاً من الإفساد على الإفساد قال تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ [الأعراف: 56]، فإن وجود الإصلاح أكبر حجة على المفسد إذا هو

(1) جامع البيان، الطبري (ج17/ 302).

(2) مفاتيح الغيب، الرازي (ج20/ 272).

(3) [صحيح مسلم، مسلم، الإيمان/بيان خصال المنافق، 1/ 78: حديث رقم 59].

(4) الأذكار، النووي (ص 377).

(5) ينظر: [صحيح مسلم، مسلم، البر والصلة والآداب/تحريم الكذب، 4/ 2011: حديث رقم 2605].

(6) الأذكار، النووي (ص 377) باختصار.

(7) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (ج1/ 202).

لم يحفظه ويجري على سننه، فكيف إذا هو أفسد وأخرجه عن وضعه؟ ولذلك خصه بالذكر، وإلا فالإفساد مذموم ومنهي عنه في كل حال⁽¹⁾.

وإن الجندي الفاسد الذي يفشي الظلم ينطبق عليه قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَبُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ﴾ [البقرة: 205] وإن هذا الوصف هو وصف من استعلى واستكبر، يمتنى الناس الأمانى، حتى إنه ليصور لهم أنه سيجعل لهم الأرض نعيماً، وخيراتها لبناً وعسلاً، حتى إذا حكم تحكم، فكانت شهوته نظاماً، وهواه حكماً، ولا بد أن يرضى الناس حكومته طوعاً أو كرهاً، ومن قال له اتق الله قطع عنقه، أو سلط عليه كلابه الذين جعلوا أنفسهم ملكاً له، يملك رقابهم، ويظنون أنفسهم الأحرار، وهم العبيد حقاً⁽²⁾.

"وقد خاطب ربنا ﷻ الطاغية فرعون إثر إفساده، معرفاً إياه قبح صنيعه أيام حياته وإساءته إلى نفسه أيام صحته، بتماديه في طغيانه، ومعصيته ربه، حين فزع إليه في حال حلول سخطه به ونزول عقابه، مستجيراً به من عذابه الواقع به، لما ناداه وقد علت أمواج البحر، وغشيت كرب الموت: ﴿قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتَ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس: 90] المسلمين له، المنقادين بالذلة له، المعترفين بالعبودية، ﴿الآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [يونس: 91] الآن تقر لله بالعبودية، وتستسلم له بالذلة، وتخلص له الألوهة، وقد عصيته قبل نزول نعمته بك، فأسخطته على نفسك، وكنت من المفسدين في الأرض، الصادين عن سبيله؟ فهلا وأنت في مهل، وباب التوبة لك مفتوح، أقررت بما أنت به الآن مقر؟"⁽³⁾.

(1) تفسير المنار، رضا (ج8/ 410).

(2) المعجزة الكبرى القرآن، أبو زهرة (ص 109) بتصرف.

(3) جامع البيان، الطبري (ج15/ 194).

المبحث الثالث

التوجيهات والتأييد القرآني للجندي

المطلب الأول: توجيهات القرآن الكريم للجندي المسلم.

أولاً: الوفاء بالعهود في الحرب والسلم وتحريم الخيانة.

"حذر القرآن الكريم من انتهاز غفلة العدو بعد معاهدته أو مهادنته وأخذه على غرة غدرًا، قال تعالى: ﴿وَمَا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾ [الأنفال: 58] وطرح العهد عند توجس الشر منهم فيكون هذا النبذ صريحاً، لأن المسلمين لا يخونون أحداً ولا يغدرون بأحد، ويعلنون الحرب صراحة على أعدائهم، ثم يشرعون بعد هذا الإعلان في القتال"⁽¹⁾.

"وقد أوجب الله على الجنود الوفاء بالعهود في الحرب والسلم وحرّم الخيانة فيهما سراً أو جهراً، والآيات في ذلك متعددة محكمة لا تدع مجالاً لإباحة نقض العهد بالخيانة فيه وقت القوة، ولما أمر بنبذ عهود المشركين الذين نقضوا عهد النبي والمؤمنين استثنى منهم المعاهدين فقال الله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئاً وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَداً فَأَتِمُوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: 4]، ثم قال الله تعالى: ﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: 7]، فهل يوجد وفاء بالعهود أعظم من الحكم بأمر الله تعالى؟"⁽²⁾.

ثانياً: النفرة للجهاد في سبيل الله.

"إن النفرة للجهاد في سبيل الله انطلاق من قيد الأرض، وتحقيق للمعنى العلوي في الإنسان، وتطلع إلى الخلود الممتد، وخلاص من الفناء المحدود، وما يحجم ذو عقيدة في الله عن النفرة للجهاد في سبيله إلا وفي هذه العقيدة دخل، وفي إيمان صاحبها بها وهن، لذلك يقول الرسول ﷺ: «مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَغْزُ، وَلَمْ يُحَدِّثْ بِه نَفْسَهُ، مَاتَ عَلَى شُعْبَةٍ مِنْ نِفَاقٍ»⁽³⁾ فالنفاق

(1) الرسول القائد، خطاب (ص 50).

(2) تفسير المنار، رضا (ج11/ 231)، وينظر للمؤلف: الوحي المحمدي (ص 230-231).

(3) [صحيح مسلم، مسلم، الامارة/ ذم من مات ولم يغزو، 3/ 1517: حديث رقم 1910].

هو الذي يقعد بمن يزعم أنه على عقيدة عن الجهاد في سبيل الله خشية الموت أو الفقر، والآجال بيد الله، والرزق من عند الله" (1).

"وإن جهاد الكفار متعين على كل مسلم إما بيده وإما بلسانه وإما بماله وإما بقلبه والله أعلم، وقد عاتب الله المؤمنين الذين يتأخرون بعد الأمر بالنفير، وقد روى الطبري قال: أول ما نزل من براءة انفروا خفافاً وثقالاً وقد فهم بعض الصحابة من هذا الأمر العموم فلم يكونوا يتخلفون عن الغزو" (2)، "فيجب على المسلم أن يجاهد في سبيل الله بنوع من هذه الأنواع حسب الحاجة والقدرة، والأمر بالجهاد بالنفس والمال كثير في القرآن والسنة" (3).

"ومن لم يكن فيه داع إلى الجهاد لم يأت بالمحبة الواجبة قطعاً وكان فيه نفاق كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحجرات: 15]" (4)، "وإن المحبة مستلزمة للجهاد لأن المحب يحب ما يحب محبوبه ويبغض ما يبغض محبوبه ويوالي من يواليه ويعادي من يعاديه؛ ويرضى لرضاه ويغضب لغضبه ويأمر بما يأمر به وينهى عما ينهى عنه فهو موافق له في ذلك. وهؤلاء هم الذين يرضى الرب لرضاهم ويغضب لغضبهم إذ هم إنما يرضون لرضاه ويغضبون لما يغضب له" (5).

ثالثاً: إعداد العدة:

"الجيش هو عدة الوطن وسلاحه ودرعه وسياجه، ووجه الأمة التي تقابل به العدو، ويدها التي تبطش بها، وقلبها النابض وعينها الساهرة، ولذا كانت عناية القرآن به كما ترى في كثير من الآيات، ورعاية النبي ﷺ له وإعطائه القسط الوافر المناسب لزمه أمر ظاهر واضح" (6).

فقد أمر الله سبحانه وتعالى المسلمين بإعداد القوة، وقد ورد لفظ القوة في قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: 60]، مطلقاً بغير تحديد ولا تقييد، فهو يتسع ليشمل كل عناصر القوة مادياً ومعنوياً، وما يتقوى به على حرب العدو، وكل ما هو آلة للغزو والجهاد

(1) في ظلال القرآن، قطب (ج3/ 1655).

(2) فتح الباري، ابن حجر (ج6/ 38).

(3) الجهاد في سبيل الله تعالى، القحطاني (ص 9).

(4) جامع الرسائل، ابن تيمية (ج2/ 279).

(5) مجموع الفتاوى، ابن تيمية (ج10/ 58).

(6) التفسير الواضح، الحجازي (ج1/ 840).

فهو من جملة القوة، وقد تركت الآية الكريمة تحديد القوة المطلوبة؛ لأنها تتطور تبعاً للزمان والمكان، وحتى يلتزم المسلمون بإعداد ما يناسب ظروفهم من قوة يستطيعون بها إرهاب العدو⁽¹⁾.

"فالذي يجب أن تكون عليه الدولة قبل الحرب هو إعداد الأمة كل ما تستطيع من أنواع القوة الحربية ومن رباط الخيل في كل زمان بحسبه على أن يكون القصد الأول من ذلك إرهاب الأعداء وإخافتهم من عاقبة التعدي على بلادها أو مصالحها أو على أفراد منها أو متاع أو مصلحة لها حتى في غير بلادها، لأجل أن تكون آمنة في عقر دارها على دماء أهلها ومصلحتها وأموالها، مطمئنة في حريتها بدينها"⁽²⁾.

رابعاً: الالتزام بالشورى.

لقد وجه القرآن القيادة الإسلامية لمشاورة أصحاب الرأي من الجنود قال تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [آل عمران: 159]، فكان رسول الله ﷺ فعلاً يشاور أصحابه في الأمور كلها، تطبيياً لقلوبهم، وليستن الناس بفعله، قال الحسن رضي الله عنه: قد علم الله أن ما به إليهم حاجة، ولكن أراد أن يستن به من بعدهم⁽³⁾، "وقال أيضاً: ما تشاور قوم قط بينهم إلا هداهم الله لأفضل ما يحضرهم وفي لفظ إلا عزم الله لهم بالرشد أو بالذي ينفع"⁽⁴⁾.

ذكر بعض مواقف الشورى:

1- "شاورهم يوم بدر في الذهاب إلى العير، فقالوا: يا رسول الله، لو استعرضت بنا عرض البحر لقطعناه معك، ولو سرت بنا إلى برك الغماد لسرنا معك، ولا نقول لك كما قال قوم موسى لموسى عليه السلام: اذهب أنت وربك فقاتلا، إنا هاهنا قاعدون، ولكن نقول: اذهب فنحن معك وبين يديك، وعن يمينك وعن شمالك مقاتلون"⁽⁵⁾.

2- "شاورهم في أحد في أن يقعد في المدينة أو يخرج إلى العدو، فأشار جمهورهم بالخروج إليهم، فخرج إليهم"⁽⁶⁾.

(1) ينظر/الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (ج 8 / 35)، ومفاتيح الغيب، الرازي (ج 15 / 185).

(2) تفسير المنار، رضا (ج 11 / 230).

(3) لباب التأويل، الخازن (ج 1 / 312) بتصرف.

(4) فتح الباري، ابن حجر (ج 13 / 340).

(5) التفسير المنير، الزحيلي (ج 4 / 140).

(6) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (ج 2 / 149).

3- "شاوهم يوم الخندق في مصالحة الأحزاب بثلاث ثمار المدينة، فأبى ذلك عليه السعدان: سعد بن معاذ وسعد بن عباد، فترك ذلك"⁽¹⁾.

وللشورى فوائد كثيرة أهمها تقدير المستشارين، وإنضاج بحث الرأي المقترح بعد تقليب وجهات النظر، واتحاد الناس على مسعى واحد، واختيار الرأي الأصوب"⁽²⁾.

خامساً: السمع والطاعة والانضباط.

يحثّ الاسلام على السمع والطاعة للقيادة العامة، والثبات في المواقف وتجنب أسباب الفشل، والاعتصام بالله وباليقين فيجب على كل جندي في جيش المسلمين أن لا يعصى الله طرفه عين، فما أمر الله تعالى به وجب الائتثار به، وما نهى عنه تعالى وجب الابتعاد عنه، ولهذا قال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [الأنفال: 1]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشِ اللَّهَ وَيَتَّقْهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [النور: 52]⁽³⁾، ولا تتحقق طاعة الله ورسوله إلا إذا التزم الجندي المسلم طاعة قائده في ميدان العبادة والجهاد، فقد قال ﷺ: «مَنْ أَطَاعَ أَمِيرِي فَقَدْ أَطَاعَنِي، وَمَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﷻ»⁽⁴⁾، وسيأتي التفصيل لاحقاً.

سادساً: الاعتصام بالله ونبذ التنازع:

"إن من نعم الله على عباده عامة وعلى جنده خاصة أن جعل الوحدة أساساً من أساسات النجاح والنهضة وليس هناك في السياسة العامة أسوأ من تفرق الأمة وتمزق صفوفها وانقسامها فرقاً وأحزاباً، لذا حرص الإسلام إبان عهده الأول على وحدة الصف، واجتماع الكلمة، وتحقيق الألفة، وإشاعة المحبة، والسبيل التي وحد الله بها الأمة هو اتحاد دستورها، واعتصامها بكتاب الله وسنة نبيه، قال الله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: 103]"⁽⁵⁾.

"فهي أخوة إذن تنبثق من التقوى والإسلام أساسها الاعتصام بحبل الله أي عهده ونهجه ودينه، وليست مجرد تجمع على أي تصور آخر، ولا على أي هدف آخر، ولا بواسطة حبل آخر من حبال الجاهلية الكثيرة، فهذه الأخوة المعتمدة بحبل الله نعمة يمتن الله بها على

(1) محاسن التأويل، القاسمي (ج2/ 448).

(2) التفسير المنير، الزحيلي (ج4/ 141).

(3) الرسول القائد، خطاب (ص 52) بتصرف.

(4) [مسند أحمد، أحمد، 12/ 286: حديث رقم 7334]، قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح.

(5) التفسير الوسيط الزحيلي (ج1/ 221).

الجماعة المسلمة الأولى، وهي نعمة يهبها الله لمن يحبهم من عباده دائماً وهو هنا يذكرهم هذه النعمة ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ [آل عمران: 103]، وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: دَعَانَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَبَايَعَنَا، فَكَانَ فِيمَا أَخَذَ عَلَيْنَا: «أَنْ بَايَعَنَا عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي مَنْشَطِنَا وَمَكْرَهِنَا، وَعُسْرِنَا وَيُسْرِنَا، وَأَثَرَةٍ عَلَيْنَا، وَأَنْ لَا نُنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ»، قَالَ: «إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا عِنْدَكُمْ مِنَ اللَّهِ فِيهِ بُرْهَانٌ»⁽¹⁾⁽²⁾.

"ومدار السعادة الدنيوية والأخروية على الاعتصام بالله، والاعتصام بحبله، ولا نجاة إلا لمن تمسك بهاتين العصمتين، فأما الاعتصام بحبله فإنه يعصم من الضلالة، والاعتصام به يعصم من الهلكة، فإن السائر إلى الله كالسائر على طريق نحو مقصده، فهو محتاج إلى هداية الطريق، والسلامة فيها، فلا يصل إلى مقصده إلا بعد حصول هذين الأمرين له، فالدليل كفيل بعصمته من الضلالة، وأن يهديه إلى الطريق، والعدة والقوة والسلاح التي بها تحصل له السلامة من قطاع الطريق وآفاتهما، فالاعتصام بحبل الله يوجب له الهداية واتباع الدليل، والاعتصام بالله، يوجب له القوة والعدة والسلاح، والمادة التي يتقوى بها في طريقه"⁽³⁾.

سابعاً: اظهار الغلظة في القتال.

"إن الغلظة مكروهة من كل أحد إلا من الجند وأصحاب السِّلَاح والمتولّين للحروب؛ فإنّ ذلك غير مكروه منهم إذا كان في موضعه"⁽⁴⁾، "قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: 73] وتجمع الآية بين الكفار والمنافقين في الأمر بجهادهم والغلظة عليهم، لأن كلا من الفريقين يؤدي دوراً مماثلاً في تهديد المعسكر الإسلامي، وتحطيمه أو تفتيته، فجهادهم هو الجهاد الواقعي من النار وجزاؤهم هو الغلظة عليهم من رسول الله ﷺ والمؤمنين في الدنيا"⁽⁵⁾.

"وفائدة القرن بين الكفار والمنافقين في الجهاد: إلقاء الرعب في قلوبهم، فإن كل واحد منهم يخشى أن يظهر أمره فيعامل معاملة الكفار المحاربين فيكون ذلك كاسراً لشوكتهم، وأما جهادهم بالفعل فمتعذر، لعدم اظهارهم الكفر، ولذلك تأول أكثر المفسرين الجهاد بالنسبة إلى المنافقين

(1) [صحيح مسلم، مسلم، الامارة/وجوب طاعة الأمراء...، 1470/3: حديث رقم 1709].

(2) في ظلال القرآن، قطب (ج1/ 442).

(3) مدارج السالكين، ابن قيم الجوزية (ج1/ 458).

(4) تهذيب الأخلاق، الجاحظ (ص 30).

(5) في ظلال القرآن، قطب (ج6/ 3621).

بالمقاومة بالحجة وإقامة الحدود عند ظهور ما يقتضيها، وكان غالب من أقيم عليه الحد في عهد النبوة من المنافقين، وقال بعض السلف جهادهم ينتهي إلى الكشر في وجوههم⁽¹⁾.

ثامناً: قتال الأولى فالأولى.

"أمر الله ﷻ المسلمين بقتال من وليهم من الكفار دون من بعد منهم، وكان الذين يلون المخاطبين في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ﴾ [التوبة: 123]، يومئذ الروم لأنهم كانوا سكان الشام والشام أقرب إلى المدينة من العراق، أما بعد الفتح فالمسلمون مأمورون أن يقاتل أهل كل ناحية من وليهم من الأعداء دون الأبعد ما لم يضطر إليهم أهل ناحية أخرى من نواحي بلاد الإسلام فإن اضطروا لزم عونهم ونصرهم، لأن المسلمين يد على من سواهم"⁽²⁾.

"والمقصود أولاً كان أهل مكة فتعينت البداءة بهم، فلما فتح الله مكة كان القتال لمن يلي ممن كان يؤدي حتى تعم الدعوة وتبلغ الكلمة جميع الآفاق ولا يبقى أحد من الكفرة، فالآية على العموم في قتال الأقرب فالأقرب، والأدنى فالأدنى"⁽³⁾.

"كما أن خطة الحركة الجهادية هي خطة استراتيجية، فقد سارت عليها الفتوح الإسلامية، تواجه من يلون «دار الإسلام» ويجاورونها، مرحلة فمرحلة، فلما أسلمت الجزيرة العربية كانت غزوة تبوك على أطراف بلاد الروم، ثم كان انسياح الجيوش الإسلامية في بلاد الروم وفي بلاد فارس، ثم لم يأتها الوهن فيما بعد إلا من تمزقها، وإقامة الحدود المصطنعة على أساس القومية، وهي خطة عمل أعداء هذا الدين، وستظل هذه الشعوب التي جعل منها الإسلام «أمة واحدة» في «دار الإسلام» المتصلة الحدود ضعيفة مهينة إلا أن تعود إلى دينها، وإلا أن تتبع خطى رسول الله ﷺ وتترك أسرار القيادة الربانية التي كفلت لها النصر والعز والتمكين"⁽⁴⁾.

تاسعاً: تطهير الجيش.

"يأمر الاسلام بتطهير الجيش من عناصر الفتنة والخذلان ومن الذين يختلفون عن أفرادهم بالعقيدة، حتى يكون الجيش كله مؤمناً بعقيدة واحدة يعمل لتحقيقها ويبذل كل ما يملكه في سبيلها، وبذلك يستطيع الفوز في الحرب قال تعالى: ﴿وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلاً﴾

(1) التحرير والتنوير، ابن عاشور (ج10/ 266)، والجامع لأحكام القرآن، القرطبي (ج18/ 201).

(2) جامع البيان، الطبري (ج14/ 575)، والتفسير الحديث، دروزة (ج9/ 562).

(3) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (ج2/ 350).

(4) في ظلال القرآن، قطب (ج3/ 1736).

[الأحزاب: 20]⁽¹⁾، وقال ﷺ: ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا﴾ [الأحزاب: 18] والمعوق: المنببط، وكان المنافقون يعوقون عن رسول الله ﷺ نصّاره، ولا يحضرون القتال في سبيل الله ﷻ إِلَّا قَلِيلًا لِلرِّيَاءِ وَالسُّمْعَةِ من غير احتساب، ولو كان ذلك القليل لله ﷻ لكان كثيراً⁽²⁾.

إن الذين يقعدون عن الجهاد ويدعون غيرهم إلى القعود، ويقولون لهم: ﴿لَا مَقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا﴾ [الأحزاب: 13] يرسم لهم ربنا ﷻ صورة نفسية مبدعة، وهي على صدقها تنثير الضحك والسخرية من هذا النموذج المكروه في الناس، صورة للجبن والانزواء، والفرع والهلع في ساعة الشدة، والانتفاش وسلطة اللسان عند الرخاء، وذلك كان حال المنافقين والمرجفين في الصفوف، وتلك كانت صورتهم الرديئة، فتركت في النفوس الاحتقار لهذا النموذج، والسخرية منه، والابتعاد عنه، وهوانه على الله وعلى الناس⁽³⁾، وانظر كيف كانت عقوبة النبي ﷺ درساً عظيماً في كل الأزمنة لكل من تسول له نفسه بالتخلف عن القتال.

عاشراً: الكتمان.

"حذر الاسلام من إذاعة الأسرار العسكرية، وجعل إذاعتها من شأن المنافقين، وطلب الرجوع بها الى القيادة العامة، كما طلب من المسلمين أن يثبتوا مما يصلهم من أنباء قبل الركون إليها والعمل بها يقول القرآن الكريم: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ [النساء: 83]⁽⁴⁾.

"وقد ابتكر الرسول أسلوب الرسائل المكتومة للمحافظة على الكتمان وحرمان العدو من الحصول على المعلومات التي تفيده عن حركات المسلمين والكتمان أكبر عامل من عوامل مبدأ المباغلة التي هي إحداث موقف لا يكون العدو مستعداً له، والكتمان من جملة الوسائل المهمة التي تؤدي إلى المباغلة وهي أهم مبدأ من مبادئ الحرب، وقد سبق المسلمون غيرهم في ابتكار هذا الأسلوب الدقيق"⁽⁵⁾.

(1) الرسول القائد، خطاب (ص 51).

(2) زاد المسير، ابن الجوزي (ج3/ 454).

(3) في ظلال القرآن، قطب (ج5/ 2840) باختصار.

(4) الرسول القائد، خطاب (ص 53).

(5) دراسة في السيرة، خليل (ص 144).

وقد تجلى ذلك في فتح مكة عندما كتم النبي ﷺ الأخبار عن الناس⁽¹⁾، وكان من شدة حرص النبي ﷺ أنه لم يكشف نيته لأحد عندما اعتزم الحركة، وكان سبيله الى ذلك الكتمان الشديد، وبقيت نيته سراً مكتوماً حتى أنجز هو وأصحابه جميع استعدادات الحركة، وبث عيونه وأرصاده ودورياته لتحول دون تسرب المعلومات عن حركته الى قريش، وبقي النبي ﷺ يقظاً كل اليقظة، حذراً كل الحذر، حتى وصل ضواحي مكة، ونجح بترتيباته في حرمان قريش من معرفة تدابير المسلمين لفتح مكة⁽²⁾.

الحادي عشر: الصبر والمصابرة.

"وجه القرآن الكريم الجندي إلى الصبر في الأمور كلها، ولا سيما الصبر على قتال أعداء الله ورسوله، والصبر ثلاثة أنواع: صبر على طاعة الله، وصبر عن محارم الله، وصبر على أقدار الله المؤلمة"⁽³⁾، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: 200]، "اصبروا على دينكم وصابروا عدوكم ورابطوا في سبيل الله"⁽⁴⁾، "فهو تعالى أمر بالصبر والمصابرة، وذلك عبارة عن الإتيان بالأفعال الحسنة، والاحتراز عن الأفعال الذميمة، ولما كانت الأفعال صادرة عن القوى أمر بعد ذلك بمجاهدة القوى التي هي مصادر الأفعال الذميمة، وذلك هو المراد بالمرابطة، ثم ذكر ما به يحصل دفع هذه القوى الداعية إلى القبائح والمنكرات، وذلك هو تقوى الله، ثم ذكر ما لأجله وجب ترجيح تقوى الله على سائر القوى والأخلاق، وهو الفلاح"⁽⁵⁾، قال تعالى: ﴿وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال: 46]، وقال تعالى: ﴿وَكَايَ مَنِ نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِيشُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ ﴿وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ ﴿فَأَتَاهُمُ اللَّهُ تَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: 146 - 148]، وجاء عنه ﷺ: «...وَاغْلَمْ أَنَّ فِي الصَّبْرِ عَلَى مَا تَكْرَهُ خَيْرًا كَثِيرًا، وَأَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ، وَأَنَّ الْفَرْجَ مَعَ الْكَرْبِ، وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا»⁽⁶⁾.

(1) ينظر: في ظلال القرآن، قطب (ج6/ 3538).

(2) الرسول القائد، خطاب (ص 347) باختصار.

(3) روائع التفسير، ابن رجب الحنبلي (ج2/ 222).

(4) الهداية الى بلوغ النهاية، مكي ابن أبي طالب (ج2/ 1209).

(5) مفاتيح الغيب، الرازي (ج9/ 474).

(6) [مسند أحمد، أحمد، 5/ 19: حديث رقم 2803] قال شعيب الأرناؤوط: حديث صحيح.

الثاني عشر: الالتزام بالنظام.

"أمر الله ﷺ الجند بآداب الاستئذان من القيادة إذا كانوا على أمر جامع، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ﴾ [النور: 62] فالجند المؤمنون الكاملون في الإيمان إذا كانوا معه في أمر مهم، كمشاركة في مقاتلة عدو، أو مشاور في أمر خطير قد حدث، لم ينصرفوا عن المجلس حتى يستأذنوا أميرهم، فيأذن لهم، واحتج بها الحسن على أنه ليس لأحد أن يذهب من العسكر حتى يستأذن الأمير⁽¹⁾، "وإن الإمام إذا جمع الناس لتدبير أمر من أمور المسلمين أن لا يرجعوا إلا بإذنه وكذلك إذا خرجوا للغزو لا ينبغي لأحد أن يرجع بغير إذنه ولا يخالف أمير السرية، لا يقال لا يستأذن غيره ﷺ إذ الحكم السابق من خصوصياته ﷺ لأنه إذا كان ممن عينه الإمام فطراً له ما يقتضي التخلف أو الرجوع فإنه يحتاج إلى الاستئذان"⁽²⁾.

"وقد اشتملت الآية على توجيهات للمؤمنين وتوجيهات للنبي ﷺ تبين عظم قدر اجتماع النبي ﷺ بأصحابه ﷺ وأن الذهاب عنه يجب أن يكون بآداب معينة ولحاجة مهمة، وهذه التوجيهات هي:

1- وجوب استئذان الصحابة ﷺ من الرسول ﷺ قبل الذهاب من عنده في حال كونهم معه على أمر تتطلب الضرورة، أو المصلحة أن يكونوا معه جميعاً.

2- ألا يكون الاستئذان إلا لشأن هام.

3- للنبي ﷺ أن يأذن لمن شاء من أصحاب الأعداء، فنعلم أن الله ﷻ أراد أن يربي هذه الأمة على العزيمة والطاعة المطلقة لولي الأمر، ويتمثل ذلك في عدم الإذن لكل مستأذن أن ينصرف، وأن يستغفر لمن استأذن من أصحاب الأعداء"⁽³⁾.

"كما حثّ الاسلام على السمع والطاعة للقيادة العامة، والثبات في المواقف وتجنب أسباب الفشل، والاعتصام بالله وباليقين: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأنفال: 45]، وحذر الاسلام من الفرار وبين سوء عاقبته: ﴿وَمَنْ يُولِهِمْ يُؤَمِّدْ دُبْرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّرًا إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [الأنفال: 16]"⁽⁴⁾.

(1) التفسير المنير، الزحيلي (ج18 / 313).

(2) إرشاد الساري، القسطلاني (ج5 / 123).

(3) شمائل الرسول ﷺ، زواوي (ج2 / 37).

(4) الرسول القائد، خطاب (ص 52).

الثالث عشر: المفاجأة والمباغطة.

"إن المباغطة والمفاجأة فن من فنون الحرب التي يستخدمها الجنود في المعارك الحديثة لحسم المعركة، وقد أمر الله الجنود باستخدام هذا الأسلوب المتميز فقال تعالى: ﴿وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ﴾ [التوبة: 5] والمرصد: الموضع الذي يرقب فيه العدو، أي اعدوا لهم في مواضع الغرة حيث يُرصدون، وفي هذا دليل على جواز اغتيالهم قبل الدعوة"⁽¹⁾.

"وتكون المباغطة بالوقت والمكان والأسلوب، فالمباغطة بالمكان، أن تقوم بحركة من مكان لا يتوقعه العدو، والمباغطة بالزمان أن تقوم بحركة في وقت لا يتوقعه العدو، والمباغطة بالأسلوب أن تقوم بالقتال بأسلوب جديد أو بسلاح جديد"⁽²⁾، "لقد كان حفر الخندق مباغطة تامة للأحزاب، فلم تكن العرب تعرف هذا الأسلوب، كما لم تكن تعرف أسلوب القتال المناسب لاجتياز الخندق والتغلب على المدافعين عنه"⁽³⁾.

"وكما حدث في غزوة بني المصطلق فقد ثبت أن رسول الله ﷺ أغار عليهم حين غفلة منهم، وأنعامهم تسقى على الماء، فقتل مقاتلتهم، وسبى ذراريهم، وأصاب يومئذ جويرية"⁽⁴⁾، وقد استدل الإمام مسلم في صحيحه بهذا الحديث على جواز الإغارة على الأعداء الذين بلغتهم الدعوة من غير التقديم إليهم بالدعوة⁽⁵⁾، واختلف العلماء في الدعوة قبل القتال، وملخصه أن من لم تبلغه الدعوة يجب في حقه الدعوة أولاً، ولا يفاجأ، وأما من بلغته الدعوة بأي وسيلة فلا يشرع في حقه الدعوة⁽⁶⁾.

الرابع عشر والأخير: الاعتناء بالأسرى.

"خير الإسلام القائد بين أن يمنّ على الأسرى ويطلقهم من غير فدية أو مقابل، أو يأخذ منهم الفدية من مال ورجال، وذلك على حسب ما يرى من المصلحة: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَتَخْتَمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوُثَاقَ فَمَا مَتًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾ [محمد: 4]، لقد حرّم الاسلام قتل الأسير، ومن أسلم امتنع قتله، ومن أسلم قبل أسره ولو لخوف فهو كالمسلم الأصلي يحرم دمه أيضاً"⁽⁷⁾.

(1) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (8/ 73) باختصار.

(2) الرسول القائد، خطاب (ص 258).

(3) المرجع السابق (ص 235).

(4) [صحيح البخاري، البخاري، العتق/من سبى من العرب رقيقاً، 3/ 148: حديث رقم 2541].

(5) ينظر/[صحيح مسلم، مسلم، الجهاد والسير/جواز الاغارة على الكفار، 3/ 1356: حديث رقم 1730].

(6) ينظر/فتح الباري، ابن حجر (ج 6/ 108).

(7) الرسول القائد، خطاب (ص 54).

"فإذا كان الغلب والرجحان في القتال للمسلمين المعبر عنه بالإثخان في الأعداء، وأمنوا على أنفسهم ظهور العدو عليهم، فالله تعالى يأمرهم أن يكفوا عن القتل، ويكتفوا بالأسر، ثم يخيرهم في الأسارى إما بالمنّ عليهم بإطلاقهم بغير مقابل، وإما بأخذ الفداء عنهم"⁽¹⁾.

وذكر البخاري في صحيحه باب الكسوة للأسارى، قال الحافظ: "أي بما يوارى عوراتهم، إذ لا يجوز النظر إليها"، وأورد حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: لما كان يوم بدر أتني بأسارى، وأتني بالعباس ولم يكن عليه ثوب «فنظر النبي صلى الله عليه وسلم له قميصاً، فوجدوا قميص عبد الله بن أبي يقدر عليه، فكساه النبي صلى الله عليه وسلم إياه"⁽²⁾، وقوله: يقدر عليه بضم الدال، وإنما كان ذلك لأن العباس كان بين الطول، وكذلك كان عبد الله بن أبي"⁽³⁾، مما يؤكد أن الإسلام لا يقصد من الجهاد سفك الدماء واسترقاق الناس وإذلالهم أو أخذ أموالهم.

وقد عامل الإسلام الأسرى معاملة إنسانية رحيمة، فهو يدعو إلى إكرامهم والاحسان إليهم، ويمدح الذين يبرونهم، ويثني عليهم الثناء الجميل يقول صلى الله عليه وسلم: ﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا﴾ [الإنسان: 8 - 9]، ومنه إحسان النبي صلى الله عليه وسلم إلى زعيم بني حنيفة وهو ثمامة بن أثال رضي الله عنه، لما جيء به أسيراً وكان على الكفر فدفعه الإحسان لأن يعلن إسلامه⁽⁴⁾، ولما خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم جويرية وكانت قد سبيت في غزوة بني المصطلق قال الناس: لقد أصبح هؤلاء الأسرى الذين بأيدينا أصهار رسول الله صلى الله عليه وسلم، فمنوا عليهم بغير فداء، تقول عائشة رضي الله عنها: "فما أعلم أن امرأة كانت أعظم بركة على قومها من جويرية، إذ بتزوج الرسول صلى الله عليه وسلم إياها أعتق مائة من بني المصطلق"⁽⁵⁾⁽⁶⁾.

وأسرى الحرب من الكفار يفصل الإمام بما هو الأصلح والأأنفع للإسلام والمسلمين فيهم، وتقدير المصلحة يتم بحسب ما يرى في الأسير من قوة بأس، وشدة نكاية، أو أنه مرجو الإسلام، أو مأمون الخيانة، أو مطاع في قومه، أو أن المسلمين في حاجة إلى المال أو المهنة ونحو ذلك⁽⁷⁾.

(1) الوحي المحمدي، رضا (ص 230).

(2) [صحيح البخاري، البخاري، الجهاد والسير/الكسوة للأسارى، 4 / 60: حديث رقم 3008].

(3) فتح الباري، ابن حجر (ج 6/ 144).

(4) انظر/[صحيح البخاري، البخاري، المغازي/وفد بني حنيفة...، 5 / 170: حديث رقم 4372].

(5) انظر/[مسند أحمد، أحمد، 43 / 385: حديث رقم 26365] قال شعيب الأرنؤوط: إسناده حسن.

(6) فقه السنة، سابق (2 / 686) باختصار.

(7) الخلاصة في أحكام الأسرى، الشحوذ (ص 142) باختصار.

المطلب الثاني: تأييد القرآن الكريم للجندي المسلم.

أولاً: التأييد بالمؤمنين.

"إن الجندي الراشد لا يمكن له العمل إلا وفق جماعة إسلامية تؤيده وتناصره، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي آتَاكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: 62] فأيد الله رسوله بالمؤمنين الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه وجعل منهم قوة موحدة، بعد أن كانت قلوبهم شتى، وعداوتهم جاهرة وبأسهم بينهم شديد، فقد كانت هذه هي حالة عرب الجزيرة جميعاً، ولقد وقعت المعجزة التي لا يقدر عليها إلا الله والتي لا تصنعها إلا هذه العقيدة فاستحالت هذه القلوب النافرة، وهذه الطباع العسيرة، إلى هذه الكتلة المترابطة المتآخية الذلول بعضها لبعض، المحب بعضها لبعض، المتآلف بعضها مع بعض، بهذا المستوى الذي لم يعرفه التاريخ والذي تتمثل فيه حياة الجنة وسمتها البارزة، أو يمهد لحياة الجنة وسمتها البارزة ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾ [الحجر: 47]⁽¹⁾، "ولا يذوق حلاوة الإيمان إلا من أشرب هذه الأخوة، قال رسول الله ﷺ: "ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار"⁽²⁾، "هذا حث على التحاب في الله، لأجل أن الله جعل المؤمنين أخوة قال الله تعالى: ﴿فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ [آل عمران: 103] ومن محبته ومحبة رسوله محبة أهل ملته، فلا تحصل حلاوة الإيمان إلا أن تكون خالصة لله تعالى، غير مشوبة بالأغراض الدنيوية ولا الحظوظ البشرية، فإن من أحب لذلك انقطعت تلك المحبة عند انقطاع سببها"⁽³⁾، "وحقيقة الحب في الله أن لا يزيد بالبر ولا ينقص بالجفاء"⁽⁴⁾.

والقرآن الكريم يصف أتباع رسول الله ﷺ بعدة صفات في قوله تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ﴾ [الفتح: 29] وهي الشدة والصلابة والعنف على الأعداء، والرحمة والرأفة والرفق والبر بالمؤمنين، فهم أسود غضاب عبوسون في وجه الكفار الذين يعادونهم، ضحوكون بشوشون في وجوه إخوانهم المؤمنين، كما أنهم يمتازون بكثرة العمل وكثرة الصلاة وهي خير الأعمال، مع وصفهم بالإخلاص فيها لله ﷻ، فكان الجزاء الجنة⁽⁵⁾.

(1) في ظلال القرآن، قطب (ج3/ 1548).

(2) [صحيح البخاري، البخاري، الإيمان/حلاوة الإيمان، 1/ 12: حديث رقم 16].

(3) عمدة القاري، العيني (ج1/ 149).

(4) فتح الباري، ابن حجر (ج1/ 62).

(5) التفسير المنير، الزحيلي (ج26/ 209) باختصار.

ثانياً: التأييد بالنصر.

وقد بينا مفهوم النصر في مطلب تحقيق النصر لأمة الإسلام⁽¹⁾.

ثالثاً: التأييد بالرعب.

"أيد الله ﷻ جنوده بالرعب فقال تعالى: ﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ﴾ [الأحزاب: 26] والرعب هو الخوف الذي يستوعب الصدر، أي يملؤه، وقذفه إثباته فيه، وقد دلت الآية على أن وقوع الرعب في قلوبهم كان من الله ودلت على أن ذلك الرعب صار سبباً في إقدامهم على بعض الأفعال، وبالجمله فالفعل لا يحصل إلا عند حصول داعية متأكدة في القلب، وحصول تلك الداعية لا يكون إلا من الله، فكانت الأفعال بأسرها مسندة إلى الله بهذا الطريق"⁽²⁾، "لذا كان إخراج يهود بني النضير من ديارهم هو بقوة الله، في حين أن كل الأسباب المادية معهم حتى اعتقدوا أنه لا أحد يستطيع أن يخرجهم من حصونهم لمتانتها وقوتها، لكن الله فاجأهم من حيث لم يحتسبوا، فجاءتهم الهزيمة من مكان اطمأنوا إليه وهو أنفسهم، فإذا الرعب يأتي من داخلهم، فإذا بهم ينهارون في أسرع لحظة، لذلك يجب على كل إنسان عاقل أن يعتبر بهذه الغزوة، وأن يعرف أن الله هو المتصرف في الأمور، وأنه لا تقف أمام قدرته العظيمة لا الأسباب ولا المسببات"⁽³⁾.

"وهذه البشرى والوعد لكل الجنود الراشدين بأن يثبت الله قلوبهم، ويبشّرهم بإلقاء الرعب في قلوب أعدائهم، بسبب إشراكهم بالله ما لم ينزل به سلطاناً، ولم يجعل له قوة وقدرة، وذلك فوق عذاب الآخرة المهيأ للظالمين: ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا﴾ [آل عمران: 151] والوعد من الله الجليل القادر القاهر، بإلقاء الرعب في قلوب الذين كفروا، كفيل بنهاية المعركة، وضمان لهزيمة أعدائه ونصر أوليائه"⁽⁴⁾.

رابعاً: التأييد بالملائكة.

أيد الله ﷻ جنوده بالملائكة في أكثر من موضع وقد سبق الحديث عن ذلك بإسهاب عند الحديث عن صور الجندية في المخلوقات مما يغني عن التكرار.

(1) سبق ذكره ص 36.

(2) مفاتيح الغيب، الرازي (ج 29 / 503).

(3) السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث، الصلابي (ص 554).

(4) في ظلال القرآن، قطب (ج 1 / 491).

خامساً: التأييد بخِذلان الأعداء.

"أخبر الله تعالى أنه يدفع عن عباده الذين توكّلوا عليه، وأنابوا إليه شر الأشرار وكيد الفجار ويحفظهم ويكلّوهم وينصرهم كما قال تعالى: ﴿الَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ [الزمر: 36] فهي بشارة للمؤمنين بأن الله تعالى ناصرهم على أعدائهم، وصيغة المفاعلة للمبالغة، أي: يدافع عنهم مرة بعد أخرى حسبما تجدد منهم الإضرار بالمسلمين، كما قال ﷺ: ﴿كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ﴾ [المائدة: 64]⁽¹⁾، "وذكر إيقاد النار مثلاً لضرب لاجتهاد أعداء المسلمين في المحاربة، وفي معنى الآية قولان:

أحدهما: كلما جمعوا لحرب النبي ﷺ فرّقهم الله.

الثاني: كلما مكروا مكرًا رده الله⁽²⁾.

وهذا نوع من أنواع المحن على اليهود، وهو أنهم كلما هموا بأمر من الأمور رجعوا خائبين خاسرين مقهورين ملعونين كما قال تعالى: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ أَيْنَ مَا تُقِفُوا﴾ [آل عمران: 112] قال قتادة: لا تلقى اليهود ببلدة إلا وجدتهم من أذل الناس⁽³⁾.

والأمة المسلمة ويوم تفيء إلى الإسلام؛ تؤمن به على حقيقته وتقيم حياتها كلها على منهجه وشريعته، يومئذ يتحقق وعد الله على شر خلق الله واليهود يعرفون هذا، وعلى الرغم من ذلك تجدهم يضربون بأيديهم وبأيدي عملائهم ضربات وحشية منكرة لا ترعى في العصبية المؤمنة إلاّ ولا ذمة، ولكن الله غالب على أمره، ووعد الله لا بد أن يتحقق⁽⁴⁾.

سادساً: التأييد بالنعاس والمطر.

"إن الله تعالى ذكر جنوده بنعمتين هما إلقاء النعاس وإنزال المطر، فقال: ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾ [الأنفال: 11] أي اذكروا ما أنعم الله عليكم من إلقاء النعاس عليكم حتى غشيكم كالغطاء، أماناً أمنكم به من خوفكم الذي حصل لكم من رؤية كثرة عدوكم وقلة عددكم، وأراحكم من عناء السير، فمن غلب عليه النعاس لا يشعر بالخوف، ويرتاح ويجدد

(1) الإصابة، عيسى (ص 235).

(2) زاد المسير، الجوزي (ج1/ 566).

(3) ينظر: مفاتيح الغيب، الرازي (ج12/ 397).

(4) في ظلال القرآن، قطب (ج2/ 930) باختصار.

نشاطه وقوته، فعن علي عليه السلام قال: مَا كَانَ فِيْنَا فَارِسٌ يَوْمَ بَدْرٍ غَيْرُ الْمِقْدَادِ، وَلَقَدْ رَأَيْنَا وَمَا فِيْنَا إِلَّا نَائِمٌ، إِلَّا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ تَحْتَ شَجَرَةٍ يُصَلِّي، وَيَبْكِي، حَتَّى أَصْبَحَ⁽¹⁾، وكان هذا النعاس في الليلة التي كان القتال من غدها، فكان النوم للجمع العظيم في الخوف الشديد دفعة واحدة عجباً وفي حكم المعجز الخارق للعادة، مع ما كان بين أيديهم من الأمر المهم، ولكن الله ربط جأشهم⁽²⁾.

"وفي امتنان الله عليهم بالنوم في هذه الليلة وجهان:

أحدهما: أن قواهم بالاستراحة على القتال من الغد.

الثاني: أن أمنهم بزوال الرعب من قلوبهم كما يقال: الأمن منيم، والخوف مسهر⁽³⁾.

وكذلك فعل الله تعالى بهم فألقى النعاس عليهم يوم أحد، كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ أُنْزِلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةٌ نُعَاسًا يَغْشَى طَائِفَةً مِنْكُمْ﴾ [آل عمران: 154] وإنزال المطر حقق أربع فوائد:

الأولى: التطهير الحسي بالنظافة والشرعي بالغسل من الجنابة والوضوء.

الثانية: إذهاب وسوسة الشيطان.

الثالثة: الربط على القلوب أي توطين النفس على الصبر.

الرابعة: تثبيت الأقدام به على الرمال⁽⁴⁾.

"والسبب في إنزال المطر هو ما أخبر به ابن عباس عليه السلام أن المشركين غلبوا المسلمين في أول أمرهم على الماء، فظمئ المسلمون، وصلوا مجنبيين محدثين، وكان بينهم رمال، فألقى الشيطان في قلوبهم الحزن، وقال: أتزعمون أن فيكم نبياً، وأنكم أولياء، وتصلون مجنبيين محدثين؟ فأنزل الله من السماء ماء، فشرب المسلمون وتطهروا وثبتت أقدامهم وذهبت الحزن⁽⁵⁾.

سابعاً: التأييد بالريح.

"إن الله قد أيد رسولنا الكريم ﷺ بأن أرسل على جيش المشركين ريحاً شديدة فأزلت خيامهم وأكفأت قدورهم وأطفأت نيرانهم، واختل أمرهم، وهلك كراعهم وخفهم، وقوله تعالى: ﴿إِذْ جَاءَتْكُمْ

(1) [مسند أحمد، أحمد، 2/ 299: حديث رقم 1023] قال شعيب الأرناؤوط: اسناده صحيح.

(2) التفسير المنير، الزحيلي (ج9/ 266).

(3) ينظر: النكت والعيون، الماوردي (ج2/ 299).

(4) التفسير المنير، الزحيلي (ج9/ 267) بتصرف.

(5) جامع البيان، الطبري (ج13/ 425).

جُنُودٌ» توطئة لقوله: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا﴾، لأن ذلك هو محل المنة، والريح المذكورة هنا هي ريح الصبا وكانت باردة وقلعت الأوتاد والأطناب وسفت التراب في عيونهم وماجت الخيل بعضها في بعض وهلك كثير من خيلهم وإبلهم، وفيها قال النبي ﷺ: «نُصِرْتُ بِالصَّبَا، وَأُهْلِكْتُ عَادًا بِالدَّبُورِ»⁽¹⁾⁽²⁾، وكانت هذه الريح معجزة للنبي ﷺ، لأن النبي ﷺ والمسلمين كانوا قريبون منها، لم يكن بينهم وبينها إلا عرض الخندق، وكانوا في عافية منها، ولا خبر عندهم بها⁽³⁾.

"وإن النبي ﷺ يستبشر بما نصره الله به من الرياح، ويرجو أن يهلك الله أعاديه بالدبور كما أهلك عادًا، وإذا أهلك عدوه بالدبور فقد نصر بها، فكان إذا لم يقاتل بالغدو وهو الوقت الذي تهب فيه الرياح، أخر حتى تزول الشمس وتهب رياح النصر"⁽⁴⁾.

ثامنًا: التأييد بالسكينة.

"السكينة تعني السكون والطمأنينة، قال ابن عباس: كل سكينة في القرآن هي الطمأنينة إلا التي في البقرة، حيث اختلف الناس فيها، فالسكينة فعيلة مأخوذة من السكون والوقار والطمأنينة، فقوله "فيه سكينة" أي هو سبب سكون قلوبكم فيما اختلفتم فيه من أمر طالوت، ونظيره ﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ﴾ [التوبة: 40] أي أنزل عليه ما سكن به قلبه، وهو أن التابوت كانت فيه أشياء فاضلة من بقايا الأنبياء وآثارهم، فكانت النفوس تسكن إلى ذلك وتأنس به وتقوى"⁽⁵⁾.

"فالسكينة إذاً ما يجعله الله في القلوب وقت القلاقل والزلازل والمفجعات، مما يثبتها، ويسكنها ويجعلها مطمئنة، وهي من نعم الله العظيمة على جنوده"⁽⁶⁾.

قال ابن القيم: ومن منازل ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: 5] منزلة السكينة، وقد ذكر الله سبحانه السكينة في كتابه في ستة مواضع، وكان شيخ الإسلام ابن تيمية إذا اشتدت عليه الأمور: قرأ آيات السكينة، فهي إذا نزلت على القلب اطمأن بها، وسكنت إليها الجوارح، وخشعت واكتسبت الوقار، وأنطقت اللسان بالصواب والحكمة، وحالت بينه وبين قول الخنا

(1) [صحيح البخاري، البخاري، المغازي/غزوة الخندق وهي الأحزاب، 5/ 109: حديث رقم 4105].

(2) التحرير والتنوير، ابن عاشور (ج21/ 279).

(3) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (ج14/ 144).

(4) شرح صحيح البخاري، ابن بطال (ج5/ 134).

(5) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (ج16/ 264).

(6) تيسير الكريم الرحمن، السعدي (ص 332).

والفحش، واللغو والهجر، وكل باطل، قال ابن عباس رضي الله عنه: كنا نتحدث أن السكينة تنطق على لسان عمر وقلبه⁽¹⁾.

تاسعاً: التأييد بالخسف.

"إن الله تعالى قد أيد جنده فيما مضى بالخسف وهو زلزال شديد تنشق به الأرض فتحدث بانشقاقها هوة عظيمة تسقط فيها الديار والناس، ثم تتغلق الأرض على ما دخل فيها، وقد أصاب ذلك أهل بابل، ومكانهم يسمى خسف بابل، وأصاب قوم لوط عليه السلام إذ جعل الله عاليها سافلها، وبلادهم مخسوفة اليوم في بحيرة لوط من فلسطين"⁽²⁾، "وأنكر الله ﷻ على الذين يعملون السيئات من الكفر والمعاصي، ومع ذلك يأمنون عذاب الله ولا يخافون أخذه الأليم، وبطشه الشديد، وهو قادر على أن يخسف بهم الأرض، ويهلكهم بأنواع العذاب قال تعالى: ﴿أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ﴾ [النحل: 45] والخسف بلع الأرض المخسوف به وقعودها به إلى أسفل؛ كما فعل الله بقارون، فقال تعالى: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ﴾ [القصص: 81]"⁽³⁾.

وقد أخبر النبي ﷺ بأن الله سوف يخسف في آخر الزمان بجيش يخرج لغزو الكعبة فقال ﷺ: «يغزو جيش الكعبة، فإذا كانوا ببيداء من الأرض، يخسف بأولهم وآخرهم» قالت عائشة قلت: يا رسول الله، كيف يخسف بأولهم وآخرهم، وفيهم أسواقهم، ومن ليس منهم؟ قال: «يخسف بأولهم وآخرهم، ثم يبعثون على نياتهم»⁽⁴⁾، فكان مقصدهم قطعاً تخريب الكعبة، ثم خَسَفَهُم بالبيداء، فلم يصلوا لهدفهم الذي قصدوا، وفيه تحذير من معاونه أهل الباطل⁽⁵⁾.

عاشراً: التأييد بالدعم النفسي.

إن القرآن الكريم قد دعم الجندي المسلم نفسياً كما أيده مادياً، فلا تكاد تجد عقدة توضع في طريق المجاهد إلا ولها حلول في كتاب الله، نذكر منها على سبيل المثال:

1- الترهيب من الموت.

"إن الجندي المسلم لا يخشى الموت، لأنه يؤمن بأنه لا يموت إلا بأجله الموعود، قال تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف: 34]، وقال تعالى:

(1) مدارج السالكين، ابن قيم الجوزية (ج2/ 470-473) باختصار.

(2) التحرير والتنوير، ابن عاشور (ج14/ 165).

(3) أضواء البيان، الشنقيطي (ج2/ 380).

(4) [صحيح البخاري، البخاري، البيوع/ ما ذكر في الأسواق، 3/ 66: حديث رقم 2118].

(5) عمدة القاري، العيني (ج11/ 237) باختصار.

﴿قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ﴾ [آل عمران: 154]، وإن المؤمن الحق، يعتقد اعتقاداً راسخاً، بأن الآجال بيد الله ﷻ، وما أصدق قوله خالد بن الوليد رضي الله عنه لما حضرته الوفاة قال: لقد شهدت مائة زحف، وما في بدني موضع شبر إلا وفيه ضربة، أو طعنة، أو رمية، وها أنا أموت على فراشي كما يموت البعير، فلا نامت أعين الجبناء⁽¹⁾ (2).

إن هنالك أجلاً مكتوباً لا يستقدم ولا يستأخر، وإن هنالك مضجعاً مقسوماً لا بد أن يجيء إليه صاحبه فيضجع فيه، لا يسوقه أحد إلى أجله المرسوم، ولا يدفعه أحد إلى مضجعه المقسوم، فيأتون إليه بدافع خفي لا يدركونه ولا يملكونه، إنما هو يدركهم ويملكهم ويتصرف في أمرهم كما يشاء، والاستسلام له أروح للقلب، وأهدأ للنفس، وأريح للضمير، إنه قدر الله⁽³⁾.

2- الخشية على الرزق.

"والجندي المسلم لا يخاف الفقر، لأنه يعتقد اعتقاداً راسخاً، بأن الأرزاق بيد الله سبحانه وتعالى، وأنه يرزق النملة المنفردة في الصخرة المنفردة في البحر المحيط، فكيف ينسى رزقه قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [البقرة: 212]، وقال تعالى: ﴿فَأَوَّاكُمْ وَأَيْدِيكُمْ فِيْ بَنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الأنفال: 26]"⁽⁴⁾.

"فقد أحل لنا الغنائم ولم يحلها لأحد قبلنا، قال قتادة: كان هذا الحي من العرب أذل الناس ذلاً وأشقاهم عيشاً وأجوعهم بطناً وأغراهم جلوداً، من عاش منهم عاش شقياً ومن مات منهم ردي في النار، يؤكلون ولا يأكلون وما في بلادهم شيء عليه يحسدون، والله ما نعلم قبلاً من حاضر أهل الأرض يومئذ كانوا شر منزلاً منهم حتى جاء الله ﷻ بالإسلام فمكن في البلاد ووسع به في الرزق وجعلكم به ملوكاً على رقاب الناس"⁽⁵⁾.

3- التحصن من الغزو الفكري.

"إن الجندي المسلم يقاوم الغزو الفكري ويبصاويل الغزو الحضاري الذي لا طائل من ورائه، لأن له من مقومات دينه وتراث حضارته ما يصونه من تيارات المبادئ الوافدة التي

(1) أسد الغابة، ابن الأثير (ج2/ 140).

(2) بين العقيدة والقيادة، خطاب (ص 126).

(3) في ظلال القرآن، قطب (ج1/ 497) باختصار.

(4) بين العقيدة والقيادة، خطاب (ص 126).

(5) الكشف والبيان، الثعلبي (ج4/ 345).

تتناقض دينه وتراثه وتذيب شخصيته وتمحو آثاره من الوجود، قال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: 108]"⁽¹⁾.

"وقد استخدم القرآن العديد من الطرق لتحسين الجندي المسلم ضد الغزو الفكري وذلك بضرورة التمسك بالعقيدة الصحيحة ونشرها في المجتمعات الإسلامية"⁽²⁾، ورد الشبهات التي أثارها أعداء الإسلام بطرق علمية سليمة، والاهتمام بدراسة الأفكار الوافدة والمبادئ المستوردة، والتعريف بمظاهر قصورها ونقصها بأمانة ودقة وموضوعية، كما ويجب الاهتمام باللغة العربية والعمل على نشرها ودعم تعليمها في جميع أنحاء العالم باعتبارها لغة القرآن الكريم، مستفيدين من الأساليب المعاصرة في الإعلام لإيصال كلمة الحق والخير إلى جميع أنحاء الدنيا، كذلك فإنه لا بد من الاهتمام بمواجهة القضايا المعاصرة بحلول إسلامية والعمل على نقل حلول الإسلام لهذه المشكلات إلى التنفيذ والممارسة، والعمل على بناء قوة المسلمين واكتفائهم الذاتي اقتصادياً وعسكرياً لمناصرة المسلمين الذين يتعرضون للاضطهاد في شتى بقاع الأرض ودعم قضاياهم ودرء العدوان عنهم بشتى الوسائل المتاحة"⁽³⁾.

4- الخشية من الهزيمة.

"إن الجندي المسلم لا يخشى قوات العدو الضاربة، فما انتصر المسلمون في أيام الرسول القائد ﷺ وفي أيام الفتح الإسلامي العظيم بعدة أو عدد، بل كان انتصارهم بالإسلام، قال تعالى: ﴿قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللَّهِ كَمْ مِّنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: 249]"⁽⁴⁾، "فالإيمان بقاء الله تعالى في الآخرة، والاعتصام بالصبر سببان من أسباب نصر العدد القليل على العدد الكثير"⁽⁵⁾.

"والمؤمن حقاً لا يقر بانتصار أحد عليه ما دام في حماية عقيدته، فهو لا يستسلم أبداً ولا يفكر بالاستسلام لأنه يؤمن بأن انتصار العدو عليه قد يدوم ساعة ولكنه لا يدوم إلى قيام الساعة، قال تعالى: ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ [آل عمران: 140]، ولا يستسلم بعد هزيمته، لأنه يعلم بأن بعد العسر يسراً، قال تعالى:

(1) بين العقيدة والقيادة، خطاب (ص 129).

(2) تحسين المجتمع المسلم ضد الغزو الفكري، الرحيلي (ص 369).

(3) الفقه الإسلامي وأدلته، الزحيلي (ج7/ 5209-5211) باختصار.

(4) بين العقيدة والقيادة، خطاب (ص 127).

(5) تفسير المنار، رضا (ج1/ 100).

﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [المنافقين: 8]، وقال تعالى: ﴿وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [يونس: 65]⁽¹⁾، "فلا تهنوا ولا تحزنوا لأنكم إذا بحثتم عن أحوال القرون الماضية علمتم أن أهل الباطل وإن اتفقت لهم الصولة، لكن كان مآل الأمر إلى الضعف والفتور، وصارت دولة أهل الحق عالية، وصولة أهل الباطل مندرسة، فلا ينبغي أن تصير صولة الكفار عليكم سببا لضعف قلبكم ولجبنكم وعجزكم، بل يجب أن يقوى قلبكم فإن الاستعلاء سيحصل لكم والقوة والدولة راجعة إليكم"⁽²⁾.

5- إثارة الإشاعات.

"إن الجندي المسلم لا يصدق الإشاعات، ولا يبيث الإشاعات، ويقضي على كل ذلك في مهده، ويفضح مروجيها ولا يسكت عنهم، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا﴾ [الحجرات: 6]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ [النساء: 83]⁽³⁾، "وقد أوجب الله تعالى على الذين يجيئهم أمر من الأمن أو الخوف أن يرجعوا في معرفته إلى أولي الأمر للحفاظ على تماسك المجتمع واتخاذ القرار المناسب"⁽⁴⁾.

"ثم يأتي التهديد القوي الحاسم للمنافقين ومرضى القلوب الذين ينشرون الشائعات المزلزلة في صفوف الجماعة المسلمة، بأنهم إذا لم يرتدعوا عما يأتونه من هذا كله، وينتهوا عن إيذاء المؤمنين والمؤمنات، والجماعة المسلمة كلها، أن يسלט الله عليهم نبيه، كما سلطه على اليهود من قبل، فيطهر منهم المجتمع المسلم، ويطاردهم من الأرض ويبيح دمهم فحيثما وجدوا أخذوا وقتلوا، كما جرت سنة الله فيمن قبلهم من اليهود على يد النبي ﷺ وغير اليهود من المفسدين في الأرض في القرون الخالية، وقال تعالى: ﴿لَئِنْ لَّمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ﴾ [الأحزاب: 60]⁽⁵⁾.

(1) بين العقيدة والقيادة، خطاب (ص 128).

(2) مفاتيح الغيب، الرازي (ج 9/ 371).

(3) بين العقيدة والقيادة، خطاب (ص 129).

(4) مفاتيح الغيب، الرازي (ج 10/ 154).

(5) في ظلال القرآن، قطب (ج 5/ 2880).

الفصل الثالث

حقوق وواجبات الجندي في القرآن الكريم

المبحث الأول

حقوق الجندي في القرآن الكريم

المطلب الأول: إعداد الجندي إعداداً شمولياً.

أولاً: الاعداد العقدي.

إن الجندي المسلم بحاجة ماسة إلى الفهم الصحيح لعقيدته التي تربي عليها سلف الأمة، لذا لابد من التعرف على كيفية اعداد الجندي إعداداً عقدياً، على النحو التالي:

1- ترسيخ أسس العقيدة الصحيحة.

العقيدة هي مُثُلٌ عليا يؤمن بها الجندي، فيضحّي من أجلها بالمال والنفس، والإنسان لا قيمة له من الناحية العسكرية بدون عقيدة تجمع شمله وتوحّد صفوفه وتشيع فيه الانسجام الفكري الذي بدوره لا يتم تعاون ولا اتحاد⁽¹⁾، "وينبغي أن تطول مرحلة بناء العقيدة وأن تتم خطواتها على مهل وفي عمق وتثبت، وهكذا ينبغي ألا تكون مرحلة بناء العقيدة مرحلة دراسة نظرية للعقيدة ولكن مرحلة ترجمة لهذه العقيدة في صورة حية، متمثلة في ضمانات متكيفة بهذه العقيدة وتمثلة في بناء جماعي يعبر نموه عن نمو العقيدة ذاتها"⁽²⁾.

"ومناهج أهل السنة والجماعة امتازت في مسائل الدين أصوله وفروعه بخصائص جعلتها تستولي على ناصية الحق، ويتجلى هذا بوضوح في العقيدة، حيث تجمع إلى الاقتباس، من مشكاة القرآن والسنة، والوقوف عندهما، والتسليم لهما، الاتساق مع العقل والفطرة، والشمولية في الفهم والتطبيق، مع التوازن والوسطية"⁽³⁾.

"كما أن صحة الفهم وحسن القصد من أعظم نعم الله التي أنعم بها على جنده، وبهما يأمن العبد طريق المغضوب عليهم الذين فسد قصدهم وطريق الضالين الذين فسدت فهمهم، وبصير من المنعم عليهم الذين حسنت أفهامهم وقصودهم، وصحة الفهم نور يقذفه الله في قلب العبد، يميز به بين الصحيح والفساد، ويمده حسن القصد، وتحري الحق، وتقوى الرب في السر والعلانية، ويقطع مادته اتباع الهوى، وإيثار الدنيا، وترك التقوى"⁽⁴⁾.

(1) ينظر: بين العقيدة والقيادة، خطاب (ص 41).

(2) في ظلال القرآن، قطب (ج2/ 1012).

(3) طريق الهداية، حسين (ص 203).

(4) إعلام الموقعين، ابن قيم الجوزية (ج1/ 69).

"والمعروف أن الجندي لا يمكن أن يقاتل في الحرب قتالاً مستميتاً، ويضحي بروحه مقبلاً غير مدبر، إلا إذا كان يؤمن إيماناً راسخاً بعقيدة تدفعه إلى التضحية والفداء، وتجعله صابراً في البأساء والضراء وحين البأس، والجندي الذي يقاتل بغير إيمان راسخ بعقيدة، لا يمكن أن يثبت في الميدان أبداً، وما يقال عن الجندي، يقال عن الجيش، ويقال عن الأمة أيضاً، فليس الجيش إلا مجموعة من الجنود وضباط الصف والضباط، وليس الجيش إلا جزءاً من الأمة"⁽¹⁾.

2- ربط النصر بالإيمان.

النصر هو مقصد الجندي ومبتغاه ولا يتحقق ذلك إلا بالإيمان الصحيح، والربط بين الإيمان والنصر من الأمور التي يمكن للجندي أن يدركها، فالجندي المؤمن يستند إلى ركنٍ وثيق هو الله، ويمتاز بدافع قويٍّ للتضحية لا يتوفر عند غيره من الناس، لذا فقد وعده الله تعالى بالنصر فقال: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: 47]، قال صاحب المنار: "هي نص في تعليل النصر بالإيمان، ولكننا نرى كثيراً من الذين يدعون الإيمان في هذه القرون الأخيرة غير منصورين، فلا بد أن يكونوا في دعوى الإيمان غير صادقين، ولأهوائهم لا لله ناصرين، ولسننه في أسباب النصر غير متبعين، وإن الله لا يخلف وعده ولا يبطل سننه، وإنما ينصر المؤمن الصادق وهو من يقصد نصر الله وإعلاء كلمته، ويتحرى الحق والعدل في حربه، فالإيمان سبب حقيقي من أسباب النصر المعنوية"⁽²⁾.

"وإن الله يدفع السوء عن عباده الذين آمنوا به إيماناً حقاً، ويكفيهم شر أهل السوء، وقد أشار إلى هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [الحج: 38] وكذلك في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: 3]، وقوله: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ [الزمر: 36]، وقوله تعالى: ﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْرِجُهُمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: 14]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ [غافر: 51]، وقوله: ﴿وَإِنْ جُنَدْنَا لَهُمُ الْعَالِيُونَ﴾ [الصافات: 173]، فالله يدفع عن الذين آمنوا الشر والسوء؛ لأن الإيمان بالله هو أعظم أسباب دفع المكاره"⁽³⁾، "وإن في هذا النصر الحاصل لجند الله في بدر مع قلة عدد المسلمين وكثرة عدوهم عظة لمن عقل وتدبر، وأعمل البصيرة والفكر، ليهتدي به إلى حكم الله وأفعاله وقدره الجاري بنصر عباده المؤمنين في الدنيا والآخرة، بشرط نصرة دين

(1) بين العقيدة والقيادة، خطاب (ص 107).

(2) تفسير المنار، رضا (ج7/ 317).

(3) أضواء البيان، الشنقيطي (ج5/ 261).

الله، كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ تَنَصُّرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: 7] والمؤمن: هو من يشهد له القرآن بإيمانه، لا من يدعي الإيمان بلسانه، وأخلاقه وأعماله تكذب دعواه⁽¹⁾، "ومعنى نصر المؤمنين الله نصرهم لدينه ولكتابه، وسعيهم وجهادهم في أن تكون كلمته هي العليا، وأن تقام حدوده في أرضه، وتمتثل أوامره وتجتنب نواهيه، ويحكم في عباده بما أنزل على رسوله ﷺ"⁽²⁾.

وكتب عمر رضي الله عنه إلى سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: أما بعد؛ فإني آمرك ومن معك من الأجناد بتقوى الله؛ فإن تقوى الله أفضل العدة على العدو، وأقوى المكيده في الحرب، وأمرتك ومن معك أن تكونوا أشد احتراساً من المعاصي منكم من عدوكم؛ فإن ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوهم، وإنما ينصر المسلمون بمعصية عدوهم لله، ولولا ذلك لم تكن لنا بهم قوة؛ لأن عدونا ليس كعددهم، ولا عدتنا كعدتهم، فإذا استوبنا في المعصية كان لهم الفضل علينا في القوة، واسألوا الله العون على أنفسكم كما تسألونه النصر على عدوكم⁽³⁾.

ثانياً: الإعداد الأخلاقي.

الأخلاق الإسلامية تنظم حياة الجندي من الناحية العملية من أجل الحياة الخيرة مع الغير أياً كان هذا الغير إنساناً كان أم حيواناً أو غير حيوان وذلك بناء على مكانته في الكون ومسئوليته التي يجب أن ينهض بها، وبناء على ما وضع له خالقه من أهداف في هذه الحياة، وإن النظام الأخلاقي ليس جزءاً من نظام الإسلام العام، بل إن الأخلاق هو جوهر الإسلام وروحه السارية في جميع جوانبه، فالنظام الإسلامي عموماً مبني على فلسفته الخلقية أساساً، ومصدق ذلك قول الرسول ﷺ: "إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق"⁽⁴⁾⁽⁵⁾، "وأكمل الناس خلقاً هو رسولنا الكريم ﷺ حيث قال الله تعالى في وصفه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: 4] لما كانت أخلاقه الحميدة كاملة لا جرم وصفها الله بأنها عظيمة، ولهذا قال: ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾ [ص: 86] أي لست متكلفاً فيما يظهر لكم من أخلاقي لأن المتكلف لا يدوم أمره طويلاً بل يرجع إلى الطبع"⁽⁶⁾، "لذا فقد حرض النبي ﷺ كل أتباعه بالتحلي بحسن الخلق فقال: "أَكْمَلُ

(1) التفسير المنير، الزحيلي (ج3/ 162).

(2) أضواء البيان، الشنقيطي (ج7/ 252).

(3) العقد الفريد، ابن عبد ربه (ج1/ 117) باختصار.

(4) [مسند أحمد، أحمد، 512/ 14: حديث رقم 8952]، قال شعيب الأرنؤوط: صحيح.

(5) ينظر: علم الأخلاق الإسلامية، علي (ص 47).

(6) مفاتيح الغيب، الرازي (ج30/ 601).

الْمُؤْمِنِينَ إِيْمَانًا، أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا⁽¹⁾، فالخلق العظيم هو ما كان من البشاشة والسعي في قضاء حوائج الناس وإكرامهم والرفق بهم⁽²⁾.

"ولقد كان للأخلاق الإسلامية التي تميز بها جند الإسلام والمسلمين عن غيرهم من بني البشر في حربهم وسلمهم، في حياتهم العادية داخل المجتمع وخارجه، مع الأصدقاء والأعداء، أثر كبير في إسلام كثير من الكفار، رغبة في ذلك الخصال؛ لإيمانهم بأن الأخلاق تنم عن سماحة المعتقد وسلامته من الأغراض الدنيوية، وبحثه عما فيه الخير للإنسانية، ومن لم يدخل في هذا الدين رضي بأن يعيش في ظله"⁽³⁾، وهذه بعض أخلاق الجندي التي أرشد القرآن إليها في وقت السلم والحرب:

1- الوفاء.

إن جند الله قد تميزوا عن غيرهم بالوفاء بعهودهم وقد أمرهم بذلك رب العزة فقال: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾ [النحل: 91] والمراد منه كل عهد يلتزمه الإنسان باختياره قال ابن عباس ؓ: والوعد من العهد، فمن عاهدته فبعهده مسلماً كان أو كافراً فإنما العهد لله تعالى⁽⁴⁾.

"وإن الله أوجب على الجنود الوفاء بالعهود في الحرب والسلم وحرّم الخيانة فيهما سراً أو جهراً، والآيات في ذلك متعددة محكمة لا تدع مجالاً لإباحة نقض العهد بالخيانة فيه وقت القوة، ولما أمر بنبذ عهود المشركين الذين نقضوا عهد النبي والمؤمنين استثنى منهم المعاهدين فقال الله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُضُوكُمْ شَيْئاً وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَداً فَأَتِمُوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: 4]، ثم قال الله تعالى: ﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: 7]، فهل يوجد وفاء بالعهود أعظم من الحكم بأمر الله تعالى؟"⁽⁵⁾.

(1) [مسند أحمد، أحمد، 16 / 478: حديث رقم 10817]، قال شعيب الأرنؤوط: صحيح.

(2) [الهداية إلى بلوغ النهاية، القيسي (ج12 / 7620)].

(3) [اعداد الجندي المسلم، العقلا (ص 559)].

(4) [ينظر: مفاتيح الغيب، الرازي (ج20 / 263)].

(5) [تفسير المنار، رضا (ج11 / 231)، وله أيضاً، الوحي المحمدي (ص 230-231)].

"ولما كان أمر الغدر والخيانة عظيم وجب التحذير منه فقال النبي ﷺ: «لكل غادر لواء يوم القيامة يعرف به»⁽¹⁾ والحكمة في هذا أنه لما كان الغدر خفياً لا يطلع عليه الناس، فيوم القيامة يصير علماً منشوراً على صاحبه بما فعل"⁽²⁾.

2- الدعوة إلى الإسلام قبل القتال.

"القصـد من الجهاد دعوة غير المسلمين إلى الإسلام، أو الدخول في ذمة المسلمين ودفع الجزية، وجريان أحكام الإسلام عليهم، وبذلك ينتهي تعرضهم للمسلمين، واعتادوهم على بلادهم، ووقوفهم في طريق نشر الدعوة الإسلامية، وينقطع دابر الفساد، قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ لِلَّذِينَ دِينُ اللَّهِ فَإِنْ ائْتَهُوا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: 193] وقال ﷺ: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ [التوبة: 33]⁽³⁾.

"إنه قتال يسبقه إعلان، وتخيير بين: قبول الإسلام، أو أداء الجزية، أو القتال.. ويسبقه نبذ العهد إن كان هناك عهد- في حالة الخوف من الخيانة، وهذه آداب المعركة كلها، من وصية رسول الله ﷺ: كان إذا أمر الأمير على جيش أو سرية أوصاه في خاصته بتقوى الله تعالى ومن معه من المسلمين خيراً، ثم قال: «اغْزُوا بِاسْمِ اللَّهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ، اغْزُوا وَلَا تَغْلُوا، وَلَا تَغْدِرُوا، وَلَا تَمْتَلُوا، وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيداً، وَإِذَا لَقِيتَ عَدُوَّكَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، فَادْعُهُمْ إِلَى ثَلَاثِ خِصَالٍ - أَوْ خِلَالٍ - فَأَيُّتُهُنَّ مَا أَجَابُوكَ فَأَقْبِلْ مِنْهُمْ، وَكُفَّ عَنْهُمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، فَإِنْ أَجَابُوكَ، فَأَقْبِلْ مِنْهُمْ، وَكُفَّ عَنْهُمْ»⁽⁴⁾، وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه يقول للجيش: «ستجدون قوماً زعموا أنهم حبسوا أنفسهم لله فدعوهم وما حبسوا أنفسهم له، ولا تقتلن امرأة ولا صبياً ولا كبيراً هراماً»، وكان عمر رضي الله عنه يوصي فيقول: «لا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تقتلوا وليداً، واتقوا الله في الفلاحين»، ومن وصاياه: «ولا تقتلوا هراماً ولا امرأة ولا وليداً، وتوقوا قتلهم إذا التقى الزحفان، وعند شن الغارات»، وهكذا تتواتر الأخبار بالخط العام الواضح لمستوى المنهج الإسلامي في قتاله لأعدائه، وفي آدابه الرفيعة، وفي الرعاية لكرامة الإنسان، وفي قصر القتال على القوى المادية التي تحول بين الناس وبين أن يخرجوا من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده، وفي اليسر الذي يعامل به حتى أعداءه⁽⁵⁾.

(1) [صحيح البخاري، البخاري، الجزية/إثم الغدر للبر والفاجر، 9/ 25: حديث رقم 3186].

(2) [تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (ج3/ 334)].

(3) [الموسوعة الفقهية الكويتية، مجموعة من المؤلفين (ج16/ 132)].

(4) [صحيح مسلم، مسلم، الجهاد والسير/تأثير الامام الأمراء على الجيوش، 3/ 1357: حديث رقم 1731].

(5) [في ظلال القرآن، قطب (ج3/ 1740-1741) باختصار].

3- تأمين المحارب حتى يسمع كلام الله.

"إن المستأمنين وهم رعايا الدول غير المسلمة المحاربة للمسلمين، الذين أعطاهم إمام المسلمين، أو أحد من المسلمين الأمان على نفسه وماله إذا دخل بلاد المسلمين حتى يخرج منها، سواء أكان من أهل الكتاب أم من غيرهم. فهؤلاء يعصم دمه وماله، فلا يجوز سفك دمائهم، ولا أخذ أموالهم، لقول الله: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ﴾ [التوبة: 6] ويستحب الإحسان إليهم والقسط معهم؛ ترغيباً لهم في الإسلام"⁽¹⁾.

"وجاء رجل من المشركين إلى علي رضي الله عنه فقال: إن أراد الرجل منا أن يأتي محمداً بعد انقضاء هذا الأجل يسمع كلام الله، أو يأتيه لحاجة قتل؟ قال: لا، لأن الله تعالى يقول: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾ [التوبة: 6]"⁽²⁾.

وفي معركة اليرموك خرج أحد قادة الروم لمقابلة خالد بن الوليد رضي الله عنه ليسأله عن الإسلام وقد طلب الأمان فأعجبه ما أخبره به خالد وما له من الفضل إن هو أسلم، فأعلن إسلامه ولم يصل إلا ركعتين، فقاتل الروم مع المسلمين حتى ارتقى شهيداً⁽³⁾.

4- نبذ المطامع الدنيوية.

إن أهداف الجندي نبيلة وعظيمة وأمله أن يرضى الله عنه ويدخله جنته، لذا فهو يترفع عن المطامع الدنيوية، والدليل على ذلك ما أوردناه من الدعوة للإسلام قبل الحرب، وإنه لما اختار أهل الحيرة دفع الجزية أجابهم خالد بن الوليد رضي الله عنه قائلاً: "تباً لكم، وبحكم! إن الكفر فلاة مضلة"⁽⁴⁾، فكان يطمع في إسلامهم.

وقد جاء النهي عن الغلول، قال ﷺ: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَغْلَ وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [آل عمران: 161]، "والغلول هو الخيانة، إلا أنه في عرف الاستعمال صار مخصوصاً بالخيانة في الغنيمة"⁽⁵⁾، "ولقد كان من بين العوامل التي جعلت الرماة يزايلون مكانهم من الجبل، خوفهم ألا يقسم لهم رسول الله ﷺ من الغنائم، كذلك كان بعض المنافقين قد تكلموا بأن بعض غنائم بدر من قبل قد اختفت ولم

(1) اللواء والبراء والعداء في الإسلام، القحطاني (ص 31).

(2) الكشف، الزمخشري (ج2/ 248).

(3) ينظر: الكامل في التاريخ، ابن الأثير (ج2/ 257).

(4) تاريخ الرسل والملوك، الطبري (ج3/ 362).

(5) مفاتيح الغيب، الرازي (ج9/ 411).

يستحوا أن يهمسوا باسمه ﷺ في هذا المجال، فهنا يأتي السياق بحكم عام ينفي عن الأنبياء عامة إمكان أن يغلوا، وطبيعة النبي الأمينة العادلة العفيفة لا يتأتى أن يقع منها الغلول ابتداء، ثم يهدد الذين يغلون، ويخفون شيئاً من المال العام أو من الغنائم، ذلك التهديد المخيف⁽¹⁾.

كما وتحدثنا في بعض الأخلاق التي يجب على الجندي التحلي بها عند ذكر سمات الجندي الراشد، وكذلك عند ذكر توجيهات القرآن للجندي المسلم، مما يغني عن التكرار.

ثالثاً: الإعداد العسكري

"وإن من أول واجبات الدولة هو الدفاع عن كيان الدولة وتحصين الثغور، وحماية الرعية، وإعداد العدة الملائمة والقوة الضاربة وتدريب المقاتلة، وتعلم فنون الحرب وكيفية استخدام السلاح المناسب للزمان والمكان، والإسلام دستور المسلمين يفرض دائماً التزام الحذر من العدو، والاستعداد للقاءه وإعداد الجنود والأسلحة الملائمة للإرهاب وخوض المعارك، قال الله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْحَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ [الأنفال: 60] فهذه الآية أمر إيجابي بالإعداد الملائم لكل القوى المادية والمعنوية التي يتحقق بها إرهاب العدو"⁽²⁾، وسيتم دراسة هذا الموضوع بنوع من التوسع في المطلب الثالث من المبحث الثاني في هذا الفصل⁽³⁾، حيث الجهوزية التامة وتطوير الذات.

المطلب الثاني: تزويد الجندي بالمعدات القتالية.

أولاً: فضل تزويد الجندي.

إن الجندي هو الركن الأساس للجهاد في سبيل الله، لذا كان لزاماً على المسلمين تزويده وتجهيزه بما يحتاج إليه من معدات قتالية، قال تعالى: ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [البقرة: 195] فإنه تعالى لما أمر بالقتال والاشتغال بالقتال لا يتيسر إلا بالآلات وأدوات يحتاج فيها إلى المال، وربما كان ذو المال عاجزاً عن القتال وكان الشجاع القادر على القتال فقيراً عديم المال، فلهذا أمر الله تعالى الأغنياء بأن ينفقوا على الفقراء الذين يقدر على القتال، وإن المال مال الله فيجب إنفاقه في سبيل الله⁽⁴⁾.

(1) في ظلال القرآن، قطب (ج1/ 504).

(2) الفقه الإسلامي وأدلته، الزحيلي (ج8/ 6378).

(3) أنظر صفحة 215.

(4) ينظر: مفاتيح الغيب، الرازي (ج5/ 293).

لقد اهتم الرسول ﷺ بالأمور الإدارية كثيراً في معاركه، فتعاون المسلمون على تزويد المجاهدين بالأرزاق والماء والنقلية والسلاح، لقد أنفق المسلمون الأولون أموالهم في سبيل الله:

- 1- فمات الرسول ﷺ ودرعه مرهونة عند يهودي في ثلاثين صاعاً من شعير.
 - 2- أنفق أبو بكر الصديق رضي الله عنه جميع ماله في سبيل الله وكان يوم أسلم من أغنياء قريش المعدودين، فمات متخللاً بعباءته.
 - 3- وأنفق عمر بن الخطاب رضي الله عنه نصف ماله في غزوة واحدة، وكان كثير الإنفاق.
 - 4- جهز عثمان ابن عفان رضي الله عنه جيش العسرة في غزوة تبوك بالإضافة الى الأموال الطائلة التي أنفقها على غيرها من الغزوات⁽¹⁾.
- ولما كان إعداد العدة يقتضي أموالاً، وكان النظام الإسلامي كله يقوم على أساس التكافل، فقد اقترنت الدعوة إلى الجهاد بالدعوة إلى إنفاق المال في سبيل الله: ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ [الأنفال: 60] وهكذا يجرد الإسلام الجهاد والنفقة في سبيله، من كل غاية أرضية، ومن كل دافع شخصي ومن كل شعور قومي أو طبقي، ليكون خالصاً لله وفي سبيل الله لتحقيق كلمة الله، ابتغاء رضوان الله⁽²⁾.
- "وقد تكفل الله للمنفقين في سبيله بإخلاف ما أنفقوه والإثابة عليه، والتوفية: أداء الحق كاملاً، جعل الله ذلك الإنفاق كالقرض لله، وجعل على الإنفاق جزاء، فسمى جزاءه توفية، وتدل التوفية على أنه يشمل الأجر في الدنيا مع أجر الآخرة، ونقل ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما⁽³⁾.
- وتجهيز الغزاة واجب المسلمين جميعاً، حكماً ومحكوماً، وهو من أعظم القرب لقول النبي ﷺ: «مَنْ جَهَّزَ غَازِيًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَقَدْ غَزَا، وَمَنْ خَلَّفَ غَازِيًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِخَيْرٍ فَقَدْ غَزَا»⁽⁴⁾، "أي حصل له أجر بسبب الغزو وهذا الأجر يحصل بكل جهاد وسواء قليله وكثيره ولكل خالف له في أهله بخير من قضاء حاجة لهم وإنفاق عليهم أو مساعدتهم في أمرهم ويختلف قدر الثواب بقلة ذلك وكثرته وفي هذا الحديث الحث على الإحسان إلى من فعل مصلحة للمسلمين أو قام بأمر من مهماتهم"⁽⁵⁾.

(1) ينظر: الرسول القائد، خطاب (ص: 459-460).

(2) ينظر: في ظلال القرآن، قطب (ج3/ 1544).

(3) التحرير والتنوير، ابن عاشور (ج10/ 57).

(4) [صحيح البخاري، البخاري، الجهاد والسير/ فضل من جهز غازیاً، 4/ 27: حديث رقم 2843].

(5) المنهاج، النووي (ج13/ 40).

ثانياً: مصادر التزود بالمعدات القتالية.

للمسلمين عدة مصادر للتزود بالسلاح منها:

1- التسليح الشخصي.

كان الجنود الأوائل في عهد رسول الله ﷺ يجهزون أنفسهم للغزو بما توفر لديهم من إمكانات بسيطة تطبيقاً لقوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ﴾ [الأنفال: 60] فقد كان أول فرس ملكه رسول الله ﷺ عن طريق الشراء، وكان اسمه السكب، واشتراه ﷺ بعشر أواق⁽¹⁾.

وقد حث النبي ﷺ على التجهز والإعداد للجهاد في سبيل الله فقال: «مَنْ احْتَبَسَ فَرَسًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِيْمَانًا بِاللَّهِ وَتَصَدِيقًا بِوَعْدِهِ، فَإِنَّ شِبَعَهُ وَرِيَّهُ وَرَوْثَهُ وَبَوْلَهُ فِي مِيزَانِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»⁽²⁾، فربطه وحبسه على نفسه مما عسى أن يحدث من غزو، أو يحبسه على نفسه لسد ما عسى أن يحدث في ثغر من الثغور فجأة⁽³⁾.

فكان على الجندي في عهد النبي ﷺ تسليح نفسه، وإعداد راحلته وسلاحه بمجهوده الشخصي، لقلة الموارد المالية للدولة في ذلك الوقت، وتلك المسؤولية الشخصية للجندي مبنية على القدرة على ذلك، قال تعالى: ﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيَيْنُهُمْ تَفِيضٌ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ﴾ [التوبة: 92]⁽⁴⁾.

واستمر التسليح الشخصي كأحد المصادر الرئيسية للتجهز، وفي عهد عمر رضي الله عنه بدأ تدفق الأموال على الدولة ففرض للجند العطاء كمورد مالي لهم، ومنه يتجهز الجندي للقتال، حتى قال عمر قبل وفاته: لقد هممت أن أجعل العطاء أربعة آلاف، ألفاً يجعلها الرجل في أهله، وألفاً يزودها معه، وألفاً يتجهز بها، وألفاً يترفق بها، فمات قبل أن يفعل⁽⁵⁾.

ومن التسليح الشخصي ما يحصل عليه الجندي من الغنائم، وقد كان لها الأثر الكبير في ثراء الجنود، ففي بدر غنم المسلمون مائة وخمسين بعيراً، وعشرة أفراس، كما أصابوا سلاحاً

(1) ينظر: الموسوعة القرآنية، التوجيهي (ج1/ 292).

(2) [صحيح البخاري، البخاري، الجهاد والسير/ من احتبس فرساً في سبيل الله، 4/ 28: حديث رقم 2853].

(3) ينظر: مرقاة المفاتيح، القاري (ج6/ 2501).

(4) ينظر: إعداد الجندي المسلم، العقلا (ص 491).

(5) ينظر: تاريخ الرسل والملوك، الطبري (ج3/ 615).

كثيراً، وكان جمل أبي جهل يومئذ فيها، فغنمه النبي ﷺ، فلم يزل عنده يضرب عليه في إبله ويغزو عليه حتى ساقه في هدي الحديبية⁽¹⁾، "وكان سيفه ذو الفقار تنفله يوم بدر"⁽²⁾.
كما كان ﷺ يحفز أصحابه ويعلن لهم المكافآت فيقول: «مَنْ قَتَلَ قَتِيلًا لَهُ عَلَيْهِ بَيِّنَةٌ فَلَهُ سَلْبُهُ»⁽³⁾، قال القرطبي: "ذهب جمهور العلماء إلى أن السلب لا يعطى للقاتل إلا أن يقيم البينة على قتله، قال أكثرهم: ويجزئ شاهد واحد، على حديث أبي قتادة السابق"⁽⁴⁾.
ومن غنائم خيبر غنم المسلمون أسلحة جديدة دخلت الخدمة في الجيش الإسلامي لأول مرة، حيث أصابوا منجنيقاً ودبابتين، إضافة إلى عدد كبير من السيوف والدروع وغيرها⁽⁵⁾.
وبعد معركة القادسية أصبح الجيش المسلم كله فرساناً، وذلك لكثرة الخيل التي غنموها من معسكر الفرس⁽⁶⁾.

2- صناعة السلاح.

"إن الجندي بحاجة إلى صناعة سلاحه لأن ذلك من عوامل القوة للجيش، قال تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنْ بِأْسِكُمْ﴾ [الأنبياء: 80] يعني اتخاذ الدروع بسبب إلانة الحديد له، واللّباس عند العرب السلاح كله، درعاً كان أو سيفاً أو رمحاً، وأراد الله تعالى هنا الدرع، وهو بمعنى الملبوس، قال قتادة: أول من صنع الدروع داود"⁽⁷⁾، "تلك هي صناعة الدروع حلقة متداخلة، بعد أن كانت تصنع صفيحة واحدة جامدة، والزرد المتداخل أيسر استعمالاً وأكثر مرونة، ويبدو أن داود هو الذي ابتدع هذا النوع من الدروع بتعليم الله"⁽⁸⁾.

"وإن المسلمين في زماننا هذا آثمون كلهم لعدم قيامهم، أو قيام بعضهم بإنشاء مصانع السلاح التي تكفي لإمداد ما يتطلبه الجهاد في سبيل الله، لأن الأعداء إن أمدوا المسلمين بالسلاح، إلا أن أسرارها وعيوبها تبقى معروفة عندهم فإذا استخدمت ضدهم احترزوا منها أو

(1) ينظر: المغازي، الواقدي (ج1/ 103).

(2) زاد المعاد، ابن قيم الجوزية (ج1/ 126).

(3) [صحيح البخاري، البخاري، الأحكام/ الشهادة تكون عند الحاكم، 9/ 69: حديث رقم 7170].

(4) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (ج8/ 8).

(5) ينظر: المغازي، الواقدي (ج2/ 648).

(6) ينظر: تاريخ الرسل والملوك الطبري (ج3/ 619).

(7) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (ج11/ 320).

(8) في ظلال القرآن، قطب (ج4/ 2390).

عطلوها مما يفقدها قيمتها، كما أنهم لا يمدون المسلمين بسلاح إلا بعد إيجاد السلاح الذي يتفوق عليه⁽¹⁾.

"وقد شجع رسولنا الكريم أصحابه على صناعة السلاح فقال ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لَيَدْخُلُ بِالسَّهْمِ الْوَاحِدِ ثَلَاثَةَ الْجَنَّةِ: صَانِعُهُ يَحْتَسِبُ فِي صَنْعَتِهِ الْخَيْرَ وَالرَّامِيَ بِهِ وَالْمُمِدَّ بِهِ»⁽²⁾»⁽³⁾.

قال ابن تيمية: "وتعلم هذه الصناعات هو من الأعمال الصالحة لمن يبتغي بذلك وجه الله ﷻ فمن علم غيره ذلك كان شريكه في كل جهاد يجاهد به لا ينقص أحدهما من الأجر شيئاً كالذي يقرأ القرآن ويعلم العلم"⁽⁴⁾.

قال السعدي في تفسير إعداد القوة: "كل ما تقدر من القوة العقلية والبدنية وأنواع الأسلحة ونحو ذلك مما يعين على قتالهم، فدخل في ذلك أنواع الصناعات التي تعمل فيها أصناف الأسلحة والآلات من المدافع والرشاشات، والبنادق، والطائرات الجوية، والمراكب البرية والبحرية، والحصون والقلاع والخنادق، وآلات الدفاع، حتى إنها إذا لم توجد إلا بتعلم الصناعة، وجب ذلك، لأن ما لا يتم الواجب إلا به، فهو واجب"⁽⁵⁾.

وإن الصانع لآلة القتال لابد أن يكون متقناً حريفاً، فقد أمر الله بذلك داود عليه السلام فقال: ﴿وَقَدَّرْ فِي السَّرْدِ﴾ [سبأ: 11]، "أي حين تتسج الحديد اللين بإذن الله تعالى لتجعله دروعاً عليك أن تصنع تلك الدروع بتقدير دقيق كي لا تكون الدرع ضيقة على صدر المقاتل فتضيق حركته، وتقلل من قدرته على التنفس، فيلهث بسرعة، ولا يستطيع مواصلة القتال، وكذلك يجب ألا تكون الدرع واسعة على صدر المقاتل؛ حتى لا تساعد سعة الدرع سيف الخصم، فيضرب الدرع نفسه صدر المقاتل، وتكون قوة الدرع مضافة إلى قوة سيف الخصم، ولكن حين تكون الدرع قادرة على الإحاطة بالجسم دون أن يكبل الحركة، فهذه الدرع المناسبة للقتال"⁽⁶⁾.

وقد اشتهر الأتراك بصناعة الأسلحة التي كانوا يحاربون بها، ومهارتهم معروفة في صنع السهام والنبال وتطويع الحديد وصناعة السلاح مثل السيوف والرماح، وغيرها مما جعل لهم

(1) الجهاد في سبيل الله، القادري (ج1/517).

(2) [سنن الترمذي، الترمذي، فضائل الجهاد/ما جاء في فضل الرمي، 4/ 174: حديث رقم 1637]، قال الألباني: حسن صحيح، ينظر: صحيح سنن الترمذي الألباني (ص 189).

(3) الرسول القائد، خطاب (ص 471).

(4) مجموع الفتاوى، ابن تيمية (ج28/13).

(5) تيسير الكريم الرحمن، السعدي (ص 324).

(6) الخواطر، الشعراوي (ج11/6462).

صولة وجولة ومكن للدولة العثمانية المسلمة في الأرض⁽¹⁾، كما اهتم صلاح الدين بصناعة السلاح قبل تحرير بيت المقدس فكان مقوماً من مقومات النصر والتحرير⁽²⁾.

بناءً على ما سبق فإنه ينبغي للأمة الإسلامية أن تستغني عن شراء السلاح من يد العدو ببناء المصانع التي تنتج آلات الحرب من بنادق ومدافع ودبابات وطائرات وذخائر، وكافة الأسلحة، حتى لا يكون للكفار سبيل على المؤمنين.

3- استيراد وشراء الأسلحة.

إن الترسانة العسكرية في العالم ومنذ القدم تتطور بشكل سريع ومتلاحق، ولما كانت الضرورة الملحة على الجندي بمواكبة التطور، مع عدم القدرة على إنشاء المصانع والمعامل الحربية وإعداد الكوادر القادرة على الابتكار والتطوير، وجب عليه اقتناء الأسلحة المعاصرة. وإنه لم يرد نهياً يمنع المجاهد من شراء السلاح من العدو، فكان الأمر محمولاً على الجواز، ويدل على ذلك ما يلي:

- 1- عموم قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: 60].
 - 2- ما جاء في السير أن النبي ﷺ بعث بطائفة من سبايا بني قريظة إلى نجد والشام لبيعهم وشراء السلاح والخيول⁽³⁾.
 - 3- ولأنه إذا جاز شراء الطعام والأدوية والأمتعة لحاجتهم لها فالسلاح من باب أولى⁽⁴⁾.
- "وكان الشراء وسيلة لتوفير ما يحتاجه المسلمون من سلاح فقد أرسل النبي ﷺ قسماً من خمس ما غنمه من قريظة إلى نجد فباعهم واشترى بثمنهم خيلاً وسلاحاً⁽⁵⁾، وذكر الواقدي أن الرسول ﷺ أمر المسلمين أن ينفقوا من أموالهم لشراء السلاح والعتاد لتجهيز الفقراء، فأعظم الناس النفقة فقام النبي ﷺ بتجهيزهم^{(6)»(7)}.

"وإن الله قد جعل للجهاد في سبيل الله نصيباً من الزكاة فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ

(1) ينظر: دولة السلاجقة، الصلابي (ص 257).

(2) ينظر: صلاح الدين الأيوبي وجهوده، الصلابي (ص 344).

(3) السيرة النبوية، ابن هشام (ج2/ 245).

(4) أحكام المجاهد بالنفس، الجبهي (ج2/ 485).

(5) ينظر: السيرة النبوية، ابن هشام (ج2/ 245).

(6) ينظر: المغازي، الواقدي (ج3/ 991).

(7) الإدارة في عصر الرسول ﷺ، كرمي (ص 188).

السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ» [التوبة: 60] قال الإمام مالك: "إن المراد بسبيل الله كل ما يتعلق بالغزو والرباط فيدخل فيه جميع ما يتعلق بالغزو ك شراء السلاح والكراع، والرباط في سد الثغور المخوفة التي يخشى أن تدخل منها الكفار للمسلمين، أن هذا كله يدخل في سبيل الله" (1)، وقال صاحب المنار: "﴿وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾" يشمل سائر المصالح الشرعية العامة التي هي ملاك أمر الدين والدولة، وأولها وأولها بالتقديم الاستعداد للحرب بشراء السلاح، وأغذية الجند، وأدوات لنقل وتجهيز الغزاة، ولكن الذي يجهز به الغازي يعود بعد الحرب إلى بيت المال إن كان مما يبقى كالسلاح والخيول وغير ذلك؛ لأنه لا يملكه دائماً بصفة الغزو التي قامت به، بل يستعمله في سبيل الله، ويبقى بعد زوال تلك الصفة منه في سبيل الله" (2).

"وقد ورد عن النبي ﷺ أنه لما أمر بالصدقة، فقيل: إن خالد منع الصدقة، فقال: وَأَمَّا خَالِدٌ: فَإِنَّكُمْ تَظْلُمُونَ خَالِدًا، قَدْ احْتَبَسَ أَدْرَاعَهُ وَأَعْتَدَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ" (3)، قال ابن حجر: واستدل بقصة خالد على جواز إخراج مال الزكاة في شراء السلاح وغيره من آلات الحرب والإعانة بها في سبيل الله بناء على أنه عليه الصلاة والسلام أجاز لخالد أن يحاسب نفسه بما حبسه فيما يجب عليه كما سبق" (4).

"وقد أوصى عليّ عليه السلام أحد قادة الجيش بوصية مفادها:

أ- لا بد من وجود قوة عسكرية تدافع عن الولاية.

ب- تشكيل هذه القوة وإعدادها من مسئولية الوالي، ويجرى الإنفاق عليها من بيت المال" (5).

"وإذا كانت بعض دول الكفر تحتكر أنواعاً من الأسلحة فلا تبيعها إلا بثمانين:

الأول: هو الموالاة لها على كفرها بالقول والفعل.

الثاني: هو نهب خيرات البلاد والعباد مقابل عدد من قطع السلاح التي لا تسمن ولا تغني من جوع.

فإن واجب المسلمين أن يرفضوا التعامل بمثل تلك الصورة التي تتطوي على استدلال الكفار للمسلمين، وأن يتعامل المسلمون مع الكفار من مركز القوة والعزة والأنفة والإباء قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [المنافقون: 8] فلا يجوز

(1) العذب النمير، الشنقيطي (ج5/ 595).

(2) تفسير المنار، رضا (ج10/ 436).

(3) [صحيح البخاري، البخاري، الزكاة/ قول الله تعالى: ﴿وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ ، 2/ 122: حديث رقم 1468].

(4) فتح الباري، ابن حجر (ج3/ 334).

(5) أسمى المطالب، الصلابي (ج1/ 480).

موالاة الكفار مقابل السلاح أو غيره، فلا يوالي الكفار من أجل سلاحهم أو الدخول في حمايتهم، أو قتالهم معه، إلا منافق ظاهر النفاق قال تعالى: ﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ﴾ [المائدة: 52]"⁽¹⁾.

المطلب الثالث: تفقد الجندي ومتابعته.

أولاً: تفقد القيادة للجند والاهتمام بشئونهم:

"إن القائد المسلم يتفقد جيشه وجنوده، وقد فعل ذلك سليمان عليه السلام أثناء مسيره وكان سبب تفقده ما تقتضيه العناية بأمر الملك، والاهتمام بعناصر الجيش وبكل جزء منها قال تعالى: ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ [النمل: 17]"⁽²⁾، يقول السعدي: "وبرز ذلك جلياً عندما تفقد سيدنا سليمان عليه السلام للطير فقال: ﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ﴾ دل هذا على كمال عزمه وحزمه، وحسن تنظيمه لجنوده، وتدبيره بنفسه للأمور الصغار والكبار حتى أنه لم يهمل هذا الأمر وهو تفقد الطيور"⁽³⁾، ويرحم الله عمر رضي الله عنه فإنه كان على سيرته، قال: "لو أن سخله على شاطئ الفرات أخذها الذئب ليسأل عنها عمر، فما ظنك بوالٍ تذهب على يديه البلدان، كما كان عمر رضي الله عنه يتفقد أحوال رعيته وأحوال أمرائه بنفسه، فقد دل القرآن والسنة وبيننا ما يجب على الإمام من تفقد أحوال رعيته، ومباشرة ذلك بنفسه، والسفر إلى ذلك وإن طال، وذلك بحسب ما تقتضيه العناية بأمور الملك، والاهتمام بكل جزء فيه والرعاية بكل واحدة فيها وخاصة الضعفاء"⁽⁴⁾.

ولا شك أن القيادة تحتاج إلى لجان ومؤسسات وأجهزة حتى تستطيع أن تقوم بهذه المهمة العظيمة، "إن سليمان عليه السلام كان مهتماً بمتابعة الجند وأصحاب الأعمال وخاصة إذا رابه شيء في أحوالهم"⁽⁵⁾.

وهناك مجموعة من الفاصل الرئيسية المهمة التي يجب على الحاكمة متابعتها بنفسه؛ لأنهم عماد مملكته وقواعد دولته وهم: الوزراء والقضاة والحكام وأمراء الأجناد وعمال الخراج ومن

(1) الموالاة والمعاداة في الشريعة الإسلامية، الجلود (2/ ج 828).

(2) التفسير المنير، الزحيلي (ج 19/ 286).

(3) تيسير الكريم الرحمن، السعدي (ص 603).

(4) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (ج 13/ 178-179).

(5) تبصير المؤمنين بفقہ النصر والتمكين، الصلابي (ص 155).

يستخدمهم في شؤونه الخاصة من مطعمه ومشربه وملبسه ومن يقرب منه في خلوته فإنهم حصنه من الأعداء وجنته من الأسواء⁽¹⁾.

"وينبغي للأمير أن يرفق بجيشه، ويسير بهم سيراً أضعفهم، لئلا يشق عليهم، وإن دعت الحاجة إلى الجد في السير جاز له، فإن النبي ﷺ جد في السير جداً شديداً، حين بلغه قول عبد الله بن أبي: ليخرجن الأعز منها الأذل، ليشغل الناس عن الخوض فيه، ويتخير المنازل لأصحابه، وإذا وجد رجل رجلاً قد أصيبت فرسه، ومع الآخر فضل، استحَب له حمله، ولم يجب، كما يلزمه بذل فضل طعامه للمضطر إليه، وتخليصه من عدوه"⁽²⁾.

ثانياً: حاجة الجندي لثقة القائد، والدعم النفسي.

"الجيش من حملة رسالة الحضارة الإسلامية يتمتعون بأعلى قيم الروح المعنوية؛ وذلك لأن حملة رسالة الحضارة الإسلامية حينما تلجئهم الضرورة أن يقفوا موقف المقاتلين من مواجهة أعداء رسالتهم المجيدة، لا بد أن يلتزموا في أنفسهم أن الباعث لهم على قتال أعدائهم أنبل غاية تقصد، وهي إعلاء كلمة الله، وابتغاء رضوانه والطمع بالأجر عنده، وصيانة حركة البناء الحضاري المجيد من شرور أعدائها المجرمين"⁽³⁾.

"والجندي بحاجة ماسة لأن تستفيد الدولة من المهارات والمواهب والإمكانات الخاصة به، ووضع الفرد المناسب في مكانه الصحيح، وإن مملكة سليمان عليه السلام كان فيها من الإنس والجن وغيرهم ما كان يمكن أن يؤدي مهمة الهدد، ولكن سليمان عليه السلام اختاره مع ضعفه وصغره لتأدية هذه المهمة، فتخصيصه عليه السلام إياه بالرسالة دون سائر ما تحت ملكه من أمناء الجن الأقوياء على التصرف والتعرف؛ لما عاين فيه من مخايل العلم والحكمة"⁽⁴⁾.

القرآن الكريم يحث الأمة أن تودّع الأمانى والأحلام الخادعة، وعليها أن تدخل ميدان العمل والعطاء والجهد والشهادة، "فعندما تحرك القوم المستضعفون نحو العمل بقيادة ذي القرنين، وصلوا إلى هدفهم المنشود، وغايتهم المطلوبة، ونقف مع ذي القرنين في تنشيط الهمم لرفع العوائق، وأنه متى ما تيسرت الأسباب، فلا ينبغي أن يعد ركوب البحر ولا اجتياز القفر، عذراً في الخمول، والرضاء بالدون، بل ينبغي أن ينشط، ومشاركة الحاكم العمال في الأعمال، والإشراف بنفسه إذا تطلب الأمر، لكي تنشط الهمم"⁽⁵⁾.

(1) ينظر: تسهيل النظر، الماوردي (ص 202).

(2) المغني، ابن قدامة (ج9/ 215).

(3) الحضارة الإسلامية، السايح (ص 426).

(4) روح المعاني، الألوسي (ج9/ 193).

(5) تبصير المؤمنين بفقہ النصر والتمكين، الصلابي (ص 178).

قال الشعراوي: "إذاً فهو قوَى هؤلاء الضعفاء الذين كان يهاجمهم يأجوج ومأجوج، بأن علمهم كيف يعينون أنفسهم وكيف يبنون السد وجعلهم هم الذين يشتركون في البناء وهم الذين يقيمونه، وأعانهم هو بخبرته وعلمه فقط، ليأخذوا الثقة في أنفسهم، ولا يعمل هو وهم يتفرجون والّا تعودوا على الكسل فتفسد همة كل منهم، ولكن إذا جعلهم يعملون معه سيتعلمون العمل ثم يتقنونه فتزداد مهارتهم وقوتهم في مواجهة الحياة، والإنسان متى تقاضى أجراً بلا عمل لا يمكن أن يعمل بعد ذلك أبداً"⁽¹⁾.

ثالثاً: الحفاظ على تماسك الجبهة الداخلية

أمر الله تعالى بوحدة الصف والكلمة والهدف، وترك التنازع والاختلاف، فإن وحدة الصف قوة وصلابة، والتنازع والاختلاف مدعاة للجبين والفشل والخيبة والهزيمة وتضييع القوة فقال ﷺ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُورٌ﴾ [الصف: 4]، "وهذا التكليف وإن كان تكليف فردي في ذاته، ولكنه فردي في صورة جماعية، ذلك أن الذين يواجهون الإسلام يواجهونه بقوى جماعية، ويؤلبون عليه تجمعات ضخمة فلا بد لجنود الإسلام أن يواجهوا أعداءه صفّاً سوياً منتظماً، فصورة الفرد المنعزل الذي يعبد وحده، ويجاهد وحده، ويعيش وحده، صورة بعيدة عن طبيعة هذا الدين، وعن مقتضياته في حالة الجهاد، وفي حالة الهيمنة بعد ذلك على الحياة"⁽²⁾.

"وإن القاعدة الأصلية التي رسخها القرآن الكريم في الأمة الإسلامية هي الوحدة كما يقول ربنا تبارك وتعالى: ﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾ [المؤمنون: 52] ، والدعوة القوية إلى المحافظة على هذه الوحدة وعدم التفرق كما يقول الله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: 103]، وأن الله تعالى يصف المؤمنين جميعاً بأنهم إخوة حيث يقول تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: 10] ، هذه بعض النصوص فقط كأمثلة دالة على أن الأصل في الأمة الإسلامية أن تكون أمة واحدة"⁽³⁾.

وكان من حفاظه ﷺ على تماسك الجبهة الداخلية ما جاء عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: كُنَّا فِي غَزَاةٍ فَكَسَعَ⁽⁴⁾ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ الْأَنْصَارِيُّ: يَا لِلْأَنْصَارِ، وَقَالَ الْمُهَاجِرِيُّ: يَا لِلْمُهَاجِرِينَ، فَسَمِعَهَا اللَّهُ رَسُولُهُ ﷺ قَالَ: «مَا هَذَا؟» فَقَالُوا كَسَعَ رَجُلٌ مِنَ

(1) الخواطر، الشعراوي (ج8/ 4872).

(2) في ظلال القرآن، قطب (ج6/ 3555).

(3) السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي، عبد اللطيف (ص 408).

(4) الكسع: أن تضرب دُبر الإنسان بيدك أو بصدر قَدَمك، ينظر: الصحاح، الجوهري (ج3/ 1276).

المُهَاجِرِينَ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ الْأَنْصَارِيُّ: يَا لَأَنْصَارٍ، وَقَالَ الْمُهَاجِرِيُّ: يَا لَلْمُهَاجِرِينَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «دَعُوهَا فَإِنَّهَا مُنْتِنَةٌ» قَالَ جَابِرٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وَكَانَتْ الْأَنْصَارُ حِينَ قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ أَكْثَرَ، ثُمَّ كَثُرَ الْمُهَاجِرُونَ بَعْدُ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي: أَوْقَدْ فَعَلُوا، وَاللَّهِ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ، فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: دَعْنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ أَضْرِبُ عُقُقَ هَذَا الْمُنَافِقِ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «دَعُهُ لَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ»⁽¹⁾.

قال النووي: "فيه ترك بعض الأمور المختارة والصبر على بعض المفسد خوفًا من أن تترتب على ذلك مفسدة أعظم منه وكان ﷺ يتألف الناس ويصبر على جفاء الأعراب والمنافقين وغيرهم لتقوى شوكة المسلمين وتتم دعوة الإسلام ويتمكن الإيمان من قلوب المؤلفة ويرغب غيرهم في الإسلام وكان يعطيهم الأموال الجزيلة لذلك ولم يقتل المنافقين لهذا المعنى ولإظهارهم الإسلام وقد أمر بالحكم بالظاهر والله يتولى السرائر ولأنهم كانوا معدودين في أصحابه ﷺ ويجاهدون معه إما حمية وإما لطلب دنيا أو عصبية لمن معه من عشائهم"⁽²⁾.

"ولما علم النبي ﷺ بقدوم جيش الأحزاب وأراد الخروج إلى الخندق أمر بوضع ذراري المسلمين ونسائهم وصبيانهم في حصن بني حارثة، حتى يكونوا في مأمن من خطر الأعداء، وقد فعل ذلك ﷺ لأن حماية الذراري والنساء والصبيان لها أثر فعال على معنويات المقاتلين؛ لأن الجندي إذا اطمأن على زوجه وأبنائه يكون مرتاح الضمير هادئ الأعصاب، فلا يشغل تفكيره أمر من أمور الحياة، يسخر كل إمكاناته وقدراته العقلية والجسدية للإبداع في القتال، أما إذا كان الأمر بعكس ذلك فإن أمر الجندي يضطرب ومعنوياته تضعف ويستولي عليه القلق، مما يكون له أثر في تراجعته عن القتال؛ وبذلك تنزل الكارثة بالجميع"⁽³⁾.

رابعاً: الثواب والعقاب.

"إن التربية العملية للقيادة الراشدة هي التي تجعل الحوافز المشجعة هدية للمحسن ليزداد في إحسانه، وتقجر طاقة الخير العاملة على زيادة الإحسان وتشعره بالاحترام والتقدير، وتأخذ على يد المسيء لتضرب على يده، حتى يترك الإساءة وتعمل على توسيع دوائر الخير والإحسان في أوساط المجتمع وتضييق حلقات الشر إلى أبعد حدود وفق قانون الثواب والعقاب المستمد من الواحد الديان"⁽⁴⁾.

(1) [صحيح البخاري، البخاري، تفسير القرآن/قوله ﴿يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ﴾، 6/ 154: ح ر 4907].

(2) (المنهاج، النووي (ج 16/ 139).

(3) السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث، الصلابي (ص 595).

(4) تبصير المؤمنين بفقہ النصر والتمكين، الصلابي (ص 167).

قال سيد قطب: "وهذا دستور الحاكم الصالح، فالمؤمن الصالح ينبغي أن يجد الكرامة والتيسير والجزاء الحسن عند الحاكم، والمعتدي الظالم يجب أن يلقي العذاب والإيذاء، وحين يجد المحسن في الجماعة جزاء إحسانه جزاءً حسناً أو مكاناً كريماً وعاوناً وتيسيراً، ويجد المعتدي جزاء إفساده عقوبة وإهانة وجفوة، عندئذ يجد ما يحفزهم إلى الصلاح والإنتاج، أما حين يضطرب ميزان الحكم فإذا المعتدون المفسدون مقربون إلى الحاكم مقدمون في الدولة وإذا العاملون الصالحون منبوذون أو محاربون، فعندئذ تتحول السلطة في يد الحاكم سوط عذاب وأداة إفساد وبصير نظام الجماعة إلى الفوضى والفساد"⁽¹⁾.

"إذا لابد للدولة من قوانين حتى تضبط الأمور بحيث يعاقب المسيء، ويحسن للمحسن، ولا بد من مراعاة التدرج في تقرير العقوبة، وأن تكون على قدر الخطأ وحجم الجرم، وهذا عين العدالة، ولهذا لم يقطع سليمان عليه السلام بقرار واحد في العقاب عند ثبوت الخطأ؛ بل جعله متوقفاً على حجم الخطأ: ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ [النمل: 21] وقد استدلل أهل العلم بهذه الآية على أن العقاب على قدر الذنب، وعلى الترفي من الشدة إلى الأشد بقدر ما يحتاجه إلى إصلاح الخلل"⁽²⁾.

وقد استخدم سيدنا سليمان عليه السلام هذه السياسة مع الهدهد على النحو التالي:

1- حزم القيادة والمحاسبة وقت الحاجة: ويظهر ذلك عند القيادة إن غلب الظن أن هناك تقصيراً، أو تكاسلاً عن الحضور وقت الطلب أو التأخر وقت العمل: ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ﴾ [النمل: 21] فإنه قد تبين لسليمان عليه السلام أن الهدهد غائب، فتهدد بذلك أمام الجمع الذي يعلم أن الهدهد غائب، حتى لا يكون غيابه -إن لم يؤخذ بالحزم- سابقة سيئة لبقية الجند⁽³⁾.

2- التريث والتأني قبل الحكم: فلعل للغائب عذراً، أو للمقصر حجة تدفع الإثم، وترفع العقوبة، ولهذا قال سليمان بعدها: ﴿أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ [النمل: 21] "أي بحجة تبين عذره في غيبته"⁽⁴⁾، وهذا هو اللائق بالحاكم والقاضي إذا كان عادلاً، وسليمان عليه السلام الذي اشتهر

(1) في ظلال القرآن، قطب (ج4/ 2291).

(2) تبصير المؤمنين بفقہ النصر والتمكين، الصلابي (ص 155)

(3) ينظر: في ظلال القرآن، قطب (ج5/ 2638).

(4) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (ج13/ 180).

بالعدالة هو وجنوده حتى عند النمل، لا ينتظر منه مع الهدد، أو ما دونه أو ما فوقه، إلا أن يكون عادلاً لا يعاجل بالعقوبة قبل ثبوت الجريمة ولا يبادر إلى المؤاخظة قبل سماع الحجة⁽¹⁾.

3- **سعة الصدر:** وذلك في الاستماع إلى اعتذار المعتذر، وحجة المتخلف، وسليمان عليه السلام أنصت لاسترسال الهدد حتى انتهى من قوله، رغم أن فيه نوع معاتبة لسليمان، وفيه نسبة عدم الإحاطة إليه: ﴿أَحْطْتُ بِمَا لَمْ تُحِظْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ﴾، حتى أتم حديثه إلى نهايته كل هذا وسليمان عليه السلام لا يقاطعه، ولا يكذبه، ولا يعنفه، حتى ينتهي من سرد الحجة، التي كانت مفاجأة ضخمة لسليمان عليه السلام⁽²⁾.

4- **قبول الاعتذار:** فقد قبل منه أن يعتذر في الظاهر، وأوكل سريره إلى الله تعالى، فسليمان عليه السلام سكت عن المؤاخظة وانتقل إلى تحري الخبر، قال القرطبي: "هذا دليل على أن الإمام يجب عليه أن يقبل عذر رعيته، ويدرك العقوبة عنهم في ظاهر أحوالهم بباطن أذارهم، لأن سليمان لم يعاقب الهدد حين اعتذر إليه"⁽³⁾.

5- **التروي في تصديق الخبر:** فهذا الذي حكاه الهدد، أمر ليس بالسهل ولا باليسير، ثم إن الهدد لا يجرؤ على اختلاق هذه القصة الطويلة، وهو يعلم تمكن سليمان من الرعية، ومقدرته على التأكد من صحة الأخبار، ومع ذلك لم يبادر عليه السلام إلى التصديق، "كما أنه لم يتعجل التكذيب، بل قال: ﴿سَنَنْظُرُ﴾ وهو من النظر، أو التأمل والتحري"⁽⁴⁾، "﴿سَنَنْظُرُ﴾ أَصْدَقْتُ أَمْ كُنْتُ مِنَ الْكَاذِبِينَ" يعني أصدقت في خبرك أم كذبت لتتخلص من الوعيد؟"⁽⁵⁾.

خامساً: الانفاق على الجندي وعانته.

"لم يكن للعرب في الجاهلية نظام خاص للجنود، فكان رجال القبيلة يذهبون للقتال، إذا ما دعا داع، فإذا انتهى القتال عادوا إلى مساكنهم يحملون الغنائم، وانصرفوا إلى أعمالهم، ولما جاء الإسلام ألف بين قلوب العرب، وبدأوا يقاتلون في سبيل نشر هذا الدين، فاتسعت رقعة الغزو والفتح، فكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه أول من جعل الجنود فئة مخصوصة، وأنشأ ديوان

(1) ينظر: تبصير المؤمنين بفقہ النصر والتمكين، الصلابي (ص 159).

(2) المرجع السابق، ص 159.

(3) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (ج 13 / 184).

(4) مفاتيح الغيب، الرازي (24 / 193).

(5) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (ج 3 / 349).

الجند للإشراف عليهم وتدبير أمورهم، وذلك لأن الجند كانوا قد انصرفوا عن الجهاد لكسب الأرزاق، ففطن لذلك الخطر، وضمن لهم أرزاقهم وأرزاق أسرهم، فكان الفضل يرجع إليه في إقامة الحصون والمعسكرات الثابتة لراحة الجند أثناء الطريق، ومن ثم بنيت العواصم، وأقيمت الحاميات في عدة أماكن لصد هجمات الأعداء المفاجئة⁽¹⁾.

"وقد استمر ديوان الجند في أداء مهامه المناطة به وحدث به تطور بسبب كثرة الفتوحات واتساع رقعة الدولة الإسلامية فقد أصبح ديوان الجند مؤسسة كبيرة حظيت باهتمام الخلفاء وولايتهم ومر بعدة مراحل تطويرية خلال هذه الفترة، فعندما تولى معاوية رضي الله عنه الخلافة تقاعس بعض الجند عن الحرب في بداية إدارته العسكرية إثر الفتن والصراعات الداخلية، فتمكن بحسن إدارته ودهائه بالإغداق عليهم في العطاء حتى تمكن مرة أخرى من إلزامهم بالجنديّة وتأليف القلوب"⁽²⁾.

"وأما تقدير العطاء فمعتبر بالكفاية حتى يستغني الجندي بها عن التماس مادة تقطعه عن حماية البيضة، والكفاية معتبرة من ثلاثة أوجه:

أحدها: عدد من يعوله من الذراري والمماليك.

والثاني: عدد ما يحوزه من الخيل والظهر.

والثالث: الموضع الذي يحله في الغلاء والرخص، فيقدر كفايته في نفقته وكسوته لعامه كله، فيكون هذا المقدّر في عطائه، ثم تعرض حاله في كل عام، فإن زادت رواتبه الماسة زيد، وإن نقصت نقص⁽³⁾.

سادساً: تفقد الجرحى وأهالي الشهداء ومواساتهم.

الناظر في كتاب الله يجد أن الله قد مد الجنود عامة وخص الشهداء الجرحى فقال تعالى: ﴿وَكَايْنٍ مِنْ نَبِيِّ قَاتِلٍ مَعَهُ رَبِّيُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران: 146]، قال أبو جعفر: "فما عجزوا لما نالهم من ألم الجراح الذي نالهم في سبيل الله، ولا لقتل من قتل منهم، عن حرب أعداء الله، ولا نكلوا عن جهادهم، وما ضعفت قواهم لقتل نبيهم، وما ذلوا فيتخشعوا لعدوهم بالدخول في دينهم ومداهنتهم فيه خيفة

(1) النظم الإسلامية، حسن (ص 178-179).

(2) الدولة الأموية عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار، الصلابي (ج1/ 404).

(3) الأحكام السلطانية، الماوردي (ص 305).

منهم، ولكن مضوا قدماً على بصائرهم ومنهاج نبيهم، صبراً على أمر الله وأمر نبيهم، وطاعة لله واتباعاً لتنزيله ووحيه فاستحقوا محبة الله⁽¹⁾، "فهذا هو شأن المؤمنين، المنافحين عن عقيدة ودين، الذين لا تضعف نفوسهم، ولا تتضعض قواهم، ولا تلين عزائمهم، ولا يستكينون أو يستسلمون، والتعبير بالحب من الله للصابرين له وقعه وله إichaؤه فهو الحب الذي يشفي الجراح، ويمسح على القرح، ويعوض ويربو عن الضر والقرح والكفاح المرير"⁽²⁾.

"والنبي ﷺ لم يغفل عن الجرحى بل كان يولي هذا الجانب اهتماماً خاصاً، حيث كان يصطحب معه في الجيش بعض النساء لتطبيب الجرحى، فقد أخرج البخاري في صحيحه عن الرُّبَيْعِ بِنْتِ مُعَوِّذٍ⁽³⁾، قَالَتْ: «كُنَّا نَعْزُو مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، فَتَسْقِي الْقَوْمَ، وَنَحْدُمُهُمْ، وَنَرُدُّ الْجَرْحَى وَالْقَتْلَى إِلَى الْمَدِينَةِ»⁽⁴⁾، كما أخرج مسلم في صحيحه عن ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قال: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَعْزُو بِالنِّسَاءِ، فَيَدَاوِي الْجَرْحَى، وَيُحْدِثُ مِنَ الْغَنِيمَةِ"⁽⁵⁾.

وجاء في سيرة ابن هشام: "كان رسول الله ﷺ قد جعل سعد بن معاذ في خيمة لامرأة من أسلم، يقال لها ربيعة⁽⁶⁾، في مسجده، كانت تداوي الجرحى، وتحتسب بنفسها على خدمة من كانت به ضيعة من المسلمين، وكان رسول الله ﷺ قد قال لقومه حين أصابه السهم بالخنق: اجعلوه في خيمة ربيعة حتى أعوده من قريب"⁽⁷⁾، فهذا يجعل القادة بحاجة إلى تفقد الجرحى ورفع معنوياتهم ومتابعة احتياجاتهم.

كما كان يشد من عزيمتهم فقد قَالَ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يُكَلِّمُ أَحَدٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَنْ يُكَلِّمُ فِي سَبِيلِهِ إِلَّا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَاللَّوْنُ لَوْنُ الدِّمِّ، وَالرَّيْحُ رِيحُ الْمِسْكِ»⁽⁸⁾، "ومجيئه يوم القيامة مع سيلان الجرح فيه أمران: أحدهما: الشهادة على ظالمه بالقتل.

(1) جامع البيان، الطبري (ج7/ 269).

(2) في ظلال القرآن، قطب (ج1/ 488).

(3) الربيع بنت معوذ بن عفراء الأنصارية، من بني النجار، لها: صحبة، ورواية، عمرت دهرًا، توفيت: سنة بضع وسبعين، ينظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي (ج3/ 198).

(4) [صحيح البخاري، البخاري، الجهاد والسير/رد النساء الجرحى إلى المدينة، 4/ 34: حديث رقم 2883].

(5) [صحيح مسلم، مسلم، الجهاد والسير/النساء الغازيات يرضخ لهن ولا يسهم، 3/ 1444: حديث رقم 1812].

(6) ربيعة، امرأة من أسلم، وكانت امرأة تداوي الجرحى وتحتسب بنفسها على خدمة من كانت به ضيعة من المسلمين، ينظر: الاستيعاب، ابن عبد البر (ج4/ 1838)، وأسد الغابة، ابن الأثير (ج7/ 111).

(7) السيرة النبوية، ابن هشام (ج2/ 239).

(8) [صحيح البخاري، البخاري، الجهاد والسير/من يجرح في سبيل الله، 4/ 19: حديث رقم 2803].

الثاني: إظهار شرفه لأهل المشهد والموقف بما فيه من رائحة المسك الشاهدة بالطيب⁽¹⁾.

قال ابن حجر: "من جرح جرحاً في سبيل الله أو نكب نكبة فإنها تجيء يوم القيامة كأعزر ما كانت لونها الزعفران وريحها المسك وعرف بهذه الزيادة أن الصفة المذكورة لا تختص بالشهيد بل هي حاصلة لكل من جرح، قال العلماء: الحكمة في بعثه كذلك أن يكون معه شاهد بفضيلته ببذله نفسه في طاعة الله تعالى"⁽²⁾.

وأُسرة الشهيد بحاجة إلى الرعاية والاهتمام والتكريم المادي والمعنوي، فقد يكون للشهيد أب وأم يخشى عليهما من بعده، وقد يخلف بعده زوجة وأولاد بحاجة إلى من يكفلهم، ويقدم لهم كل ما يلزمهم من متطلبات العيش، وكذلك توفير الرعاية الاقتصادية بصرف رواتب وأرزاق تكفيهم حاجاتهم دون نقصان⁽³⁾.

وقد كان هذا حاضراً في حياة النبي ﷺ حيث كان يتعهد أسر الشهداء بالعطف الصادق والزيارة المتكررة، فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمْ يَكُنْ يَدْخُلُ بَيْتًا بِالْمَدِينَةِ غَيْرَ بَيْتِ أُمِّ سَلِيمٍ ⁽⁴⁾ إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِ، فَقِيلَ لَهُ، فَقَالَ: «إِنِّي أَرْحَمُهَا قَتْلَ أَخُوها مَعِيَ»⁽⁵⁾، قال ابن حجر: "كان ﷺ يجبر قلب أم سليم بزيارتها ويعمل ذلك بأن أخاها قتل معه ففيه أنه خلفه في أهله بخير بعد وفاته وذلك من حسن عهده ﷺ"⁽⁶⁾.

المطلب الرابع: مشاورة أصحاب الرأي من الجنود.

أولاً: مفهوم المشاورة.

1- لغة.

"الشورى هي الأمر الذي يتشاور الجنود فيه، والتشاور والمشاورة والمشورة: استخراج الرأي بمراجعة البعض إلى البعض من قولهم: شرت العسل إذا اتخذته من موضعه واستخرجته منه،

(1) إحكام الأحكام، ابن دقيق العيد (ج2/ 305).

(2) فتح الباري، ابن حجر (ج6/ 20).

(3) الجهاد والقتال في السياسة الشرعية، هيك (ج2/ 1232).

(4) أم سليم بنت ملحان بن خالد بن زيد بن حرام بن جندب بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار الأنصارية

الخرزجية النجارية أم أنس بن مالك، اختلف في اسمها فقيل: سهلة، وقيل: رميلة، وقيل: رميثة، وقيل:

مليكة، والغميصاء، والرميصاء، وكانت من عقلاء النساء/ ينظر: أسد الغابة، ابن الأثير (ج7/ 333).

(5) [صحيح البخاري، البخاري، الجهاد والسير/ فضل من جهز غازياً، 4/ 27: حديث رقم 2844].

(6) فتح الباري، ابن حجر (ج6/ 51).

وشرت العسل وأشرته: أخرجته⁽¹⁾، "وشاورته في الأمر واستشرته بمعنى وفلان خير شير، أي يصلح للمشاورة، وشاوره مشاورة وشواراً واستشارة: طلب منه المشورة، وأشار عليه بالرأي، وأشار بشير إذا ما وجه الرأي، ويقال: فلان جيد المشورة"⁽²⁾.

2- اصطلاحاً.

المشاورة: "هي تقليب الآراء المختلفة ووجهات النظر المطروحة في قضية من القضايا واختبارها من أصحاب العقول والأفهام حتى يتوصل إلى الصواب منها أو إلى أصوبها وأحسنها ليعمل به لكي تتحقق أحسن النتائج"⁽³⁾.

ثانياً: مشروعية المشاورة

إن مشاورة أصحاب الرأي من الجنود هو منهج رباني جاء به الأمر في القرآن الكريم فقال تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [آل عمران: 159]، قال القرطبي: "والشورى من قواعد الشريعة وعزائم الأحكام، من لا يستشير أهل العلم والدين فعزله واجب، هذا ما لا خلاف فيه، وواجب على الولاة مشاورة العلماء فيما لا يعلمون، وفيما أشكل عليهم من أمور الدين، ووجوه الجيش فيما يتعلق بالحرب، والشورى مبنية على اختلاف الآراء، والمستشير ينظر في ذلك الخلاف، وينظر أقربها قولاً إلى الكتاب والسنة إن أمكنه، فإذا أرشده الله تعالى إلى ما شاء منه عزم عليه وأنفذه متوكلاً عليه، إذ هذه غاية الاجتهاد المطلوب، وبهذا أمر الله تعالى نبيه في هذه الآية"⁽⁴⁾.

قال الماوردي: "في أمره بالمشاورة أربعة أقاويل:

أحدها: أنه أمره بمشاورتهم في الحرب ليستقر له الرأي الصحيح فيه، قال الحسن: ما شاور قوم قط إلا هُودوا لأرشد أمورهم.

الثاني: أنه أمره بمشاورتهم تأليفاً لهم وتطبيباً لأنفسهم، وهذا قول قتادة والربيع.

الثالث: أنه أمره بمشاورتهم لما علم فيها من الفضل ولتتأسى أمته بذلك بعده ﷺ، وهذا قول الضحاك.

(1) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني (ص 470).

(2) لسان العرب، ابن منظور (ج4/ 437).

(3) النظام السياسي في الإسلام، أبو فارس (ص 79).

(4) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (ج4/ 249).

الرابع: أنه أمره بمشاورتهم ليستبين به المسلمون ويتبعه فيه المؤمنون، وإن كان عن مشاورتهم غنياً⁽¹⁾.

قال الزمخشري: "كان الأنصار قبل الإسلام وقبل مقدم الرسول ﷺ المدينة إذا كان بهم أمر اجتمعوا وتشاوروا فأثنى الله عليهم أي لا ينفردون برأيهم حتى يجتمعوا عليه وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَكْثَرَ مُشَاوَرَةً لِأَصْحَابِهِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ»⁽²⁾، وقيل: كان سادات العرب إذا لم يشاوروا في الأمر شق عليهم، فأمر الله رسوله بمشاورة أصحابه لئلا يتقل عليهم استبداده بالرأي دونهم⁽³⁾.

"يستفاد من نصوص القرآن الكريم أن الإسلام دين يحض على الشورى ويأمر بها، فقد جاءت إحدى سور القرآن الكريم باسم الشورى وعدت الشورى فيها من صفات المؤمنين، كما أن الأمر للنبي ﷺ بمشاورة أصحابه جاء من عند الله من أجل تثبيت هذه القاعدة، لا لأنه محتاج لما يملونه عليه وهو الذي لا ينطق عن الهوى، ولكن من أجل ترسيخ هذا المبدأ العظيم وترسيخ هذه القاعدة الشرعية، والسنة النبوية حافلة بالتطبيقات العملية لمبدأ المشاورة مما يدل على مشروعيتها الشورى⁽⁴⁾.

ثانياً: أهمية المشاورة.

"إن للمشاورة الأهمية البالغة في حياة الجنود، فالقائد الحازم يزداد برأي الجنود الحزمة كما يزداد البحر بمواده من الأنهار، وينال بالحزم والرأي ما لا يناله بالقوة والجنود، والمستشير وإن كان أفضل رأياً من المشير، فإنه يزداد برأيه رأياً كما تزداد النار بالسليط ضوء⁽⁵⁾.

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "الرأي الفرد كالخيطة السحيل⁽⁶⁾، والرأيان كالخيطين والثلاثة الآراء كالثلاثة لا تكاد تنقطع"⁽⁷⁾.

(1) النكت والعيون، الماوردي (ج1/ 433).

(2) [صحيح ابن حبان: ابن حبان، المواعدة والمهادنة/ما يستحب للإمام استعمال المهادنة، ج11/ 217: حديث رقم4872]، قال شعيب الأرنؤوط: صحيح.

(3) الكشاف، الزمخشري (ج1/ 432).

(4) الشورى في الشريعة الإسلامية، المهدي (ص 36).

(5) عيون الأخبار، ابن قتيبة (ج1/ 82).

(6) السحيل: الخيط المفرد الغير مفتول أو فتلاً رخواً، ينظر: الصحاح، الجوهري (ج5/ 1727).

(7) سراج الملوك، الطرطوشي (ص 78).

قال سيد في الظلال: "وبهذا النص الجازم: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [آل عمران: 159] يقرر الإسلام هذا المبدأ في نظام الحكم حتى ومحمد رسول الله ﷺ هو الذي يتولاه وهو نص قاطع لا يدع للأمة المسلمة شكاً في أن الشورى مبدأ أساسي، لا يقوم نظام الإسلام على أساس سواه"⁽¹⁾، قال الزركشي: "ويشاور أهل العلم والأمانة، إذ الجاهل لا قول له فيعتبر، وغير الأمين قوله هدر"⁽²⁾.

وقال على ﷺ: "الاستشارة عين الهداية، وقد خاطر من استغنى برأيه، والتدبير قبل العمل يؤمنك من الندم"⁽³⁾، وعن بعض الحكماء: "المشورة مع السداد والسخافة مع الاستبداد"⁽⁴⁾، وقد قيل: "من استشار الرجال استعار عقولهم"⁽⁵⁾.

ثالثاً: فوائد مشاورة أصحاب الرأي من الجنود.

إن الله تعالى قد شرع نظام الشورى لحكم بالغة، ومقاصد عظيمة، ولما فيها من المصالح الكبيرة، والفوائد الجليلة التي تعود على الأمة والدولة والمجتمع بالخير والبركة ومن ذلك:

1- الاستفادة من الخبرات: قال القرطبي: "شاوِر من جَرَب الأمور، فَإِنَّهُ يعطيك من رأيه ما دفع عليه غالباً وأنت تأخذه مجّاناً"⁽⁶⁾، قال ابن حجر: "كان أبو بكر الصديق ﷺ إذا ورد عليه أمر نظر في كتاب الله فإن وجد فيه ما يقضي به قضى بينهم وإن علمه من سنة رسول الله ﷺ قضى به وإن لم يعلم خرج فسأل المسلمين عن السنة فإن اعياه ذلك دعا رؤوس المسلمين وعلماءهم واستشارهم وأن عمر بن الخطاب ﷺ كان يفعل ذلك مع القراء وقد كانوا أصحاب مجلس عمر ومشاورته"⁽⁷⁾.

2- المشاورة تدفع الملامة: قال ابن الجوزي: "من فوائد المشاورة أن المشاور إذا لم ينجح أمره، علم أن امتناع النجاح محض قدر، فلم يَلْم نفسه، ومنها أنه قد يعزم على أمر، فيبين له الصواب في قول غيره، فيعلم عجز نفسه عن الإحاطة بفنون المصالح"⁽⁸⁾، وقال سليمان بن

(1) في ظلال القرآن، قطب (ج1/ 501).

(2) مختصر الخرقى، الزركشي (ج7/ 253).

(3) زاد المسير، ابن الجوزي (ج1/ 340).

(4) بدائع السلك في طبائع الملك، ابن الأزرق (ج1/ 305).

(5) تاريخ المدينة، ابن شبة (ج2/ 777).

(6) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (ج4/ 251).

(7) فتح الباري، ابن حجر (ج13/ 342).

(8) زاد المسير، ابن الجوزي (ج1/ 340).

داود عليه السلام لابنه: يا بني، لا تقطع أمراً حتى تشاور مرشداً، فإنك إذا فعلت ذلك لم تتدم، وقال عمرو بن العاص رضي الله عنه: ما نزلت بي قط عزيمة فأبرمتها حتى أشاور عشرة من قريش، فإن أصبت كان الحظ لي دونهم، وإن أخطأت لم أرجع على نفسي بلائمة⁽¹⁾.

3- الشورى نوع من الحوار المفتوح: "ومن أحسن الأساليب لتوعية الرأي العام وتنويره، وتعزيز عوامل الحب والثقة بين الحاكم والمحكومين، والقائد والمقودين، والرئيس والمرؤوسين، وهو خير أسلوب في الحكم لعزل الشكوك، ونفي الهواجس وإزالة الأوهام، ووقف الشائعات التي تنمو عادة في ظل الاستبداد وتنتشر في عتمة الغوغائية"⁽²⁾، "فعن مالك رضي الله عنه، قال: غدوت على عمر رضي الله عنه يوماً فقال لي: يا مالك، كيف أصبح الناس؟ قلت: أصبح الناس بخير قال: هل سمعت من شيء؟ فقلت: ما سمعت إلا خيراً، قال: ثم غدوت عليه اليوم الثاني فسألني، فأخبرته، واليوم الثالث سألني وأبرمني، فقلت: وما تخشى من الناس؟ فقال: ثكلتك أم مالك، هل خشيت أن يكون عمر يضرب عن بعض حقوق المسلمين فيغدون عليه براياتهم يسألون حقوقهم؟"⁽³⁾.

4- "جواز تولية المفضل مع وجود الأفضل: لأنَّ عمر رضي الله عنه جعل الشورى في سنة أنفس مع علمه: أنَّ بعضهم كان أفضل من بعض، ويؤخذ هذا من سيرة عمر رضي الله عنه في أمرائه الذين كان يؤمرهم في البلاد، حيث كان لا يراعي الفضل في الدين فقط، بل يضمُّ إليه مزيد المعرفة بالسياسة مع اجتناب ما يخالف الشرع منها، فاستخلف معاوية، والمغيرة بن شعبة، وعمرو بن العاص مع وجود من هو أفضل من كلِّ منهم في أمر الدين، والعلم كأبي الدرداء في الشام، وابن مسعود في الكوفة"⁽⁴⁾.

5- الشعور بالمسؤولية: فهي تولد الثقة بين الحاكم والمحكوم وتطيب القلوب، وتجعل من رأي الخليفة أو الحاكم رأى جميع المسلمين بعد التشاور.

ولقد كان من حق القيادة النبوية أن تتبذ مبدأ الشورى كله بعد المعركة، أمام ما أحدثته من انقسام في الصفوف في أخرج الظروف، وأمام النتائج المريرة التي انتهت إليها المعركة، ولكن الإسلام كان ينشئ أمة، ويربيها، ويعدها لقيادة البشرية، وكان الله يعلم أن خير وسيلة لتربية الأمة وإعدادها للقيادة الرشيدة أن تربي بالشورى، وأن تدرب على حمل التبعة، وأن تخطئ

(1) الآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح (ج1/ 327).

(2) تبصير المؤمنين بفقہ النصر والتمكين، الصلابي (ص 549).

(3) تاريخ المدينة، ابن شبة (ج2/ 778).

(4) أمير المؤمنين الحسن بن علي رضي الله عنه، الصلابي (ص 131).

لتعرف كيف تصحح خطأها، وكيف تحمل تبعات رأيها وتصرفها، فهي لا تتعلم الصواب إلا إذا زاولت الخطأ، والخسائر لا تهم إذا كانت الحصيلة هي إنشاء الأمة المدربة، المدركة، المقدرة للتبعية⁽¹⁾.

6- إبراز فضل المستشارين: "ولذلك قال علي عليه السلام مترحماً على عمر رضي الله عنه بعد أن طعن: ما خلفت أحدا أحب إلي من أن ألقى الله بمثل عمله منك، وحسبت أني كثيراً كنت أسمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «كُنْتُ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، وَقَعَلْتُ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، وَأَنْطَلَقْتُ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ» فَإِنْ كُنْتُ لَأَرْجُو أَنْ يَجْعَلَكَ اللَّهُ مَعَهُمَا⁽²⁾، وقد قيل: "شاور في أمرك من جمع بين العلم والعمل ولا تشاور من انفرد بالعلم فقط فيدلك منه على ما يتصوره الفهم ولا يخرج إلى الفعل، مما يدل على فضيلة أهل الشورى"⁽³⁾، قال ابن تيمية: "ولا غنى لولي الأمر عن المشاورة، فإن الله أمر بها نبيه صلى الله عليه وسلم وليقتدي به من بعده وليستخرج منهم الرأي فيما لم ينزل فيه وحي من أمر الحرب والأمور الجزئية وغير ذلك، فغيره صلى الله عليه وسلم أولى بالمشاورة"⁽⁴⁾.

7- استنهاض الجندي: "إن الشورى تمنح الدفء العاطفي، والتماسك الفكري لأفراد الأمة، وفيها إشعار الفرد بقيمته الذاتية، وقيمه الفكرية، وقيمه الإنسانية، وتدفع أفراد المجتمع نحو الاجتهاد والإبداع والرضا وتتفجر الطاقات وتتكشف المواهب المغمورة في الأمة"⁽⁵⁾.

8- تأليف القلوب وجمع الكلمة، وسد منافذ الشر، والقيـل والقال، وأدعى لقبول الأمر الناتج عن تشاور، قال الطبري: "أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم بمشاورة أصحابه في مكايـد الحرب، وعند لقاء العدو، تطييباً منه بذلك أنفسهم، وتألفاً لهم على دينهم، قال قتادة: أمر الله صلى الله عليه وسلم أن يشاور أصحابه في الأمور، لأنه أطيب لأنفس القوم"⁽⁶⁾، وقال ابن الجوزي: "أمر الله نبيه بمشاورة أصحابه، مع كونه كامل الرأي، تام التدبير على ثلاثة أقول: وذكر الأول ثم قال: الثاني: لتطيب قلوبهم، وهو قول قتادة والربيع وابن إسحاق ومقاتل، قال الشافعي: نظير مشاورة إبراهيم عليه السلام لابنه حين أمر بذبحه"⁽⁷⁾.

(1) ينظر: في ظلال القرآن، قطب (ج1 / 501).

(2) [صحيح البخاري، البخاري، المناقب/ قول النبي صلى الله عليه وسلم لو كنت متخذاً خليلاً، 5 / 9: حديث رقم 3677].

(3) بدائع السلك في طبائع الملك، ابن الأزرق (ج1 / 312).

(4) مجموع الفتاوى، ابن تيمية (ج28 / 386).

(5) تبصير المؤمنين بفقہ النصر والتمكين، الصلابي (ص 549).

(6) جامع البيان، الطبري (ج4 / 152).

(7) ينظر: زاد المسير، ابن الجوزي (ج1 / 488).

9- تنفيذ رأي الأغلبية من أصحاب الرأي: إن رأي الأغلبية يؤخذ به في الحرب والأمور العامة تجنباً للخلاف والتنازع الذي يعرض الجند والدول للفشل، فها هو رأي الأغلبية في فداء أسرى بدر لا يوافقه القرآن ووافق رأي عمر رضي الله عنه، ولكنه مع ذلك بقي رأي الأغلبية هو الرأي الملزم، والحكمة في الأخذ برأي الأغلبية هو منع التنازع والاختلاف وفيه أيضاً سد ذريعة الاستبداد وحرمان الأمة من الشورى⁽¹⁾.

رابعاً: صور مشاورة أصحاب الرأي من الجنود.

إن القائد أحوج ما يكون للمشاورة في أوقات الأزمات والشدائد، لذا سنعرض بعضاً من هذه الصور لنتعرف على أثر المشاورة في حياة الجنود، وذلك على النحو التالي:

1- طلب رأي الأنصار في بدر.

"عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم شَاوَرَ حِينَ بَلَغَهُ إِقْبَالُ أَبِي سُفْيَانَ، قَالَ: فَتَكَلَّمَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه، فَأَعْرَضَ عَنْهُ، ثُمَّ تَكَلَّمَ عُمَرُ رضي الله عنه، فَأَعْرَضَ عَنْهُ، فَقَامَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ رضي الله عنه، فَقَالَ: إِيَّاَنَا تُرِيدُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ أَمَرْتَنَا أَنْ نُخِضَ بِهَا الْبَحْرَ لَأَخْضُنَاهَا، وَلَوْ أَمَرْتَنَا أَنْ نَضْرِبَ أَكْبَادَهَا إِلَى بَرْكِ الْعِمَادِ لَفَعَلْنَا، قَالَ: فَدَبَّ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم النَّاسَ⁽²⁾، قَالَ النُّووي: "قال العلماء إنما قصد صلى الله عليه وسلم اختبار الأنصار لأنه لم يكن بايعهم على أن يخرجوا معه للقتال وطلب العدو وإنما بايعهم على أن يمنعوه ممن يقصده فلما عرض الخروج لعير أبي سفيان أراد أن يعلم أنهم يوافقون على ذلك فأجابوه أحسن جواب بالموافقة التامة في هذه المرة وغيرها وفيه استشارة الأصحاب وأهل الرأي والخبرة"⁽³⁾.

2- مشاورة النبي صلى الله عليه وسلم أبو بكر وعمر رضي الله عنهما في الأسرى.

"قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنه: فَلَمَّا أَسْرُوا الْأَسَارَى، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم لِأَبِي بَكْرٍ، وَعُمَرُ: «مَا تَرَوْنَ فِي هَؤُلَاءِ الْأَسَارَى؟» فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، هُمْ بَنُو الْعَمِّ وَالْعَشِيرَةِ، أَرَى أَنْ تَأْخُذَ مِنْهُمْ فِدْيَةً فَتَكُونُ لَنَا قُوَّةٌ عَلَى الْكُفَّارِ، فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُمْ لِإِسْلَامٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «مَا تَرَى يَا ابْنَ الْخَطَّابِ؟» قُلْتُ: لَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا أَرَى الَّذِي رَأَى أَبُو بَكْرٍ، وَلَكِنِّي أَرَى أَنْ نُمَكِّنَّا فَتَضْرِبَ أَعْنَاقَهُمْ، فَتُمَكِّنَ عَلِيًّا مِنْ عَقِيلٍ فَيَضْرِبَ عُنُقَهُ، وَتُمَكِّنِي مِنْ فُلَانٍ نَسِيبًا لِعُمَرَ، فَأَضْرِبَ

(1) الشورى في الشريعة الإسلامية، المهدي (ص 150).

(2) [صحيح مسلم، الجهاد والسير/غزوة بدر، 3/ 1403: حديث رقم 1779].

(3) (المنهاج، النووي (ج12/ 124).

عُقْبَهُ، فَإِنَّ هَؤُلَاءِ أُنَمَّةُ الْكُفْرِ وَصَنَادِيدُهَا، فَهَوِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَا قَالَ أَبُو بَكْرٍ، وَلَمْ يَهُوَ مَا قُلْتُ⁽¹⁾.

3- مشاورة عمر رضي الله عنه أصحابه في غزو العراق.

قال ابن كثير: "إن عمر رضي الله عنه في اليوم الأول من المحرم سنة 14 هـ ركب في الجيوش من المدينة فنزل على ماء يقال له صرار فعسكر به عازماً على غزو العراق بنفسه واستخلف على المدينة علي رضي الله عنه واستصحب معه عثمان رضي الله عنه وسائر الصحابة ثم عقد مجلساً واستشار أصحابه فيما عزم عليه ونودي أن الصلاة جامعة وقد أرسل إلى علي رضي الله عنه فقدم من المدينة ثم استشارهم فكل وافقه على الذهاب إلى العراق إلا عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه فقال له: إني أخشى إن كسرت أن تضعف المسلمون في سائر الأرض، وإني أرى أن تبعث رجلاً وترجع أنت إلى المدينة فأتى عمر رضي الله عنه الناس عند ذلك واستصوبوا رأي ابن عوف⁽²⁾.

4- مشورة سلمان الفارسي رضي الله عنه تعطل الأحزاب.

قال ابن حجر: "أما تسميتها الخندق فلأجل الخندق الذي حفر حول المدينة بأمر النبي ﷺ وكان الذي أشار بذلك سلمان رضي الله عنه، كما بين أصحاب المغازي⁽³⁾، قال سلمان للنبي ﷺ: إنا كنا بفارس إذا حوصرنا خندقنا علينا فأمر النبي ﷺ بحفر الخندق حول المدينة وعمل فيه بنفسه ترغيباً للمسلمين فسارعوا إلى عمله حتى فرغوا منه⁽⁴⁾.

5- مشورة أم سلمة تنقذ المسلمين من سخط الله.

لما كان يوم الحديبية، واتفق رسولنا الكريم ﷺ على الصلح، قَالَ لِأَصْحَابِهِ: «قُومُوا فَانْحَرُوا ثُمَّ اخْلِفُوا»، قَالَ: قَوْلَ اللَّهِ مَا قَامَ مِنْهُمْ رَجُلٌ حَتَّى قَالَ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَلَمَّا لَمْ يَقُمْ مِنْهُمْ أَحَدٌ دَخَلَ عَلَى أُمِّ سَلَمَةَ، فَذَكَرَ لَهَا مَا لَقِيَ مِنَ النَّاسِ، فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، أَتُحِبُّ ذَلِكَ، أَخْرُجْ ثُمَّ لَا تُكَلِّمْ أَحَدًا مِنْهُمْ كَلِمَةً، حَتَّى تَنْحَرَ بُدْنَكَ، وَتَدْعُو حَالِقَكَ فَيَحْلِقَكَ، فَخَرَجَ فَلَمْ يُكَلِّمْ أَحَدًا مِنْهُمْ حَتَّى فَعَلَ ذَلِكَ نَحَرَ بُدْنَهُ، وَدَعَا حَالِقَهُ فَحَلَقَهُ، فَلَمَّا رَأَوْا ذَلِكَ قَامُوا، فَانْحَرُوا وَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يَحْلِقُ بَعْضًا حَتَّى كَادَ بَعْضُهُمْ يَقْتُلُ بَعْضًا غَمًّا⁽⁵⁾، قال ابن حجر: "قوله ﷺ لأصحابه قوموا فانحروا

(1) [صحيح مسلم، الجهاد والسير/الامداد بالملائكة وإباحة الغنائم، 3/ 1385: حديث رقم 1763].

(2) [البداية والنهاية، ابن كثير (ج9/ 613)].

(3) [المغازي، الواقدي (ج2/ 445)].

(4) [فتح الباري، ابن حجر (ج7/ 392)].

(5) [صحيح البخاري، البخاري، الشروط/الشروط في الجهاد والمصالحة، 3/ 196: حديث رقم 2731].

ثم احلقوا فوالله ما قام منهم رجل، فاشتد ذلك عليه فدخل على أم سلمة فقال: هلك المسلمون أمرتهم أن يحلقوا وينحروا فلم يفعلوا، فجلى الله عنهم يومئذ بأم سلمة، قالت: يا رسول الله لا تكلمهم فإنهم قد دخلهم أمر عظيم مما أدخلت على نفسك من المشقة في أمر الصلح ورجوعهم بغير فتح ويحتمل أنها فهمت عن الصحابة أنه احتمل عندهم أن يكون النبي ﷺ أمرهم بالتحلل أخذاً بالرخصة في حقهم وأنه هو يستمر على الإحرام أخذاً بالعزيمة في حق نفسه فأشارت عليه أن يتحلل لينتفي عنهم هذا الاحتمال وعرف النبي ﷺ صواب ما أشارت به ففعله فلما رأى الصحابة ذلك بادروا إلى فعل ما أمرهم به، وفيه فضل المشورة وجواز مشاورة المرأة الفاضلة وفضل أم سلمة ووفور عقلها⁽¹⁾.

6- مشاورة ملكة سبأ لأصحاب الرأي في اختيار قرار الحرب أو الصلح.

قال القرطبي: "إن ملكة سبأ قد استحقت الذكر والثناء في كتاب الله فعلى الرغم من أن بلقيس امرأة جاهلية كانت تعبد الشمس ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُون﴾ [النمل: 32]، لتختبر عزمهم على مقاومة عدوهم، وحزمهم فيما يقيم أمرهم، وإمضائهم على الطاعة لها، بعلمها بأنهم إن لم يبذلوا أنفسهم وأموالهم ودماءهم دونها لم يكن لها طاقة بمقاومة عدوها، وإن لم تختبر ما عندهم، وتعلم قدر عزمهم لم تكن على بصيرة من أمرهم، وربما كان في استبدادها برأيها وهن في طاعتها، وكان في مشاورتهم وأخذ رأيهم عون على ما تريده من قوة شوكتهم، وشدة دفاعهم، فأخذت في حسن الأدب مع قومها، ومشاورتهم في أمرها⁽²⁾، قال الزمخشري: "وقصدت بالانقطاع إليهم والرجوع إلى استشارتهم واستطلاع آرائهم: استعطافهم وتطبيب نفوسهم ليمالئوها ويقوموا معها"⁽³⁾.

المطلب الخامس: تكليف الجندي بما يطيق.

أولاً: مفهوم التكليف والإطاعة

1. تعريف التكليف:

أ- لغة: أمر الجندي بما يشق عليه⁽⁴⁾.

(1) فتح الباري، ابن حجر (ج5/ 347).

(2) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (ج13/ 194).

(3) الكشاف، الزمخشري (ج3/ 364).

(4) ينظر: الصحاح، الجوهري (ج4/ 1424)، والقاموس المحيط، الفيروز أبادي (ص 850).

ب- اصطلاحاً: "حده بعض أهل العلم بأنه إرادة المُكَلَّفِ من المُكَلَّفِ فعل ما يشق عليه"⁽¹⁾.

2. تعريف الإطاقة:

أ- لغة: "الْقُدْرَةُ عَلَى الشَّيْءِ"⁽²⁾، قال الجوهري: "والإطاقة تعني الاستطاعة"⁽³⁾.

ب- اصطلاحاً: أَنْ يَتِمَكَّنَ الْجَنْدِيُّ مِنَ الْفِعْلِ عَلَى سَبِيلِ السَّهُولَةِ⁽⁴⁾، أو هي التهيؤ لتنفيذ الفعل بإرادة الجندي من غير عائق⁽⁵⁾.

وقال صاحب المنار في تفسير قوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: 286] أي "لا يحاسبها إلا على ما كلفها، والتكليف هو الإلزام بما فيه كلفة، والوسع ما تسعه قدرة الإنسان من غير حرج ولا عسر، وقال بعضهم: هو ما يهل عليه من الأمور المقدور عليها، وهو ما دون مدى طاقته، والمعنى: أن شأنه تعالى وسنته في شرع الدين ألا يكلف عباده ما لا يطيقون"⁽⁶⁾.

ثانياً: أنواع التكاليف:

إن التكاليف الملقاة على عاتق الجندي يمكن تقسيمها إلى نوعين رئيسيين، هما:

1- التكليف المادي.

2- التكليف البدني.

وسنقوم بدراسة كل نوع على حدة بنوع من التفصيل.

النوع الأول: التكليف المادي.

إن الاسلام يأمر الجنود بإعداد آلات الحرب المناسبة لكل عصر، وإعداد الجيش المقاتل على أرفع المستويات لأن الجيش درع الأمة وحصنها المنيع، وذلك بحسب الطاقة والإمكان والاستطاعة، فقال: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْحَيْلِ﴾ [الأنفال: 60] أي هيئوا

(1) البحر المحيط، الزركشي (ج2/ 50).

(2) ينظر: المخصص، ابن سيده (ج1/ 194)، لسان العرب، ابن منظور (ج10/ 232).

(3) الصحاح، الجوهري (ج3/ 1255).

(4) ينظر: الجواهر الحسان، الثعالبي (ج5/ 398).

(5) ينظر: الكليات، أبو البقاء (ص 108).

(6) تفسير المنار، رضا (ج3/ 120).

لقتال الأعداء ما أمكنكم من أنواع القوى المادية والمعنوية المناسبة لكل زمان ومكان، ومراعات الوسائل والآلات التي يجب إعدادها بحسب متطلبات العصر، ويكون المقصود هو إعداد جيش دائم مستعد للدفاع عن البلاد، ويتم ذلك بالمال المخصص لهذه المهمة، ودعمه بالسلاح الذي ينفق عليه من المسلمين بحسب الطاقة⁽¹⁾.

وقد برز في إطاقة للتكاليف المالية نماذج عظيمة نذكر منها:

1- أبو بكر الصديق رضي الله عنه: "فقد أطاق ما لم يطقه غيره من الجنود حيث أعتق سبعة ممن كانوا يعذبون في الله وهم: بلال وعامر بن فهيرة وزنيرة والنهدية وابنتها، وجارية بني مؤمل، وأم عبيس، وكان إذا مُدِحَ قال: اللهم أنت أعلم بي من نفسي وأنا أعلم بنفسي منهم، اللهم اجعلني خيراً مما يظنون واغفر لي ما لا يعلمون ولا تؤاخذني بما يقولون"⁽²⁾، كما أنفق لتجهيز جيش العسرة كل ماله، وشهد له بذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه حيث قال: أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ نَتَصَدَّقَ فَوَافَقَ ذَلِكَ عِنْدِي مَالًا، فَقُلْتُ: الْيَوْمَ أَسْبِقُ أَبَا بَكْرٍ إِنْ سَبَقْتُهُ يَوْمًا، قَالَ: فَجِئْتُ بِنِصْفِ مَالِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ؟» قُلْتُ: مِثْلَهُ، وَأَتَى أَبُو بَكْرٍ بِكُلِّ مَا عِنْدَهُ، فَقَالَ: «يَا أَبَا بَكْرٍ مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ؟» قَالَ: أَبْقَيْتُ لَهُمُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، قُلْتُ: لَا أَسْبِقُهُ إِلَى شَيْءٍ أَبَدًا"⁽³⁾.

2- عثمان بن عفان رضي الله عنه: قال صاحب الظلال: "إن رسول الله ﷺ جد في سفره وأمر الناس بالجهاز والإسراع، وحض أهل الغنى على النفقة وحمل المجاهدين الذين لا يجدون ما يركبون فحمل رجال من أهل الغنى محتسبين عند الله، وكان في مقدمة المنفقين المحتسبين، عثمان بن عفان رضي الله عنه فأنفق نفقة عظيمة لم ينفق أحد مثلاً"⁽⁴⁾، فقد ذكر البخاري في صحيحه: أَنَّ عُثْمَانَ رضي الله عنه حِينَ حُوصِرَ أَشْرَفَ عَلَيْهِمْ، وَقَالَ: أُنْشِدُكُمُ اللَّهَ، وَلَا أُنْشِدُ إِلَّا أَصْحَابَ النَّبِيِّ ﷺ، أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ حَفَرَ رُومَةً فَلَهُ الْجَنَّةُ؟» فَحَفَرْتُهَا، أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ جَهَّزَ جَيْشَ الْعُسْرَةِ فَلَهُ الْجَنَّةُ؟» فَجَهَّزْتُهُمْ، قَالَ: فَصَدَّقُوهُ بِمَا قَالَ"⁽⁵⁾، "فجهزه بتسعمائة وخمسين بغيراً وخمسين فرساً، وجاء إلى النبي

(1) ينظر: التفسير المنير، الزحيلي (ج10/49).

(2) أبو بكر الصديق أول الخلفاء الراشدين، رضا (ص 16).

(3) [سنن الترمذي، الترمذي، المناقب/مناقب أبو بكر رضي الله عنه، 5/614: حديث رقم 3675]، قال الألباني: حسن.

(4) في ظلال القرآن، قطب (ج3/1723).

(5) [صحيح البخاري، البخاري، الوصايا/إذا وقف أرضاً، 4/13: حديث رقم 2778].

ﷺ بألف دينار⁽¹⁾، كما أنه قام بتوسيع مسجد النبي ﷺ⁽²⁾، مما يدل على فضل عثمان وطاقته في الإنفاق فكان نعم الجندي لينال نعم الجزاء.

3- **عبد الرحمن بن عوف** ﷺ: فقد قال أبو جعفر: أمر الرسول ﷺ الصحابة بالإنفاق، فكان عبد الرحمن بن عوف ﷺ قد تصدق بأربعين أوقية من الذهب وقد تصدق رجل من الأنصار بصاع من تمر كان قد سقى من ليلته فكسب صاعين فتصدق بأحدهما، فكان كل واحد منهما قد تصدق على قدر استطاعته، فقال المنافقون لما رأوا ما فعله الصحابييين من الجهد كل حسب طاقته: "إنما تصدق عبد الرحمن به رياء وسمعة، ولم يريد وجه الله، ويلمزون الذي لا يجد ما يتصدق به إلا الصاع، وذلك طاقته، فينتقصونه ويقولون: لقد كان الله عن صدقة هؤلاء غنياً، فيسخرون منهم سخر الله منهم، فنزل قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [التوبة: 79]⁽³⁾.

قال الزحيلي: "والجهاد واجب بالنفس والمال إذا قدر عليهما، أو على أحدهما، على حسب الحال والحاجة، فقد كان المسلمون ينفقون على أنفسهم من أموالهم، وهم يعدون السلاح، وقد ينفقون على غيرهم، كما فعل عثمان ﷺ في تجهيز جيش العسرة في غزوة تبوك، وكما فعل غيره من أغنياء الصحابة، فهذه الآية: ﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [التوبة: 41] تتناول القادر المتمكن إذ عدم الاستطاعة عذر في التخلف"⁽⁴⁾.

النوع الثاني: التكليف البدني.

إن اختلاف الاستطاعة من جندي لآخر، ومن عمل لآخر، تتسبب باختلاف التكليفات الموجهة إليه، فقد يكون الجندي قادر على أداء مهمة لا يقدر على أدائها جندي آخر⁽⁵⁾، قال سيد قطب: "فقد جاءت هذه الرسالة ميسرة في حدود الطاقة لا تكلف الناس حرجاً ولا مشقة، وسرى هذا اليسر في روحها كما سرى في تكاليفها ﴿فَظَرَّتْ اللَّهُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾

(1) عمدة القاري، العيني (ج16/ 202).

(2) ينظر: الاستيعاب، ابن عبد البر (ج3/ 1040).

(3) جامع البيان، الطبري (ج14/ 382) بتصرف.

(4) التفسير المنير، الزحيلي (ج10/ 226).

(5) ينظر: الموسوعة الفقهية الكويتية، مجموعة من المؤلفين (ج3/ 332).

[الروم: 30] وحيثما سار الإنسان مع هذه العقيدة وجد اليسر ومراعاة الطاقة البشرية، والحالات المختلفة للإنسان، والظروف التي يصادفها في جميع البيئات والأحوال⁽¹⁾.

"وتظهر لنا الواقعية في التكليف ضمن حدود الطاقة الإنسانية جلية واضحة، فمسئولية العاجز والضعيف دون مسؤولية القوي الصحيح، ومسئولية كل منهما تتناسب مع ما لدى كل منهما من قدرة واستطاعة، ومسئولية البليد الغبي دون مسؤولية ذي الهمة الذكي، فمسئولية كل منهما تتناسب مع ما لدى كل منهما من استطاعة لتفهم الأمور وحل المعضلات، ومسئولية الأعمى والأعرج دون مسؤولية البصير والسليم، وهكذا"⁽²⁾.

وقد كان رسول الله ﷺ يراعي ظروف الجنود التي تمنعهم من المشاركة في القتال، لأن الله تعالى لم يكلف عباده شيئاً فوق طاقتهم، قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: 286]، ولذلك كان رسول الله ﷺ لا يكلف المسلمين فوق طاقتهم سواء كان ذلك في السلم أو الحرب، "وفي غزوة بدر ألقى النبي ﷺ بعض الصحابة؛ لأن ظروفهم الأسرية تتطلب منهم القيام عليها ورعايتها، فقد ألقى عثمان بن عفان ؓ من الخروج يوم بدر؛ لأن زوجته رقية كانت مريضة وبحاجة إلى من يرعى شؤونها، روى البخاري في صحيحه أن ابن عمر ؓ، قال: إِنَّمَا تَغَيَّبَ عُثْمَانُ عَنْ بَدْرٍ، فَإِنَّهُ كَانَتْ تَحْتَهُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَكَانَتْ مَرِيضَةً، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ لَكَ أَجْرَ رَجُلٍ مِمَّنْ شَهِدَ بَدْرًا وَسَهْمَهُ»⁽³⁾⁽⁴⁾.

ولقد وضع الله ﷻ بين يدي المسلمين القواعد العامة للواقعية في التكليف بالأعمال، وفي تحديد مناهج الحياة للناس، حتى يهتدوا بهديها، "ففي قوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ يدل على أن التكليف في الشريعة الإسلامية لا تزيد مهما اشتدت عن حدود استطاعة النفس المكلفة، وأنه متى فقدت الاستطاعة ارتفع التكليف لا محالة"⁽⁵⁾.

(1) في ظلال القرآن، قطب (ج6/ 3892).

(2) الحضارة الإسلامية أسسها ووسائلها، الميداني (ص 193).

(3) [صحيح البخاري، البخاري، فرض الخمس/إذا بعث الامام رسولا في حاجة، 4/ 88: حديث رقم 3130].

(4) السيرة النبوية، الصلابي (ص 426).

(5) الحضارة الإسلامية أسسها ووسائلها، الميداني (ص 194).

قال ابن تيمية: "فمن استقرأ ما جاء به الكتاب والسنة تبين له أن التكليف مشروط بالقدرة على العلم والعمل، فمن كان عاجزاً عن أحدهما سقط عنه ما يعجزه، ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها، والشرعية طافحة بأن الأفعال المأمور بها مشروطة بالاستطاعة والقدرة"⁽¹⁾.

وقد تميز الجنود الأوائل في إطاقتهم البدنية فاستحقوا بعد مخاطرتهم بأرواحهم أن يخلدوا ذكرهم وبطولاتهم، نذكر من ذلك:

1- **نعيم بن مسعود** رضي الله عنه: فقد أورد البغوي وابن حجر أن نعيم بن مسعود رضي الله عنه لما أسلم ولم يعلم به قومه فأوصاه النبي ﷺ بأن خذل عنا، فأتى بني قريظة فقال لهم: يا بني قريظة قد عرفتم ودي إياكم وخاصة ما بيني وبينكم، قالوا: صدقت لست عندنا بمتهم، فقال: إن قريشاً وغطفان ليست هذه بلادهم وإنهم إن رأوا فرصة انتهزوها وإلا رجعوا إلى بلادهم وتركوكم في البلاء مع محمد ولا طاقة لكم به، قالوا: فما ترى، قال: لا تقاوتوا معهم حتى تأخذوا رهنا منهم فقبلوا رأيهم فتوجه إلى قريش فقال: لهم إن اليهود ندموا على الغدر بمحمد فراسلوه في الرجوع إليه فراسلهم بأننا لا نرضى حتى تبعثوا إلى قريش فتأخذوا منهم رهنا فاقتلوهم، ثم جاء غطفان بنحو ذلك، قال: فلما أصبح أبو سفيان بعث عكرمة بن أبي جهل إلى بني قريظة بأننا قد ضاق بنا المنزل ولم نجد مرعى فاخرجوا بنا حتى نناجز محمداً فأجابوهم إن اليوم يوم السبت ولا نعمل فيه شيئاً ولا بد لنا من الرهن منكم لئلا تغدروا بنا فقالت قريش: هذا ما حذركم نعيم فراسلوهم ثانياً أن لا نعطيكم رهناً فإن شئتم أن تخرجوا فافعلوا، فقالت قريظة: هذا ما أخبرنا نعيم⁽²⁾، فكان بما أطاق قادراً على إنهاء المعركة وهذا مما أوصى به رسولنا الكريم ﷺ حيث قال: «الْحَرْبُ خُدْعَةٌ»⁽³⁾.

2- **حذيفة بن اليمان** رضي الله عنه: فقد ذكر القرطبي أن رسول الله ﷺ لما علم اختلاف الأحزاب قال: «أَلَا رَجُلٌ يَأْتِينِي بِخَبَرِ الْقَوْمِ جَعَلَهُ اللَّهُ مَعِيَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟» يقول حذيفة: فَسَكَنَّا فَلَمْ يُجِبْهُ مِنْ أَحَدٍ، فَقَالَ: «قُمْ يَا حَذِيفَةُ، فَاتِنَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ»، فَلَمْ أَجِدْ بُدًّا إِذْ دَعَانِي بِاسْمِي أَنْ أَقُومَ، قَالَ: «أَذْهَبُ فَاتِنِي بِخَبَرِ الْقَوْمِ، وَلَا تَذْعَرُهُمْ عَلَيَّ»، فَلَمَّا وَلَّيْتُ مِنْ عِنْدِهِ جَعَلْتُ كَأَنَّمَا أَمْشِي فِي حَمَامٍ حَتَّى أَتِيَهُمْ، فَرَأَيْتُ أَبَا سُفْيَانَ يَصْلِي ظَهْرَهُ بِالنَّارِ، فَوَضَعْتُ سَهْمًا فِي كَبِدِ

(1) مجموع الفتاوى، ابن تيمية (ج21/ 634).

(2) ينظر: معالم التنزيل، البغوي (ج3/ 618)، وفتح الباري، ابن حجر (ج7/ 402).

(3) [صحيح البخاري، البخاري، الجهاد والسير/الحرب خدعة، 4/ 64: حديث رقم 3030].

الْقَوْسِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَرْمِيَهُ، فَذَكَرْتُ قَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «وَلَا تَدْعُهُمْ عَلَيَّ»، وَلَوْ رَمَيْتُهُ لَأَصَبْتُهُ فَرَجَعْتُ وَأَنَا أَمْشِي فِي مِثْلِ الْحَمَامِ، فَلَمَّا أَتَيْتُهُ فَأَخْبَرْتُهُ بِخَبَرِ الْقَوْمِ⁽¹⁾»⁽²⁾.

3- محمد بن مسلمة رحمته الله رجل المهمات الخاصة: فقد ذكر البخاري في صحيحه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: «مَنْ لِكَعْبِ بْنِ الْأَشْرَفِ، فَإِنَّهُ قَدْ آذَى اللَّهَ وَرَسُولَهُ»، قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ: أَتُحِبُّ أَنْ أَقْتُلَهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «نَعَمْ»، قَالَ: فَأَتَاهُ، فَقَالَ: إِنَّ هَذَا يَعْنِي النَّبِيَّ ﷺ قَدْ عَنَانَا - أَيِ أَتَعْبَنَا - وَسَأَلْنَا الصَّدَقَةَ، قَالَ: وَأَيْضًا، وَاللَّهِ لَتَمْلُئَنَّهُ - أَيِ تَضْجُرُونَ مِنْهُ -، قَالَ: فَإِنَّا قَدْ اتَّبَعْنَاهُ فَتَكَرَّرَ أَنْ نَدْعَهُ، حَتَّى نَنْظُرَ إِلَى مَا يَصِيرُ أَمْرُهُ، قَالَ: فَلَمْ يَزَلْ يُكَلِّمُهُ حَتَّى اسْتَمَكَنَ مِنْهُ فَفَتَلَهُ⁽³⁾، قَالَ النُّووي: "إِنَّ مُحَمَّدَ بْنَ مَسْلَمَةَ رحمته الله لم يصرح له بأمان في شيء من كلامه وإنما كلمه في أمر البيع والشراء واشتكى إليه وليس في كلامه عهد ولا أمان، وكان كعب قد نقض عهد النبي ﷺ ولم يؤمنه محمد بن مسلمة ورفقته ولكنه استأنس بهم فتمكنوا منه من غير عهد ولا أمان وأما ترجمة البخاري على هذا الحديث بباب الفتك في الحرب فليس معناه الحرب بل الفتك هو القتل على غرة وغفلة والغيلة نحوه وقد استدل بهذا الحديث بعضهم على جواز اغتيال من بلغته الدعوة من الكفار وتبنيته من غير دعاء إلى الإسلام"⁽⁴⁾.

4- علي بن أبي طالب رحمته الله: البطل الفدائي الشجاع، الذي أطاق ما لم تطقه الجبال الرواسي، "فقد رقد على فراش رسول الله ﷺ يوري عنه يوم الهجرة وباتت قريش تختلف وتأتذر أيهم يهجم على صاحب الفراش فيوثقه حتى أصبحوا فإذا هم بعلي"⁽⁵⁾، "فكانت تلبية علي رحمته الله لأمر النبي ﷺ مثلاً للجندي الصادق، المخلص لدعوة الإسلام، حيث فدى قائده بحياته، فهي تضحية غالية، إذ كان من المحتمل أن تهوى سيوف فتيان قريش على رأس علي رحمته الله، فلم يبال بذلك، بل كان حسبه أن يسلم رسول الله نبي الأمة، وقائد الدعوة"⁽⁶⁾، ولما كان يوم بدر وطلب المشركين من يبارزهم، فانتدبه رسول الله ﷺ من الثلاثة المبارزين⁽⁷⁾، وقد

(1) سبق تخريجه، ص 94.

(2) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (ج 14 / 138).

(3) [صحيح البخاري، البخاري، الجهاد والسير / الكذب في الحرب، 4 / 64: حديث رقم 3031].

(4) المنهاج، النووي (ج 12 / 161).

(5) فتح الباري، ابن حجر (ج 7 / 236).

(6) أسمى المطالب، الصلابي (ج 1 / 53).

(7) ينظر: [مسند أحمد، أحمد، 2 / 259: حديث رقم 948]، قال شعيب الأرنؤوط: صحيح الاسناد.

ميزه رسولنا الكريم حين أعطاه الراية في خيبر بعد أن قال ﷺ: «لَأُعْطِينَ هَذِهِ الرَّايَةَ رَجُلًا يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ، يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ»⁽¹⁾، "فما رجع حتى فتح الله على يديه"⁽²⁾، وفي الأحزاب بارز علي ﷺ أحد صناديد قريش وهو عمرو بن عبد ود - وكان يعد بألف فارس⁽³⁾ - الذي تجاوز الخندق فقتله شر قتلة⁽⁴⁾، فأطاق بذلك ما لم يطيقه غيره من الجنود فرضي الله عنه وعن كل الصحابة أجمعين.

(1) [صحيح مسلم، مسلم، فضائل الصحابة/ علي بن أبي طالب ﷺ، 4 / 1872: حديث رقم 2406].

(2) التفسير المظهر، المظهري (ج 9 / 27).

(3) روح المعاني، الألوسي (ج 11 / 153).

(4) الكشف والبيان، الثعلبي (ج 8 / 15).

المبحث الثاني

واجبات الجندي في القرآن الكريم

المطلب الأول: السمع والطاعة للقيادة.

أولاً: مفهوم السمع والطاعة.

1- لغة.

"هي الانقياد والخضوع، عكس المعصية، وسمعاً وطاعةً: سمعتُ ما قُلْتَ وسأطيعك"⁽¹⁾.

2- اصطلاحاً:

أ- "حقيقة الطاعة امتثال الأمر"⁽²⁾.

ب- "أصل الطاعة الانقياد وهو امتثال الأمر"⁽³⁾.

ج- "تنفيذ الأنظمة والقوانين والأوامر الصادرة من قيادات الجيش إلى الأفراد الخاضعين لتلك القيادات سواء فيما يتعلق بتدبير شؤون الجيش في السلم أو تدبير شؤون القتال في وقت الحرب"⁽⁴⁾.

ثانياً: الأمر بالسمع والطاعة والنهي عن المخالفة.

إن الله تعالى أمر جنوده بالسمع والطاعة لقائدهم فقال ﷺ: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ» [النساء: 59] والمراد بأولي الأمر منكم: أمراء الحق كالخلفاء الراشدين ومن تبعهم بإحسان، وإنما يجمع بين الله ورسوله والأمراء الموافقين لهما في إثبات العدل واختيار الحق والأمر بهما والنهي عن أضدادهما، وكان الخلفاء يقولون: أطيعوني ما عدلت فيكم، فإن خالفت فلا طاعة لي عليكم، وعن النبي ﷺ قال: «مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَى اللَّهَ، وَمَنْ يُطِعِ الْأَمِيرَ فَقَدْ أَطَاعَنِي، وَمَنْ يَعْصِ الْأَمِيرَ فَقَدْ

(1) معجم اللغة العربية المعاصرة، عمر (ج2/ 1422).

(2) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (ج5/ 261).

(3) لباب التأويل، الخازن (ج1/ 392).

(4) الجهاد والقتال في السياسة الشرعية، هيك (ص 1096).

عَصَانِي، وَإِنَّمَا الْإِمَامُ جُنَّةٌ يُقَاتَلُ مِنْ وَرَائِهِ وَيَتَّقَى بِهِ، فَإِنْ أَمَرَ بِتَقْوَى اللَّهِ وَعَدَلَ، فَإِنَّ لَهُ بِذَلِكَ أَجْرًا وَإِنْ قَالَ بِغَيْرِهِ فَإِنَّ عَلَيْهِ مِنْهُ»⁽¹⁾ (2).

قال علي بن أبي طالب عليه السلام: "حق على الإمام أن يحكم بما أنزل الله ويؤدي الأمانة فإذا فعل ذلك فحق على الرعية أن يسمعوا ويطيعوا"⁽³⁾، وقال النووي: "أجمع العلماء على وجوب طاعة الولاة والأمراء في غير معصية وعلى تحريمها في المعصية نقل الإجماع على هذا القاضي"⁽⁴⁾.

"وقد وردت الأدلة الصحيحة البالغة عدد التواتر الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثبوتاً لا يخفى على من له أدنى تمسك بالكتاب والسنة المطهرة بوجوب طاعة الأئمة والسلطين والأمراء كما ورد في الصحيح: «اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَإِنْ اسْتُعْجِلَ حَبَشِيٌّ كَانَ رَأْسُهُ زَبِيئَةً»⁽⁵⁾، وورد وجوب طاعتهم ما أقاموا الصلاة، وما لم يظهر منهم الكفر البواح، وما لم يأمرُوا بمعصية الله"⁽⁶⁾.

ثالثاً: النهي عن السمع والطاعة في المعصية.

إن الله تعالى لما أمر الجنود بطاعة القيادة كان ذلك للحفاظ على اجتماع كلمة المسلمين، لأن الخلاف سبب لفساد أحوالهم في دينهم ودنياهم، قال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [الأنفال: 46].

"فالقائد إذا حاد عن الطريق، فصار يدور بعكس ما يلزم المسلمين من تجميع كلمتهم، ومضى يزرع الفرقة والفساد، بل ويأمر بالمعصية والحرام، حينها لابد من الوقوف إلى أمر رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم الذي نبه إليه في قوله: "لَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ عز وجل"⁽⁷⁾، فهؤلاء غير مؤتمنين على أوامر الله تعالى وغير مقتدى بهم فيها فلا يكونون أئمة في الدين، ودل أيضاً على أن الفاسق لا يكون حاكماً، وأن أحكامه لا تنفذ إذا ولي الحكم"⁽⁸⁾.

(1) [صحيح البخاري، البخاري، الجهاد والسير/ يقاتل من وراء الامام ويتقى به، 50/4: حديث رقم 2957].

(2) (الكشاف، الزمخشري (ج1/ 524).

(3) (معالم التنزيل، البغوي (ج2/ 240).

(4) (النووي، المنهاج (ج12/ 222).

(5) [صحيح البخاري، البخاري، الأذان/ إمامة العبد والمولى، 1/ 140: حديث رقم 693].

(6) (فتح القدير، الشوكاني (ج2/ 601).

(7) [مسند أحمد، أحمد، 2/ 333: حديث رقم 1095]، قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح.

(8) (ينظر: مفاتيح الغيب، الرازي (ج4/ 39).

يدلل على هذا ما جاء عن عليٍّ عليه السلام، قَالَ: بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ سَرِيَّةً، وَأَمَرَ عَلَيْهِمْ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يُطِيعُوهُ، فَعَضِبَ عَلَيْهِمْ، وَقَالَ: أَلَيْسَ قَدْ أَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ تُطِيعُونِي؟ قَالُوا: بَلَى، قَالَ: قَدْ عَزَمْتُ عَلَيْكُمْ لَمَّا جَمَعْتُمْ حَطَبًا، وَأَوْقَدْتُمْ نَارًا، ثُمَّ دَخَلْتُمْ فِيهَا فَجَمَعُوا حَطَبًا، فَأَوْقَدُوا نَارًا، فَلَمَّا هَمُّوا بِالْدُخُولِ، فَقَامَ يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ، قَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّمَا تَبِعْنَا النَّبِيَّ ﷺ فِرَارًا مِنَ النَّارِ أَفَدَخَلُهَا؟ فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ، إِذْ حَمَدَتِ النَّارُ، وَسَكَنَ غَضَبُهُ، فَذَكَرَ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: «لَوْ دَخَلُوهَا مَا خَرَجُوا مِنْهَا أَبَدًا، إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ»⁽¹⁾.

رابعاً: ترك السمع والطاعة هزيمة والتزامها نصر.

يتجلى هذا المفهوم واضحاً في حياة الصحابة في غزوة أحد فقد كان درساً عملياً شديداً في السمع والطاعة وكيف أن معايير النصر والهزيمة تتغير وفقاً لمدى الالتزام والانضباط، قال ﷺ: «حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَارَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ» [آل عمران: 152].

أي: "فتركتكم أمره وما عهد إليكم، وإنما يعني بذلك الرماة الذين كان أمرهم ﷺ بلزوم مركزهم ومقعدهم من الشعب بأحد بإزاء خالد بن الوليد ومن كان معه من فرسان المشركين، من بعد الذي أراكم الله من النصر والظفر بالمشركين، وذلك هو الهزيمة التي كانوا هزموهم عن نسائهم وأموالهم قبل ترك الرماة مقاعدهم التي كان رسول الله ﷺ أقعدهم فيها، وقبل خروج خيل المشركين على المؤمنين من ورائهم"⁽²⁾.

قال القرطبي: "إن المسلمين في بداية المعركة قتلوا صاحب لواء المشركين وسبعة نفر منهم بعده على اللواء، وكان الظفر ابتداء للمسلمين غير أنهم اشتغلوا بالغنيمة، وترك بعض الرماة أيضاً مركزهم طلباً للغنيمة فكان ذلك سبب الهزيمة، روى البخاري عن البراء بن عازب رضي الله عنه قَالَ: لَقِينَا الْمُشْرِكِينَ يَوْمَئِذٍ، وَأَجْلَسَ النَّبِيُّ ﷺ جَيْشًا مِنَ الرَّمَاةِ، وَأَمَرَ عَلَيْهِمْ عَبْدَ اللَّهِ، وَقَالَ: «لَا تَبْرَحُوا، إِنْ رَأَيْتُمُونَا ظَهَرْنَا عَلَيْهِمْ فَلَا تَبْرَحُوا، وَإِنْ رَأَيْتُمُوهُمْ ظَهَرُوا عَلَيْنَا فَلَا تُعِينُونَا» فَلَمَّا لَقِينَا هَرَبُوا حَتَّى رَأَيْتُ النِّسَاءَ يَشْتَدِدْنَ فِي الْجَبَلِ، رَفَعْنَ عَنْ سَوْقِهِنَّ، قَدْ بَدَتْ خَلَاخِلُهُنَّ، فَأَخَذُوا يَقُولُونَ: الْغَنِيمَةُ الْغَنِيمَةُ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: عَهْدَ إِلَيَّ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ لَا تَبْرَحُوا، فَأَبَوْا، فَلَمَّا أَبَوْا صُرِفَ وُجُوهُهُمْ، فَأُصِيبَ سَبْعُونَ قَتِيلًا»⁽³⁾⁽⁴⁾.

(1) [صحيح البخاري، البخاري، الأحكام/السمع والطاعة للإمام مالم تكن معصية، 9/ 63: حديث رقم 7145].

(2) جامع البيان، الطبري (ج7/ 289).

(3) [صحيح البخاري، البخاري، المغازي/ غزوة أحد، 5/ 94: حديث رقم 4043].

(4) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (ج4/ 233).

ثم بعد ذلك عاد المسلمون إلى النصر بعد أن استجابوا لله والرسول قال تعالى: ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: 172]، وذلك حين أراد أبو سفيان العودة للقتال بعد أحد، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فأراد أن يرهبهم ويريه من نفسه وأصحابه قوة، فندب أصحابه للخروج في طلب أبي سفيان وقال: لا يخرج معنا أحد إلا من حضر يومنا بالأمس فخرج رسول الله ﷺ مع جماعة حتى بلغوا حمراء الأسد، وكان بأصحابه القرح فتحاملوا على أنفسهم حتى لا يفوتهم الأجر، وألقى الله الرعب في قلوب المشركين فذهبوا⁽¹⁾.

وكذلك ما جاء في غزوة الأحزاب حين أرسل رسولنا الكريم ﷺ حذيفة بن اليمان رضي الله عنه ليأتيهم بخبر القوم فقال: «أَذْهَبَ فَأَتَيْتِي بِخَبَرِ الْقَوْمِ، وَلَا تَذْعُرْهُمْ عَلَيَّ»، يقول حذيفة: فَرَأَيْتُ أَبَا سُفْيَانَ يَصْلِي ظَهْرَهُ بِالنَّارِ، فَوَضَعْتُ سَهْمًا فِي كَيْدِ الْقَوْسِ فَأَرَدْتُ أَنْ أُرْمِيَهُ، فَذَكَرْتُ قَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «وَلَا تَذْعُرْهُمْ عَلَيَّ»، وَلَوْ رَمَيْتُهُ لَأَصَبْتُهُ»⁽²⁾.

فلما التزم حذيفة التعليمات ولم يقتل أبا سفيان كان ذلك نصراً للمسلمين لأن قرار الرحيل كان بيده وهو صاحبه، أما لو قتله لحدثت حوادث لا تحمد عقباها.

خامساً: الطاعة لا تلغي الشورى والاجتهاد.

الجندي المسلم وبعد التزامه التام بالتعليمات يمكن له أن يناقش القائد فيما يبدو له من خيارات تجلب الفائدة للجيش، وقد تجلى هذا المعنى فيما يلي:

1- كان الحباب بن المنذر رضي الله عنه في معركة بدر قد أشار برأيه، فاستحسنه رسولنا الكريم ﷺ، فلا يمنع انضباطه والتزامه من أن يدلي برأيه أمام أعظم قائد، والمؤيد بوحى السماء⁽³⁾، "وإن الحباب رضي الله عنه بهذه المقالة يظهر روعة الجندي في الإسلام، ويوضح أرقى درجات الطاعة والالتزام"⁽⁴⁾.

2- يضرب الصحابي الجليلان سعد بن عباد وسعد بن معاذ رضي الله عنهما مثال في هذا الباب، وذلك لما شاورهما على اعطاء غطفان ثلث ثمار المدينة لينصرفوا ويخذلوا قريش فيتفرق الجمع فأجابوا أنهم يلتزمون السمع والطاعة إن كان حياً أو أمراً يلزمهم به قائدهم ومعلمهم

(1) ينظر: الزمخشري، الكشاف (ج1/ 440).

(2) سبق تخريجه ص 94.

(3) في ظلال القرآن، قطب (ج3/ 1457).

(4) القيادة والجندي في الاسلام، الوكيل (ص 102).

رسول الله ﷺ أما إن كان مشورة وقد كان فليس لهم إلا السيف، فهم لم يطعموها إلا ضيوفاً أو بئسها⁽¹⁾.

3- وإن خالد بن الوليد رضي الله عنه لما شهد يوم مؤتة قد التزم السمع والطاعة في خروجه إلى الغزو فلم ينازع الأمر أهله، حيث كان جندياً في جيش المسلمين، حتى إذا قتل القادة الثلاثة الذين عينهم رسول الله ﷺ تقدم وتسلم الراية ليفتح الله على يديه وبحقق النصر والظفر بحنكته العسكرية، فقال ﷺ: "أَخَذَ الرَّايَةَ رَيْدٌ فَأَصِيبَ، ثُمَّ أَخَذَهَا جَعْفَرٌ فَأَصِيبَ، ثُمَّ أَخَذَهَا عَبْدُ اللَّهِ ابْنُ رَوَاحَةَ فَأَصِيبَ، ثُمَّ أَخَذَهَا خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ عَنْ غَيْرِ امْرَأَةٍ فَفُتِحَ عَلَيْهِ"⁽²⁾، قال ابن قدامة: فإن بعث الإمام جيشاً، وأمر عليهم أميراً، فقتل أو مات، فللجيش أن يؤمروا أحدهم، كما فعل أهل مؤتة مع خالد بن الوليد، فبلغ النبي ﷺ فرضي أمرهم، وسمى خالداً يومئذ سيف الله⁽³⁾.

سادساً: حاجة الجندي بعد التزام السمع والطاعة إلى الاستغفار.

إن التزام السمع والطاعة يجلب الأجر العظيم ويقرب العبد من ربه، فقد أسلفنا أن طاعة الأمير من طاعة رسولنا الكريم ﷺ وهي طاعة الله ﷻ، ولما كانت حياة الجندي كلها طلباً لمرضاة الله وطمعاً في دخول الجنة، كانت الطاعة بذلك حافزاً على الاستغفار قال تعالى: ﴿وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة: 285] ، قال صاحب الظلال: "ومع السمع والطاعة لا بد من الشعور بالتقصير والعجز عن توفية آلاء الله حق شكرها وفرائض الله حق أدائها، والالتجاء إلى رحمة الله لتتدارك تقصيرهم وعجزهم بسماحتها، ولكن طلب الغفران إنما يجيء بعد تقديم الاستسلام وإعلان السمع والطاعة ابتداء بلا عناد أو نكران"⁽⁴⁾.

قال الرازي: "إن الجنود وإن بذلوا مجهودهم في أداء هذه التكاليف إلا أنهم كانوا خائفين من تقصير يصدر عنهم، فلما جوزوا ذلك قالوا غفرانك ربنا ومعناه أنهم يلتمسون من قبله الغفران فيما يخافون من تقصيرهم فيما يأتون ويدرون"⁽⁵⁾.

(1) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (ج14 / 133)، فتح الباري، ابن حجر (ج7 / 400).

(2) [صحيح البخاري، البخاري، الجهاد والسير/ من تأمر في الحرب....، 4 / 72: حديث رقم 3063].

(3) المغني، ابن قدامة (ج9 / 202).

(4) في ظلال القرآن، قطب (ج1 / 343).

(5) مفاتيح الغيب، الرازي (ج7 / 113).

المطلب الثاني: الالتزام بالتعليمات.

أولاً: التزام تعليمات القائد.

إن مهمة القائد في العصور الغابرة كانت أصعب من مهمته في العصر الحديث، لأن سيطرة القائد ومزاياه الشخصية، كانت العامل الحاسم في الحروب القديمة؛ بينما يسيطر القائد في الحرب الحديثة على قواته الكبيرة بمعاونة عدد ضخم من ضباط الركن الذين يعاونونه في مهمته ويراقبون تنفيذ أوامره في الوقت والمكان المطلوبين⁽¹⁾.

وقد تميز العديد من الجنود في التزامهم بالتعليمات التي أوكلت إليهم نذكر منهم:

1- **حذيفة بن اليمان** رضي الله عنه: رجل الأمن الأول كان شديد الالتزام بالتعليمات، ففي غزوة الأحزاب بعث رسولنا الكريم ﷺ حذيفة ابن اليمان ليأتيه بخبر القوم، وقال له: «**اذهب فَأْتِنِي بِخَبَرِ الْقَوْمِ، وَلَا تَدْعُرْهُمْ عَلَيَّ**»، يقول حذيفة: **فَرَأَيْتُ أَبَا سُفْيَانَ يَصْلِي ظَهْرَهُ بِالنَّارِ، فَوَضَعْتُ سَهْمًا فِي كَبِدِ الْقَوْسِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَرْمِيَهُ، فَذَكَرْتُ قَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «وَلَا تَدْعُرْهُمْ عَلَيَّ»، وَلَوْ رَمَيْتُهُ لَأَصَبْتُهُ**⁽²⁾⁽³⁾.

فدل التزام حذيفة رضي الله عنه بالتعليمات على الانضباط العسكري الذي كان يتحلى به في تنفيذ الأوامر ونجاحه في الدور الذي أمر به وقيامه بالمهمة خير قيام، ورجع وقدم المعلومات اليقينية الصادقة للرسول ﷺ⁽⁴⁾.

2- **عبد الله بن جحش** رضي الله عنه: بعث رسول الله ﷺ عبد الله بن جحش بن رئاب الأسدي رضي الله عنه ومعه ثمانية رهط من المهاجرين، وكتب له كتاباً وأمره أن لا ينظر فيه حتى يسير يومين ثم ينظر فيه، فيمضي لما أمره به، ولا يستكره من أصحابه أحداً، فلما سار عبد الله بن جحش يومين فتح الكتاب، فنظر فيه فإذا فيه: إذا نظرت في كتابي هذا فامض حتى تنزل نخلة، بين مكة والطائف، فترصد بها قريشاً وتعلم لنا من أخبارهم، فلما نظر في الكتاب، قال: سمعاً وطاعة، ثم قال لأصحابه: قد أمرني رسول الله ﷺ أن أمضي إلى نخلة، أرصد بها قريشاً، حتى آتية منهم بخبر، وقد نهاني أن أستكره أحداً منكم، فمن كان منكم يريد الشهادة

(1) ينظر: الرسول القائد، خطاب (ص 10).

(2) سبق تخريجه ص 94.

(3) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (ج 14 / 137).

(4) ينظر: تبصير المؤمنين بفقہ النصر والتمكين، الصلابي (ص 375).

ويرغب فيها فلينطلق، ومن كره ذلك فليرجع، فأما أنا فماض لأمر رسول الله ﷺ، فمضى ومضى معه أصحابه، لم يتخلف عنه منهم أحد⁽¹⁾.

3- مجزأة بن ثور ﷺ⁽²⁾: استدعاه أبو موسى الأشعري ﷺ لمرافقة دليل فارسي لمعرفة منفذ لفتح تستر⁽³⁾، ثم أوصاه أن يحفظ الطريق، وأن يعرف وضع الباب، وأن يحدد مكان الهرمزان، وأن يتثبت من شخصه، وألا يحدث أمراً غير ذلك، فمضى مجزأة بن ثور فمضى لذلك، فلما رأى الهرمزان هم بأن يرديه بسهم في نحره، لكنه ما لبث أن تذكر وصية أبي موسى له بألا يحدث أمراً، فكبح جماح هذه الرغبة في نفسه، وعاد من حيث جاء قبل بزوغ الفجر، ثم أعد أبو موسى ثلاثمائة من أشجع جند المسلمين قلباً، فعادوا من الطريق ذاتها وفتحو الحصن وهم يكبرون، واستشهد مجزأة وأسر الهرمزان⁽⁴⁾.

ثانياً: التزام الانضباط.

ونعني به:

1- لغة: الانتظام والخضوع للأوامر العسكرية⁽⁵⁾.

2- اصطلاحاً: "الحالة العقلية ومقدار التدريب التي تجعل الطاعة والسلوك السليم أموراً غريزية في جميع الظروف"⁽⁶⁾.

الطاعة تحقق الانضباط، وتوفر النظام، وتقمع الفوضى والتشتت، وظرف الحرب يقتضي الانضباط واحترام النظام وحبه في أعلى مستوى وأكمله، والانضباط أساس الجندية، فلا جندية بدون انضباط⁽⁷⁾، لذا سنعرض بعض النماذج من انضباط جنود الاسلام فيما يلي:

(1) ينظر: جامع البيان، الطبري (ج4/ 303) وفتح الباري، وابن حجر (ج1/ 155).

(2) مجزأة بن ثور بن عفير بن زهير بن كعب بن عمرو بن سدوس السدوسي قُتل في عهد عمر بن الخطاب. وله أثر عظيم في قتال الفرس، قُتل يوم فتح تستر مائة من الفرس، فقتله الهرمزان وقتل معه البراء بن مالك، فلما أسر الهرمزان وحمل إلى عمر أراد قتله، فقيل: قد أمنت، قال: لا أؤمن قاتل مجزأة بن ثور والبراء بن مالك، فأسلم الهرمزان، فتركه عمر، "ينظر: أسد الغابة، ابن الأثير (ج5/ 60)".

(3) نُسُتِر: بالضم ثم السكون، وفتح التاء الأخرى، وراء: أعظم مدينة بخوزستان اليوم، وهو تعريب شوشتر وقال الرَّجَاجِي: سَمَّيت بذلك لأن رجلاً من بني عجل يقال له تستر بن نون افتتحها فسميت به وليس بشيء، والصحيح ما ذكره حمزة الأصبهاني قال: الشوشتر مدينة بخوزستان، تعريب شوش بإعجام الشينين، قال: ومعناه النزاهة والحسن والطيب واللطيف، "ينظر: معجم البلدان، الحموي (ج2/ 29)".

(4) صور من حياة الصحابة، الباشا (163-165) باختصار.

(5) ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، عمر (ج2/ 1345).

(6) النظرية الإسلامية في تقاليد وآداب الحرب، محفوظ (ص 20).

(7) التفسير المنير، الزحيلي (ج10/ 25) بتصرف.

1. **المسلمين في بدر** ﷺ: لما صف النبي ﷺ المسلمين في بدر رأى واحداً قد تقدم فقال: فَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ: "مَعِيَ مَعِيَ"⁽¹⁾، ثم لما عدل الصفوف قال لهم: "إن دنا القوم منكم فأنضحوهم" أي ادفعوهم «عنكم بالنبل، واستبقوا نبلكم» أي لا ترموهم على بعد، فإن الرمي مع البعد غالباً يخطئ فيضيع النبل بلا فائدة، أي وقال لهم: لا تسلوا السيوف حتى يغشوكم"⁽²⁾.

2. **عبد الله بن الجبير** ﷺ في أحد: روى البخاري عن البراء بن عازب قال: لَقِينَا الْمُشْرِكِينَ يَوْمَئِذٍ، وَأَجْلَسَ النَّبِيُّ ﷺ جَيْشًا مِنَ الرُّمَةِ، وَأَمَرَ عَلَيْهِمْ عَبْدَ اللَّهِ، وَقَالَ: «لَا تَبْرَحُوا، إِنْ رَأَيْتُمُونَا ظَهَرْنَا عَلَيْهِمْ فَلَا تَبْرَحُوا، وَإِنْ رَأَيْتُمُوهُمْ ظَهَرُوا عَلَيْنَا فَلَا تُعِينُونَا» فَلَمَّا لَقِينَا هَرَبُوا حَتَّى رَأَيْتُ النِّسَاءَ يَشْتَدِدْنَ فِي الْجَبَلِ، رَفَعَنْ عَنْ سَوْقِهِنَّ، قَدْ بَدَتْ خَلْجُهُنَّ، فَأَخَذُوا يَقُولُونَ: الْغَنِيمَةُ الْغَنِيمَةُ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: عَهْدَ إِلَيَّ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ لَا تَبْرَحُوا، فَأَبَوْا، فَلَمَّا أَبَوْا صُرِفَ وُجُوهُهُمْ، فَأَصِيبَ سَبْعُونَ قَتِيلًا"⁽³⁾.

فكان عبد الله بن جبير ﷺ مثلاً على الانضباط والالتزام بالتعليمات، حتى قضى نحبه شهيداً ملتزماً بتعليمات قيادته الحكيمة التي بها يكون النصر والظفر.

3. **خالد بن الوليد** ﷺ مثلاً للانضباط: لما تولى عمر ﷺ الخلافة، كان خالد ﷺ في أوج انتصاراته حتى أنه لم يهزم في أي معركة خاضها، فخشي عمر ﷺ الفتنة على المسلمين فأرسل يعزل خالد ﷺ ويعين على الجيش أبو عبيدة بن الجراح ﷺ وكتب لخالد قائلاً: يا خالد والله إنك عليّ لكريم، وإنك إليّ لحبيب، وكتب إلى الأمصار: إني لم أعزل خالداً عن سخطه ولا خيانه، ولكن الناس فخموه وفتتوا به، فخفت أن يوكلوا إليه، فأحببت أن يعلموا أن الله هو الصانع"⁽⁴⁾، فما كان من خالد إلا أن التزم تعليمات القيادة بل وسلم مقاليد الإمارة لأبي عبيدة قائلاً لجنده: بُعِثَ عَلَيْكُمْ أَمِينٌ هَذِهِ الْأُمَّةِ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "أَمِينٌ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ"⁽⁵⁾.

(1) [مسند أحمد، أحمد، 544/38: حديث رقم 23567]، قال شعيب الأرنؤوط: اسناده حسن.

(2) [إنسان العيون، الحلبي (ج2/221)]

(3) [صحيح البخاري، البخاري، المغازي/ غزوة أحد، 94/5: حديث رقم 4043].

(4) [الكامل في التاريخ، ابن الأثير (ج2/360)].

(5) [مسند أحمد، أحمد، 27/28: حديث رقم 16823]، قال شعيب الأرنؤوط: صحيح الاسناد.

قال الزحيلي: " تقوى الله، وإصلاح ذات البين، وإطاعة أوامر الله والرسول، يتوقف عليها صلاح الجماعة الإسلامية لأنها توفر معنى الانضباط والالتزام في السر والعلن لأحكام الشرع، وتوحد الكلمة والصف، وتكفل طاعة القيادة المخلصة الحكيمة"⁽¹⁾.

ثالثاً: التزام التعليمات بأخذ الحيطة والحذر.

"نبه الله تعالى الجنود إلى أخذ الحيطة والحذر فقال ﷺ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ أَوْ انفِرُوا جَمِيعًا﴾ [النساء: 71] فكتاب الله يرسم للمسلمين جانباً من الخطة التنفيذية للمعركة ولوجودهم بين العداوات الكثيرة في الخارج، والمنافقين وحلفائهم اليهود في الداخل"⁽²⁾، وقوله تعالى خذوا حذركم معناه خذوا سلاحكم فسمى السلاح حذراً لأنه يتقى به الحذر ويحتمل احذروا عدوكم بأخذ سلاحكم كقوله تعالى: ﴿وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ﴾ [النساء: 102]⁽³⁾.

وقد جاء في مسند الامام أحمد أنه لما كان يوم الأحزاب استأذن أحد الصحابة رسول الله ﷺ إلى أهله، وكان حديث عهد بعرس، فأذن له وأمره أن يأخذ السلاح معه⁽⁴⁾، فدل هذا على حرص القائد على جنوده، وضرورة أخذ الحذر والالتزام بتعليمات القيادة للحفاظ على أرواح الجنود وممتلكاتهم.

رابعاً: التزام التعليمات بالوحدة وعدم التفرق.

أمر الله تعالى جنوده بالوحدة ونبذ التفرقة فقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَانَتْهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ﴾ [الصف: 4]، فليس هو مجرد القتال، ولكنه هو القتال في سبيله في تضامن مع الجماعة المسلمة داخل الصف، وإن القرآن كان يبني أمة لتقوم على أمانة دينه في الأرض، ومنهجه في الحياة، ونظامه في الناس، ولا يتصور الإسلام قائماً إلا في محيط جماعة منظمة ذات ارتباط، وذات نظام، وذات هدف جماعي منوط في الوقت ذاته بكل فرد فيها، هو إقامة هذا المنهج الإلهي في الضمير وفي العمل مع إقامته في الأرض. وهو لا يقوم في الأرض إلا في مجتمع يعيش ويتحرك ويعمل وينتج في حدود ذلك المنهج الإلهي⁽⁵⁾.

(1) التفسير المنير، الزحيلي (ج9/ 245).

(2) في ظلال القرآن، قطب (ج2/ 705).

(3) ينظر: أحكام القرآن، الجصاص (ج3/ 181).

(4) [مسند أحمد، أحمد، 17/ 462: حديث رقم 11369]، قال شعيب الأرنؤوط: صحيح.

(5) ينظر: في ظلال القرآن، قطب (ج6/ 3552).

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: "عليكم بالجماعة فإنها حبل الله الذي أمر به، وإن ما تكرهون في الجماعة والطاعة خير مما تحبون في الفرقة"⁽¹⁾.

قال أحمد شاکر في قوله تعالى ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: 103] أي: أمرهم بالجماعة، ونهاهم عن التفرق، وقد وردت الأحاديث المتعددة بالنهي عن التفرق والأمر بالاجتماع والائتلاف، وقد وقع ذلك في هذه الأمة فافترقوا على ثلاث وسبعين فرقة منها فرقة ناجية إلى الجنة ومسلمة من عذاب النار، وهم الذين على ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه⁽²⁾.

"وتوحيد الصف والكلمة أمر أساسي عند لقاء العدو، لأن طاعة القائد الحربي أساس لتماسك الجيش، وضمان لتقدمه وتوجيهه الوجهة التي يخطط لها القائد تخطيطاً سليماً، وإن التنازع والاختلاف مدعاة للفشل والجبن والخيبة وتغلب العدو، فإياكم والتنازع لأنه مهدر للطاقات، ومقوض لبنية الجماعات، وسبيل لإذهاب الحماسة، وتبديد القوة، والعصف بوجود الدولة، وإزالة روح الإقبال والإقدام، فلقد هلكت الأمم باختلافها وكثرة آرائها واعتراضاتها"⁽³⁾.

سادساً: التزام أدب الاستئذان.

يتميز الجندي عن غيره بالتزامه أدب الاستئذان، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأُذِنَ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النور: 62] أراد الله ﷻ أن يريهم عظم الجناية في ذهاب الداهب عن مجلس القيادة بغير إذن، وجعل الاستئذان كالمصداق لصحة الإيمان، وذلك نحو مقاتلة عدو، أو تشاور في خطب مهم، لأنه خطب جليل لا بد فيه من ذوى رأى وقوة، يظهرونه عليه ويعاونونه ويستضيء بآرائهم ومعارفهم وتجاربهم في كفايته، فمفارقة أحدهم في مثل تلك الحال مما يشق على قلبه ويشعث عليه رأيه، فمن ثمة غلظ عليهم وضيق عليهم الأمر في الاستئذان، وذكر الاستغفار للمستأذنين دليل على أن الأحسن أن لا يستأذنوا فيه⁽⁴⁾، وقد التزم جابر بن عبد الله

(1) معالم التنزيل، البغوي (ج1/ 480).

(2) ينظر: عمدة التفسير، شاکر (ج3/ 16).

(3) التفسير المنير، الزحيلي (ج10/ 25).

(4) ينظر: الكشف، الزمخشري (ج3/ 259).

ﷺ هذا الأدب في عودته من الغزو مع النبي ﷺ، وكان حديث عهد بعرس فأذن له⁽¹⁾، كما استأذن الخرج رسولنا الكريم ﷺ في قتل سلام بن أبي الحقيق، وهو أبو رافع وكان فيمن حزب الأحزاب على رسول الله ﷺ، فأذن لهم⁽²⁾.

المطلب الثالث: الجهوزية التامة وتطوير الذات.

أولاً: الجهوزية التامة والاستعداد المسبق.

إن الاستعداد والتأهب لملاقاة العدو والأخذ بالأسباب المادية أمر لازم، وسبب من أسباب النصر، وهو لا ينافي التوكل، إذ إن المسلم يؤمن إيماناً جازماً بأن النصر من عند الله ﷻ، وهو في نفس الوقت يؤمن بأنه مأمور بالأخذ بالأسباب، وأخذ الحيطة، والتدابير اللازمة ضد عدوه، وقد أمر الله ﷻ بذلك في قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفِّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾⁽³⁾، "وَلَقَدْ فَرَعَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ ذَاتَ لَيْلَةٍ، فَأَنْطَلَقَ نَاسٌ قَبْلَ الصَّوْتِ، فَتَلَقَّاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَاجِعًا، وَقَدْ سَبَقَهُمْ إِلَى الصَّوْتِ، وَهُوَ عَلَى فَرَسٍ لِأَبِي طَلْحَةَ، فِي عُنُقِهِ السَّيْفُ"⁽⁴⁾، فكان ذلك دالاً على مدى جهوزية النبي ﷺ وقدرته على التعامل مع الأحداث.

وقد اهتم الإسلام بتربية جنوده روحياً وعقلياً وجسدياً، ووجههم في ذلك إلى أفضل السبل، من أجل ايجاد الجندي المثالي في المجتمع الإسلامي، فاهتم باختيار الزوجة المناسبة وبين معايير الاختيار، ثم اهتم بالجنين وفترة الحمل، ليخرج طفلاً سليماً فأوصى بالرضاعة السليمة وفق المدة الكافية، ثم اهتم بسلامته طفلاً حيث أتاح له اللعب البريء وحث الوالدين على الاهتمام به وعدم ارهاقه أو تكليفه فوق طاقته فقال عمر: "علموا أولادكم الرمي والفروسية"⁽⁵⁾، ثم اهتم به شاباً بالتدريب الجيد، متتبعاً بذلك كل مراحل حياته، ليصير جندياً سليماً قوياً معافاً قادراً على حماية دينه ووطنه⁽⁶⁾.

(1) [صحيح البخاري، البخاري، الجهاد والسير/استئذان الرجل الامام، ج4 / 51: حديث رقم 2967].

(2) ينظر: السيرة النبوية، ابن هشام (ج2 / 273).

(3) ينظر: مرويات غزوة حنين، قريبي (ج1 / 90).

(4) [صحيح مسلم، مسلم، الفضائل/شجاعة النبي ﷺ وتقدمه في الحرب، ج4 / 1802: حديث رقم 2307].

(5) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير (ج3 / 428).

(6) اعداد الجندي المسلم، العقلا (ص 467-472) باختصار.

والصداية كانت على استعداد وجهوزية للطوارئ، فقد ظلت المدينة في حالة استنفار عام، لا يفارق رجالها السلاح، حتى وهم في الصلاة، استعداداً لأي طارئ، فكانوا يبيتون وعليهم السلاح، وقامت على مداخل المدينة وأبقابها مفرزات تحرسها، خوفاً من أن يؤخذوا على غرة، وقامت دوريات من المسلمين لاكتشاف تحركات العدو تتجول حول الطرق التي يحتمل أن يسلكها المشركون للإغارة على المسلمين، فتحققت بذلك الجهوزية التامة عندهم⁽¹⁾.

قال صاحب المنار: "أمر الله تعالى عباده المؤمنين بأن يجعلوا الاستعداد للحرب، التي علموا أن لا مندوحة عنها لدفع العدوان والشر، ولحفظ الأنفس ورعايته الحق والعدل والفضيلة، بأمرين:

أحدهما: إعداد جميع أسباب القوة لها بقدر الاستطاعة.

ثانيهما: مرابطة فرسانهم في ثغور بلادهم وحدودها، وهي مداخل الأعداء ومواضع مهاجمتهم للبلاد، والمراد أن يكون للأمة جند دائم مستعد للدفاع عنها إذا فاجأها العدو على غرة، قاومه الفرسان، لسرعة حركتهم، وقدرتهم على الجمع بين القتال، وإيصال أخباره من ثغور البلاد إلى عاصمتها وسائر أرجائها"⁽²⁾.

"فالتأهب للجهاد بالجهوزية العالية، وإعداد النفس والسلاح والخيول، وسيلة إلى الجهاد الذي هو وسيلة إلى إعزاز الدين، فالمقصود ما شرع الجهاد لأجله، وأسباب الجهاد كلها وسائل إلى الجهاد، فالاستعداد له من باب وسائل الوسائل"⁽³⁾.

ثانياً: تطوير الذات وتدريبها.

ويتم تطوير الجندي وتدريبه من خلال تجهيز البدن وتدريبه، وتطوير الفكر بالعلم العسكري، وإعداد الجندي إعداداً معنوياً ونفسياً، على النحو التالي:

1- تجهيز البدن وتدريبه.

الأمة الإسلامية أمة مجاهدة، والجهاد يحتاج إلى الجند، والجندي يحتاج إلى ذوي الأبدان السليمة الخالية من الأمراض، والقادرة على تحمل مشاق القتال، فالمريض والضعيف لا يستطيعان حمل السلاح والتدريب عليه لانشغال كلا منهما بنفسه، وقد عذرهم الله ﷻ، فقال:

(1) ينظر: الرحيق المختوم، المباركفوري (ص 226).

(2) تفسير المنار، رضا (ج10/53).

(3) قواعد الأحكام في مصالح الأنام، ابن عبد السلام (ج1/125).

﴿لَيْسَ عَلَى الضَّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَحْدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: 91]⁽¹⁾، قال ابن قدامة: "فأما إن حدث للإنسان في نفسه عذر من مرض أو عمى أو عرج، فله الانصراف، سواء التقى الزحفان، أو لم يلتقيا؛ لأنه لا يمكنه القتال، ولا فائدة في مقامه"⁽²⁾.

لذا فقد اختار الله ﷻ لقيادة الجيش في مواجهة جالوت وجنوده من كانت لديه القدرة الجسدية فقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾ [البقرة: 247] وذلك لأنه أشد قوة وصبراً في الحرب ومعرفة بها أي: أتم علماً وقامةً منكم، ومن هاهنا ينبغي أن يكون الملك ذا علم وشكل حسن وقوة شديدة في بدنه ونفسه"⁽³⁾.

وقد تميز سلمة بن الأكوع رضي الله عنه بلياقته البدنية العالية حتى أنه كان يسابق الخيل، وقد لحق مرة بعبد الرحمن الفزاري وجماعة معه كانوا قد سرقوا غنيمة رسول الله ﷺ وقتلوا غلامه، حتى بلغهم فرماهم بالنبل فلما فرغت رماهم بالحجارة، فاسترد منهم ثلثي الغنيمة، حتى تمكن أبو قدامة من اللحاق بهم، فقتل عبد الرحمن الفزاري واستعادوا الغنيمة ورجعوا، فقال ﷺ: «كَانَ خَيْرَ فُرْسَانِنَا الْيَوْمَ أَبُو قَتَادَةَ، وَخَيْرَ رَجَالِنَا سَلَمَةُ»⁽⁴⁾»⁽⁵⁾.

2- تطوير الفكر.

والجندي بحاجة إلى التعلم على السلاح المتوفر، لأن السلاح يفقد قيمته عند عدم استعماله أو استعماله عشوائياً، فربما أصاب الجندي نفسه أو زملائه، أو عطل السلاح بتخريبه، والاستعمال الكافي الشافي للسلاح لا يكون إلا بعد تدريب جاد وشاق ومستمر، والجندي الناجح هو الواثق من سلاحه، ولا يثق فيه إلا بعد ممارسة وتدريب ومعرفة لأصول الاستخدام⁽⁶⁾.

وقد أمر النبي ﷺ بتطوير الفكر وتعلم الاستخدام الأمثل للسلاح فقد ترجم الإمام مسلم في صحيحه قال: باب فضل الرمي والحث عليه وذم من علمه ثم نسيه، مورداً قول النبي ﷺ: «سَتَفْتَحُ عَلَيْكُمْ أَرْضُونَ، وَيَكْفِيكُمْ اللَّهُ، فَلَا يَعْزُزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يُلْهُو بِأَسْنَهُمْ»⁽⁷⁾، قال القرطبي:

(1) ينظر: اعداد الجندي المسلم، العقلا (ص 479).

(2) المغني، ابن قدامة (ج9/ 209).

(3) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (ج1/ 666).

(4) [صحيح مسلم، مسلم، الجهاد والسير/ غزوة ذي قرد وغيرها، 3/ 1439: حديث رقم 1807].

(5) التفسير المظهر، المظهري (ج4/ 83).

(6) اعداد الجندي المسلم، العقلا (ص 528) باختصار.

(7) [صحيح مسلم، مسلم، الجهاد والسير/ فضل الرمي والحث عليه، 3/ 1522: حديث رقم 1918].

"ومعنى هذا والله أعلم أن كل ما يتلهى به الرجل مما لا يفيد في العاجل ولا في الآجل فائدة فهو باطل، والإعراض عنه أولى، وهذه الأمور وإن كان يفعلها على أنه يتلهى بها وينشط، فإنها حق لاتصالها بما قد يفيد، فإن الرمي بالقوس وتأديب الفرس جميعاً من معاون القتال"⁽¹⁾.

قال النووي: "في هذا الباب (الذي ذكره مسلم) دلالة على فضيلة الرمي والمناضلة والاعتناء بذلك بنية الجهاد في سبيل الله تعالى وكذلك المشاجعة وسائر أنواع استعمال السلاح وكذا المسابقة بالخيول وغيرها كما سبق في بابه والمراد بهذا كله التمرن على القتال والتدريب والتحقيق فيه ورياضة الأعضاء بذلك"⁽²⁾.

والغاية من التدريب على السلاح هي:

أ- الاستخدام الأمثل للأسلحة والمعدات المستخدمة في القتال.

ب- التدريب على أساليب وطرق الاشتباك بالعدو.

ج- خلق إبداع الطرق والوسائل الكفيلة بإحباط تخطيط العدو على مستوى الفكر والتسلح.

د- التأكد من صلاحية وواقعية الخطط الموضوعة لأغراض القتال، مما يجعل الجندي أكثر ثقة بنفسه وبما لديه من عتاد في الحرب"⁽³⁾.

فيجب العناية بالأسباب والحذر من مكائد الأعداء، ويدخل في ذلك جميع أنواع الإعداد المتعلقة بالأسلحة والأبدان، كما يدخل في ذلك إعداد جميع الوسائل المعنوية والحسية وتدريب المجاهدين على أنواع الأسلحة وكيفية استعمالها، وتوجيههم إلى كل ما يعينهم على جهاد عدوهم والسلامة من مكائده في الكر والفر والأرض والجو والبحر وفي سائر الأحوال؛ لأن الله ﷻ أطلق الأمر بالإعداد وأخذ الحذر ولم يذكر نوعاً دون نوع ولا حالاً دون حال، وما ذلك إلا لأن الأوقات تختلف والأسلحة تتنوع، والعدو يقل ويكثر ويضعف ويقوى، والجهاد قد يكون ابتداء وقد يكون دفاعاً، فلهذه الأمور وغيرها أطلق الله ﷻ الأمر بالإعداد وأخذ الحذر ليجتهد قادة المسلمين وأعيانهم ومفكروهم في إعداد ما يستطيعون من القوة لقتال أعدائهم وما يرونه من المكيدة في ذلك"⁽⁴⁾.

(1) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (ج8/ 35).

(2) المنهاج، النووي (ج13/ 64).

(3) ينظر: الجيش العربي الاسلامي، عارف (ص 84).

(4) ينظر: مجموع الفتاوى، ابن باز (ج2/ 441).

قال ابن تيمية: "ومع أنه يجوز تولية غير الأهل للضرورة إذا كان أصلح الموجود، فيجب مع ذلك السعي في إصلاح الأحوال حتى يكمل في الناس ما لا بد لهم من أمور الولايات والإمارات ونحوها، كما يجب على المعسر السعي في وفاء دينه، وإن كان في الحال لا يطلب منه إلا ما يقدر عليه؛ وكما يجب الاستعداد للجهاد بإعداد القوة ورباط الخيل في وقت سقوطه للعجز، فإن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب"⁽¹⁾.

فدل ذلك كله على أنه على المسلمين تعلم كل ما يؤدي إلى التقوية والتفوق العسكري بحسب متطلبات كل زمان ومكان من تسابق في آلات الحرب وإنتاجها، وتهيئة عدد القتال، وتمرن على استعمالها، وحمل الأسلحة بمختلف أنواعها، وإنشاء الصناعات الحربية، ومداومة على التدريب، ونحو ذلك من كل ما فيه إعداد يرهب الأعداء، ويوفر القوة الكافية للمسلمين.

3- إعداد الجندي إعداداً معنوياً ونفسياً

إن القرآن حث على الاهتمام بالجنود اهتماماً بالغاً من حيث تحفيز الجنود ورفع معنوياتهم تثبيتاً لهم وحفاظاً على تماسكهم، ويبرز هذا المفهوم فيما يلي:

أ- **التحريض على القتال:** إن الله ﷻ أمر رسوله بتحريض المؤمنين على القتال فقال تعالى: ﴿فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النساء: 84]، قال سيد قطب: وفي هذا الأسلوب ما فيه من استجاشة القلوب، واستثارة الهمم بقدر ما فيه من استجاشة الأمل في النصر، والثقة ببأس الله وقوته، فقد كان القرآن يخوض المعركة بالجماعة المسلمة في ميادين كثيرة، وكان أولها ميدان النفس ضد الهواجس والوساوس وسوء التصور ورواسب الجاهلية، والضعف البشري- حتى ولو لم يكن صادراً عن نفاق أو انحراف- وكان يسوسها بمنهجه الرباني لتصل إلى مرتبة القوة⁽²⁾، وكان من تحريضه ﷺ لما دنا المشركون يوم بدر، فقال لأصحابه: «ثَبُّوا إِلَى جَنَّةِ عَرْضِهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ»، قَالَ: يَقُولُ عُمَيْرُ بْنُ الْحُمَامِ الْأَنْصَارِيُّ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، جَنَّةٌ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ؟ قَالَ: «نَعَمْ»، قَالَ: بَخٍ بَخٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا يَحْمِلُكَ عَلَى قَوْلِكَ بَخٍ بَخٍ؟» قَالَ: لَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِلَّا رَجَاءُ أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِهَا، قَالَ: «فَإِنَّكَ مِنْ أَهْلِهَا»، فَأَخْرَجَ ثَمَرَاتٍ مِنْ قَرْنِهِ، فَجَعَلَ يَأْكُلُ مِنْهُمْ، ثُمَّ قَالَ: لَئِنْ أَنَا حَيِّيتُ حَتَّى أَكُلَ ثَمَرَاتِي هَذِهِ إِنَّهَا لَحَيَاةٌ طَوِيلَةٌ، قَالَ: فَرَمَى بِمَا كَانَ مَعَهُ مِنَ الثَّمَرِ، ثُمَّ قَاتَلَهُمْ حَتَّى قُتِلَ⁽³⁾، فكان لرفع روح المعنوية دوراً هاماً في تثبيت الجنود في ميدان الجهاد والقتال.

(1) السياسة الشرعية، ابن تيمية (ص 19).

(2) في ظلال القرآن، قطب (ج2/ 704) باختصار.

(3) [صحيح مسلم، مسلم، الجهاد والسير، ثبوت الجنة للشهيد، 3/ 1510: حديث رقم 1901].

ب- **الحث على الصبر:** فإن الله تعالى قد أكثر من ذكر الصبر في كتابه الحكيم، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: 200]، قال ابن كثير: "وعظ أبو عبيدة رضي الله عنه المسلمين فقال: عباد الله، انصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم، يا معشر المسلمين، اصبروا؛ فإن الصبر منجاة من الكفر، ومرضاة للرب، ومُدْحَضَةٌ للعار"⁽¹⁾.

قال سيد قطب: "والصبر هو زاد الطريق في هذه الدعوة، إنه طريق طويل شاق، حافل بالعقبات والأشواق، مفروش بالدماء والأشلاء، وبالإيذاء والابتلاء، الصبر على أشياء كثيرة: الصبر على شهوات النفس، والصبر على شهوات الناس، والصبر على تعاضم الباطل، ووقاحة الطغيان، وانتفاش الشر، والصبر على قلة الناصر، وضعف المعين، والصبر على مرارة الجهاد لهذا كله، والصبر بعد ذلك كله على ضبط النفس في ساعة القدرة والانتصار والغلبة، والمصابرة وهي مفاعلة من الصبر، مصابرة هذه المشاعر كلها، ومصابرة الأعداء الذين يحاولون جاهدين أن يفلوا من صبر المؤمنين، مصابرتها ومصابرتهم، فلا ينفد صبر المؤمنين على طول المجاهدة"⁽²⁾.

ج- **الوعد بالنصر الإلهي:** إن الله تعالى قد أعلم جنوده أنهم منصورون لا محالة، فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ﴾ وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ [الصافات: 171 - 173]، فهي بشارة للمؤمنين فهم المؤمنين جند الله وأنصاره لأنهم نصرُوا دينه وتلقوا كلامه، وهم الغالبون في علوهم على عدوهم في مقام الحجاج وملاحم القتال في الدنيا، وعلوهم عليهم في الآخرة كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [البقرة: 212]⁽³⁾، وقد أوضحنا مفهوم النصر في مطلب سابق.

(1) البداية والنهاية، ابن كثير (ج9/ 554).

(2) في ظلال القرآن، قطب (ج1/ 551).

(3) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (ج23/ 195).

المطلب الرابع: الثقة بالقائد.

أولاً: تعريف القائد.

1- لغة.

"القائدُ من الجبل: أنفه"⁽¹⁾، "والأقود من الناس: الذي إذا أقبل على الشيء بوجهه لم يكذب ينصرف"⁽²⁾، "وقاد الجيش: رأسه ودبر أمره، كما تطلق على كل من يتولى منصباً عاماً أو يكلف بعمل"⁽³⁾.

2- اصطلاحاً.

القائد: "هو من كان على رأس الجند، وكان للجند رأساً، فيسير بمجموع الجند، خاضعين لنظام معين، نحو غرض معين"⁽⁴⁾.

والقيادة: "هي الفن الذي تستطيع بواسطته التأثير على الآخرين؛ لتوجيههم إلى هدف معين، بطريقة تحصل بها على ثقتهم واحترامهم، وطاعتهم وتعاونهم المخلص"⁽⁵⁾.

ثانياً: أهمية القائد.

القائد له الكلمة الفصل، فهو من يوجه الجند نحو الإصلاح، وترك سبيل المفسدين، وقد تمثل هذا الأمر في نبي الله موسى عليه السلام لما أوصى أخيه هارون عليه السلام فقال له: ﴿اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف: 142] فكان بذلك صمام الأمان للجند⁽⁶⁾، لذا كان من أهم أسباب التمكين أن يتولى أمور الدعوة وقيادة المسلمين قيادة ربانية قد جرى الإيمان في قلبها وعروقها وانعكست ثماره على جوارحها وتفجرت صفات التقوى في أعمالها وسكناتها وأحوالها، فالقيادة الربانية تستطيع أن تنتقل الحركة -بفضل الله وتوفيقه- نحو أهدافها المرسومة بخطوات ثابتة⁽⁷⁾.

(1) العين، الفراهيدي (ج5/ 196).

(2) مقاييس اللغة، ابن فارس (ج5/ 39).

(3) تكملة المعاجم العربية، دُوزي (ج8/ 405).

(4) بين العقيدة والقيادة، خطاب (ص 43).

(5) فن القيادة في الإسلام، بصوص (ص 28).

(6) ينظر: تفسير المنار، رضا (ج9/ 106).

(7) ينظر: تبصير المؤمنين بفقہ النصر والتمكين، الصلابي (ص 276).

وغياب القيادة العصرية المثقفة القادرة على خدمة الإسلام بما يقتضيه العصر من علم وتنظيم، قد قيدت حركة الاسلام كقوة منتصرة، ومنع من يكون الإسلام منافساً خطيراً على السلطة في العالم الإسلامي، لكن هذه الحركات يمكن لها أن تتحول إلى قوى سياسية محلية هائلة إذا تهيأ لها هذا النوع من القيادة⁽¹⁾، "وإذا كان هؤلاء الزعماء والقواد ممن يؤمنون بالله ويرجون حسابه، فلا بد لنظام الحياة بأسره أن يسير على طريق من الخير والرشد والصلاح، وأما إذا كانت هذه السلطة والقيادة والإمامة بأيدي رجال انحرفوا عن الله ورسوله، فلا محالة أن يسير نظام الحياة بقضه وقضيضه على البغي والعدوان والفحشاء فصلاح القادة هو صلاح الجنود وفسادهم هو فساد للجنود"⁽²⁾، وبهذا يبرز أهمية القائد في حياة الجند، وعليه تبنى الثقة بين الجند والقادة.

ثالثاً: الثقة بالقائد وتفويض الأمر إليه.

يجب على الجند تفويض أمر تدبير الجيش والمعركة إلى القائد وتدبيره، قال تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ [النساء: 83]، فتفويض الأمر إلى القائد الذي هو ولي أمر الجيش، والثقة به من الأمور المؤدية إلى الأخذ بالرأي السديد، والقول بالصائب؛ لما يتميز به من صفات أهله لقيادة الجيش، فإن ظهر للجند أمر خفي عليه أشاروا به عليه، كما أن في تفويض الأمر للقائد سبباً لاجتتاب الاختلاف في الرأي الذي قد يحدث تفرقاً لجمعهم، وتمزيقاً لوحدتهم⁽³⁾.

وقد برز هذا الدور واضحاً في تفويض أمر القتال في مملكة سبأ إلى الملكة التي تميزت بالحكمة والذكاء في اشراك الجنود سياسة السلم والحرب، قال تعالى: ﴿قَالُوا نَحْنُ أَوْلُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾ [النمل: 33] وفيما أرادوا بذلك القول قولان: أحدهما: تفويض الأمر إلى رأيها.

الثاني: تعريض منهم بالقتال إن أمرتهم، ثم قالوا: والأمر إليك أي: في القتال وتركه⁽⁴⁾، "فردوا أمرهم إليها لما جربوا على رأيها من البركة"⁽⁵⁾.

(1) ينظر: التمكين للأمة الإسلامية، يوسف (ص 185).

(2) في ظلال القرآن، قطب (ج3/ 1320).

(3) ينظر: إعداد الجندي المسلم، العقلا (ص 652).

(4) ينظر: زاد المسير، ابن الجوزي (ج3/ 360).

(5) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (ج13/ 195).

"وتأمل القولة التاريخية لسعد بن معاذ رضي الله عنه، والتي قال فيها: امض يا رسول الله حيث أمرك الله، والذي نفسي بيده لو استعرضت بنا البحر فخضته لخضنا معك ما تخلف منا رجل واحد وما نكره أن يلقي منا عدونا غد، إنا لصبر في الحرب صدق في اللقاء لعل الله تعالى يرينا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله تعالى⁽¹⁾"⁽²⁾، فكان هذا تفويض الصحابة الأجلاء لرسول الله صلى الله عليه وسلم في اتخاذ القرار مع الدعم الكامل والمساندة لأي قرار سوف يتم اتخاذه.

قال صاحب الظلال: "والدين هو الاتباع والطاعة للقيادة الربانية التي لها وحدها حق الطاعة والاتباع، ومنها وحدها يكون التلقي، ولها وحدها يكون الاستسلام"⁽³⁾.

رابعاً: الثقة بالقائد مجلبة للطاعة

تفويض الأمر للقائد يعني أن الجندي على ثقة عالية بقائده، ولكن لا بد أن يترجم القول إلى فعل، ولا يكون ذلك إلا بالطاعة، ويتجلى ذلك في جيش خالد بن الوليد رضي الله عنه، وذلك لما أمره أبو بكر رضي الله عنه بالسير إلى الشام مدداً للمسلمين في اليرموك، ودعا خالد الأدلة فلم يجد إلا طريقاً وعراً شاقاً، فجمع الجند وقال: لا يختلفن هديكم، ولا يضعفن يقينكم، واعلموا أن المعونة تأتي على قدر النية، والأجر على قدر الحسبة، وإن المسلم لا ينبغي له أن يكثر بشيء يقع فيه مع معونة الله له، فقالوا له: أنت رجل قد جمع الله لك الخير، فشأنك فطابقوه ونوا واحتسبوا⁽⁴⁾، فكانت الثقة حاملاً لهم على الطاعة والسير تبعاً للقائد، مع ما تحمله من مشقة وأذى.

وقد سبق لنا أن ذكرنا في مطلب السمع والطاعة ما يغني عن التكرار، وما كان السمع والطاعة إلا عن ثقة حقيقية بالقيادة الراشدة.

خامساً: الثقة بصدق القائد تجعل الوعد يقيناً، وتجلب النصر.

ذكر القرطبي عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: "لما أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نحفر الخندق عرض لنا صخرة لا تأخذ فيها المعاول، فاشتكننا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فألقى ثوبه وأخذ المعول وقال: باسم الله فحفر فحفر الخندق ثم قال: الله أكبر أعطيت مفاتيح الشام والله إني لأبصر إلى قصورها الحمراء الآن من مكاني هذا، قال: ثم ضرب أخرى وقال: باسم الله، فحفر ثلثاً آخر ثم قال: الله أكبر أعطيت مفاتيح فارس والله إني لأبصر قصر

(1) ينظر / [صحيح مسلم، مسلم، الجهاد والسير/ غزوة بدر، 3/ 1404: حديث رقم 1779].

(2) الدر المنثور، السيوطي (ج4/ 26).

(3) في ظلال القرآن، قطب (ج1/ 562).

(4) ينظر: تاريخ الرسل والملوك، الطبري (ج3/ 408 - 409).

المدائن الأبيض، ثم ضرب الثالثة وقال: باسم الله فقطع الحجر، وقال: الله أكبر أعطيت مفاتيح اليمن والله إني لأبصر باب صنعاء، فاستبشر المسلمون وقالوا: الحمد لله، موعد صادق، إذ وعدنا بالنصر بعد الحصر، فطلعت الأحزاب فقال المؤمنون: هذا ما وعدنا الله ورسوله⁽¹⁾، فكان النصر والفتح من الله، حقيقة وعياناً، بعدما كان وعداً من القائد الأعظم ﷺ.

وقد تكرر هذا المشهد مرة أخرى يوم صلح الحديبية، قال ابن الجوزي: إن رسول الله ﷺ رأى في النوم كأن قائلاً يقول له: لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمين، فأصبح فحدث الناس برؤياه، وأمرهم بالخروج للعمرة وسار رسول الله ﷺ حتى دنا من الحديبية فخرج له من قريش من يفوضه، حتى كان صلح الحديبية، فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: فأتيت نبي الله ﷺ فقلت: ألسنت نبي الله حقاً، قال: «بلى»، قلت: ألسنا على الحق، وعدونا على الباطل، قال: «بلى»، قلت: فلم نعطي الدنية في ديننا إذا؟ قال: «إني رسول الله، ولست أعصيه، وهو ناصري»، قلت: أوليس كنت تحدثنا أنا سنأتي البيت فنطوف به؟ قال: «بلى، فأخبرتك أنا نأتيه العام»، قال: قلت: لا، قال: «فإنك آتية ومطوف به»، قال: فأتيت أبا بكر فقلت: يا أبا بكر أليس هذا نبي الله حقاً؟ قال: بلى، قلت: ألسنا على الحق وعدونا على الباطل؟ قال: بلى، قلت: فلم نعطي الدنية في ديننا إذا؟ قال: أيها الرجل إنه لرسول الله ﷺ، وليس يعصي ربه، وهو ناصره، فاستمسك بغرزه، فوالله إنه على الحق، قلت: أليس كان يحدثنا أنا سنأتي البيت ونطوف به؟ قال: بلى، فأخبرك أنك تأتية العام؟ قلت: لا، قال: فإنك آتية ومطوف به، فنزلت سورة الفتح فقرأها رسول الله ﷺ على عمر إلى آخرها، فقال عمر: يا رسول الله، أوفتح هو؟ قال: «نعم»⁽²⁾⁽³⁾، فكانت الثقة مقدمة الفتح، ليدخل الناس في دين الله أفواجاً.

سادساً: الثقة بالقائد لا تعطل المشورة.

الجندي مهما بلغت ثقته بقدرات القيادة، فإنه لا يمنع من أن يبدي برأيه إن ظن أنه الأصوب، وأن فيه الخير للجيش، وسبق أن تحدثنا عن مشاورة الحباب بن المنذر⁽⁴⁾ لرسول الله ﷺ يوم بدر، وكذلك أم سلمة في صلح الحديبية⁽⁵⁾، ومشورة سعد بن معاذ وسعد بن عباد⁽⁶⁾ في الأحزاب⁽⁶⁾، وكانت كل هذه الاستشارات لأعظم قائد عرفه التاريخ، فكان لازماً

(1) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (ج14 / 131).

(2) [صحيح البخاري، البخاري، الشروط/الشروط في الجهاد والمصالحة، 193/3: حديث رقم 2731].

(3) زاد المسير، ابن الجوزي (ج4 / 126).

(4) ينظر ص 208.

(5) ينظر ص 196.

(6) ينظر ص 150.

على قادة المسلمين أن يشاوروا جنودهم، لأن قيام القيادة المسلمة بمشاوره الرعية يحقق لها فائدتين:

الأولى: أن تشعر الرعية بمكانتها، وأهميتها، فتثق بنفسها وترتفع معنويتها، وتعمل على إنجاح قرارها ببذل أقصى طاقتها.

الثانية: إن أخذ القيادة بمبدأ الشورى، هو جزء أصيل في تدريب وتأهيل طاقم قيادي جديد، ممن ترى فيهم النجابة والحكمة؛ ليتحملوا مسئولياتهم، لأن القادة السابقة لن تعيش إلى الأبد⁽¹⁾.

المطلب الخامس: الثبات.

أولاً: تعريف الثبات.

3- لغة.

"الثاء والباء والتاء كلمة واحدة، وهي دوام الشيء"⁽²⁾، "وثبت الشيء يثبت ثبوتاً دام واستقر"⁽³⁾، "وثبت الجندي: استقر ولم يتزعزع، وتماسك، وتصبر، وثبت الجيش صمد وقاوم"⁽⁴⁾.

4- اصطلاحاً.

"تمكن الجندي وصموده في الموضع الذي شأنه أن يزل قدمه، وهو حسن التصرف في الأمر والإقامة عليه"⁽⁵⁾.

أو: "التسكين في المكان بحيث ينتفي الاضطراب والتزلزل"⁽⁶⁾.

ثانياً: الوسائل المعينة على الثبات.

1- تلاوة القرآن وتدبره.

إن أساس الثبات لدى الجندي المسلم هو القلب، ولا بد أن نعالج أصل الثبات، وخير علاج يمكن أن يعالج القلب هو القرآن، قال تعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ

(1) ينظر: القيادة العسكرية، بالي (ص 22-23).

(2) مقاييس اللغة، ابن فارس (ج1/399).

(3) المصباح المنير، الفيومي (ج1/80).

(4) معجم اللغة العربية المعاصرة، عمر (ج1/309).

(5) فيض القدير، المناوي (ج2/130).

(6) التحرير والتنوير، ابن عاشور (ج12/191).

الَّذِينَ آمَنُوا وَهَدَىٰ وَبُشِّرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿﴾ [النحل: 102]، قال صاحب الظلال: ليثبت الذين آمنوا الموصولة قلوبهم بالله، فهي تدرك أنه من عند الله، فتثبت على الحق وتطمئن إلى الصدق والقرآن هدى وبشرى للمسلمين، بما يهديهم إلى الطريق المستقيم، وبما يبشرهم بالنصر والتمكين⁽¹⁾، قال ابن عباس ؓ: "تضمن الله لمن قرأ القرآن، واتبع ما فيه أن لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة"⁽²⁾.

قال ابن القيم: "فليس شيء أنفع للجندي في معاشه ومعهده، وأقرب إلى نجاته من تدبر القرآن، وإطالة التأمل فيه، وجمع الفكر على معاني آياته، فإنها تطلع العبد على معالم الخير والشر بحذافيرهما، وتثبت قلبه عن الزيغ والميل عن الحق والتحويل، وتسهل عليه الأمور الصعاب والعقبات الشاقة غاية التسهيل"⁽³⁾.

قال ابن تيمية: "والمطلوب من القرآن هو فهم معانيه والعمل به فإن لم تكن هذه همة حافظه لم يكن من أهل العلم والدين"⁽⁴⁾.

2- ذكر الله والدعاء.

إن الجندي بحاجة إلى الزاد في الميدان وإن خير الزاد هو ذكر الله تعالى، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأنفال: 45]، قال أبو جعفر: "اذكروا الله على كل أحوالكم قياماً وقعوداً ومضطجعين على جنوبكم، بالتعظيم له، وادعوا الله بالنصر عليهم والظفر بهم، وأشعروا قلوبكم وألسنتكم ذكره كيما تتجحوا فتظفروا بعدوكم، ويرزقكم الله النصر والظفر عليهم"⁽⁵⁾.

وللعلماء في هذا الذكر ثلاثة أقوال:

الأول: اذكروا الله عند جزع قلوبكم، فإن ذكره يعين على الثبات في الشدائد.

الثاني: اثبتوا بقلوبكم، واذكروه بألسنتكم، فإن القلب لا يسكن عند اللقاء ويضطرب اللسان، فأمر بالذكر حتى يثبت القلب على اليقين، ويثبت اللسان على الذكر، وهذه الحالة لا تكون إلا عن قوة المعرفة، وانتقاد البصيرة، وهي الشجاعة المحمودة في الناس.

(1) في ظلال القرآن، قطب (ج4/ 2194).

(2) جامع البيان، الطبري (ج18/ 389).

(3) مدارج السالكين، ابن قيم الجوزية (ج1/ 450).

(4) مجموع الفتاوى، ابن تيمية (ج23/ 55).

(5) جامع البيان، الطبري (ج13/ 574).

الثالث: اذكروا ما عندكم من وعد الله لكم في ابتياعه أنفسكم ومثامنته لكم، والأظهر أنه ذكر اللسان الموافق للجنان⁽¹⁾.

3- المداومة على العمل الصالح.

إن طاعة الله ورسوله موجبة لتأييد المطيع بقوة من هو في طاعته، وذلك سر قول أبي الدرداء رضي الله عنه الذي رواه البخاري في باب «عمل صالح قبل القتال»: «إنما تقتاتلون الناس بأعمالكم»⁽²⁾، فذكرهم سبحانه بما أوجب لهم النصر أمراً لهم بالثبات عليه⁽³⁾، قال العيني: «إن الله عاتب من قال بما لا يفعل، وأثنى على من وفى وثبت عند القتال، والثبات عنده من أصلح الأعمال»⁽⁴⁾، وقال ابن حجر: «وأثنى ربنا ﷺ على من وفى وثبت عند القتال وبين ثبوت الفضل في تقديم الصدق والعزم الصحيح على الوفاء وذلك من أصلح الأعمال»⁽⁵⁾.

وإن الله تعالى يثبت جنده بالأعمال الصالحة فقد قال ﷺ: «يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ» [إبراهيم: 27]، قال قتادة: «أما الحياة الدنيا فيثبتهم بالخير والعمل الصالح»⁽⁶⁾، وقد قال رسول الله ﷺ: «مَنْ يُدِرِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا اسْتَعْمَلَهُ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا اسْتَعْمَلَهُ؟ قَالَ: «يُؤَفِّقُهُ لِعَمَلٍ صَالِحٍ قَبْلَ مَوْتِهِ»⁽⁷⁾، والعمل الصالح ليس مجرد طيبة في النفس وشعائر مفروضة تقام، إنما هو الإصلاح في الأرض بكل معاني الإصلاح، من بناء وعمارة ونشاط ونماء وإنتاج⁽⁸⁾.

4- تدبر قصص القرآن.

إن الله قد جعل القرآن نبراساً وعوناً لجنده في كل الميادين، وهو المثبت لهم على الجادة، وقد أورد الله ﷻ كثيراً من القصص لتثبيت جنوده والتأسي بها، قال تعالى: ﴿وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾

(1) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (ج8 / 23).

(2) [صحيح البخاري، البخاري، الجهاد والسير / عمل صالح قبل القتال، 4 / 20: معلق].

(3) ينظر: نظم الدرر، البقاعي (ج8 / 295).

(4) عمدة القاري، العيني (ج14 / 105).

(5) فتح الباري، ابن حجر (ج6 / 25).

(6) جامع البيان، الطبري (ج16 / 602).

(7) [مسند أحمد، أحمد، 21 / 98: حديث رقم 13408]، قال الألباني: صحيح / صحيح الجامع الصغير

وزيادته، الألباني (ج1 / 117).

(8) ينظر: في ظلال القرآن، قطب (ج4 / 1854).

[هود: 120] وذلك لأنَّ الإنسان إذا ابتلي بمحنة وبلية فإذا رأى له فيه مشاركاً خف ذلك على قلبه كما يقال: المصيبة إذا عمت خفت⁽¹⁾، فكان ذلك تثبيتاً لفؤاد النبي ﷺ إزاء إنكار المشركين وإيذائهم للنبي ﷺ ومن معه من المؤمنين فإن أولئك الرسل أودوا كما أودي، وكانت الباقية لهم وللمتقين⁽²⁾.

وإن الجندي حين يسمع إلى قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام ترتفع معنوياته ويزداد ثباتاً، يقول الماتريدي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء: 125] أي: "جعل له عنده منزلة وكرامة لم يجعل مثلاً لأحد من الخلائق؛ لما ابتلاه الله ببلايا، وامتنحه بمحن لم يبطل أحداً بمثلها، فصبر عليها، من ذلك: ما أُلقي في النار، فصبر، ولم يستعن بأحد سواه، وما ابتلي بذبح ولده، فأضجعه، وما أمر أن يترك أهله وولده الطفل في جبال مكة: لا ماء هنالك، ولا زرع، ولا نبات؛ ففعل، فاستحق بذلك أن يكون خليل الله على صبره وثباته"⁽³⁾، وهذا صاحب الأخدود الذي سنذكر قصته عند ذكر نماذج الثبات وصوره، وكيف ضحى بحياته بكل ثبات ورجولة، ومن قبله الراهب ومن بعده أصحاب الأخدود حتى قضوا شهداء⁽⁴⁾.

كما ثبت طالوت وجنوده رغم قلة الثابتين، وكثرة المنهزمين، وتعاضم قوة عدوهم فقالوا: ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: 250]، فقد أورد ابن الجوزي عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: "كُنَّا أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ ﷺ، نَتَحَدَّثُ: «أَنَّ عِدَّةَ أَصْحَابِ بَدْرٍ عَلَى عِدَّةِ أَصْحَابِ طَالُوتَ الَّذِينَ جَاوَزُوا مَعَهُ النَّهْرَ، وَلَمْ يُجَاوِزْ مَعَهُ إِلَّا مُؤْمِنٌ بِضْعَةَ عَشَرَ وَثَلَاثَ مِائَةٍ»⁽⁵⁾»⁽⁶⁾.

وهذا القليل لم يثبت كذلك إلى النهاية، فأمام كثرة الأعداء وقوتهم، تهاوت العزائم وزلزلت القلوب، وأمام هذا التخاذل ثبتت الفئة القليلة المختارة، واعتصمت بالله ووثقت، وهذه هي التي رجحت الكفة، وتلقت النصر، واستحققت العز والتمكين، فهذه الفئة المؤمنة الصغيرة التي ثبتت وخاضت المعركة وتلقت النصر، اتجهت لربها تدعوه: ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: 250] وهي تحس أن ميزان القوى في يد الله وحده،

(1) السراج المنير، الشرييني (ج2/ 86) بتصرف.

(2) ينظر: زهرة التقاسير، أبو زهرة (ج7/ 3778).

(3) تأويلات أهل السنة، الماتريدي (ج3/ 370).

(4) ينظر: [صحيح مسلم، مسلم، الزهد والرفائق/ قصة أصحاب الأخدود، 4/ 2300: حديث رقم 3005].

(5) [صحيح البخاري، البخاري، المغازي/ غزوة أصحاب بدر، 5/ 73: حديث رقم 3958].

(6) زاد المسير، ابن الجوزي (ج1/ 226).

فطلبت منه النصر، وهكذا تتغير التصورات للأمور عند الاتصال بالله حقاً، وعندما يتحقق في القلب الإيمان الصحيح⁽¹⁾.

5- الصبر مع الثقة بالنصر.

والصبر والمصابرة من أعظم أسباب الثبات والنصر على الأعداء، لأن الصبر عند أهل اللغة "حبس النفس على ما تكره"⁽²⁾، ومما تكرهه النفوس: القتال الذي تسيل فيه الدماء وتزهق فيه النفوس، وهو من حيث طبيعته مكروه، كما يتضح من هذه الآية الكريمة: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 216].

"فالصبر من أهم عوامل نصر المؤمنين على أعدائهم، كالتقوى، كما قال تعالى: ﴿وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ [آل عمران: 120]، فهو الصبر والعزم والصمود أمام قوتهم إن كانوا أقوياء وأمام مكرهم وكيدهم إن سلكوا طريق الوقعة والخداع، الصبر والتماسك لا الانهيار والتخاذل ولا التنازل عن العقيدة كلها أو بعضها انقاء لشهرهم المتوقع أو كسبا لودهم المدخول⁽³⁾.

وقد قال رسول الله ﷺ: «عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءٌ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءٌ، صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ»⁽⁴⁾، قال الشعراوي: "والصبر عند البلاء، والشكر عند الرخاء مرتبة من مراتب الإيمان، ومرحلة من مراحل اليقين في نفس المؤمن، وهي بداية وعتبة يتلوها مراحل أخرى ومراق، حسب قوة الإيمان"⁽⁵⁾.

"فهما بلغ الرجل الغاية في الصبر واستولى على الأمد في حليته، فلا بد له أن يقف تحمله وينفذ ثباته عند حد معلوم، إذا كان لأغراض عاجلة لأنه يستمد قوته ويتغذى من الجذور الفكرية للشرك وعبودية المادية، أما الصبر الذي يستجلب قوته من جذور التوحيد، والذي لا

(1) ينظر: في ظلال القرآن، قطب (ج1/ 263) باختصار.

(2) شمس العلوم، الحميري (ج6/ 3663).

(3) ينظر: في ظلال القرآن، قطب (ج1/ 453).

(4) [صحيح مسلم، مسلم، الزهد والرقائق/المؤمن أمره كله له خير، 4/ 2295:حديث رقم2999].

(5) الخواطر، الشعراوي (ج16/ 9729).

يبتغي من ورائه إلا وجه الله تعالى، فهو كنز مكنون لا تصل إليه يد السارق، وجيش عرمرم من الثبات والبسالة، لا يقدر أن يقف في وجهه سائر الشدائد والأهوال الممكنة في هذه الدنيا⁽¹⁾.

6- شدة العقوبة المترتبة على الفرار من الزحف.

إن الله تعالى حذر الجندي بأقوى لهجات التحذير من الفرار والتولي، فقال ﷺ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفُوا زَحْفًا فَلَا تُولُوهُمْ الْأَدْبَارَ﴾ وَمَنْ يُولَّهُمْ يَوْمَئِذٍ ذُبُرُهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِتْنَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَيُثَسِّسُ الْمَصِيرُ﴾ [الأنفال: 15-16]، والفرار والتولي كبيرة موبقة بظاهر القرآن الكريم وصريح قول النبي ﷺ: «اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوْبِقَاتِ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا هُنَّ؟ (فذكر منها): «...وَالْتَوَلَّى يَوْمَ الزَّحْفِ...»⁽²⁾، وفي الحديث دليل على أن الفرار من الكبائر المحرمة، لقوله تعالى: ﴿فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ﴾ [الأنفال: 16].

وقد أجاز التحيز إلى فئة وهو أن يرى القتال في غير موضعه أصلح وأنفع فينتقل إليه، وإن بعدت إذ لم تفصل الآية، وكانت الهزيمة محرمة وإن كثر الكفار لقوله تعالى: ﴿فَلَا تُولُوهُمْ الْأَدْبَارَ﴾ [الأنفال: 15]، ثم خفت عنهم بقوله: ﴿إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ﴾ [الأنفال: 65] فأوجب على كل واحد مصابرة عشرة، ثم خفف عنهم وأوجب على الواحد مصابرة اثنين بقوله: ﴿الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ﴾ [الأنفال: 66]، واستقر الشرع على ذلك فحرمت الهزيمة لقول ابن عباس ؓ: من فر من اثنين فقد فر ومن فر من ثلاثة فلم يفر⁽³⁾.

قال الشافعي: "إذا غزا المسلمون فلقوا ضعفهم من العدو حرم عليهم أن يولوا إلا متحرفين لقتال أو متحيزين إلى فئة وإن كان المشركون أكثر من ضعفهم لم أحب لهم أن يولوا ولا يستوجبون السخط عندي من الله لو ولوا عنهم على غير التحرف للقتال أو التحيز إلى فئة، وهذا مذهب ابن عباس ؓ المشهور عنه"⁽⁴⁾.

ثالثاً: نماذج من الثبات في الجهاد.

1- ثبات النبي ﷺ يوم حنين وأصحابه.

قال أبو السعود: إن حنيناً وإد بين مكة والطائف كانت فيه الوقعة، فلما التقوا قال رجلٌ من المسلمين: لن نُغَلِّبَ اليومَ من قلة فساعت رسول الله ﷺ فاقتتلوا قتالاً شديداً، فانهزم المشركون

(1) الأسس الأخلاقية للحركة الإسلامية، المودودي (ص 26).

(2) [صحيح البخاري، البخاري، الحدود/رمي المحصنات 8/ 175: حديث رقم 6857].

(3) ينظر: نيل الأوطار، الشوكاني (ج 7/ 297 - 298).

(4) الزواجر، الهيثمي (ج 2/ 285).

وخلّوا الذراري فأكبّ المسلمون على الغنائم، وإن هوازن كانوا قوماً رماة فاستقبلوا المسلمين بالسهم، ففر الجيش، فأما رسول الله ﷺ فلم يفر وبقي معه عمه العباس أخذاً بلجام بغلته وابن عمه أبو سفيان ابن الحرث أخذاً بركابه وهو يركض البغلة نحو المشركين وهو يقول: «أَنَا النَّبِيُّ لَا كَذِبَ، أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ»⁽¹⁾، قَالَ الْبَرَاءُ: «كُنَّا وَاللَّهِ إِذَا احْمَرَّ الْبَأْسُ نَتَّقِي بِهِ، وَإِنَّ الشُّجَاعَ مِنَّا لِلَّذِي يُحَاذِي بِهِ، يَغْنِي النَّبِيُّ ﷺ»⁽²⁾، فكان في الشجاعة ورباطة الجأش سباقاً للغايات القاصية، ثُمَّ أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَصِيَّاتٍ فَرَمَى بِهِنَّ وُجُوهَ الْكُفَّارِ، ثُمَّ قَالَ: «انْهَرُمُوا وَرَبِّ مُحَمَّدٍ» قَالَ: فَذَهَبْتُ أَنْظُرُ فَإِذَا الْقِتَالُ عَلَى هَيْئَتِهِ فِيمَا أَرَى، قَالَ: فَوَاللَّهِ، مَا هُوَ إِلَّا أَنْ رَمَاهُمْ بِحَصِيَّاتِهِ فَمَا زِلْتُ أَرَى حَدَّهُمْ كَلِيلًا، وَأَمْرَهُمْ مُدْبِرًا⁽³⁾⁽⁴⁾.

2- أنس بن النضر ؓ.

أخرج البخاري في صحيحه عن أنس ؓ، قَالَ: غَابَ عَمِّي أَنَسُ بْنُ النَّضْرِ ؓ عَنْ قِتَالِ بَدْرٍ، فَقَالَ: «يَا رَسُولَ اللَّهِ غِبْتُ عَنْ أَوَّلِ قِتَالٍ قَاتَلْتَ الْمُشْرِكِينَ، لَئِنْ اللَّهُ أَشْهَدَنِي قِتَالَ الْمُشْرِكِينَ لَيَرِيَنَّ اللَّهُ مَا أَصْنَعُ»، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ، وَانْكَشَفَ الْمُسْلِمُونَ، قَالَ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعْتَذِرُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هَؤُلَاءِ - يَعْنِي أَصْحَابَهُ - وَأَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هَؤُلَاءِ، - يَعْنِي الْمُشْرِكِينَ - ثُمَّ تَقَدَّمَ»، فَاسْتَقْبَلَهُ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ، فَقَالَ: «يَا سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ، الْجَنَّةُ وَرَبُّ النَّضْرِ إِنِّي أَجِدُ رِيحَهَا مِنْ دُونِ أُحُدٍ»، قَالَ سَعْدُ: فَمَا اسْتَطَعْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا صَنَعَ، قَالَ أَنَسُ: فَوَجَدْنَا بِهِ بَضْعًا وَثَمَانِينَ ضَرْبَةً بِالسَّيْفِ أَوْ طَعْنَةً بِرُمَحٍ، أَوْ رَمِيَةً بِسَهْمٍ وَوَجَدْنَاهُ قَدْ قُتِلَ وَقَدْ مَثَلَ بِهِ الْمُشْرِكُونَ، فَمَا عَرَفَهُ أَحَدٌ إِلَّا أُخْتَهُ بَيْنَانِهِ قَالَ أَنَسُ: «كُنَّا نَرَى أَوْ نَظُنُّ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِيهِ وَفِي أَشْبَاهِهِ: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب: 23]⁽⁵⁾، قال العيني: "فيه فضيلة ظاهرة لأنس ؓ، وما كان عليه من صحة الإيمان وكثرة التوقي والتورع، وقوة اليقين"⁽⁶⁾.

3- ثبات الراهب والفتى وأصحاب الأخدود.

-
- (1) [صحيح البخاري، البخاري، الجهاد والسير/ بغلة النبي ﷺ البيضاء، 4/ 31: حديث رقم 2874].
 (2) سبق تخريجه ص 133
 (3) [صحيح مسلم، مسلم، الجهاد والسير/ غزوة حنين، 3/ 1398: حديث رقم 1775].
 (4) [إرشاد العقل السليم، أبي السعود (ج 4/ 55-56) بتصرف].
 (5) [صحيح البخاري، البخاري، الجهاد والسير/ قوله تعالى ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾، 4/ 19: حديث رقم 2805].
 (6) عمدة القاري، العيني (ج 14/ 103).

أخرج الإمام مسلم في صحيحه أن ملكاً كان له ساحر فلما كبر سنه أراد تعليم السحر لغلام، فكان الغلام يمر في طريقه على راهب حتى تعرف على الله، وكانت قد عرضت دابة في طريق الناس فرجمها بعد أن سأل الله إن كان أمر الراهب خير من السحر أن يقتل الدابة فماتت وزال الخطر ثم فتح الله عليه فصار يبرئ الأكمه والأبرص، حتى علم جليس الملك فأتاه ليشفيه فعرفه على الله وأنه الشافي فلما أن بلغ الأمر للملك تعرف على الراهب وحاول أن يرده عن دينه فأبى فوضع المنشار في مفرق رأسه، فشقه به حتى وقع شقاه، ثم جيء بالغلام فقيل له ارجع عن دينك، فأبى فحاول قتله بعده محاولات لكن الله كان يرد كيد الملك وأعوانه، فقال للملك: إنك لست بقاتلي حتى تفعل ما أمرك به، قال: وما هو؟ قال: تجمع الناس في صعيد واحد، وتصلبني على جذع، ثم خذ سهماً من كنانتي، ثم ضع السهم في كبد القوس، ثم قل: باسم الله رب الغلام، ثم ارمني، فإنك إذا فعلت ذلك قتلنتي، فلما فعل ذلك، قال الناس: آمنا برب الغلام، فأمر بالأخدود ثم ألقاهم جميعاً⁽¹⁾، قال صاحب الظلال: "وكبوا فيه جماعة المؤمنين فماتوا حرقاً، على مرأى من الجموع التي حشدها المتسلطون لتشهد مصرع الفئة المؤمنة بهذه الطريقة البشعة، ولكي يتلهم الطغاة بمشهد الحريق، حريق الآدميين المؤمنين: ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [البروج: 8]، فاستحقوا على هذا الثبات أن يخلد الله ذكرهم في سورة كاملة ضمن دستور الأمة الخالد وكفى بذلك عزة وفخر"⁽²⁾.

(1) ينظر: [صحيح مسلم، الزهد والرقائق/ قصة أصحاب الأخدود، 4/ 2300: حديث رقم 3005].

(2) في ظلال القرآن، قطب (ج6/ 3871).

الفصل الرابع

نماذج للجندية من القرآن الكريم

المبحث الأول

نماذج للجندي الراشد في القرآن الكريم

المطلب الأول: داود عليه السلام.

أولاً: التعريف بنبي الله داود عليه السلام.

1- اسمه.

"هو داود بن إيشا بن عويد بن باعز بن سلمون بن نحشون بن عويناذب بن إرم بن حصرون بن فارص بن يهوذا بن يعقوب عليه السلام بن إسحاق عليه السلام بن إبراهيم الخليل عليه السلام، عبد الله ونبيه وخليفته في أرض بيت المقدس"⁽¹⁾، "ولد بقرية بيت لحم سنة 1085 قبل المسيح، وتوفي في أورشليم سنة 1015"⁽²⁾.

2- وصفه ومنزلته عليه السلام.

كان عليه السلام أحمر الوجه أبيض الجسم قصير، أزرق العينين، قليل الشعر، طويل اللحية فيها جعودة حسن الصوت، طاهر القلب⁽³⁾.

وأنه لما قتل جالوت أحبته بنو إسرائيل ومالوا إليه وإلى ملكه عليهم، فكان من أمر طالوت ما كان وصار الملك إلى داود عليه السلام، وجمع الله له بين الملك والنبوة، بين خيري الدنيا والآخرة، وكان الملك يكون في سبط، والنبوة في سبط آخر، فاجتمع في داود هذا وهذا، كما قال تعالى: ﴿وَقَتْلَ دَاوُودَ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ﴾ [البقرة: 251]⁽⁴⁾.

ثانياً: نبي الله داود مثلاً للجندي العابد.

إن عبادة داود عليه السلام قد تميزت عن عبادة غيره من الناس، لذلك ورد ذكرها في القرآن والسنة قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ كُنَّا عَبْدًا لَدَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ [ص: 17]، فقد ذكر أبو جعفر

(1) روح المعاني، الألوسي (ج9/70)، وينظر: قصص الأنبياء، ابن كثير (ج2/265)، الدر المنثور، السمين الحلبي (ج2/748).

(2) التحرير والتنوير، ابن عاشور (ج7/338).

(3) الدر المنثور، السمين الحلبي (ج5/645)، وينظر: روح المعاني، الألوسي (ج9/70).

(4) ينظر: البداية والنهاية، ابن كثير (ج2/300)، الدر المنثور، السمين الحلبي (ج5/645)، روح المعاني، الألوسي (ج9/70).

عن قتادة قال: "أعطي قوة في العبادة، وفقها في الإسلام، وقد ذكر لنا أن داود عليه السلام كان يقوم الليل ويصوم نصف الدهر، وقال مجاهد: ذا الأيد أي ذا القوة في طاعة الله"⁽¹⁾.

ونذكر بعض صور العبادة التي مدحه الله بها، على النحو التالي:

1- صلاة داود عليه السلام:

أخرج البخاري أن رسول الله ﷺ قال: «أَحَبُّ الصَّلَاةِ إِلَى اللَّهِ صَلَاةُ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَأَحَبُّ الصِّيَامِ إِلَى اللَّهِ صِيَامُ دَاوُدَ، وَكَانَ يَتِمُّ نِصْفَ اللَّيْلِ وَيَقُومُ ثُلُثَهُ، وَيَتِمُّ سُدُسَهُ، وَيَصُومُ يَوْمًا، وَيُفْطِرُ يَوْمًا»⁽²⁾، قال ابن حجر: كان داود عليه السلام يريح جسده بنوم أول الليل ثم يقوم في الوقت الذي ينادي الله فيه هل من سائل فأعطيه سؤله ثم يستدرك بالنوم ما يستريح به من نصب القيام في بقية الليل وهذا هو النوم عند السحر، وإنما صارت هذه الطريقة أحب من أجل الأخذ بالرفق للنفس ولأن النوم بعد القيام يريح البدن بخلاف السهر إلى الصباح، وفيه من المصلحة استقبال صلاة الصبح وأذكار النهار بنشاط وإقبال وأنه أقرب إلى عدم الرياء لأن من نام السدس الأخير أصبح ظاهر اللون سليم القوى فهو أقرب إلى أن يخفي عمله الماضي على من يراه"⁽³⁾.

وكان داود عليه السلام قد جزأ على أهله وولده ونسائه الصلاة، فكان لا تأتي عليهم ساعة من الليل والنهار إلا وإنسان من آل داود قائم يصلي، فغمرتهم هذه الآية ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ [سبأ: 13]⁽⁴⁾.

2- صيام داود عليه السلام:

وعن صيام داود عليه السلام فقد أخرج مسلم أن رسول الله ﷺ قال لعبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه: «صُمْ يَوْمًا وَأَفْطِرْ يَوْمًا، وَذَلِكَ صِيَامُ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَهُوَ أَعْدَلُ الصِّيَامِ» قَالَ قُلْتُ: فَإِنِّي أَطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ»⁽⁵⁾، وإن صيام داود عليه السلام إنما كان أعدل الصيام وأحبه إلى الله لأن فاعله يؤدي حق نفسه وأهله وزائره أيام فطره كما ولا يضعفه عن الجهاد في سبيل الله⁽⁶⁾.

(1) جامع البيان، الطبري (ج21/ 167).

(2) [صحيح البخاري، البخاري، التهجد/من نام عند السحر، 2/ 50: حديث رقم 1131].

(3) فتح الباري، ابن حجر (ج3/ 16).

(4) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (ج6/ 442).

(5) [صحيح مسلم، مسلم، الصيام/النهي عن صوم الدهر لمن تضرر به، 2/ 812: حديث رقم 1159].

(6) ينظر: فتح الباري، ابن حجر (ج4/ 224).

3- ذكر الله وقراءة الزبور.

ذكر ابن الجوزي أن داوود عليه السلام قد اشتهر بكثرة ذكره وتسبيحه وكان إذا سبح أجابته الجبال والطير بالتسبيح والذكر⁽¹⁾، قَالَ ﷺ: «خُفِّفَ عَلَى دَاوُدَ ﷺ الْقُرْآنُ، فَكَانَ يَأْمُرُ بِدَوَابِّهِ فَتُسْرَجُ، فَيَقْرَأُ الْقُرْآنَ قَبْلَ أَنْ تُسْرَجَ دَوَابُّهُ، وَلَا يَأْكُلُ إِلَّا مِنْ عَمَلِ يَدِهِ» أي: الزبور⁽²⁾، فيه: الدلالة على أن الله تعالى يطوي الزمان لمن يشاء من عباده كما يطوي المكان، والبركة قد تقع في الزمن اليسير حتى يقع فيه العمل الكثير، قال النووي: أكثر ما بلغنا من ذلك من كان يقرأ أربع ختمات بالليل وأربعاً بالنهار⁽³⁾.

فقد كان أواباً رجاعاً إلى ربه بالطاعة والعبادة والذكر والاستغفار، ومع النبوة والملك آتاه الله من فضله قلباً ذاكرةً وصوتاً رخيماً، يرجع به تراتيله التي يمجد فيها ربه، وبلغ من قوة استغراقه في الذكر، ومن حسن حظه في الترتيل، أن الجبال تسبح معه، والطير مجموعة عليه، تسبح معه لمولاه ومولاه: ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ﴾ وَالطَّيْرَ مُحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ ﴿[ص: 18-19]﴾⁽⁴⁾.

كما كان عليه السلام كثير الشكر، والاجتهاد في بذل الطاعة مع الاجتناب للمعصية في السر والعلانية، قال تعالى: ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ [سبأ: 13]، وقد ذكرنا صلاته وصيامه وكل ذلك من دلائل شكره لله⁽⁵⁾.

ثالثاً: نبي الله داود مثلاً للجندي العالم العادل.

قال طنطاوي: "وأعطى الله تعالى عبده داود ملك بنى إسرائيل كما أعطاه النبوة التي هي أشرف من الملك زيادة في ترقيته في درجات الشرف والكمال، وعلمه سبحانه مما يشاء من فنون العلم، ومن أمور الدين والدنيا كمعرفته لغة الطيور، وكلام الدواب، وصناعة آلات الحرب وغير ذلك من ألوان العلوم المختلفة التي لا تحدها إلا مشيئة الله وإرادته، وفي قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ﴾ [البقرة: 251] بعد الإخبار بأنه سبحانه أتى داود الحكمة، إشعار بأن الإنسان لا يستغنى عن التعلم سواء أكان نبياً أم لم يكن، لأن داود عليه السلام مع حصوله على النبوة

(1) زاد المسير، ابن الجوزي (ج3/ 204).

(2) [صحيح البخاري، البخاري، أحاديث الأنبياء/ قوله تعالى: ﴿وَوَاتَيْنَا دَاوُدَ زُبُورًا﴾، 4/ 160: حديث رقم 3417].

(3) عمدة القاري، العيني (ج16/ 7).

(4) ينظر: في ظلال القرآن، قطب (ج5/ 3017).

(5) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (ج1/ 398) بتصرف.

لم يستغن عن تعليم الله إياه، وقد أمر الله تعالى نبيه محمداً ﷺ أن يلتبس المزيد من العلم فقال: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: 114]⁽¹⁾.

قال الرازي: في قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَهُ مَا يَشَاءُ﴾ [البقرة: 251]، وجوه ذكرها كالتالي:
أحدها: أن المراد به ما ذكره في قوله: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِيُخْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ﴾ [الأنبياء: 80] وقال: ﴿وَاللَّهُ الْخَبِيرُ﴾ [النمل: 16].
ثانيها: أن المراد كلام الطير والنمل، كما قال تعالى: ﴿عَلَّمْنَا مَنَاطِقَ الطَّيْرِ﴾ [النمل: 16].
ثالثها: أن المراد به ما يتعلق بمصالح الدنيا وضبط الملك، فإنه ما ورث الملك من آبائه، لأنهم ما كانوا ملوكاً بل كانوا رعاة.

رابعها: علم الدين، قال تعالى: ﴿وَأَتَيْنَا دَاوُودَ رُبُورًا﴾ [النساء: 163] وذلك لأنه كان حاكماً بين الناس، فلا بد وأن يعلمه الله تعالى كيفية الحكم والقضاء.
خامسها: الألفاظ الطيبة، ولا يبعد حمل اللفظ على الكل⁽²⁾.

ذكر القرطبي في قوله تعالى: ﴿وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَلَ الْخِطَابِ﴾ [ص: 20] مسألتان:
الأولى: قوله تعالى: "وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ" أي النبوة، قال السدي، مجاهد: العدل، أبو العالية: العلم بكتاب الله تعالى، قتادة: السنة، شريح: العلم والفقه.
الثانية: "وفصل الخطاب" قال أبو عبد الرحمن السلمي وقاتادة: يعني الفصل في القضاء. وهو قول ابن مسعود ؓ والحسن والكلبي ومقاتل، وقال ابن عباس ؓ: بيان الكلام، علي بن أبي طالب ؓ: هو البينة على المدعي واليمين على من أنكر، وقاله أبو موسى الأشعري ؓ والشعبي، وقيل: "فصل الخطاب" البيان الفاصل بين الحق والباطل، وقيل: هو الإيجاز بجعل المعنى الكثير في اللفظ القليل، والمعنى في هذه الأقوال متقارب⁽³⁾، مما يتبين أن الله ميزه بالعلم والفقه والحكمة، والقدرة على الحكم بالعدل بين الناس.

رابعاً: نبي الله داود ؑ مثلاً للجندي العامل.

إن الله تعالى قد جمع لسيدنا داود ؑ بين الملك والنبوة، لكن ذلك لم يمنعه من اتقان حرفة بل كان أكثر الناس تميزاً ليتعفف في مكسبه ويأكل من عمل يده، قال تعالى: ﴿أَنْ أَعْمَلَ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرُ فِي السَّرْدِ﴾ [سبأ: 11] قال قتادة: "ألان لداود ؑ الحديد حتى كان يعمل به كما

(1) التفسير الوسيط، طنطاوي (ج1/ 574).

(2) ينظر: مفاتيح الغيب، الرازي (ج6/ 517).

(3) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (ج15/ 162).

يعمل بالطين لا يدخله النار ولا يضره بمطرقة⁽¹⁾، قال البغوي: "أن اعمل سابغات، دروعاً كاملات واسعات طوالاً تسحب في الأرض، وقدر في السرد، والسرد نسج الدروع، يقال لصانعه: السرد والزرد، يقول: قدر المسامير في حلق الدرع أي لا تجعل المسامير دقاً فتقلت ولا غلاظاً فتكسر الحلق، ويقال السرد المسمار في الحلقة، يقال: درع مسرودة أي مسمورة الحلق، وقدر في السرد اجعله على القصد وقدر الحاجة"⁽²⁾.

قال القرطبي: في هذه الآية دليل على مشروعية تعلم أهل الفضل الصنائع، وأن التحرف بها لا ينقص من مناصبهم، بل ذلك زيادة في فضلهم وفضائلهم إذ يحصل لهم التواضع في أنفسهم والاستغناء عن غيرهم، وكسب الحلال دون امتتان، وعن النبي ﷺ قال: «مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ، خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ، وَإِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ دَاوُدَ كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ»⁽³⁾⁽⁴⁾.

خامساً: نبي الله داود عليه السلام مثلاً للجندي المنضبط المقدام.

"إن داود عليه السلام كان مجاهداً في جيش طالوت، وممن نجحوا في الامتحان العسير الذي قرر رئيس الجيش أن يخوضه جميع جنوده فسقط من سقط ونجح من نجح، فكان هذا مثلاً على الطاعة والالتزام في الجندية وتنفيذ الأوامر بكل دقة ومسئولية"⁽⁵⁾.

قال ابن عباس ؓ: إن داود عليه السلام كان راعياً وله سبعة إخوة مع طالوت فلما أبطأ خبر إخوته على أبيهم أرسل ابنه داود إليهم ليأتيه بخبرهم، فأتاهم وهم في المصاف وتقدم جالوت الجبار وكان من قوم عاد إلى البراز فلم يخرج إليه أحد فقال: يا بني إسرائيل لو كنتم على حق لبارزني بعضكم فقال داود لإخوته أما فيكم من يخرج إلى هذا الطاغية؟ فسكتوا، فذهب إلى ناحية من الصف ليس فيها إخوته فمر به طالوت وهو يحرض الناس، فقال له داود: ما تصنعون بمن يقتل هذا الطاغية؟ فقال طالوت: أنكحه ابنتي وأعطيه نصف ملكي فقال داود: فأنا خارج إليه وكان عادته أن يقاتل بالمقلاع الذئب والأسد في الرعي، وكان طالوت عارفاً بجلادته"⁽⁶⁾.

(1) النكت والعيون، الماوردي (ج4/ 436).

(2) معالم التنزيل، البغوي (ج3/ 672).

(3) [صحيح البخاري، البخاري، البيهقي/ وكسب الرجل وعمله بيده، 3/ 57: حديث رقم 2072].

(4) التفسير المنير، الزحيلي (ج22/ 150).

(5) تبصير المؤمنين بفقه النصر والتمكين، الصلاحي (ص 140).

(6) مفاتيح الغيب، الرازي (ج6/ 516).

قال القرطبي: "إن طالوت أراد أن يختبر شجاعة داود عليه السلام فسأله: هل جربت نفسك بشيء؟ قال: نعم، قال بماذا؟ قال: وقع ذئب في غنمي فضربته ثم أخذت رأسه فقطعته من جسده، قال طالوت: الذئب ضعيف، هل جربت نفسك في غيره؟ قال: نعم، دخل الأسد في غنمي فضربته ثم أخذت بلحييه فشققتهما، أفترى هذا أشد من الأسد؟ قال لا" ⁽¹⁾.

"فلما هم داود بأن يخرج رماه فأصابه في صدره، فهزم الله جنود جالوت وقتل داود جالوت" ⁽²⁾.

ذكر الرازي أن بعض المفسرين قالوا: "آتاه الله الملك والنبوة جزاء على ما فعل من الطاعة العظيمة، وبذل النفس في سبيل الله، مع أنه تعالى كان عالماً بأنه صالح لتحمل أمر النبوة" ⁽³⁾، فكان داود عليه السلام مثلاً للجندي المتكامل في جميع أوصافه وسماته.

المطلب الثاني: أخت موسى عليه السلام.

أولاً: التعريف بأخت موسى عليه السلام.

3- اسمها.

"مريم بنت عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوى بن يعقوب عليه السلام بن إسحاق عليه السلام بن إبراهيم عليه السلام وأمه اباخة من ولد لاوى بن يعقوب عليه السلام" ⁽⁴⁾، قال القرطبي: وافق اسمها اسم مريم أم عيسى عليه السلام، وذكره السهيلي والثعلبي وذكر الماوردي عن الضحاك: أن اسمها كلثمة وقال السهيلي: كلثوم، والراجح أن اسمها مريم ⁽⁵⁾، قال الزمخشري: "كانت لعمران بن يصهر بنت اسمها مريم أكبر من موسى وهارون عليه السلام" ⁽⁶⁾.

4- وفاتها.

وفي شهر نيسان من العام 1417 قبل المسيح، توفيت مريم ابنة عمران أخت موسى عليه السلام، أي بعد ثلاث سنوات من خروج بني إسرائيل من مصر ولها مائة وست وعشرون سنة ⁽⁷⁾.

(1) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (ج3 / 257).

(2) مفاتيح الغيب، الرازي (ج6 / 516).

(3) المرجع السابق، ج6 / 516.

(4) البدء والتاريخ، المقدسي (ج3 / 81).

(5) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (ج13 / 256).

(6) الكشاف، الزمخشري (ج1 / 355).

(7) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (ج16 / 218)، والمواعظ والاعتبار، المقرئ (ج4 / 370).

ثانياً: أخت موسى مثلاً للجندية في السمع والطاعة.

إن الجندية لا تقتصر على الرجال فحسب بل اشتملت على النساء أيضاً، فقد قامت مريم أخت موسى بأعمال مميزة توحى بجنديتها، بل وتميزها في ذلك كان منها تنفيذها لأوامر أمها بدقة، ملتزمة للسمع والطاعة، وذلك حين أمرتها أمها ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ﴾ [القصص: 11]، أي: اتبعي أثره، وخذي خبره، وتطلبي شأنه من نواحي البلد، فخرجت لذلك⁽¹⁾، ﴿فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنْبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [القصص: 11] فسارت مطيعة أمر والدتها تمشي عن بعد ملتزمة للأمر حيث إن معنى قُصِّيهِ يلزمه الخفة والاختلاس⁽²⁾، قال السعدي: "أذهبي فقصي الأثر عن أخيك وابحثي عنه من غير أن يحس بك أحد أو يشعروا بمقصودك فذهبت تقصه"⁽³⁾.

ثالثاً: أخت موسى ﷺ مثلاً للجندية الأمنية في المراقبة.

ذكر الرازي في قوله تعالى: ﴿فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنْبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [القصص: 11] "قال ابن عباس ؓ: أبصرته، وقوله: عن جنب أي عن بعد أي نظرت نظرة مزورة متجانبية وهم لا يشعرون بحالها وغموضها"⁽⁴⁾، قال القرطبي: "أي عن مجانبية لها منه فلم يعرفوا أنها منه بسبيل، وقال قتادة: جعلت تنتظر إليه بناحية كأنها لا تريده ولا تعرفه، فلا يشعرون أنها أخته لأنها كانت تمشي على ساحل البحر حتى رأتهم قد أخذوه"⁽⁵⁾.

"فكان الوصف يشعر بأن أخت موسى ﷺ أبصرت أخاها إبصاراً فيه مخادعة لآل فرعون، حتى لا تجعلهم يشعرون بأنها تبحث عنه"⁽⁶⁾.

"إن التقصي هو تتبع الأثر وجمع المعلومات، واختيار العنصر الأمين والحريص في جمع المعلومات لتكون صحيحة وموثقة وأمينية، فأم موسى ﷺ لم تختار غير أخته، لأن الأخت تعتبر من الحريصين والأمناء على تلك المصلحة، وهي تندفع من ذاتها في جمع المعلومات وتحصيل الأخبار، والمهم بمكان أن يكون العنصر المرسل في عملية الاستخبارات مندفعاً من ذاته حريصاً على المصلحة المرسل إليها، ويكون التقصي والتتبع بدون إشارة أو جلب أنظار

(1) ينظر: القرآن العظيم، ابن كثير (ج6/ 223)، النكت والعيون، والماوردي (ج4/ 238).

(2) ينظر: لباب التأويل، الخازن (ج3/ 359)، وفي ظلال القرآن، قطب (ج5/ 2680).

(3) تيسير الكريم الرحمن، السعدي (ص 613).

(4) مفاتيح الغيب، الرازي (ج24/ 582).

(5) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (ج13/ 257).

(6) التفسير الوسيط، طنطاوي (ج10/ 384).

﴿قُصِّيه﴾ [القصص: 11]، إذ نفهم من كلمة التقصي الانتباه وعدم إثارة الأنظار، ودليل ذلك أنها بصرت به دون أن يشعروا بها⁽¹⁾.

استعملت أخت موسى شكلاً من أشكال الاستخبارات العصرية وهو التخريب الفكري، فبعد أن نظرت إليهن وهن غير قادرات على إرضاعه ﴿فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ﴾ [القصص: 12] وقد قصدت إبعاد موسى عن المراضع، ليخلص إلى أمها دون إشعارهم أنها منه بسبيل، وهي محاولة تحقيق الهدف أثناء جمع المعلومات، فأخت موسى لم تكتف بأن تعرف مكان موسى لتخبر أمها بمكانه، وإنما هي تقصت الأخبار، وتوصلت إلى مكانه، وحاولت إعادته إلى أمه، وقد نجحت في هذا⁽²⁾.

رابعاً: ذكاء أخت موسى ﷺ في التعامل مع المواقف

قال الزحيلي: "كان لأخت موسى ﷺ الذكية الحصيفة مريم دور طيب ناجح في إقناع حاشية فرعون وامراته بمن يقبل موسى ثديها من النساء، لحاجتها إلى عطاء الملك، وطيبها وطيب رائحتها، دون أن يشعروا أنها أخته، لأنها كانت تمشي على ساحل البحر، حتى رأتهم قد أخذوه، فأرشدتهم بلباقة إلى أهل بيت يكفلونه، وهم للملك ناصحون، يحرصون على مسرته، ويطمعون في عطائه"⁽³⁾.

قال ابن عباس ؓ: "لما قالت ما قالت، أخذوها وشكوا في أمرها وقالوا لها: ما يدريك بنصحهم له وشفقتهم عليه؟"

فألت لهم: نصحهم له، وشفقتهم عليه رغبة في سرور الملك، ورجاء منفعة، فأرسلوها، فلما قالت لهم ذلك وخلصت من أذاهم، ذهبوا معها إلى منزلهم فدخلوا به على أمه فأعطته ثديها فالتقمه ففرحوا بذلك فرحاً شديداً وذهب البشير إلى امرأة الملك فاستدعت أم موسى، وأحسن إليها، وطلبت أن تقيم عندها لإرضاعه، فأبت وقالت: إن لي بعلأ وأولاداً، ولا أقدر على المقام عندك، ولكن إن أحببت أن أرضعه في بيتي فعلت فأجابتها امرأة فرعون إلى ذلك، وأجرت عليها النفقة والكسوة والإحسان الجزيل"⁽⁴⁾، فما كان ذلك ليكون لولا فطنت أخته وحسن تصرفها.

(1) تبصير المؤمنين بفقہ النصر والتمكين، الصلابي (ص 363).

(2) ينظر: الاستخبارات العسكرية في الإسلام، مناصرة (ص 111-112).

(3) التفسير المنير، الزحيلي (ج 20 / 69).

(4) أضواء البيان، الشنقيطي (ج 4 / 11)، وينظر/ إتحاف الخيرة المهرة، البوصيري (ج 6 / 236).

خامساً: أخت موسى مثلاً لأخذ الحيطة والحذر

هذه إشارة قرآنية في قوله: ﴿قُضِيَ بِهِ عَنْ جُنُبٍ﴾ [القصص: 11]، إلى الأخذ بالأسباب والحذر والاهتمام بالتربية الأمنية العالية خصوصاً للأمة التي تسعى للتخلص من الظلم والجبروت وكبرياء المتسلطين، بل إن من أسباب نجاح الحركات التي تعمل لتحرير شعوبها من أغلال الحكام الظالمين نجاحها في الجوانب الأمنية، وإن الأمة المستضعفة، لا ينبغي أن يستولى عليها الكسل عن السعي في حقوقها، ولا اليأس من الارتقاء إلى أعلى الأمور، خصوصاً إذا كانوا مظلومين، كما استنقذ الله أمة بنى إسرائيل على ضعفها واستعبادها لفرعون وملئهم منهم، ومكنهم في الأرض وملكهم بلادهم⁽¹⁾.

ومن باب الحرص وأخذ الحيطة والحذر أن أخت موسى ﷺ أظهرت نفسها كأنها مرت بهم عن غير قصد، وإنما قالت ذلك بعد أن فشا في الناس طلب المراضع له حتى ألفوا عدداً كثيراً في زمن يسير، وعرضت سعيها في ذلك بطريق الاستفهام المستعمل في العرض تلطفاً مع آل فرعون وإبعاداً للظنة عن نفسها⁽²⁾.

سادساً: اختيار أخت موسى ﷺ للألفاظ بدقة وعناية.

لقد اختارت مريم أخت موسى ﷺ ألفاظها بدقة وعناية، بحيث تتناسب مع الموقف الذي تقف فيه فقولها: ﴿أَهْلِي بَيْتٍ﴾ [القصص: 12] كلمة ﴿أَهْلٍ﴾ توحى لمن يسمعها بالأنس، والألفة، والمحبة، والعناية، والرعاية المخلصة، وهذا ما يريده آل فرعون ممن تقوم على إرضاع هذا المولود، وقولها: ﴿بَيْتٍ﴾ دون تحديد وتعريف لهذا البيت وأهله، هو من باب حرصها الشديد على أن لا ينكشف أمرها وأمر أمها، كما أنها لم تقل على امرأة لتوسع دائرة النظر⁽³⁾، "وفي زيادة لفظه ﴿لَكُمْ﴾ إخفاء لئلا يتفطنون لها، فتشعرهم أن كفالاته ليس فيها منفعة للكافرين"⁽⁴⁾.

ثم تأمل تعبيرها عن تعهد أهل هذا البيت لهذا الولد، وحفظه، وإرضاعه، بالجملة الفعلية ﴿يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ﴾ [القصص: 12] وتعبيرها عن عدم تقصيرهم في إصلاحه وتربيته بالجملة الاسمية ﴿وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ﴾ [القصص: 12]، فالتعبير بالجملة الفعلية أفاد أن إرضاعهم ليس

(1) ينظر: تبصير المؤمنين بفقہ النصر والتمكين، الصلابي (ص 62).

(2) ينظر: التحرير والتتوير، ابن عاشور (ج20 / 84).

(3) ينظر: السراج المنير، الشرييني (ج3 / 85).

(4) تفسير ابن عرفة، ابن عرفة (ج3 / 265).

أمرًا ملازمًا لهم، أي: ليس وسيلة استرزاق أساسية لهم؛ فعندهم من وسائل الاسترزاق الأخرى ما يغنيهم عن هذا الأمر، فهذا يدل على أنهم إن قبلوه فغرضهم الأساسي إرضاء آل فرعون، ومشاركة منهم في حل هذه المشكلة التي عانوا بسببها كثيرًا، ولا يخفى أثر هذا التعبير على آل فرعون حينما يرون بيتًا من أهل مصر يحاول أن يساعدهم في إنهاء هذه المعاناة التي استعصت على الحل، فلا بد أن يجد هذا العرض قبولًا منهم، واستحسانًا لصنيع أهل هذا البيت، أما التعبير بالجملة الاسمية: تعني: أن النصح من صفاتهم، فهو حاصل له كما يحصل لأمثاله حسب سجيته⁽¹⁾، "ومن النصح له أنهم لا يمنعون ما ينفعه، ولا يخونونكم فيه والنصح إخلاص العمل من شائبة الفساد"⁽²⁾، "وذلك يكون بالتربية والغذاء والنظافة والإخلاص فيوضعونه ويضمّونه كما تريدون، وهذا الطلب على طريق العرض بلين ورفق وتؤدة"⁽³⁾.

المطلب الثالث: فتى موسى عليه السلام.

أولاً: التعريف بفتى موسى عليه السلام.

1- اسمه.

أورد العلماء أكثر من رأي بخصوص اسم فتى موسى عليه السلام، وما ترجح للباحث من هذه الآراء أنه نبي الله "يوشع بن نون بن إفرائيم أو افرائيم بن يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل عليه السلام، وأهل الكتاب يقولون: يوشع بن عم هود"⁽⁴⁾.

2- مكانته.

"وهو نبي من أنبياء الله، متفق على نبوته عند أهل الكتاب، وهو ابن أخت موسى عليه السلام وكان من أكبر أصحابه ولم يزل معه الى ان مات وخلفه في شريعته وكان من أعظم بنى إسرائيل بعد موسى عليه السلام، وسمى فتاه إذ كان يخدمه ويتبعه ويتعلم منه، ويسمى الخادم والتلميذ فتى وإن كان شيخاً"⁽⁵⁾.

(1) التحرير والتنوير، ابن عاشور (ج20 / 84).

(2) مفاتيح الغيب، الرازي (ج24 / 582).

(3) بيان المعاني، العاني (ج2 / 357).

(4) المعارف، قتيبة (ج1 / 44).

(5) ينظر: روح البيان، الإستانبولي (ج5 / 263)، وبيان المعاني، حويش (ج4 / 190).

3- وفاته.

قبضه الله إليه، وهو ابن مائة وسبع وعشرين سنة، فكان مدة حياته بعد موسى عليه السلام سبعاً وعشرين سنة⁽¹⁾.

ثانياً: فتى موسى عليه السلام مثالاً للجندية العلمية.

إن نبي الله يوشع كان شديد الحرص على العلم، شديد التأدب في طلبه، "وإذا تعلم الإنسان من العالم، واستفاد منه الفوائد، فهو له فتى، وإن يوشع بن نون، لم يكن مملوكاً لموسى عليه السلام، وإنما كان تلميذاً له، متبعاً له، فجعله الله فتاه لذلك، قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ﴾ [الكهف: 60]⁽²⁾، "وكان موسى عليه السلام قد أفضى بأسرار التوراة والألواح إلى يوشع بن نون وصيه وفتاه والقائم بالأمر من بعده"⁽³⁾.

وكان من شدة حرصه على طلب العلم أن جعله موسى عليه السلام مرافقاً له في رحلته لطلبه للعلم من الخضر، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾ ﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا﴾ [الكهف: 60 - 61]، فقد بين ﷺ أن يوشع كان يرافقه في رحلته ويقوم على خدمته أثناء البحث عن الخضر ليتعلما منه ويزدادا علماً⁽⁴⁾، مما يدل على ملازمته له في رحلته لطلب العلم.

ثالثاً: فتى موسى عليه السلام يحفز الجنود على القتال.

إن موسى عليه السلام لما أرسل اثنا عشر نقيباً ليعلموا خبر العمالقة الجبارين، فلما عادوا إلى القوم فشا في القوم الخوف والرعب من العمالقة، فتبّت الله يوشع عليه السلام وكان من النقباء وكان قد أنعم الله عليه بالإيمان فأمن فقال لهم: ادخلوا عليهم الباب مبالغة في الوعد بالنصر والظفر، وقد جزم بحصول الغلبة لهم إن دخلوا لأنه كان جازماً بنبوة موسى عليه السلام، فلما أخبرهم موسى عليه السلام بأن الله قال: ﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [المائدة: 21] لا جرم قطعاً بأن النصر لهم والغلبة حاصلة في جانبهم، ولذلك ختم كلامه بقوله ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنَّ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: 23] أي توكّلوا على الله في حصول هذا النصر لكم إن كنتم مقيمين

(1) ينظر: البداية والنهاية، ابن كثير (ج2/ 242).

(2) الفقيه والمتفقه، الخطيب البغدادي (ج2/ 197).

(3) الملل والنحل، الشهرستاني (ج2/ 16).

(4) ينظر: فتح الباري، ابن حجر (ج8/ 415).

بوجود الإله القادر ومؤمنين بصحة نبوة موسى ﷺ، وقال هذا القول لقوم موسى تشجيعاً لهم على قتالهم⁽¹⁾.

قال يوشع ﷺ لبني إسرائيل لا يهولنكم عظم أجسامهم فقلوبهم ملئت رعباً منكم، فأجسامهم عظيمة وقلوبهم ضعيفة، وكانوا قد علموا أنهم إذا دخلوا من ذلك الباب كان لهم الغلب. ويحتمل أن يكونا قالا ذلك ثقة بوعد الله⁽²⁾.

"وهنا تبرز قيمة الإيمان بالله، والخوف منه فهذا رجل من الذين يخافون الله، ينشئ له الخوف من الله استهانة بالجبارين، ويرزقه شجاعة في وجه الخطر الموهوم، وهذا يشهد بقولته هذه بقيمة الإيمان في ساعة الشدة وقيمة الخوف من الله في مواطن الخوف من الناس، فإله سبحانه لا يجمع في قلب واحد بين مخافتين: مخافته ﷻ ومخافة الناس والذي يخاف الله لا يخاف أحداً بعده ولا يخاف شيئاً سواه ﴿ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ﴾ [المائدة: 23] قاعدة في علم القلوب وفي علم الحروب، أقدموا واقتحموا، فمتى دخلتم على القوم في عقر دارهم انكسرت قلوبهم بقدر ما تقوى قلوبكم وشعروا بالهزيمة في أرواحهم وكتب لكم الغلب عليهم ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنَّ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: 23] فعلى الله وحده يتوكل المؤمن، وهذه هي خاصية الإيمان وعلامته وهذا هو منطق الإيمان ومقتضاه"⁽³⁾.

رابعاً: فتى موسى ﷺ مثلاً للإقدام والثبات.

ذكر الطبري أن موسى ﷺ لما خرج ببني إسرائيل متجهاً نحو البحر قال له يوشع بن نون: أين أمرك ربك يا موسى؟ قال: أمامك، يشير إلى البحر، فأقحم يوشع فرسه في البحر حتى بلغ الغمر، فذهب به، ثم رجع، فقال: أين أمرك ربك يا موسى؟ فوالله ما كذبت ولا كذبت: ففعل ذلك ثلاث مرات، ثم أوحى الله جل ثناؤه إلى موسى: ﴿أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾ [الشعراء: 63] "⁽⁴⁾.

ومن ثباته وإقدامه وحسن توكله على الله ما أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "غَزَا نَبِيٌّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، فَقَالَ لِقَوْمِهِ: لَا يَتَّبِعَنِي رَجُلٌ مَلَكَ بُضْعَ امْرَأَةٍ، وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يَبْنِيَ بِهَا؟ وَلَمَّا بَيْنَ بِهَا، وَلَا أَحَدٌ بَنَى بُيُوتًا وَلَمْ يَرْفَعْ سُقُوفَهَا، وَلَا أَحَدٌ

(1) مفاتيح الغيب، الرازي (ج11/ 333-334) باختصار.

(2) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (ج6/ 127).

(3) في ظلال القرآن، قطب (ج2/ 870).

(4) جامع البيان، الطبري (ج2/ 53).

اشْتَرَى غَنَمًا وَهُوَ يَنْتَظِرُ وَلَادَهَا، فَغَزَا فَدَنَّا مِنَ الْقَرْيَةِ صَلَاةَ الْعَصْرِ أَوْ قَرِيبًا مِنْ ذَلِكَ، فَقَالَ لِلشَّمْسِ: إِنَّكَ مَأْمُورَةٌ وَأَنَا مَأْمُورٌ اللَّهُمَّ احْبِسْهَا عَلَيْنَا، فَحُبِسَتْ حَتَّى فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ⁽¹⁾، قال النووي: "في هذا الحديث أن الأمور المهمة ينبغي أن لا تفوض إلا إلى أولي الحزم وفراغ البال لها ولا تفوض إلى متعلق القلب بغيرها، لأن ذلك يضعف عزمه ويفوت كمال بذل وسعه فيه"⁽²⁾، وإن ترك الاشتغال بها يجعل الجندي أكثر ثباتاً واقداماً وقدرة على قتال أعدائه.

قال ابن حجر: "والغرض هنا من ذلك أن يتفرغ قلبه للجهاد ويقبل عليه بنشاط لأن الذي يعقد عقده على امرأة يبقى متعلق الخاطر بها بخلاف ما إذا دخل بها فإنه يصير الأمر في حقه أخف غالباً"⁽³⁾.

قال ابن كثير: "كان الذي خرج بهم من التيه، وقصد بهم بيت المقدس، هو يوشع بن نون عليه السلام، فذكر أهل الكتاب، وغيرهم من أهل التاريخ، أنه قطع ببني إسرائيل نهر الأردن، وانتهى إلى أريحا، وكانت من أحصن المدائن سوراً، وأعلاها قصوراً، وأكثرها أهلاً، فحاصرها ستة أشهر، ثم إنهم أحاطوا بها يوماً، وضربوا بالقرون، يعني الأبواق، وكبروا تكبيرة رجل واحد، فتفسخ سورها، وسقط وجبة واحدة، فدخلوها، وأخذوا ما وجدوا فيها من الغنائم، وقتلوا اثني عشر ألفاً من الرجال والنساء، وحاربوا ملوكاً كثيرة، ويقال: إن يوشع ظهر على أحد وثلاثين ملكاً من ملوك الشام"⁽⁴⁾.

خامساً: إكرام الله لفتى موسى عليه السلام.

إن من كرامة الله لنبيه يوشع عليه السلام أن حبس له الشمس فعن أبي هريرة، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِنَّ الشَّمْسَ لَمْ تُحْبَسْ عَلَى بَشَرٍ إِلَّا لِيُوشَعَ لِيَالِي سَارَ إِلَى بَيْتِ الْمُقَدَّسِ"⁽⁵⁾، قال ابن كثير: "لما انقضت مدة التيه سار بهم يوشع بن نون عليه السلام، أو بمن بقي منهم وبسائر بني إسرائيل من الجيل الثاني، فقصد بهم بيت المقدس فحاصرها، فكان فتحها يوم الجمعة بعد العصر، فلما تضيفت الشمس للغروب، وخشي دخول السبت عليهم، فقال للشمس: "إِنَّكَ مَأْمُورَةٌ

(1) [صحيح البخاري، البخاري، النكاح/ من أحب البناء قبل الغزو، 7/ 21: حديث رقم 5157].

(2) [المنهاج، النووي (ج 12/ 51)].

(3) [فتح الباري، ابن حجر (ج 6/ 122)].

(4) [البداية والنهاية، ابن كثير (ج 2/ 235)].

(5) [مسند أحمد، أحمد، 14/ 65: حديث رقم 8315]، قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح.

وَأَنَا مَأْمُورٌ اللَّهُمَّ احْبِسْهَا عَلَيْنَا، فَحَبِستَ حَتَّى فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ⁽¹⁾،⁽²⁾، "وكان فتح بيت المقدس هو المقصود الأعظم ليوشع عليه السلام"⁽³⁾.

وقال القرطبي: "والحكمة في حبس الشمس على يوشع عليه السلام عند قتاله أهل بيت المقدس وإشرافه على الفتح عشي يوم الجمعة، وإشفاقه من أن تغرب الشمس قبل الفتح أنه لو لم تحبس عليه حرم عليه القتال لأجل السبت، ويعلم به عدوهم فيعمل فيهم السيف ويجتاحهم، فكان ذلك آية له خص بها بعد أن كانت نبوته ثابتة بخبر موسى عليه السلام"⁽⁴⁾.

قال ابن الجوزي: "فإن قيل حبسها ورجوعها مشكل لأنها لو تخلفت أو ردت لاختلت الأفلاك وفسد النظام قلنا حبسها وردّها من باب المعجزات ولا مجال للقياس في خرق العادات"⁽⁵⁾، وقال ابن حجر: "يتبين وجود فرق بين المأمورين، وذلك أن أمر الجمادات أمر تسخير وأمر العقلاء أمر تكليف، وخطابه للشمس يحتمل أن يكون على حقيقته وأن الله تعالى خلق فيها تمييزاً وإدراكاً، كما هو الحال في سجودها تحت العرش واستئذانها من أن تطلع ويحتمل أن يكون ذلك على سبيل استحضاره في النفس لما تقرر أنه لا يمكن تحولها عن عادتها إلا بخرق العادة"⁽⁶⁾.

قال ابن بطال: "في الحديث أن قتال آخر النهار إذا هبت رياح النصر أفضل، كما كان عليه السلام يفعل، وقوله: "احْبِسْهَا عَلَيْنَا" دعاء إلى الله أن يمد لهم الوقت حتى يفتحوا المدينة، وقيل: في قوله: "احْبِسْهَا عَلَيْنَا" أقوال: أحدها: أنها ردت على أدراجها، وقيل: أوقفت، فلم تبرح، وقيل: بطؤ تجريها وسيرها، وهو أولى الأقوال بجريها على العادة، وإن كان خرق العادة للأنبياء جائز"⁽⁷⁾، "وكان سبب دعائه عليه السلام هو خشيته أن يعجزوا لأنه لا يحل لهم قتالهم في يوم السبت"⁽⁸⁾.

(1) [صحيح البخاري، البخاري، النكاح/من أحب البناء قبل الغزو، 7/ 21: حديث رقم 5157].

(2) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (3/ 80).

(3) قصص الأنبياء، ابن كثير (ج2/ 207).

(4) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (ج6/ 131).

(5) إنسان العيون، الحلبي (ج1/ 541).

(6) فتح الباري، ابن حجر (ج6/ 223).

(7) شرح صحيح البخاري، ابن بطال (ج5/ 278)، وينظر: المنهاج، النووي (ج12/ 52).

(8) إرشاد الساري، القسطلاني (ج5/ 206).

تشريف لكل الدعاة، فمجيء الفعل "آمن" في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمُ﴾ [غافر: 30] هو إشارة إلى أنه ينبغي لأدنى أهل الإيمان أن لا يحقر نفسه عن الوعظ⁽¹⁾.

2- القدرة على الدفاع عن القيادة.

يقول ابن كثير: "ولا أعظم من هذه الكلمة عند فرعون وهي قوله: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ﴾ [غافر: 28]، اللهم إلا ما رواه البخاري في صحيحه عن عروة بن الزبير رضي الله عنه قال قلت لعبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه أخبرني بأشد شيء صنعه المشركون برسول الله صلى الله عليه وسلم قال: بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي بفناء الكعبة إذ أقبل عقبة بن أبي معيط فأخذ بمنكب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولوى ثوبه في عنقه فخنقه خنقاً شديداً فأقبل أبوبكر رضي الله عنه فأخذ بمنكبه ودفعه عن النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ﴾⁽²⁾⁽³⁾.

قال الرازي: "اعلم أن مؤمن آل فرعون لما أقام أنواع الدلائل على أنه لا يجوز الإقدام على قتل موسى، خوفهم في ذلك بعذاب الله فقال: ﴿يَا قَوْمُ لَكُمْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ﴾ [غافر: 29]، يعني قد علوتم الناس وقهرتموهم، فلا تفسدوا أمركم على أنفسكم ولا تتعرضوا لبأس الله وعذابه، فإنه لا قبل لكم به، وإنما قال: ينصرنا وجاءنا لأنه كان يظهر من نفسه أنه منهم وأن الذي ينصحهم به هو مشارك لهم فيه"⁽⁴⁾.

"ولما ذكر المؤمن نبي الله موسى عليه السلام قال: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا﴾ ولم يذكر اسمه بل قال رجلاً ليوهمهم أنه لا يعرفه، ثم قال ﴿أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ﴾ ولم يقل رجلاً مؤمناً بالله أو هو نبي الله، إذ لو قال ذلك لعلموا أنه متعصب ولم يقبلوا قوله"⁽⁵⁾، وبذلك استطاع أن يدفع القتل عن نبي الله موسى بذكاء وحنكة وخفية.

ثالثاً: مؤمن آل فرعون يستشهد بقصص السابقين لتقوية رأيه.

قال سيد قطب: "ثم يطرق مؤمن آل فرعون رضي الله عنه قلوبهم بإيقاع آخر لعلها تحس وتستيقظ وترتفع وتلين، يطرق قلوبهم بلفتها على مصارع الأحزاب قبلهم، وهي شهادة ببأس الله في أخذ

(1) نظم الدرر، البقاعي (ج7/ 71).

(2) [صحيح البخاري، البخاري، تفسير القرآن/﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ﴾، 6/ 127: حديث رقم 4815].

(3) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (ج7/ 140).

(4) مفاتيح الغيب، الرازي (ج27/ 511).

(5) صفوة التفاسير، الصابوني (ج3/ 93).

المكذبين والطغاة، ولكل حزب كان يوم، ولكن الرجل المؤمن يجمعها في يوم واحد: ﴿مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ﴾ [غافر: 30] فهو اليوم الذي يتجلى فيه بأس الله، وهو يوم واحد في طبيعته على تفرق الأحزاب، ﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ﴾ [غافر: 31] إنما يأخذهم بذنوبهم، ويصلح من حولهم ومن بعدهم بأخذهم بأيام الله⁽¹⁾.

قال الرازي: "واعلم أنه تعالى حكى عن هذا المؤمن أنواعاً من الكلمات ذكرها لفرعون فالأول: قوله يا قوم إني أخاف عليكم مثل يوم الأحزاب والتقدير مثل أيام الأحزاب، إلا أنه لما أضاف اليوم إلى الأحزاب وفسرهم بقوم نوح وعاد وثمود، فحينئذ ظهر أن كل حزب كان له يوم معين في البلاء، فاقترصر من الجمع على ذكر الواحد لعدم الالتباس، ثم فسر قوله ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ﴾ [غافر: 30] بقوله ﴿مِثْلَ دَابِّ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ [غافر: 31] ودأب هؤلاء دونهم في عملهم من الكفار والتكذيب وسائر المعاصي، والحاصل أنه خوفهم بهلاك معجل في الدنيا، ثم خوفهم أيضاً بهلاك الآخرة، وهو قوله ومن يضل الله فما له من هاد والمقصود منه التنبيه على عذاب الآخرة⁽²⁾، قال البقاعي: "ولما أجمل فصل وبيّن، أو بدّل بعد أن هوّل، فقال بادئاً بمن كان عذابهم مثل عذابهم، ودأبهم شبيهاً بدأبهم: ﴿مِثْلَ دَابِّ قَوْمِ نُوحٍ﴾ ولما كان هؤلاء أقوى الأمم، اكتفى بهم وأجمل من بعدهم فقال: ﴿وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾"⁽³⁾.

"واعلم أن مؤمن آل فرعون لما قال: ﴿وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ [غافر: 33] ذكر لهذا مثلاً، وهو أن يوسف لما جاءهم بالبينات الباهرة فأصروا على الشك والشبهة، ولم ينتفعوا بتلك الدلائل، وهذا يدل على أن من أضله الله فما له من هاد"⁽⁴⁾.

رابعاً: قدرة مؤمن آل فرعون عمل المقارنات في الدعوة إلى الله.

أقام مؤمن آل فرعون عديد المقارنات في حديثه كان منها أنه افتتح بزم الدنيا، وتصغير شأنها، وثنى بتعظيم الآخرة والاطلاع على حقيقتها، وأنها هي الوطن والمستقر، وذكر الأعمال

(1) في ظلال القرآن، قطب (ج5/ 3080).

(2) مفاتيح الغيب، الرازي (ج27/ 511).

(3) نظم الدرر، البقاعي (ج17/ 60).

(4) مفاتيح الغيب، الرازي (ج27/ 512).

سيئها وحسنها وعاقبة كل منهما ليثبط عما يتلف، وينشط لما يزلف، ثم وازن بين الدعوتين: دعوته إلى دين الله الذي ثمرته الجنة، ودعوتهم إلى اتخاذ الأنداد الذي عاقبته النار، وفيه تعريض شبيهه بالتصريح أن ما عليه فرعون وقومه هو سبيل الغي⁽¹⁾.

قال البقاعي: "ولما بيّن العدل في العقاب، بيّن الفضل في الثواب، تنبيهًا على أن الرحمة سبقت الغضب"⁽²⁾.

ولا ينفك المؤمن يقيم المقارنات بين الهداية والغواية في قوله: ﴿يَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ﴾ [غافر: 41] فهو يكشف لهم حقيقة الحياة الدنيا، يقرر لهم قاعدة الحساب والجزاء، يستنكر الدعوة إلى النار ويبطلها، في مقابل دعوته إلى الجنة، فينسف دعوتهم إليه للشرك في مقابل دعوته لهم للنجاة، ويحذرهم من خطر الشرك والإسراف، ثم يفوض ويعدمهم بتذكّر نصيحته يوم لا ينفع التذكر⁽³⁾.

خامساً: قدرة مؤمن آل فرعون على الاقتناع بتنوع أساليب الحوار.

لما كان فساد ما قاله فرعون أظهر من أن يحتاج إلى بيان، أعرض المؤمن عنه تصريحاً، ولوح إلى ما حكاه الله عنه من أنه محيط به الهلاك تلويحاً في قوله منادياً قومه ومستعظفا لهم ثلاث مرات: الأولى على سبيل الإجمال في الدعوة، والأخريان على سبيل التفصيل⁽⁴⁾.

قال الزمخشري: "احتاج في مقابلة خصوم موسى إلى أن يداريهم، ويسلك معهم طريق الإنصاف في القول، ويأتيهم من وجهة المناصحة، فجاء بما علم أنه أقرب إلى تسليمهم لقوله، وأدخل في تصديقهم له وقبولهم منه، فقال: ﴿وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ﴾ [غافر: 28] وذلك ليسمعوا منه ولا يردوا عليه، وذلك أنه حين كان حديثه صادقاً فقد أثبت أنه صادق في جميع ما يعد، ولكنه أردفه يصبكم بعض الذي يعدكم ليهضمه بعض حقه في ظاهر الكلام، فيريهم أنه ليس بكلام من أعطاه حقه وافيًا، فضلاً أن يتعصب له، وتقديم الكاذب على الصادق أيضاً من هذا القبيل"⁽⁵⁾.

(1) ينظر: الكشف، الزمخشري (ج4/ 168).

(2) نظم الدرر، البقاعي (ج17/ 74).

(3) ينظر: في ظلال القرآن، قطب (ج5/ 3082-3083).

(4) ينظر: نظم الدرر، البقاعي (ج6/ 516).

(5) الكشف، الزمخشري (ج4/ 163).

ومن بديع النظم القرآني في كلام المؤمن أنه أوجز حين قال: ﴿وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ ويقصد: أنه جاء بالآيات الواضحات على حقيقة ما يقول من ذلك، وتلك البينات من الآيات يده وعصاه، وقوله مسرف وهو يقصد: الإسراف في الشرك وقتل الأنفس⁽¹⁾.

ومن بلاغة الإشارة والتلميح، في الآية الكريمة أن في قول المؤمن: ﴿رَبِّيَ اللَّهُ﴾ إشارة إلى التوحيد، وقوله: ﴿وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ إشارة إلى الدلائل الدالة على التوحيد، مع ما تتضمنه من ارتقاء في الحجج بعد أن استأنس في خطاب قومه بالكلام الموجه فارتقى إلى التصريح بتصديق موسى بعله أنه جاء بالبينات⁽²⁾.

كما يعمد المؤمن إلى أسلوب الاستدراج حين يستشهد على صدق رسالة موسى عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ بصيغة الجمع فهي عدة بينات لا بيعة واحدة، وأتى بها معرفة، أي البينات العظيمة التي شهدتموها وعرفتوها على ذلك، ليلين بذلك جماهم، ويكسر من سورتهم، ثم أخذهم بالاحتجاج بطريق التقسيم، فقال: لا يخلو من أن يكون صادقاً أو كاذباً، فإن يك كاذباً فضرر كذبه عائد عليه، أو صادقاً فيصحبكم، إن تعرضتم له، بعض الذي يعدكم⁽³⁾.

وتختتم الآية الكريمة بالتعريض بفرعون، قال الرازي: فكان قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾ [غافر: 28] إشارة إلى علو شأن موسى عليه السلام على طريق الرمز والتعريض، ويحتمل أيضاً أن يكون المراد أن فرعون مسرف في عزمه على قتل موسى، كذاب في إقدامه على ادعاء الإلهية، والله لا يهدي من هذا شأنه وصفته، بل يبطله ويهدم أمره⁽⁴⁾.

"وإن التكرار لما تضمن مزيداً من العاطفة الإنسانية بين المؤمن وقومه، ولذا كرر ذلك زيادة في استعطافهم بكونهم أهله فهو غير متهم في نصحتهم، لأنه لا يريد لهم إلا ما يريد لنفسه"⁽⁵⁾.

سادساً: مؤمن آل فرعون يرتقي لنقطة الفصل والمواجهة.

إن مؤمن آل فرعون لما استنفذ جميع الأساليب، ووجد أن القوم يصرون على العناد في بقائهم على شركهم، كان لابد من لحظة الحسم الفاصلة فقال: ﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ﴾ فقد

(1) ينظر: جامع البيان، الطبري (ج21/ 376).

(2) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (ج24/ 129).

(3) ينظر: محاسن التأويل، القاسمي (ج8/ 307).

(4) ينظر: مفاتيح الغيب، الرازي (ج27/ 510).

(5) نظم الدرر، البقاعي (ج17/ 72).

خرج الخبر من معنى الإخبار إلى معنى التهديد، أي: ستذكرون صدق كلامي عندما يحل بكم العذاب، وإلى معنى الوعيد، حيث توعدهم أنهم سيذكرون قوله عند حلول العذاب بهم⁽¹⁾، ثم جمع إلى التهديد والوعيد التوكل على الله في خاتمة كلامه ما يشير إلى بلوغه الغاية من النصح والإرشاد ولم يعد لديه مزيد ولذا ختمه بما يدل على المتاركة بقوله: ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ﴾ [غافر: 44]⁽²⁾.

قال الرازي: "ولما بالغ مؤمن آل فرعون في هذه البيانات ختم كلامه بخاتمة لطيفة فقال: ﴿فَسْتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ﴾ [غافر: 44] وهذا كلام مبهم يوجب التخويف ويحتمل أن يكون المراد أن هذا الذكر يحصل في الدنيا وهو وقت الموت، وأن يكون في القيامة وقت مشاهدة الأهوال وبالجملة فهو تحذير شديد، ثم قال: وأفوض أمري إلى الله وهذا كلام من هدد بأمر يخافه فكأنهم خوفوه بالقتل وهو أيضاً خوفهم بقوله: ﴿فَسْتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ﴾ [غافر: 44] ثم عول في دفع تخويفهم وكيدهم ومكرهم على فضل الله تعالى فقال: وأفوض أمري إلى الله وهو إنما تعلم هذه الطريقة من موسى عليه السلام، فإن فرعون لما خوفه بالقتل رجع موسى عليه السلام في دفع ذلك الشر إلى الله حيث قال: ﴿إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾ [غافر: 27]⁽³⁾.

قال سيد قطب: "ثم يشتد في مواجهتهم بمقت الله ومقت المؤمنين لمن يجادل في آيات الله بغير حجة ولا برهان، وهم يفعلون هذا في أبشع صورة، ويندد بالتكبر والتجبر، وينذر بطمس الله لقلوب المتكبرين المتجبرين: ﴿الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبِيرٌ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ [غافر: 35] والتعبير على لسان الرجل المؤمن يكاد يكون طبق الأصل من التعبير المباشر في مطالع السورة، المقت للمجادلين في آيات الله بغير برهان، والإضلال للمتكبرين المتجبرين حتى ما يبقى في قلوبهم موضع للهدى، ولا منفذ للإدراك"⁽⁴⁾، بذلك يكون مؤمن آل فرعون خير شاهد على الجندية الدعوية مستخدماً جميع الأساليب بدقة وخفاء حتى إذا كانت نقطة الفصل والحسم كان أهلاً لذلك، قد أحسن التوكل على الله، فوقاه الله سيئات ما مكروا، وكفى بالله ولياً وكفى بالله نصيراً.

(1) ينظر: الجواهر الحسان، الثعالبي (ج5/ 117).

(2) ينظر: عناية القاضى وكفاية الراضى، الخفاجي (ج7/ 372).

(3) مفاتيح الغيب، الرازي (ج27/ 520).

(4) في ظلال القرآن، قطب (5/ 3081).

المبحث الثاني

نماذج للجندي الفاسد في ضوء القرآن الكريم

المطلب الأول: جنود وعصاة قوم فرعون.

أولاً: سمة الشرك بالله واقعاً في حياة جنود وعصاة قوم فرعون.

إن خباثة نفوس جنود قوم فرعون وفساد عقيدتهم تجلت فيما يلي:

1- أن الوطن والأرض والشعب ملك خاص للملك وأسرته: لا بدعوى الملك فقط، بل باعتراف الشعب له بهذا الاستحقاق، سواء بلسان الحال أو المقال، فهم لا ينازعونه ولا يرضون أحداً ينازعه في ملكه، لاعتقادهم بأنه صاحب الأرض وهو سيدهم، وهو أحق بها وبهم منهم أنفسهم، وأول ملكية عرفت لها المجتمعات البشرية هي الفرعونية في مصر، ولهذا تحدث القرآن عنها بكل تفصيل لأنها أول من سن الربوبية البشرية وهذا معنى قوله تعالى عن فرعون ودعواه حين قال لقومه ﴿وَتَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الزخرف: 51]⁽¹⁾، قال سيد قطب: "إن ملك مصر وهذه الأنهار التي تجري من تحت فرعون، أمر قريب مشهود للجماهير، يبرها وتستخفها الإشارة إليه، فأما ملك السماوات والأرض وما بينهما ومصر لا تساوي هبأة فيه فهو أمر يحتاج إلى قلوب مؤمنة تحسه، وتعقد الموازنة بينه وبين ملك مصر الصغير الزهيد، والجماهير المستعبدة يغيرها البريق الخادع القريب من عيونها ولا تسمو قلوبها ولا عقولها إلى تدبر ذلك الملك الكوني العريض البعيد، ومن ثم عرف فرعون كيف يلعب بأوتار هذه القلوب ويستغلها بالبريق القريب ﴿أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾ [الزخرف: 52]"⁽²⁾.

2- اعتبر القوم أن فرعون هو السيد والمرجع الأعلى وهو فوق الجميع: وذاته مصونة عن النقد، وهو فوق المساءلة فضلاً عن الحساب والعقاب، وإليه يرفع الشعب استرحامه وتضرعاته⁽³⁾، قال الزمخشري: "إن سياسة التجهيل لمتبعيه أثمرت نفعاً حيث شايعوه على

(1) ينظر: الأحكام الشرعية للثورات العربية، الشحوذ (ص 704).

(2) في ظلال القرآن، قطب (ج5/ 3193).

(3) ينظر: الأحكام الشرعية للثورات العربية، الشحوذ (ص 705).

أمره، وهو ضلال مبين لا يخفى على من فيه أدنى مسكة من العقل، وذلك أنه ادعى الإلهية وهو بشر مثلهم، وجاهر بالعسف والظلم والشر الذي لا يأتي إلا من شيطان مارد، ومثله بمعزل من الإلهية ذاتاً وأفعالاً، فاتبعوه وسلموا له دعواه، وتتابعوا على طاعته، وما في أمره رشد إنما هو غي صريح وضلال ظاهر مكشوف، وإنما يتبع العقلاء من يرشدهم ويهديهم، لا من يضلهم ويغويهم، وفيه أنهم عاينوا الآيات والسلطان المبين في أمر موسى عليه السلام، وعلموا أن معه الرشد والحق، ثم عدلوا عن اتباعه إلى اتباع من ليس في أمره رشد قط⁽¹⁾.

3- إن مشيئة فرعون كانت نافذة فيهم، وسلطته لا حدود لها: فما يأمر به يكون ديناً وفرضاً يجب طاعته والالتزام به وتطبيقه طوعاً أو كرهاً⁽²⁾، قال الطبري: "الأنداد من الرجال يطيعونهم كما يطيعون الله إذا أمرهم أطاعوهم وعصوا الله"⁽³⁾، فكان فرعون يقول لهم ﴿مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ [غافر: 29] إنني لا أقول لكم إلا ما أراه صواباً، وأعتقد نافعاً، وإنه لهو الصواب والرشد بلا شك ولا جدال، وهل يرى الطغاة إلا الرشد والخير والصواب؟ وهل يسمحون بأن يظن أحد أنهم قد يخطئون؟ وهل يجوز لأحد أن يرى إلى جوار رأيهم رأياً؟! وإلا فلم كانوا طغاة؟⁽⁴⁾.

ثانياً: سمة الكبر واقعاً في حياة جنود وعصاة قوم فرعون.

"إن قوم فرعون تكبروا عن تلقي الدعوة من موسى عليه السلام، لأنهم احتقروه وأحالوا أن يكون رسولاً من الله وهو من قوم مستعبدين استعبدتهم فرعون وقومه، وهذا وجه اختيار التعبير عن إعراضهم عن دعوته بالاستكبار كما حكى الله عنهم فقالوا: ﴿أَنْتُمْ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ﴾ [المؤمنون: 47] فكان كل إعراض منهم وإنكار في مدة الدعوة والبعثة هو استكبار"⁽⁵⁾.

وقد علل صاحب المنار سبب تكذيب المستكبرين بأمرين:
الأول: أن اتباعه تحويل لهم عن التقاليد الموروثة عن الآباء.

(1) الكشف، الزمخشري (ج2/ 426).

(2) ينظر: الأحكام الشرعية للثورات العربية، الشحود (ص 706).

(3) الطبري، جامع البيان (ج3/ 18).

(4) ينظر: في ظلال القرآن، قطب (ج5/ 3080).

(5) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (ج11/ 247).

الثاني: أنه يسلب سلطانهم منهم وينفرد بما يتمتعون به من الكبرياء في الأرض⁽¹⁾.

واعلم أن الله تعالى قد أرسل إليهم الآيات التسع التي رآها قوم موسى ﷺ عياناً حيث قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً﴾ [النمل: 13]، فقد جعل الإبصار لها، وهو في الحقيقة لمتأملها، وذلك بسبب نظرهم وتفكرهم فيها، أو جعلت كأنها لظهورها تبصر فتتهدي، واستيقنتها أنفسهم والاستيقان أبلغ من الإيقان، فقد استيقنوا أنها آيات بينة من عند الله تعالى، ثم كابروا بتسميتها سحراً بيناً، فكان ردهم بدلاً من الاستجابة والانقياد هو التكبر والترفع عن الإيمان بما جاء به موسى في قوله: ﴿فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ﴾ [المؤمنون: 46]⁽²⁾.

والملا بأوصافهم وأخلاقهم التي بيّنها القرآن الكريم يوجدون في كل مجتمع، وفي كل مكان وزمان، ولهذا فهم يقفون غالباً في وجه كل دعوة إلى الله تعالى، ويحاربونها بدافع من الكبر الذي يغشى نفوسهم، وبدافع حب الرياسة على الناس، وخوفهم من أن تسلبهم هذه الدعوة الإصلاحية مركزهم ومكانتهم وترفعهم، فالكبر يعلق في النفوس المريضة والحرص على الرياسة والجاه والمنزلة، موجود في النفوس، وإنما ينقمع بالإيمان، والجهل يخيم على مثل هذه النفوس التي تعشق العلو في الأرض⁽³⁾.

قال ابن تيمية: "ومعلوم أن فرعون هو أعظم الذين استكبروا، ثم هامان وقارون، وأن قومهم كانوا لهم تبعاً، وقد قال: ﴿وَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يَرْجِعُونَ﴾ فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين﴾ [القصص: 39-40] وهذا تصريح بأنه نبذه وقومه في اليم عقوبة الذي هو الكفر، وأنه أتبعه وقومه في الدنيا لعنة، ويوم القيامة هم من المقبوحين هو وقومه جميعاً"⁽⁴⁾.

ثالثاً: تحريض الطغاة سمة بارزة في حياة جنود وعصاة قوم فرعون.

يخبر تعالى عن الملا من قوم فرعون وهم: الأمراء، والكبراء، أنهم حرضوا ملكهم فرعون على أذية نبي الله موسى ﷺ، ومقابلته بدل التصديق بما جاء به بالكفر والرد والأذى، قالوا: ﴿أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ﴾ [الأعراف: 127] يعنون أن دعوته إلى عبادة الله وحده لا شريك له، والنهي عن عبادة ما سواه، فساد بالنسبة إلى اعتقاد القبط⁽⁵⁾.

(1) ينظر: تفسير المنار، رضا (ج11/ 380).

(2) ينظر: مفاتيح الغيب، الرازي (ج24/ 546).

(3) ينظر: أصول الدعوة، زيدان (ص 388).

(4) جامع الرسائل، ابن تيمية (ج1/ 215).

(5) ينظر: قصص الأنبياء، ابن كثير (ج2/ 53).

فالإفساد في الأرض من وجهة نظر هؤلاء، هو الدعوة إلى الله وتحكيم شرعه، حيث يترتب تلقائياً بطلان حكم الفراعنة، وسقوط نظامهم كله، لأن نظام الطغاة قائم أساساً على عبودية البشر للبشر، وإن كان في الدعوة إلى الله صلاح المجتمعات كلها وتحريرها من عبوديتهم الظالمة، وطغيانهم المميت⁽¹⁾.

وإن النمرود وفرعون والفراعنة من بعدهما ما كان لهم أن يصنعوا ما صنعوا لولا وجود الفراعنة الصغار، الذين أيدهم على الباطل، وزينوا لهم مطاردة المؤمنين، فهذا فرعون يشير عليه قومه بملاحقة موسى ومن معه، بحجة ألا يفسدوا في الأرض، فهؤلاء المجرمون وأمثالهم هم الذين كانوا سنداً للطغاة في حربهم للذين آمنوا ولا شك أنهم مؤخذون بما يفعلون، فمن يعتذر لهم بأنهم أدوات وآلات في يد الحاكم، لم يفهم ما قاله الله عنهم في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ﴾ [القصص: 8] فقرن تعالى جنودهما بهما لمشاركتهم لهما في الظلم، والضلال، والإعراض عن الحق⁽²⁾.

وفي قول الملأ من قوم فرعون: ﴿وَيَذَرُكَ وَآلِهَتَكَ﴾ [الأعراف: 127] تحريض قوى لفرعون على أن يضرب ضربته، وأن يعجل بها قبل أن يتابع الناس موسى، ويدخلوا في دعوته، ويؤمنوا بالله كما آمن السحرة، فلا يبقى إلا فرعون وتلك المعبودات التي يعبدوها، وينظر فرعون في هذا القول، وترسم له الصورة التي يطل بها عليه، لو أنه ترك موسى وشأنه، فيصدر حكمه على موسى وقومه جميعاً: ﴿قَالَ سَنَقْتُلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾ [الأعراف: 127] إنه استئصال لهؤلاء القوم، وقتل بطيء لهم بقتل أولادهم، وإذلال شديد لهم، باستباحة نسائهم، وبهذا تظل يد فرعون عليهم قاهرة متسلطة، وفي هذا نذير لمن تسول له نفسه أن يتابع موسى أو يتصل به⁽³⁾.

رابعاً: إفساد جنود وعصاة قوم فرعون في الأرض.

إن جنود وعصاة فرعون قد تفننوا في إذاقة بني إسرائيل ألوان العذاب، قال تعالى: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُدَبِّجُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ [البقرة: 49] وسوء العذاب أشده وأفظعه وهو عذاب التسخير والإرهاق وتسليط العقاب الشديد بتذبيح الأبناء وسبي النساء والمعنى يذبحون أبناء آبائكم

(1) في ظلال القرآن، قطب (ج3/ 1354) باختصار.

(2) ينظر: الموالات والمعاداة، الجلعود (ج1/ 234-235).

(3) ينظر: النصر والتمكين آت بإذن الله، الشحوذ (ص 10).

ويستحيون نساء قومكم الأولين⁽¹⁾، "وكان من فسادهم أنهم جمعوا على بني إسرائيل بين سوم العذاب؛ وهو التنكيل والتعذيب، وبين الذبح، كما أنهم كانوا يستبقون نساءهم؛ لأنه إذا ذهب الرجال، وبقيت النساء ذلّ الشعب، وانكسرت شوكته؛ لأن النساء ليس عندهن من يدافع، ويبقين خدماً لآل فرعون، وهذا والعياذ بالله من أعظم ما يكون من الإذلال"⁽²⁾.

قال الألوسي: "وكانوا يكلفونهم الأعمال الشاقة، والأمور الفظيعة ويرسلونهم إليها ويصرفونهم فيها أو يذيقوهم سوء العذاب المفسر بما بعده، وقد حكى أن فرعون جعل بني إسرائيل خدماً، وصنفهم في الأعمال: فصنف بينون، وصنف يحرثون، وصنف يخدمون، ومن لم يكن منهم في عمل وضع عليه الجزية يؤديها كل يوم، ومن غربت عليه الشمس قبل أن يؤديها غلت يده إلى عنقه شهراً، وجعل النساء يغزلن الكتان، وينسجن"⁽³⁾.

وقد ذكر القرطبي عن قتادة في قوله تعالى: ﴿قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ﴾ [غافر: 25] "هذا قتل غير القتل الأول، لأن فرعون كان قد أمسك عن قتل الولدان بعد ولادة موسى عليه السلام، فلما بعث الله موسى عليه السلام أعاد القتل على بني إسرائيل عقوبة لهم فيمتنع الإنسان من الإيمان، وحتى لا يكثر جمعهم فيعتضدوا بالذكور من أولادهم، فشغلهم الله عن ذلك بما أنزل عليهم من أنواع العذاب، كالضفادع والقمل والدم والطوفان إلى أن خرجوا من مصر، فأغرقهم الله"⁽⁴⁾.

المطلب الثاني: جنود طالوت المتخاذلين.

أولاً: الجبن أول سمات جنود طالوت المتخاذلين.

لما غلب على بني إسرائيل عدو لهم فسبى كثيراً من ذراريهم، فسألوا نبيهم ملكاً تنتظم به كلمتهم ويجمعهم به أمرهم، ويستقيم حالهم في جهاد عدوهم، وقيل تغلب جالوت على بني إسرائيل، وكان قوام بني إسرائيل بملك يجتمعون عليه يجاهد الأعداء، ويجري الأحكام، ونبي يطيعه الملك، ويقوم أمر دينهم، ويأتيهم بالخبر من عند ربهم⁽⁵⁾، فكان جواب نبيهم عليه السلام وهو أعلم بحالهم ﴿قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا﴾ [البقرة: 246] بمعنى أتوقع

(1) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (ج1/ 492).

(2) تفسير الفاتحة والبقرة، العثيمين (ج1/ 175).

(3) الألوسي، روح المعاني (ج1/ 255).

(4) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (ج15/ 305).

(5) ينظر: مفاتيح الغيب، الرازي (ج6/ 502).

جبنكم عن القتال، فأدخل هل مستقهما عما هو متوقع عنده ومظنون، وأراد بالاستقهما التقرير، وتثبيت أن المتوقع كائن، وأنه صائب في توقعه⁽¹⁾.

فلما فرض عليهم قتال عدوهم والجهاد في سبيله أدبروا مولين عن القتال، وضيعوا ما سألوه نبيهم من فرض الجهاد، والقليل الذي استثناهم الله منهم، هم الذين عبروا النهر مع طالوت، والله ذو علم بمن ظلم منهم نفسه، فأخلف الله ما وعده من نفسه، وخالف أمر ربه فيما سألته ابتداء أن يوجهه عليه⁽²⁾.

وهنا تبرز بضع العظات، كلها ذات قيمة للجندي المسلم، من ذلك:

1- أن الحماسة الجماعية، قد تخذع القادة لو أخذوا بمظهرها فيجب أن يضعوها على محك التجربة، قبل أن يخوضوا بها المعركة الحاسمة.

2- أن اختبار الحماسة الظاهرة والاندفاع الثائر في نفوس الجماعات، ينبغي أن لا يقف عند الابتلاء الأول.

3- إن كثرة بنى إسرائيل هؤلاء قد تولوا بمجرد أن كتب عليهم القتال استجابة لطلبهم، ولم تبق إلا قلة مستمسكة بعهدا مع نبيهم، وهم الجنود الذين خرجوا مع طالوت⁽³⁾.

قال سيد قطب: "وهنا نطلع على سمة خاصة من سمات إسرائيل في نقض العهد، والنكث بالوعد، والتقلت من الطاعة، والنكوص عن التكليف، وتفرق الكلمة، والتولي عن الحق البين، وهي سمة ينبغي للقيادة أن تكون منها على حذر، وأن تحسب حسابها في الطريق الوعر، كي لا تفاجأ بها، فهي متوقعة من الجماعات البشرية التي لم تخلص من الأوشاب، ولم تصهر ولم تطهر، ثم يكون الاستنكار ووصم الكثرة التي تولت قبل أن تواجه الجهاد مواجهة عملية بالظلم؛ فهي ظالمة لنفسها، وظالمة لنبيها، وظالمة للحق الذي خذلته وهي تعرف أنه الحق، فاستحقوا الوصف بأنهم ظالمون"⁽⁴⁾.

(1) ينظر: الكشف، الزمخشري (ج1/ 291).

(2) ينظر: جامع البيان، الطبري (ج5/ 305).

(3) ينظر: تبصير المؤمنين بفقہ النصر والتمكين، الصلابي (ص 81).

(4) في ظلال القرآن، قطب (ج1/ 266).

قال ابن تيمية: "وما في القرآن من الحز على الجهاد والترغيب فيه وذم الناكليين عنه والتاركين له: كله ذم للجبن، ولما كان صلاح بني آدم لا يتم في دينهم ودنياهم إلا بالشجاعة والكرم، بين سبحانه أن من تولى عن الجهاد بنفسه أبدل الله به من يقوم بذلك"⁽¹⁾.

ومن الفوائد الاجتماعية أن الأمم التي تفسد أخلاقها وتضعف، قد تفكر في المدافعة عند الحاجة إليها وتعزم على القيام بها إذا توفرت شرائطها التي يتخللونها، ثم إذا توفرت الشروط يضعفون ويجبنون، ويزعمون أنها غير كافية ليعذروا أنفسهم وما هم بمعذورين فهم ظالمون لأنفسهم وأمتهم بترك الجهاد دفاعاً عنها وحفظاً لحقها، فهو يجزيهم وصفهم فيكونون في الدنيا أذلاء مستضعفين، وفي الآخرة أشقياء معذبين⁽²⁾.

والجهاد في سبيل الله يتطلب إعداداً نفسياً وتربوياً وعلمياً، وخبرة وكفاءة ومهارة، وجرأة وشجاعة، وعزيمة صادقة وإخلاصاً، وتضحية وتفاانياً في سبيل المبدأ والعزة والكرامة، فهو لا يكون بالأمانى والتعليلات، وإنما بالبطولة ومضاء العزيمة وقوة الإرادة.

ولم يكن لدى بني إسرائيل شيء من هذه المقومات لسببين جوهريين: هما خبث النفوس وعدم طهارتها وصدقها، وضعف الإيمان وحب الحياة بدون تضحيات وعناء، لذا تولوا وأعرضوا عن المشاركة في القتال، لفقد مقوماته السابقة⁽³⁾.

ثانياً: التكبر والقياس الفاسد يفضي لأسوأ النتائج.

إن نبي بني إسرائيل لما طلبوا منه أن يعين لهم ملكاً يقاتلون من ورائه قال لهم: ﴿إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَأَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ﴾ [البقرة: 247] أنى كيف ومن أين، وهو إنكار لتملكه عليهم واستبعاد له، والمعنى: كيف يمتلك علينا والحال أنه لا يستحق التملك لوجود من هو أحق بالملك، وأنه فقير ولا بد للملك من مال يعتضد به، وإنما قالوا ذلك لأن النبوة كانت في سبط لاوي بن يعقوب والملك في سبط يهوذا ولم يكن طالوت من أحد السبطين، ولأنه كان رجلاً سقاءً أو دباغاً فقيراً⁽⁴⁾.

(1) مجموع الفتاوى، ابن تيمية (ج28 / 157).

(2) ينظر: المنار، رضا (ج2 / 377).

(3) ينظر: التفسير المنير، الزحيلي (ج2 / 423).

(4) ينظر: الكشف، الزمخشري (ج1 / 292).

وإن الأمم في طور الجهل ترى أن أحق الناس بالملك والزعامة أصحاب الثروة الواسعة، كما في قول المنكرين على طالوت، فهذا الاعتقاد من السنن العامة في الأمم الجاهلية، وهو من القياس الفاسد الذي يجعل السيادة لمن لا يستحقها⁽¹⁾.

إن القياس السليم هو ما بينه لهم نبيهم ﷺ في وجه الاصطفاء؛ بأن الله زاده بسطة في العلم، الذي هو ملاك الإنسان، ورأس الفضائل، وأعظم وجوه الترجيح، وزاده بسطة في الجسم الذي يظهر به الأثر في الحروب ونحوها، فكان قوياً في دينه وبدنه، وذلك هو المعبر، لا شرف النسب، فإن فضائل النفس مقدمة عليه⁽²⁾.

وذكر الشعراوي في خواطره أن جنود طالوت المتخاذلين حين يريدون وضعاً من الأوضاع لا يريدون الرجل المناسب للموقف، ولكن يريدون الرجل المناسب لنفوسهم الخبيثة ومزاجهم الفاسد، بدليل قولهم: ﴿أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ﴾ [البقرة: 247] وهل الملك يأتي غطرسة أو كبرياء؟ ومادام طالوت رجلاً من غمار الناس فالحق ﷺ يريد أن يضع قضية كل مؤمن وهي أنك حين تريد الاختيار فيأياك أن يعشك حسب أو نسب أو جاه، ولكن اختر الأصلح من أهل الخبرة لا من الأقارب والأصدقاء⁽³⁾.

ثالثاً: سمة عصيان الأوامر عند جنود طالوت المتخاذلين.

إن طاعة الجنود للقائد في كل ما يأمر به وينهى عنه شرط في الظفر واستقامة الأمر وقوانين الجندية في هذا الزمان حتى عند الغربيين مبنية على طاعة الجيش لقواده في المنشط والمكره والمعقول وغير المعقول⁽⁴⁾.

"فقال لهم قائدهم: إن الله مختبركم بنهر يصادفنا في أثناء الطريق إلى الأعداء، فمن شرب منه فليس من أتباعي وأنصاري، ومن لم يتذوقه فإنه من حزبي وأعواني، وكذا من اغترف بيده غرفة فقط بيل بها ريقه ويدفع بها شيئاً من العطش، فكانت نتيجة الاختبار: أن شربوا منه جميعاً، لاعتيادهم العصيان، وضعف الإيمان، إلا قليلاً منهم وهم أهل الإيمان، وصدق الاتباع، والإخلاص في الدين"⁽⁵⁾.

(1) ينظر: تبصير المؤمنين بفقہ النصر والتمكين، الصلابي (ص 76).

(2) ينظر: فتح القدير، الشوكاني (ج1/ 303).

(3) ينظر: الخواطر، الشعراوي (ج2/ 1047).

(4) ينظر: تبصير المؤمنين بفقہ النصر والتمكين، الصلابي (ص 77).

(5) التفسير المنير، الزحيلي (ج2/ 428).

قال الرازي: "فلم يطيعوه إلا قليل منهم، وقد كان المقصود من هذا الابتلاء أن يتميز الصديق عن الزنديق، والموافق عن المخالف، فلما ذكر الله تعالى أن الذين يكونون أهلاً لهذا القتال هم الذين لا يشربون من هذا النهر، وأن كل من شرب منه فإنه لا يكون مأذوناً في هذا القتال، وكان في قلبهم نفرة شديدة عن ذلك القتال، لا جرم أقدموا على الشرب، فتميز الموافق عن المخالف، والصديق عن العدو"⁽¹⁾.

قال صاحب المنار: "لما كان بنو إسرائيل من قبل كارهين لملك طالوت عليهم، ثم أذعنوا من بعد، وكان إذعان الجميع ورضاهم مما لا يمكن العلم به إلا بالاختبار والابتلاء أراد الله أن يبتلي هذا القائد جنده ليعلم المطيع والعاصي والراضي والساخط، فيختار المطيع الذي يرجى بلاؤه في القتال، وثباته في معامع النزال، وينفي من يظهر عصيانه، ويخشى في الوعى خذلانه، فإن طاعة الجيش للقائد وثقته به من شروط الظفر، وأحوج القواد إلى اختبار الجيش من ولي على قوم وهم له كارهون، أو كان فيهم من يكرهه، فإذا وجد في الجيش من ليس متحداً معه يخشى أن يوضعوا خلاله يبغيه الفتنة ويسمونه بالفشل"⁽²⁾.

قال الرازي: "لا خلاف بين المفسرين أن الذين عصوا الله وشربوا من النهر رجعوا إلى بلدهم ولم يتوجه معه إلى لقاء العدو إلا من أطاع الله تعالى في باب الشرب من النهر"⁽³⁾.

رابعاً: الهزيمة النفسية تبرز حقيقة جنود طالوت المتخاذلين

إن جنود طالوت المتخاذلين لما رأوا كثرة العدو وقلة الصديق، وكانوا قد تخلفوا فلم يتجاوزوا النهر مع من تجاوز من المؤمنين فقالوا: ﴿قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ﴾ [البقرة: 249] وذلك لما ألم بهم من الهزيمة النفسية والخوف والجبن وضعف التوكل على الله، فكانوا بذلك يحاولون التأثير على القلة المؤمنة التي تجاوزت النهر ليفتوا من عزيمتهم ويضعفوا من قوتهم، وهذا حال المنافقين في كل وقت وحين⁽⁴⁾.

يقول الشعراوي: إن الجماعة الذين تولوا كانوا ظالمين لأنفسهم ولأهلهم ولمجتمعهم وللقضية العقديّة، وهؤلاء الذين تخاذلوا سراً، وأرادوا أن يقتلوا الروح المعنوية للناس وهم الذين

(1) مفاتيح الغيب، الرازي (ج6/ 511).

(2) المنار، رضا (ج2/ 386).

(3) مفاتيح الغيب، الرازي (ج6/ 512).

(4) المرجع السابق، ج6/ 512.

يطلق عليهم في هذا العصر «الطابور الخامس» الذين يفتنون الروح المعنوية دون أن يراهم أحد ولكن الله يعرفهم⁽¹⁾.

إن جنود طالوت قد خاضوا مجموعة من الاختبارات الحاسمة فكانوا ينهزمون نفسياً فوجاً بعد فوج على النحو التالي:

1- اختبار الحماسة الظاهرة والاندفاع الفائر في نفوس الجماعات ينبغي أن لا يقف عند الابتلاء الأول، فإن كثرة بني إسرائيل هؤلاء قد تولوا بمجرد أن كتب عليهم القتال استجابة لطلبهم، ولم تبقى إلا قلة مستمسكة بعهداها مع نبيها.

2- اختبار الثبات والصبر، وذلك عند عبور النهر ومنعه إياهم من المبالغة في الشرب فانهمزموا مرة أخرى، ولم تستطع نفوسهم أن ترتقي وتنضبط، فانهمزمت أمام هذا الاختبار.

3- الاختبار الأصعب وهو عند رؤية العدو فكان ما تبقى من القليل الذين جاوزوا النهر لم يثبت كذلك إلى النهاية، فأمام الهول الحي، أمام كثرة الأعداء وقوتهم، تهاوت العزائم وزلزلت القلوب: ﴿فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ﴾ [البقرة: 249] وأمام هذا التخاذل ثبتت الفئة القليلة المختارة⁽²⁾.

ولكن القلة القليلة من أهل الحق وحراس العقيدة، رغم الخذلان والتساقط الذي يروونه أمام أعينهم ممن حولهم، إلا أنهم ثبتوا في ميدان العزة والكرامة، ثقة بالله وتوكلاً عليه، آخذين بأسباب النصر التي أمرهم الله بها، فاستحقوا النصر والتمكين.

المطلب الثالث: المنافقون في عهد النبي ﷺ.

أولاً: نبذة عن المنافقين.

إن مرض النفاق لم يكن بمكة لأن طبيعة العرب الخَلَص تأبى النفاق، فإما إيمان صادق، وإما كفر ظاهر، وإنما نجم النفاق بالمدينة، فقد كان يساكن العرب فيها اليهود، وهم قوم مخادعون منافقون بطبيعتهم، وعندهم أخذ عرب المدينة الذين لم يُسلموا هذا الخلق المرذول.

ولما قدم النبي ﷺ المدينة صارت له الكلمة النافذة على المسلمين جميعاً، وصارت إليه الرئاسة الدينية والدنيوية، فحقد عليه وعلى دينه بعض العرب ممن كانت له الزعامة في المدينة، فتآمرؤا مع اليهود على الشر وعداوة الإسلام، ولم يكن في استطاعتهم أن يعلنوا عن الحقد

(1) الخواطر، الشعراوي (ج2/ 1045).

(2) ينظر: في ظلال القرآن، قطب (ج1/ 263).

والشر الخبيء في قلوبهم، فلم يجدوا بداً من التستر بالإسلام، يظهرونه ويبطنون الكفر والحدق والضغينة على الإسلام والمسلمين، وقد تزعم هؤلاء رجل من العرب، كان قومه قد نظموا له الخرز ليتوجوه ويملكوه عليهم، فلما انصرفوا عنه ومنهم أهله وولده حقد وضغن، ونافق وداهن، وهو عبد الله بن أبي ابن سلول⁽¹⁾.

قال الزحيلي: "والنفاق جبن وخيانة، وكذب وضلال، ومرض وخداع، لذا سرعان ما ينكشف شأن المنافقين، ويحتقرهم المجتمع، وتتبدى لهم الأمة، والنفاق واليهودية شيئان متلازمان لأنه ينشأ عن جبن وضعف حقيقي ولؤم طبعي، فالمنافق يلتوي مع الناس في أقواله وأفعاله، واليهودي يخادع الناس ويتآمر عليهم"⁽²⁾.

ثانياً: التولي يوم الزحف سمة المنافقين في عهد النبي ﷺ وفيما بعده.

1- تولي المنافقين يوم أحد.

لقد أظهر المنافقين خباثة نفوسهم وحقيقتهم في غزوة أحد فقد قال تعالى فيهم: ﴿وَلْيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَا تَبْعَنَاكُمْ هُمْ لِلْكَفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ﴾ [آل عمران: 167] أي أن المنافقين لما رجعوا عن رسول الله ﷺ وعن أصحابه، حين ساروا إلى المشركين بأحد لقتالهم، فقال لهم المسلمون: تعالوا قاتلوا المشركين معنا، أو ادفعوا بتكثيركم سوادنا، فقالوا: لو نعلم أنكم تقاتلون لسرنا معكم إليهم، ولكننا معكم عليهم، ولكن لا نرى أنه يكون بينكم وبين القوم قتال، فأبدوا من نفاق أنفسهم ما كانوا يكتُمونه ويخفونه من عداوة رسول الله ﷺ وأهل الإيمان به⁽³⁾.

حتى إذا كانوا بالشوط بين المدينة وأحد، رجع عنه عبد الله بن أبي بن سلول بثلاث الناس، وقال: أطاعهم وعصاني، ما ندرى علام نقتل أنفسنا ها هنا أيها الناس فرجع بمن اتبعه من قومه من أهل النفاق والريب، واتبعهم عبد الله بن عمرو بن حرام ؓ، يقول: يا قوم، أذكركم الله ألا تخذلوا قومكم ونبيكم عند ما حضر من عدوهم، فقالوا: لو نعلم أنكم تقاتلون لما أسلمناكم، ولكننا لا نرى أنه يكون قتال، فلما استعصوا عليه وأبوا إلا الانصراف عنهم، قال: أبعدكم الله أعداء الله، فسيغني الله عنكم نبيه ﷺ⁽⁴⁾.

(1) ينظر: السيرة النبوية، أبو شهبه (ج2/ 42-43).

(2) التفسير الوسيط، الزحيلي (ج1/ 14).

(3) ينظر: جامع البيان، الطبري (ج7/ 378).

(4) ينظر: السيرة النبوية، ابن هشام (ج2/ 64).

2- تولى المنافقين في الأحزاب.

والمنافقين على عادتهم إذا جاء الخوف فإنهم يتفلتون ويفرون، متحججين بأسباب واهية لا يقبلها عقل ولا منطق، قال تعالى محدثاً عنهم: ﴿وَيَسْتَأْذِنُ قَرِيبٌ مِنْهُمْ النَّبِيُّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾ [الأحزاب: 13] قال الرازي: "فقد عزموا على الرجوع واستأذنوه وتعللوا بأن بيوتنا عورة أي فيها خلل لا يأمن صاحبها السارق على متاعه والعدو على أتباعه، ثم بين الله كذبهم وقصدهم وما تكن صدورهم وهو الفرار بسبب الخوف"⁽¹⁾.

قال ابن قدامة: "ذم الله تعالى الذين أرادوا الرجوع إلى منازلهم يوم الأحزاب، ولأنهم إذا جاء العدو، صار الجهاد عليهم فرض عين فوجب على الجميع، فلم يجز لأحد التخلف عنه، فإذا ثبت هذا، فإنهم لا يخرجون إلا بأذن الأمير؛ لأن أمر الحرب موكل إليه، وهو أعلم بكثرة العدو وقتلتهم، ومكامن العدو وكيدهم"⁽²⁾.

قال ابن كثير: "يخبر تعالى عن هؤلاء الذين يقولون إن بيوتنا عورة وما هي بعورة إن يريدون إلا فرارا أنهم لو دخل عليهم الأعداء من كل جانب من جوانب المدينة وقطر من أقطارها، ثم سئلوا الفتنة وهي الدخول في الكفر لكفروا سريعاً، وهم لا يحافظون على الإيمان ولا يستمسكون به مع أدنى خوف وفزع، وهذا ذم لهم في غاية الذم، ثم قال تعالى يذكرهم بما كانوا عاهدوا الله من قبل هذا الخوف أن لا يولوا الأدبار ولا يفرون من الزحف"⁽³⁾.

3- تولى المنافقين في تبوك.

الناظر إلى حال المنافقين في تبوك يجد أنهم ليسوا أحسن حالاً من سابقاتها فهم لم يتخلفوا عن رسول الله ﷺ فحسب؛ بل أبدوا الفرح والسرور لذلك، قال تعالى: ﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [التوبة: 81] قال صاحب الظلال: هؤلاء الذين أدركتهم ثقله الأرض والحرص على الراحة، والشح بالنفقة، وقعد بهم ضعف الهمة وهزال النخوة، وخواء القلب من الإيمان، فهم كما لو كانوا متاعاً يخلف أو هملاً يترك، فرحوا بالسلامة والراحة، فهؤلاء وهم يتساقطون إعياء خلف الصفوف الجادة الزاحفة العارفة بتكاليف الدعوات، ولكن هذه الصفوف تظل في طريقها المملوء بالعقبات والأشواك،

(1) مفاتيح الغيب، الرازي (ج25/ 161).

(2) المغني، ابن قدامة (ج9/ 213).

(3) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (ج6/ 349).

لأنها تدرك بفطرتها أن كفاح العقبات والأشواك فطرة في الإنسان، وأنه ألد وأجمل من القعود والتخلف والراحة البليدة التي لا تليق بالرجال⁽¹⁾.

قال ابن هشام: "كانوا يشيرون إلى النبي ﷺ وهو منطلق إلى تبوك، فقال بعضهم لبعض: اتحسبون جلد بني الأصفر كقتال العرب بعضهم بعضاً، والله لكأننا بكم غدا مقرنين في الحبال، إرجافاً وترهيباً للمؤمنين"⁽²⁾.

فهذا حالهم ومقالهم في كل وقت وحين بين التولي والفرار وكراهية الانطلاق مع المجاهدين لنصرة دين الله، فبئس ما ظفروا به من حياة المذلة والمهانة والعبودية.

ثالثاً: الفساد في الأرض.

قال ابن تيمية: "إن الفساد في قوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَّا يَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: 12] هو النفاق الذي صافوا به الكفار وأطلعوهم على أسرار المؤمنين، والضمير في قوله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: 8] عائد على المنافقين وهذا مطلق يتناول من كان على عهد النبي ﷺ ومن سيكون بعدهم"⁽³⁾، قال الطبري: "فكذلك صفة أهل النفاق: مفسدون في الأرض بمعصيتهم فيها ربه، وركوبهم فيها ما نهاهم عن ركوبه، وتضييعهم فرائضه، وشكهم في دين الله الذي لا يقبل من أحد عملاً إلا بالتصديق به والإيقان بحقيقته، وبمظاهرتهم أهل التكذيب بالله وكتبه ورسله على أولياء الله، إذا وجدوا إلى ذلك سبيلاً فذلك إفساد المنافقين في أرض الله"⁽⁴⁾.

ومن مظاهر إفسادهم في الأرض:

1- أمرهم بالمنكر ونهيهم عن المعروف: قال الرازي: "اعلم أن الله بين أنواع فضائحهم وقبائحهم، وإنائهم كذكورهم في تلك الأعمال المنكرة والأفعال الخبيثة، يأمرهم بالمنكر ولفظ المنكر يدخل فيه كل قبيح، إلا أن الأعظم هاهنا تكذيب الرسول وينهون عن المعروف ولفظ المعروف يدخل فيه كل حسن إلا أن الأعظم هاهنا الإيمان بالرسول ﷺ ويقبضون أيديهم

(1) في ظلال القرآن، قطب (ج3/ 1682) باختصار.

(2) السيرة النبوية، ابن هشام (ج2/ 525).

(3) الإيمان، ابن تيمية (ص 71).

(4) جامع البيان، الطبري (ج1/ 289).

من كل خير، وعن كل خير واجب من زكاة وصدقة وإنفاق في سبيل الله، ويدخل فيه ترك الإنفاق في الجهاد، ونبه بذلك على تخلفهم عن الجهاد، والأصل في هذا أن المعطي يمد يده ويبسطها بالعطاء، فقل لمن منع وبخل قد قبض يده⁽¹⁾.

2- **الكذب وبث الشائعات:** "إن من أعظم إفسادهم بين المسلمين إثارة الأكاذيب وبث الشائعات فقد حاول المنافقون التأثير في معنويات المسلمين بأسلوب آخر، هو أسلوب اختلاق الأخبار الكاذبة، فاختلقوا حديث الإفك⁽²⁾ بعد غزوة بني المصطلق، ولم يؤثر هذا الأسلوب في معنويات المسلمين؛ فلم يبق أمام المشركين ويهود والمنافقين إلا أن يحشدوا كل قواتهم في صعيد واحد لمحاولة القضاء على المسلمين مادياً ومعنوياً"⁽³⁾.

"والحرب الحديثة تعتمد على بث الإشاعات المثيرة لتصديق الصفوف وبليلة الافكار، وقسم بث الإشاعات من أهم أقسام شعب الاستخبارات في تشكيلات الجيوش، وهي أسلوب من أشد أساليب الحرب النفسية فتكاً، فحاول المنافقون أن يبتؤوا سموم إشاعاتهم لتحطيم معنويات المسلمين، ولكن محاولتهم فشلت"⁽⁴⁾.

3- **إثارة الفوضى والنعرات الجاهلية:** إن المنافقين كانوا يحاولون إثارة الفوضى والنعرات الجاهلية، محاولين التفريق بين المؤمنين ليجدوا بذلك لأنفسهم مكاناً ومكانة، فعن جابرٍ رضي الله عنه، قَالَ: غَزَوْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، وَكَانَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلٌ لَعَابٌ، فَكَسَعَ أَنْصَارِيًّا، فَعَضِبَ الْأَنْصَارِيُّ غَضَبًا شَدِيدًا حَتَّى تَدَاعَوْا، وَقَالَ الْأَنْصَارِيُّ: يَا لِلْأَنْصَارِ، وَقَالَ الْمُهَاجِرِيُّ: يَا لِلْمُهَاجِرِينَ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ، فَقَالَ: "مَا بَالُ دَعْوَى أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ؟ ثُمَّ قَالَ: مَا شَأْنُهُمْ" فَأُخْبِرَ بِكَسَعَةِ الْمُهَاجِرِيِّ الْأَنْصَارِيَّ، قَالَ: فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «دَعُوهَا فَإِنَّهَا خَبِيثَةٌ» وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي ابْنِ سُلُولٍ: أَقْدَ تَدَاعَوْا عَلَيْنَا، لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ، فَقَالَ

(1) مفاتيح الغيب، الرازي (ج16 / 97).

(2) ينظر: السيرة النبوية، الصلابي (ص 581).

(3) الرسول القائد، خطاب (ص 221).

(4) المرجع السابق، ص 238.

عُمَرُ: أَلَا نَقْتُلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا الْخَبِيثَ؟ لِعَبْدِ اللَّهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّهُ كَانَ يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ»⁽¹⁾.

رابعاً: تثبيط المؤمنين، وتحريض المشركين.

إن سيرة المنافقين تنبؤ عما في سريرتهم من الحقد على الإسلام، فهم بين تثبيط المؤمنين ومنعهم عن الجهاد تارة، وتارة أخرى يشدون من عزم اليهود والمشركين ويحفزونهم على قتال المؤمنين، ومن تثبيطهم للمؤمنين:

1- قولهم للمؤمنين في غزوة تبوك: ﴿لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾ [التوبة: 81] قال ابن عباس: إن رسول الله ﷺ أمر الناس أن ينبعثوا معه وذلك في الصيف. فقال رجال: يا رسول الله الحر شديد ولا نستطيع الخروج فلا تنفر في الحر فرد عليهم ﷺ أن نار جهنم أشد حراً⁽²⁾.

2- قولهم للمؤمنين يوم الأحزاب: ﴿مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [الأحزاب: 12] قال القرطبي: وذلك أن جماعة نحو سبعين رجلاً من المنافقين قالوا يوم الخندق: كيف يعدنا كنوز كسرى وقیصر ولا يستطيع أحدنا أن يتبرز؟ وإنما قالوا ذلك لما فشا في أصحاب النبي ﷺ من قوله عند ضرب الصخرة، فأنزل الله تعالى هذه الآية⁽³⁾.

أما مظاهر التحريض على النبي ﷺ وعلى المؤمنين، فقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [الحشر: 11] "فكان رسول الله ﷺ حاصر بني النضير، وأمهلهم ثلاثة أيام، وقيل عشرة ليفارقوا جواره ويجلوا عن المدينة على أن يأخذوا أموالهم، ويقيموا وكلاء عنهم على بساينهم ومزارعهم، ولكن المنافقين في المدينة وعلى رأسهم عبد الله بن أبي النفاق أرسلوا إليهم يحرضونهم على الرفض والمقاومة، وقالوا لهم: أن اثبتوا وتمنعوا فإننا لن نسلمكم، إن قوتلتهم قاتلنا معكم، وإن أخرجتم خرجنا معكم"⁽⁴⁾.

(1) [صحيح البخاري، البخاري، تفسير القرآن/ قوله تعالى ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾، 154/6: حديث رقم 4905]

(2) [باب التأويل، الخازن (ج2/390).

(3) [الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (ج14/147).

(4) [في ظلال القرآن، قطب (ج6/3519)، وينظر: الرسول القائد، خطاب (ص 208).

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

إنه لشرف عظيم أن أقف في نهاية هذا البحث؛ الذي كانت معية الله بارزة في كل لحظات إعدادهِ، وصولاً لتسجيل أهم النتائج والتوصيات، والتي أسطرها على النحو التالي:

أولاً: أهم النتائج أذكرها في النقاط التالية:

1. أرسى القرآن الكريم قواعد الجندية، وبين معانيها، وفنونها المتعددة في جميع المجالات، وقدم نظرية متكاملة تشمل حياة الجندي وتطلعاته.
2. إن مفهوم الجندية لا يختص بالأفراد المنظمين في الجيوش النظامية، فحسب بل هو عام لكل مسلم يريد رفعة الأمة، ويسعى لعزتها وكرامتها.
3. انتصار الجندي ليس مقصوراً على الظفر وهزيمة الأعداء، بل إن انتصار المنهج والذكر الطيب بعد موت الجندي، والنصر بقوة الحجة وصحة البرهان، وكذلك استشهاد الجندي يعد انتصاراً له وتحقيقاً لآماله وتطلعاته.
4. حاجة الجندي للإعداد العقائدي والفهم السليم للإسلام يجب أن يكون أولاً، وذلك حتى لا ينقلب وبالاً على دينه وأمته، فيصير العدو الأشد خطراً والأكثر أذيةً على المسلمين.
5. حاجة الأمة لإعداد الجندي المسلم العارف بفنون القتال، هي حاجة ماسة لا بد للمسلمين أن يوفرها لها المعاهد، والمراكز التدريبية في جميع بلاد المسلمين، لأن الجندية هي الطريق الموصل للقيادة التي ستقود الأمة إلى تحقيق النصر والتمكين.
6. الجندي المسلم بحاجة إلى تجهيزات عصرية، تواكب ما يجد في بلاد الغرب؛ ليكون أكثر فعالية وتأثير.
7. قطرات العرق التي يبذلها الجندي في ميادين الإعداد كفيلاً أن تغنيه عن كثير من الدماء، فيجب على الجندي أن يهتم بالتدريب والإعداد.
8. الجندي بحاجة إلى قيادة حكيمة راشدة، عارفةً بقدرات جنودها، وقادرةً على الحفاظ عليهم، وعلى الجندي السمع لهم والطاعة، والالتزام الدقيق لتعليماتهم.

9. الجندي المسلم بحاجة دائمة إلى التعزيز النفسي، برفع معنوياته ومشاورته في أمور السلم والحرب، مما يعزز من قدراته، ويرفع من مستواه الروحي والفكري.
10. الجندي بحاجة إلى التعلق الدائم بالله، وإخلاص النية في جميع أوقاته لله، وعليه ألا يعتدّ بنجاحاته وانتصاراته، ولا يسند النصر لأحد من البشر، فالنصر والتوفيق من الله وحده، والله هو الموفق والمعين، والهادي إلى سواء السبيل.

ثانياً: أهم التوصيات:

1. أوصي العلماء وطلبة العلم إلى استخراج كنوز القرآن، وتجهيز منهجاً عسكرياً كاملاً، يستغني به الجندي عن المناهج والأطروحات الوضعية، والمؤدي بدوره إلى إظهار عظمة إعجاز القرآن الكريم بالأدلة والبراهين.
2. أوصي الجنود أن يتدبروا معاني القرآن الكريم والتي شملت جميع مناحي الحياة كافة، ويمعنوا النظر فيها، ويأخذوا بتوجيهات القرآن الكريم، فهو خير لهم من الاستجداد بثقافة الكفار المغلوطة، وأخلاقهم الهابطة، وعقيدتهم المزيفة.
3. أوصي الجنود أن يبذلوا قصارى جهدهم لتمكين دين الله، وتحرير العباد من عبودية غير الله، حتى تتحرر المقدسات ويدفع البلاء عن المسلمين.
4. أوصي القيادة المسلمة أن تكون على قدرة ودراية وجاهزية، لتلبية التطلعات الجسام التي يرنو لها الجنود، في جميع أحوالهم الحربية والسلمية، وعليهم يقع مسئولية إنشاء مراكز للتدريب على الرماية والفروسية والسباحة.
5. أوصي الأمة بحشد كل ما يستطيعون من المال والخبرات، لتصنيع وشراء ما يحتاجه الجندي من السلاح الذي يحقق قوة الرعب والردع لأعداء الأمة.

الفهارس العامة

أولاً: فهرس الآيات القرآنية

الآية	رقمها	الصفحة
الفاتحة		
إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ	5	162
البقرة		
وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا	83	66
وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ	102	107 ، 71
وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ	126	49
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ	178	56
كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ	183	27
وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ	195	174 ، 79 ، 76
فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ	196	53
وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ	212	220 ، 164
كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ	216	81 ، 78 ، 27
وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِ	231	72
حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ	238	52
فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ	239	52

الآية	رقمها	الصفحة
إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلَكًا	247	260 ، 217
لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ	249	22 ، 21 ، 14
وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ	250	126 ، 14
وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ	251	234 ، 22
وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ	270	16
وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ	282	124 ، 90
آل عمران		
وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ	7	72
قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ	13	21
شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ	18	73 ، 72
قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ	31	35
فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيحْيَى	39	103
فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمْ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْخَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ	52	16
يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أُنْ لَا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا	64	32

الآية	رقمها	الصفحة
بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ	76	44
وَادْكُرُوا اللَّهَ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا	103	41، 150، 158
وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ	122	23
إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُنزَلِينَ	124	25
بَلَىٰ إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَذَا يُمِدِّدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ	125	25، 125
فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ	159	23، 149، 190
إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنْصُرْكُم مِّن بَعْدِهِ	160	38، 84
وَمَا كَانَ لِإِيَّائِي أَنْ يَغْلُفَ وَمَنْ يَغْلُفْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ	161	86، 173
وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَا تَبْعُنَاكُمْ	167	264
وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرَزَقُونَ	169	45
الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا	173	40، 67
رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَجْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ	192	16
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ	200	42، 75،

الآية	رقمها	الصفحة
النساء		
وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا	9	125
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ	59	41، 58، 72
وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ	75	82
وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا	76	102
أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشِيدَةٍ	78	32، 38
وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ	83	89، 153، 166
فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى	95	29
وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً	102	95، 213
فَإِذَا قُضِيَتْ الصَّلَاةُ فَادْكُرُوا اللَّهَ فَيَا مَأْمُورًا وَقُودًا وَعَلَى جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ	103	53
وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ	113	72
المائدة		
الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا	3	95، 133
وَمَا عَلَّمْتُ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ	4	109

الآية	رقمها	الصفحة
يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ	21	244
وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ	23	244 ، 23
فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُؤَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ	31	111
إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا	33	144 ، 57
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ	35	123 ، 75
وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ	38	56
وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ	67	48
قَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ	72	16
اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ	98	65
الأنعام		
وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ	52	140
الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ	82	54 ، 51
وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَشَاءُ	83	47
أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ	89	72
يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ	130	106
وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ	153	62
الأعراف		
وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ	6	99

الآية	رقمها	الصفحة
ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ	55	127، 59
فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ	78	44
وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا قَانِظَرَ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ	84	44
أَنْذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ	127	256
عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ	129	37
فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ	133	111، 108
وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَعُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَعَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا	137	37
اخْلُقْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ	142	221
فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا ...	165	58
الأنفال		
وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ	1	40
إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِآلِيفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ	9	102، 39
إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسُ أَمَنَةً مِنْهُ	11	160
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفُوا زَحَفًا فَلَا تُولُوهُمْ الْأَدْبَارَ	15	142
وَمَنْ يُؤَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِتْنَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ	16	155، 21
إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً	36	35
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِتْنَةً فَانْتَبِهُوا وَادْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ	45	84، 39، 21

الآية	رقمها	الصفحة
وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ	46	130 ، 87 ، 42
وَمَا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ	58	147 ، 31
إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ	72	76 ، 33
التوبة		
وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ	6	173 ، 31
كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ	7	147
الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ	20	76 ، 33
ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا	26	14
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ لِكُمْ أَنْفُسُكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ أَنْفَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ	38	28
إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا	39	79
فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا	40	48 ، 24 ، 14
انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكَُمْ خَيْرٌ لَكُمْ	41	200
قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ	52	45
الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ	79	200
فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ	81	268 ، 265

الآية	رقمها	الصفحة
رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ	87	79
لَكِنَّ الرُّسُولَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ	88	33
لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ ...	91	217
وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ	92	176
إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ	111	78 ، 34
مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ	120	27
وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ	122	69 ، 60
يونس		
فَاجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ	71	48
وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا	90	13
آلَانَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ	91	146
هود		
وَأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا ...	36	44
فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ	55	48
وَكَذَلِكَ أَخَذَ رَبُّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخَذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ	102	66
وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ ...	113	137

الآية	رقمها	الصفحة
يوسف		
وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ	30	20
وَقَالَ لِفِتْيَانِهِ اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انْقَلَبُوا إِلَى ...	62	20
قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ ...	108	62، 165
الرعد		
قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ	43	72
إبراهيم		
وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ	7	55
قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ...	10	65
وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ	20	26
يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ	27	227
وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ	35	51
الحجر		
فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ	95	48
النحل		
يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ	2	104
وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ	68	113
وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا	91	171

الآية	رقمها	الصفحة
إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ	105	145
وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّنْ كُلِّ مَكَانٍ	112	56
الإسراء		
إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ	37	140 ، 139
إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا	107	73
وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبَّنَا إِنَّا كُنَّا وَعْدُ رَبَّنَا لَمَفْعُولًا	108	73
الكهف		
إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا	10	20
ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا	12	20 ، 18
وَكَلْبُهُمْ بِاسِطٍ ذِراعِيهِ بِالْوَصِيدِ	18	109
وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ	28	62
وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا	43	21
وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا	60	244
فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا	61	244
فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا	62	20
مريم		
وَأَتَيْنَاهُ الْخُكْمَ صَبِيًا	12	72
فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرُّ مَكَانًا وَأَضْعَفُ جُودًا	75	12

الآية	رقمها	الصفحة
طه		
قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنِيٍّ وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى	18	116
فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيْتًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى	44	66
وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى	75	73
فَاتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ	78	13
إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَى	128	89
وَأَمْرٌ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا	132	62
الأنبياء		
وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ	30	114
فُلْنَا يَا نَارُ كُوفِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ	69	119
وَنَجِّنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ	71	120
وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ	80	237، 177
وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَنْ يَغُوصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ	82	105
الحج		
أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنفُسِهِمْ ظِلْمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ	39	82
وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهْدَمَتْ صَوَامِعُ وَبِيْعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ	40	26
المؤمنون		
فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ	53	18
ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ	96	68

الآية	رقمها	الصفحة
النور		
إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ	19	67
وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشِ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ	52	150 ، 40
يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً	55	36 ، 26
فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ	63	40
الفرقان		
وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُوراً	23	122
فَأَسْأَلُ بِهِ خَبِيراً	59	96
الشعراء		
اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ	63	245 ، 117
فَلَمَّا تَرَأَى الْجُمُعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ	66	24
وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ	84	46
وَجُنُودُ إبْلِيسَ أَجْمَعُونَ	95	13
فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ	189	44
وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ	215	68
النمل		
فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا	8	120
وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ	17	110 ، 13
حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا	18	112 ، 13

الآية	رقمها	الصفحة
يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ		140
وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ	20	110
فَمَا كَفَّ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ نَحْطُ بِهِ	22	110
قَالُوا نَحْنُ أَوْلُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ	33	222
ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ	37	12
قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنَّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ	39	106
وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ	82	108
القصص		
وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ	5	37
وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ	6	13
وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفَتْ عَلَيْهِ فَالْقِيهِ فِي الْيَمِّ	7	115
فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ	8	13
وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ	11	240
فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ	12	241
يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَائِكَةَ يُاتِمِرُونَ بِكَ لِيُقْضَىٰ عَلَيْكَ	20	248
فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ	25	51
وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّىٰ مُدَبِّرًا لَّمْ يَعْقِبْ يَا مُوسَىٰ أَقْبِلْ وَلَا	31	51

الآية	رقمها	الصفحة
تَتَخَفُ		
وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُم إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ	39	13، 256
فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَاُنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ	40	13
أَوَلَمْ نُمْكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا وَلَكِنَّ ...	57	50
فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ	81	21، 163
العنكبوت		
وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ	35	89
فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا	40	45
أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيَتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ	67	50
الروم		
فِطَرَتِ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا	30	201
مِنَ الدِّينِ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا كُلٌّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ	32	18
وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ	47	49، 169
لقمان		
وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ	12	خ، 72
لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ	13	55
يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ	17	63

الآية	رقمها	الصفحة
وَلَا تُصَغِّرْ حَدَّكَ لِلنَّاسِ	18	140
الأحزاب		
وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا	7	99
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا	9	14
وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا ...	13	153، 265
قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذَا لَا تُمْتَعُونَ إِلَّا قَلِيلًا	16	39
قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا	18	153
مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ	23	43، 231
وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ	26	159
وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا	36	40
الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا	39	63، 95، 133
سبأ		
وَقَدَّرَ فِي السَّيِّدِ	11	178، 237
وَمِنَ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ	12	105
اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ	13	55، 235، 236
لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ	15	55

الآية	رقمها	الصفحة
إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضَّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرَفَاتِ آمِنُونَ	37	54، 51
فاطر		
إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ	6	18
إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ	28	73
يس		
وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ	20	61
اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ	21	61
قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ	26	45
بِمَا غَفَر لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ	27	45
وَمَا أَنْزَلْنَاهُ عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ	28	12
لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُحْضَرُونَ	75	12
الصافات		
وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ	173	ج، 12، 101، 169
ص		
جُنْدٌ مَا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الْأَحْزَابِ	11	12
وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ	17	234

الآية	رقمها	الصفحة
وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَضَّلَ الْخِطَابِ	20	237
وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ	86	170
الزمر		
أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ	3	122
قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ	10	33
قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ	11	122
إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ	21	89
أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ	36	160
غافر		
إِنِّي عُدْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ	27	253
وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ	28	251 ، 248
يَا قَوْمِ لَكُمْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ	29	255 ، 102
وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ	30	249
الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا	35	253
يَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ	41	251
وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ	60	59
فصلت		
وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ	33	60

الآية	رقمها	الصفحة
الشورى		
وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ	10	59
شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ	13	60
وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ	30	135، 85
الزخرف		
وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ	51	254
الدخان		
وَأَثَرِكُ الْبَحْرِ رَهْوَإِ إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُغْرَقُونَ	24	12
يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ	55	54، 51
الأحقاف		
بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ	24	118
وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا	29	105
محمد		
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ	7	36
فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ	19	70
الفتح		
وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ	4	14

الآية	رقمها	الصفحة
وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَزِيرًا حَكِيمًا	7	14
لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ	27	53
مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ	29	68، 100، 158
الحجرات		
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ	6	92
إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ	10	136، 183
يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا	13	43
إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ	15	33، 62، 121
ق		
الذاريات		
فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ	40	13
وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ	41	118
النجم		
وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى	13	104
عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى	14	104
القمر		
فَدَعَا رَبَّهُ أَتَى مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرَ	10	44

الآية	رقمها	الصفحة
فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ	11	44
وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ	12	44
إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ	19	118
الحديد		
فَضْرِبَ بَيْنَهُمُ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ	13	47
وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ	19	81
المجادلة		
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ	11	73
اسْتَخَوِذْ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ	19	18، 102
لَا يَتَّخِذُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ	22	18
الحشر		
وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ	9	42
أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ ...	11	268
الصف		
إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُورٌ	4	213، 183
وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ ...	11	33
وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ	13	65، 44
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَصْوَارَ اللَّهِ	14	16

الآية	رقمها	الصفحة
المنافقين		
وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ	8	166 ، 180
الطلاق		
وَأَشْهِدُوا ذَوِي عَدْلٍ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ	2	90
وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ	3	169
وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا	4	124
الملك		
أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَكُمْ يَنْصُرُكُمْ مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِنَّ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي غُرُورٍ	20	12
القلم		
وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ	4	170
وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ	9	138
الحاقة		
وَأَمَّا عَادُ فَاهْتَكَمُوا بِرِجِّ صَرَصِرٍ عَاتِيَةٍ	6	118
نوح		
وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا	22	142
مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا	25	16
المزمل		
وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ	10	63

الآية	رقمها	الصفحة
المدثر		
يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ	7-1	63
وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْبَشَرِ	31	12
الإنسان		
وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا	8	157
البروج		
وَمَا نَقْمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ	8	232
هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ	17	13
الشرح		
وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ	4	46
القدر		
تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ	4	104
البينة		
وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ	5	122 ، 91
العاديات		
وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا	1	107
الفيل		
وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ	3	111

ثانياً: فهرس الأحاديث النبوية

الصفحة	طرف الحديث
142، 29	"اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ"،
235	"أَحَبُّ الصَّلَاةِ إِلَى اللَّهِ صَلَاةُ دَاوُدَ..."،
31	"أَحْيِ وَالِدَاكَ؟"، قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: "فَفِيهِمَا فَجَاهِدْ"،
209	"أَخَذَ الرَّايَةَ زَيْدٌ فَأُصِيبَ، ..."
94، 130، 210	"اذهَبْ فَأَتِنِي بِخَبَرِ الْقَوْمِ، وَلَا تَذَعِرْهُمْ عَلَيَّ"،
82	"أَرْوَاهُمْ فِي جَوْفِ طَيْرٍ خُضِرٍ، ..."،
206	"اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَإِنْ اسْتُعْمِلَ حَبَشِيٌّ كَانَ رَأْسُهُ رَبِيبَةً"،
172	"اغْزُوا بِاسْمِ اللَّهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، ..."،
170	"أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا، أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا"
128	"أَلَا أُحَدِّثُكُمْ بِأَشَقَى النَّاسِ رَجُلَيْنِ؟ ..."
132، 202	"الحرب خدعة"
59	"اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، ..."
40	"اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الْكِتَابِ، سَرِيعَ الْحِسَابِ، اللَّهُمَّ اهْزِمِ الْأَحْزَابَ، اللَّهُمَّ اهْزِمْهُمْ وَزَلْزَلْهُمْ"
79	"أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، "
199	"أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ نَتَصَدَّقَ فَوَافَقَ ذَلِكَ عِنْدِي مَا لَا ..."
212	"أَمِينُ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ".

الصفحة	طرف الحديث
127	"إِنَّ الدُّعَاءَ هُوَ الْعِبَادَةُ"، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: 60]
246	"إِنَّ الشَّمْسَ لَمْ تَحْبَسْ عَلَى بَشَرٍ إِلَّا لِيُوشَعَ لِيَالِي سَارَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ"،
91	"إِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ فَقَالَ: إِنِّي أُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبَّهُ، ..."
121	"إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُورِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ"
178	"إِنَّ اللَّهَ لَيَدْخُلُ بِالسَّهْمِ الْوَاحِدِ ثَلَاثَةَ الْجَنَّةِ: ..."
189	"أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمْ يَكُنْ يَدْخُلُ بَيْتًا بِالْمَدِينَةِ غَيْرَ بَيْتِ أُمِّ سُلَيْمٍ إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِ"
109	"إِنَّ أَوَّلَ آيَاتِ خُرُوجَا، ..."
151، 41	"أَنْ بَايَعَنَا عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي مَنْشَطِنَا وَمَكْرَهِنَا"
30	"أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَرَضَهُ يَوْمَ أُحُدٍ، ..."
201	"إِنَّ لَكَ أَجْرَ رَجُلٍ مِمَّنْ شَهِدَ بَدْرًا وَسَهْمَهُ"
248	"إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ الْجِهَادِ كَلِمَةً عَدْلٍ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ"
134، 86	"إِنْ وَجَدْتُمْ فُلَانًا وَفُلَانًا فَأَحْرِقُوهُمَا بِالنَّارِ ..."
133	"أَنَا النَّبِيُّ لَا كَذِبَ، أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلَبِ"
35	"انْتَدَبَ اللَّهُ لِمَنْ خَرَجَ فِي سَبِيلِهِ،"
247، 246	"إِنَّكَ مَأْمُورَةٌ وَأَنَا مَأْمُورٌ اللَّهُمَّ احْبِسْهَا عَلَيْنَا، فَحُبِسَتْ حَتَّى فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ"
170	"إِنَّمَا بَعَثْتُ لِأَتَمِّمْ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ"
68	"إِنَّهُ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا،"،
231	"انْهَرَمُوا وَرَبِّ مُحَمَّدٍ ..."
145	"آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اتَّخَذَ خَانَ"

الصفحة	طرف الحديث
135، 86	"أَيُّهَا النَّاسُ، لَا تَتَمَنَّوْا لِقَاءَ الْعَدُوِّ، ..."
32	"بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مِنْ مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ..."
207	"بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ سَرِيَّةً، وَأَمَرَ عَلَيْهِمْ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ "
39	"بل أنا أقتله إن شاء الله تعالى".
140	"بَيْنَمَا رَجُلٌ يَجُرُّ إِزَارَهُ مِنَ الْخِيَلَاءِ، ..."
158	"ثَلَاثَ مَنْ كُنَ فِيهِ وَجَدَ حُلَاوَةَ الْإِيمَانِ "
41، 26	"جُعِلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رُمَحِي، وَجُعِلَ الذَّلَّةُ وَالصَّغَارُ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرِي"،
236	"خَفَّفَ عَلَى دَاوُدَ ﷺ الْقُرْآنُ، ..."
74	"دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ يَعْدِلُ الْجِهَادَ؟ قَالَ: "لَا أَحِدُهُ"
123	"ذَاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللَّهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا"
103	"رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ، ..."
75	"رِبَاطُ يَوْمٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا"،
75	"رِبَاطُ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ خَيْرٌ مِنْ صِيَامِ شَهْرٍ وَقِيَامِهِ، ..."
89	"رَفَعَ الْقَلَمَ عَنْ ثَلَاثَةٍ: ..."
217	"سَتَقْنَحُ عَلَيْكُمْ أَرْضُونَ، وَيَكْفِيكُمْ اللَّهُ، فَلَا يَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يُلْهُوَ بِأَسْهُمِهِ"
235	"صُمْ يَوْمًا وَأَفْطِرْ يَوْمًا، وَذَلِكَ صِيَامُ دَاوُدَ ﷺ، ..."
70	"طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ،"
245	"غَزَا نَبِيٌّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، ..."
267	"غَزَوْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، وَكَانَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلٌ لَعَابٌ، فَكَسَعَ أَنْصَارِيًّا ... "

الصفحة	طرف الحديث
224	"قَاتَيْتَ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتَ: أَلَسْتُ نَبِيَّ اللَّهِ حَقًّا،..."
219، 43	"قُومُوا إِلَى جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ..."
196	"قُومُوا فَاَنْحَرُوا ثُمَّ احْلِفُوا"،...
133	"كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ،..."
217	"كَانَ خَيْرَ فُرْسَانِنَا الْيَوْمَ أَبُو قَتَادَةَ، وَخَيْرَ رَجَالِنَا سَلَمَةُ"
41	"كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى"
183	"كُنَّا فِي غَزَاةٍ فَكَسَعَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ،...."
133، 39، 231	"كُنَّا وَاللَّهِ إِذَا أَحْمَرَ الْبَاسُ نَتَّقِي بِهِ، وَإِنَّ الشُّجَاعَ مِنَّا لِلَّذِي يُحَادِي بِهِ، يَعْنِي النَّبِيَّ ﷺ"
212، 207	"لَا تَبْرَحُوا، إِنْ رَأَيْتُمُونَا ظَهَرْنَا عَلَيْهِمْ فَلَا تَبْرَحُوا،..."
26	"لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ،..."
68	"لَا تُزْرِمُوهُ" ثُمَّ دَعَا بِدَلْوٍ مِنْ مَاءٍ فَصَبَّ عَلَيْهِ.
206	"لَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ ﷻ"
28	"لَا هِجْرَةَ بَعْدَ الْفَتْحِ، وَلَكِنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ، وَإِذَا اسْتُنْفِرْتُمْ فَاَنْفِرُوا"،
79	"لَا هِجْرَةَ، وَلَكِنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ، وَإِذَا اسْتُنْفِرْتُمْ فَاَنْفِرُوا"
139	"لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبَرٍ"،
44	"لَا أُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ غَدًا..."
204	"لَا أُعْطِيَنَّ هَذِهِ الرَّايَةَ رَجُلًا يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ، يُحِبُّ اللَّهُ وَرَسُولَهُ وَيُحِبُّهُ"
138	"لَتَتَّبِعَنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، شَبْرًا شَبْرًا وَدِرَاعًا بِدِرَاعٍ..."

الصفحة	طرف الحديث
101	"لَقَدْ كَانَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَيْمَشْطُ بِأَمِشَاطِ الْحَدِيدِ، ..."
172، 144	"كل غادر لواء يوم القيامة يعرف به"
30	"لَكِنَّ أَحْسَنَ الْجِهَادِ وَأَجْمَلُهُ الْحَجُّ، حَجٌّ مَبْرُورٌ،"
132	"لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرْعَةِ، إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ"
55	"لَيْسَ ذَاكَ، هُوَ الشَّرُّكَ، ..."
82	"مَا أَحَدٌ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ يُحِبُّ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الدُّنْيَا، ..."
238	"مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ، خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلٍ يَدِهِ، ..."
195	"مَا تَرَوْنَ فِي هَؤُلَاءِ الْأَسَارَى؟".
24	"مَا ظَنُّكَ يَا أَبَا بَكْرٍ بِاِثْنَيْنِ اللَّهُ تَالِثُهُمَا"
113	"مَثَلُ الْمُؤْمِنِ مَثَلُ النَّحْلَةِ لَا تَأْكُلُ إِلَّا طَيِّبًا، وَلَا تَضَعُ إِلَّا طَيِّبًا،"
212	"مَعِيَ مَعِيَ"
176	"مَنْ احْتَبَسَ فَرَسًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ..."
54	"مَنْ أَصْبَحَ آمِنًا فِي سِرْبِهِ، مُعَافًى فِي جَسَدِهِ، عِنْدَهُ طَعَامُ يَوْمِهِ، فَكَأَنَّمَا"
150، 41	"مَنْ أَطَاعَ أَمِيرِي فَقَدْ أَطَاعَنِي، وَمَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ،"
205	"مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ، ..."
110	"مَنْ أَمْسَكَ كَلْبًا، ..."
77	"مَنْ جَهَّزَ غَازِيًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَقَدْ غَزَا، وَمَنْ خَلَفَ غَازِيًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِخَيْرٍ فَقَدْ غَزَا"
34	"مَنْ جَهَّزَ غَازِيًا، فَقَدْ غَزَا، وَمَنْ خَلَفَ غَازِيًا فِي أَهْلِهِ، فَقَدْ غَزَا"

الصفحة	طرف الحديث
199	"مَنْ حَفَرَ رُومَةً فَلَهُ الْجَنَّةُ؟ فَحَفَرْتُهَا..."
69	"مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ"،
122	"مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ"
31	"مَنْ قَتَلَ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الدِّمَةِ، لَمْ يَجِدْ رِيحَ الْجَنَّةِ...".
177	"مَنْ قَتَلَ قَتِيلًا لَهُ عَلَيْهِ بَيِّنَةٌ فَلَهُ سَلْبُهُ"،
203	"مَنْ لِكَعْبِ بْنِ الْأَشْرَفِ، فَإِنَّهُ قَدْ آذَى اللَّهَ وَرَسُولَهُ..."
80	"مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَعْرِ، وَلَمْ يُحَدِّثْ بِهِ نَفْسَهُ، مَاتَ عَلَى شُعْبَةٍ مِنْ نِفَاقٍ".
227	"مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا اسْتَعْمَلْهُ..."
162، 118	"نُصِرْتُ بِالصَّبَا، وَأُهْلِكْتُ عَادًا بِالدَّبُورِ"
42	"وَأَعْلَمُ أَنَّ فِي الصَّبْرِ عَلَى مَا تَكَرَّهُ خَيْرًا كَثِيرًا..."
188	"وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يُكَلِّمُ أَحَدًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، ..."
58	"وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَأْمُرَنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ..."
143	"والمكر والخداع في النار"،
180	"وَأَمَّا خَالِدٌ: فَإِنَّكُمْ تَظْلُمُونَ خَالِدًا، قَدْ احْتَبَسَ أَدْرَاعَهُ وَأَعْنَدَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ"
215	"وَلَقَدْ فَرَعَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ ذَاتَ لَيْلَةٍ، فَأَنْطَلَقَ نَاسٌ قِبَلَ الصَّوْتِ، ..."
58	"يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّكُمْ مُنْفَرُونَ، فَمَنْ صَلَّى بِالنَّاسِ فَلْيُخَفِّفْ، ..."
231	"يَا رَسُولَ اللَّهِ غِبْتُ عَنْ أَوَّلِ قِتَالٍ قَاتَلْتَ الْمُشْرِكِينَ..."
163	"يغزو جيش الكعبة، فإذا كانوا ببيداء من الأرض، يخسف بأولهم وآخرهم"
33	"يَوْمَ أَهْلُ الْعَافِيَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِينَ يُعْطَى أَهْلُ الْبَلَاءِ الثَّوَابَ ..."

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

• القرآن الكريم

- 1- إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة، أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل البوصيري، تحقيق: ياسر بن إبراهيم، الرياض، دار الوطن، ط1، 1999م
- 2- الأجوبة المفيدة لمهمات العقيدة، عبد الرحمن بن محمد بن خلف الدوسري، الكويت، مكتبة دار الأرقم، ط1، 1982م
- 3- إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، محمد بن علي بن دقيق العيد، (د.م)، مطبعة السنة المحمدية، (د.ط)، (د.ت).
- 4- الأحكام السلطانية والولايات الدينية، أبو الحسن علي بن محمد الشهير بالماوردي، القاهرة، دار الحديث، (د.ط)، (د.ت).
- 5- الأحكام الشرعية للثورات العربية، علي بن نايف الشحود، (د.م)، (د.ن)، ط1، 2011م
- 6- أحكام القرآن، محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، لبنان، دار الكتب العلمية، ط3، 2003م
- 7- أحكام المجاهد بالنفس في سبيل الله، مرعي بن عبد الله بن مرعي الجبهي، المدينة المنورة، مكتبة العلوم والحكم، ط1، 2003م
- 8- إحياء علوم الدين، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، بيروت، دار المعرفة، (د.ط)، (د.ت).
- 9- الآداب الشرعية والمنح المرعية، محمد بن مفلح بن محمد بن مفرج، (د.م)، عالم الكتب، (د.ط)، (د.ت).
- 10- الإدارة في عصر الرسول ﷺ، أحمد عجاج كرمي، القاهرة، دار السلام، ط1، 1427هـ.
- 11- الأذكار، أبو زكريا يحيى بن شرف النووي، (د.م)، دار ابن حزم، ط1، 2004م.

- 12- إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، أحمد بن محمد بن أبي بكر القسطلاني، مصر، المطبعة الكبرى الأميرية، ط7، 1323 هـ
- 13- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى، بيروت، دار إحياء التراث العربي، (د.ط)، (د.ت).
- 14- أركان الإيمان، علي بن نايف الشحود، (د.م)، (د.ن)، ط4، 2010 م
- 15- الاستخبارات العسكرية في الإسلام، عبد الله علي السلامة مناصرة، لبنان، مؤسسة الرسالة، ط1، 1991م.
- 16- الاستيعاب في معرفة الأصحاب، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر، تحقيق: علي محمد البجاوي، بيروت، دار الجيل، ط1، 1992 م.
- 17- أسد الغابة، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد، عز الدين ابن الأثير، بيروت، دار الفكر، (د.ط)، 1989م.
- 18- الأسس الأخلاقية للحركة الإسلامية، أبو الأعلى بن أحمد حسن المودودي، بيروت، دار الفكر، (د.ط)، (د.ت).
- 19- الإسلام في أفريقيا عبر التاريخ، أبو أحمد محمد أمان بن علي جامي علي، (د.م)، الجامعة الإسلامية، ط4، 1984م.
- 20- أسمى المطالب في سيرة أمير المؤمنين، علي بن أبي طالب ؑ، علي محمد محمد الصلابي، الشارقة - الإمارات، مكتبة الصحابة، (د.ط)، 1425 هـ - 2004م.
- 21- الإصابة في الذب عن الصحابة ؑ، مازن بن محمد بن عيسى، (د.م)، (د.ن)، (د.ط)، (د.ت).
- 22- أصول الدعوة، عبد الكريم زيدان، (د.م)، مؤسسة الرسالة، ط9، 1421 هـ - 2001م.
- 23- إعداد الجندي المسلم أهله وأهله، عبد الله بن فريح العقلا، الرياض، مكتبة الرشد، ط1، 1423 هـ - 2003م.

- 24- إعلام الموقعين عن رب العالمين، محمد بن أبي بكر، ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1411هـ - 1991م
- 25- إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، أحمد بن علي بن عبد القادر المقرئ، تحقيق: محمد عبد الحميد النميسي، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1420هـ - 1999م.
- 26- الأمثال، أبو عبيد القاسم بن سلام بن عبد الله، تحقق: عبد المجيد قطامش، (د.م)، دار المأمون للتراث، ط1، 1400هـ - 1980م.
- 27- الأمن في حياة الناس وأهميته في الإسلام، عبد الله بن عبد المحسن بن عبد الرحمن التركي، (د.م)، وزارة الأوقاف السعودية، (د.ط)، (د.ت).
- 28- أمير المؤمنين الحسن بن علي ؑ، علي محمد محمد الصلابي، مصر، دار التوزيع والنشر الإسلامية، ط1، 1425هـ - 2004م.
- 29- إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون، علي بن إبراهيم بن أحمد الحلبي، بيروت، دار الكتب العلمية، ط2، 1427هـ.
- 30- أوضح التفاسير، محمد محمد عبد اللطيف بن الخطيب، (د.م)، المطبعة المصرية، ط6، 1383هـ - 1964م.
- 31- الإيمان، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية، تحقق: محمد ناصر الدين الألباني، عمان - الأردن، المكتب الإسلامي، ط5، 1416هـ - 1996م
- 32- بحر العلوم، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد السمرقندي، (د.م)، (د.ن)، (د.ط)، (د.ت).
- 33- البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي الأندلسي، تحقق: صدقي محمد جميل، بيروت، دار الفكر، (د.ط)، 1420هـ.
- 34- البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة، تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، القاهرة، حسن عباس زكي، (د.ط)، 1419هـ.

- 35- البدء والتاريخ، المطهر بن طاهر المقدسي، بور سعيد، مكتبة الثقافة الدينية، (د.ط)، (د.ت).
- 36- بدائع السلك في طبائع الملك، محمد بن علي بن محمد الأندلسي، ابن الأزرق، تحقق: علي سامي النشار، العراق، وزارة الإعلام، ط1، (د.ت).
- 37- بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، أبو بكر بن مسعود بن أحمد الكاساني، (د.م)، دار الكتب العلمية، ط2، 1406هـ - 1986م.
- 38- بيان المعاني، عبد القادر بن ملاً حويش السيد محمود آل غازي العاني، دمشق، مطبعة الترقى، ط1، 1382هـ - 1965م.
- 39- بين العقيدة والقيادة، محمود شيت خطاب، دمشق، دار القلم، ط1، 1419هـ - 1998م.
- 40- تاريخ الخميس في أحوال أنفوس النفيس، حسين بن محمد بن الحسن الديار بكري، بيروت، دار صادر، (د.ط)، (د.ت).
- 41- تاريخ المدينة، عمر بن شبة (واسمه زيد) بن عبيدة بن ربيعة النميري، تحقيق: فهم محمد شلتوت، جدة، (د.ن)، (د.ط)، 1399هـ.
- 42- تبصير المؤمنين بفقه النصر والتمكين في القرآن الكريم، علي محمد محمد الصلابي، الشارقة - الإمارات، مكتبة الصحابة، ط1، 1422هـ - 2001م.
- 43- تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، محمد الطاهر بن محمد بن عاشور، تونس، الدار التونسية، (د.ط)، 1984هـ.
- 44- تسهيل النظر وتعجيل الظفر في أخلاق الملك، أبو الحسن علي بن محمد، الشهير بالماوردي، تحقق: محي هلال السرحان وحسن الساعاتي، بيروت، دار النهضة العربية، (د.ط)، (د.ت).
- 45- التسهيل لعلوم التنزيل، أبو القاسم محمد بن أحمد بن، ابن جزي، تحقيق: الدكتور عبد الله الخالدي، بيروت، دار الأرقم بن أبي الأرقم، ط1، 1416هـ.

- 46- *التعريفات*، علي بن محمد بن علي الجرجاني، لبنان، دار الكتب العلمية بيروت، ط1، 1403هـ - 1983م.
- 47- *تفسير الإمام ابن عرفة*، محمد بن محمد ابن عرفة، تحقيق: حسن المناعي، تونس، مركز البحوث بالكلية الزيتونية، ط1، 1986م.
- 48- *تفسير المنار*، محمد رشيد بن علي رضا بن محمد، (د.م)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د.ط)، 1990م.
- 49- *التفسير الواضح*، محمد محمود حجازي، بيروت، دار الجيل الجديد، ط10، 1413هـ.
- 50- *التفسير الوسيط للقرآن الكريم*، محمد سيد طنطاوي، القاهرة، دار نهضة مصر، ط1، 1998م.
- 51- *تفسير عبد الرزاق*، أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الصنعاني، تحقيق: محمود محمد عبده، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1419هـ.
- 52- *تفسير مقاتل بن سليمان*، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي، تحقيق: عبد الله محمود شحاته، بيروت، دار إحياء التراث، ط1، 1423هـ.
- 53- *تكملة المعاجم العربية*، رينهارت بيتر آن دوزي، ترجمة وتحقيق: محمد سليم النعيمي وجمال الخياط، الجمهورية العراقية، وزارة الثقافة والإعلام، ط1، من 1979 - 2000 م.
- 54- *تهذيب اللغة*، حمد بن أحمد بن الأزهر الهروي، تحقيق: محمد عوض مرعب، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط1، 2001م.
- 55- *تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان*، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، (د.م)، مؤسسة الرسالة، ط1، 1420هـ - 2000 م
- 56- *التيسير بشرح الجامع الصغير*، محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين المناوي، الرياض، مكتبة الإمام الشافعي، ط3، 1408هـ - 1988م
- 57- *جامع البيان في تأويل القرآن*، محمد بن جرير بن يزيد، أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، (د.م)، مؤسسة الرسالة، ط1، 1420هـ - 2000 م.

- 58- جامع الرسائل، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، الرياض، دار العطاء، ط1، 1422هـ - 2001م.
- 59- جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، عبد الرحمن بن أحمد بن رجب، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وإبراهيم باجس، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط1، 1422هـ - 2001م.
- 60- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، (دم)، دار طوق النجاة، ط1، 1422هـ.
- 61- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، (دم)، دار طوق النجاة، ط1، 1422هـ.
- 62- الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش القاهرة، دار الكتب المصرية، ط2، 1384هـ - 1964م.
- 63- جمهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، بيروت، دار العلم للملايين، ط1، 1987م.
- 64- الجهاد في سبيل الله تعالى، سعيد بن علي بن وهف القحطاني، الرياض، مطبعة سفير، (د.ط)، (د.ت).
- 65- الجهاد والقتال في السياسة الشرعية، محمد خير هيكل، (دم)، دار ابن حزم، (د.ط)، (د.ت).
- 66- الجواهر الحسان في تفسير القرآن، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، تحقيق: محمد علي معوض وعادل أحمد عبد الموجود، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط1، 1418هـ.
- 67- الحبش العربي الاسلامي في التخطيط السوقي الاستراتيجي للرسول والخلفاء الراشدين، حازم ابراهيم عارف، الرياض، دار الرشيد، (د.ط)، (د.ت).

- 68- الحضارة الإسلامية أسسها ووسائلها، عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّة الميداني، دمشق، دار القلم، ط1، 1418هـ-1998م.
- 69- الحضارة الإسلامية، أحمد عبد الرحيم السايح، المدينة المنورة، الجامعة الإسلامية، ط3، 1977م.
- 70- الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى، سعيد بن علي بن وهف القحطاني، المملكة العربية السعودية، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف، ط1، 1423هـ.
- 71- حياة الحيوان الكبرى، محمد بن موسى بن عيسى بن علي الدميري، بيروت، دار الكتب العلمية، ط2، 1424هـ.
- 72- الخلاصة في أحكام الأسرى، علي بن نايف الشحود، (د.م)، (د.ن)، ط2، 1433هـ - 2012م.
- 73- الخلاصة في أحكام دفع الصائل، علي بن نايف الشحود، (د.م)، (د.ن)، ط2، 1433هـ - 2012م.**
- 74- الخواطر، محمد متولي الشعراوي، (د.م)، مطابع أخبار اليوم، (د.ط)، (د.ت).
- 75- الدر المنثور، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، بيروت، دار الفكر، (د.ط)، (د.ت).
- 76- دراسات في المجتمع والسياسة، إسماعيل علي سعد، بيروت، دار النهضة العربية، ط1، 1988م.
- 77- دراسة في السيرة، عماد الدين خليل، بيروت، دار النفائس، ط2، 1425هـ.
- 78- دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، محمد علي بن محمد بن علان، تحقيق: خليل مأمون شيحا، بيروت - لبنان، دار المعرفة، ط، 1425 هـ - 2004م.
- 79- الدولة الأموية عوامل الازدهار وتدهايات الانهيار، علي محمد محمد الصلابي، بيروت - لبنان، دار المعرفة، ط2، 1429هـ - 2008م.

- 80- دولة السلاجقة وبرز مشروع إسلامي لمقاومة التغلغل الباطني والغزو الصليبي، علي محمد محمد الصلّابي، القاهرة، مؤسسة اقرأ، ط1، 1427هـ - 2006م.
- 81- الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، تحقيق: أبو اسحق الحويني، الخبر - المملكة العربية السعودية، دار ابن عفان، ط1، 1416هـ - 1996م.
- 82- الرحيق المختوم، صفى الرحمن المباركفوري، بيروت، دار الهلال، ط1، (د.ت).
- 83- رد المحتار على الدر المختار، محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين، بيروت، دار الفكر، ط2، 1412هـ - 1992م.
- 84- الرسول القائد، محمود شيت خطاب، بيروت، دار الفكر، ط6، 1422هـ.
- 85- روائع التفسير، عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، المملكة العربية السعودية، دار العاصمة، ط1، 1422هـ - 2001م.
- 86- روح البيان، إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي، بيروت، دار الفكر، (د.ط)، (د.ت).
- 87- الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة، محمد بن أبي بكر بن أيوب، ابن قيم الجوزية، بيروت، دار الكتب العلمية، (د.ط)، (د.ت).
- 88- زهرة التفاسير، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة، (د.م)، دار الفكر العربي، (د.ط)، (د.ت).
- 89- الزواجر عن اقتراف الكبائر، أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي، (د.م)، دار الفكر، ط1، 1407هـ - 1987م.
- 90- سبل السلام، محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الصنعاني، (د.م)، دار الحديث، (د.ط)، (د.ت).
- 91- سراج الملوك، أبو بكر محمد بن محمد ابن الوليد الطرطوشي، مصر، (د.ن)، (د.ط)، 1289هـ، 1872م.

- 92- السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني، القاهرة، مطبعة بولاق، (د.ط)، 1285هـ.
- 93- سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق السّجّستاني، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، صيدا - بيروت، المكتبة العصرية، (د.ط)، (د.ت).
- 94- سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر ومحمد فؤاد عبد الباقي وإبراهيم عطوة عوض، مصر، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط2، 1395هـ - 1975م.
- 95- سوء الخلق، محمد بن إبراهيم بن أحمد الحمد، (د.م)، دار ابن خزيمة، ط2، (د.ت).
- 96- سورة الواقعة ومنهجها في العقائد، محمود محمد غريب، القاهرة، دار التراث العربي، ط3، 1418هـ - 1988م.
- 97- السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام، ابن تيمية، المملكة العربية السعودية، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف، ط1، 1418هـ.
- 98- السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي، عبد الشافي محمد عبد اللطيف، القاهرة، دار السلام، ط1، 1428هـ.
- 99- السيرة النبوية، أبو الحسن علي بن عبد الحي بن فخر الدين الندوي، دمشق، دار ابن كثير، ط12، 1425هـ.
- 100- السيرة النبوية-عرض وقائع وتحليل أحداث، علي محمد محمد الصلّابي، بيروت - لبنان، دار المعرفة، ط7، 1429هـ - 2008م.
- 101- شرح صحيح البخاري، ابن بطلال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم الرياض - السعودية، مكتبة الرشد، ط2، 1423هـ - 2003م.
- 102- شمائل الرسول ﷺ، أحمد بن عبد الفتاح زواوي، الإسكندرية، دار القمة، (د.ط)، (د.ت).

- 103- شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، نشوان بن سعيد الحميري، تحقيق: حسين بن عبد الله العمري ومظهر بن علي ويوسف محمد عبد الله، بيروت - لبنان، دار الفكر المعاصر، ط1، 1420هـ - 1999م.
- 104- صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، أحمد بن علي بن أحمد القلقشندي، بيروت، دار الكتب العلمية، (د.ط)، (د.ت).
- 105- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، بيروت، دار العلم للملايين، ط4، 1407هـ - 1987م.
- 106- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط2، 1414هـ - 1993م.
- 107- صحيح الجامع الصغير وزياداته، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، الألباني، (د.م)، المكتب الإسلامي، (د.ط)، (د.ت).
- 108- صفة الصفوة، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، تحقيق: أحمد بن علي، القاهرة، مصر دار الحديث، (د.ط)، 1421هـ-2000م.
- 109- صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، القاهرة، دار الصابوني، ط1، 1417هـ - 1997م.
- 110- صلاح الدين الأيوبي وجهوده في القضاء على الدولة الفاطمية وتحرير بيت المقدس، علي محمد محمد الصلابي، بيروت - لبنان، دار المعرفة، ط1، 1429هـ - 2008م.**
- 111- صيد الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم والأمثال، حسين بن محمد المهدي، اليمن، دار الكتاب، (د.ط)، 2009م.
- 112- طريق الهداية - مبادئ ومقدمات علم التوحيد عند أهل السنة والجماعة، محمد يسري، (د.م)، (د.ن)، ط2، 1427هـ- 2006م.
- 113- عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، محمد بن أبي بكر بن أيوب، ابن قيم الجوزية، دمشق، دار ابن كثير، ط3، 1409هـ - 1989م.

- 114- العذب التَّمير من مَجَالس الشَّنَقِيطِي فِي التَّفْسِير، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الشنقيطي، تحقيق: خالد بن عثمان السبت، مكة المكرمة، دار عالم الفوائد، ط1، 1426هـ.
- 115- العقائد الإسلامية، سيد سابق، بيروت، دار الكتاب العربي، (د.ط)، (د.ت).
- 116- العقد الفريد، أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1404هـ.
- 117- عقيدة التوحيد في القرآن الكريم، محمد أحمد محمد عبد القادر خليل ملكاوي، (د.م)، مكتبة دار الزمان، ط1، 1405هـ - 1985م.
- 118- عقيدة المسلم في ضوء الكتاب والسنة، سعيد بن علي بن وهف القحطاني، الرياض، مطبعة سفير، (د.ط)، (د.ت).
- 119- علم الأخلاق الإسلامية، مقداد يالجن محمد علي، الرياض، دار عالم الكتب، ط1، 1413هـ - 1992م.
- 120- العلم، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، تحقيق: صلاح الدين محمود، (د.م)، مكتبة نور الهدى، (د.ط)، (د.ت).
- 121- علو الهمة، محمد بن أحمد بن إسماعيل المقدم، مصر، دار القمة، (د.ط)، 2004م.
- 122- عمدة القاري شرح صحيح البخاري، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى العيني، بيروت، دار إحياء التراث العربي، (د.ط)، (د.ت).
- 123- عناية القاضي وكفاية الراضي، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي، بيروت، دار صادر، (د.ط)، (د.ت).
- 124- العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي، تحقيق: مهدي المخزومي، (د.م)، دار ومكتبة الهلال، (د.ط)، (د.ت).
- 125- الفتاوى الكبرى، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام، ابن تيمية، (د.م)، دار الكتب العلمية، ط1، 1408هـ - 1987م.

- 126- فتاوى في التوحيد، عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن إبراهيم بن فهد بن حمد بن جبرين، تحقيق: حمد بن إبراهيم الحريقي، (د.م)، دار الوطن للنشر، ط1، 1418هـ.
- 127- فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي بيروت، دار المعرفة، (د.ط)، 1379م.
- 128- فتح البيان في مقاصد القرآن، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي، تحقيق: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، صيدا - بيروت، المكتبة العصرية، (د.ط)، 1412هـ - 1992م.
- 129- فتح القدير، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني، دمشق، دار ابن كثير، ط1، 1414هـ.
- 130- الفتوة، محمد بن الحسين بن محمد النيسابوري، أبو عبد الرحمن السلمي تحقيق: إحسان ذنون الثامري عمان - الأردن، دار الرازي، ط1، 1422هـ - 2002م.
- 131- الفرق بين النصيحة والتعيير، عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، تحقيق: علي حسن علي عبد الحميد، عمان، دار عمار، ط2، 1409هـ - 1988م.
- 132- الفروسية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد، ابن قيم الجوزية، تحقيق: مشهور بن حسن بن محمود بن سلمان، حائل - السعودية، دار الأندلس، ط1، 1414هـ - 1993م.
- 133- الفقه الأكبر، أبي حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطي بن ماه، الإمارات:، مكتبة الفرقان، ط1، 1419هـ - 1999م.
- 134- فقه السنة، سيد سابق، بيروت - لبنان، دار الكتاب العربي، ط3، 1397 هـ - 1977م
- 135- فقه السيرة، محمد الغزالي السقا، دمشق، دار القلم، ط1، 1427هـ.
- 136- الفقه المنهجي على مذهب الإمام الشافعي، مصطفى الخن، مصطفى البغا، علي الشربجي، دمشق، دار القلم، ط4، 1413هـ - 1992م.

- 137- *الفقيه والمتفقه*، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، تحقيق: أبو عبد الرحمن عادل بن يوسف الغرازي، السعودية، دار ابن الجوزي، ط2، 1421هـ.
- 138- *فن القيادة في الإسلام*، أحمد عبد ربه مبارك بصوص، الأردن- الزرقاء، مكتبة دار المنار، ط1، 1988م-1408هـ.
- 139- *الفوائد*، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن ابن قيم الجوزية، بيروت، دار الكتب العلمية، ط2، 1393هـ-1973م.
- 140- *في ظلال القرآن*، سيد قطب إبراهيم حسين، بيروت، دار الشروق، ط17، 1412هـ.
- 141- *القاموس المحيط*، أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز أبادي، تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي، بيروت - لبنان، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ط8، 1426هـ - 2005م.
- 142- *القتال في الإسلام*، أحمد نار، مصر، دار الوفاء، (د.ط)، (د.ت).
- 143- *قواعد الأحكام في مصالح الأنام*، أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، القاهرة، مكتبة الكليات الأزهرية، ط1، 1414هـ - 1991م.
- 144- *القيادة في ضوء الآيات القرآنية*، محمود أحمد الأسطل، (رسالة ماجستير غير منشورة)، الجامعة الإسلامية، غزة، 2012م.
- 145- *الكامل في التاريخ*، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد، ابن الأثير، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، بيروت - لبنان، دار الكتاب العربي، ط1، 1417هـ / 1997م
- 146- *الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل*، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري، بيروت دار الكتاب العربي، ط3، 1407هـ .
- 147- *الكشف والبيان عن تفسير القرآن*، أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور بيروت - لبنان، دار إحياء التراث العربي، ط1، 1422هـ - 2002م.

- 148- كفاية الأختيار في حل غاية الاختصار، أبو بكر بن محمد بن عبد المؤمن الحصني، تحقيق: علي عبد الحميد بلطجي ومحمد وهبي سليمان، دمشق، دار الخير، ط1، 1994م.
- 149- الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، المحقق: عدنان درويش، بيروت، مؤسسة الرسالة، (د.ط)، (د.ت).
- 150- لا تحزن، عائض بن عبد الله القرني، (د.م)، مكتبة العبيكان، (د.ط)، (د.ت).
- 151- لباب التأويل لباب التأويل في معاني التنزيل، علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر المعروف بالخازن تحقيق: محمد علي شاهين، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1415 هـ.
- 152- لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي ابن منظور، بيروت، دار صادر، ط3، 1414 هـ.
- 153- لطائف الإشارات، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري تحقيق: إبراهيم البسيوني، مصر، الهيئة المصرية العامة، ط3، (د.ت).
- 154- مجموع فتاوى ورسائل العثيمين، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، تحقيق: فهد بن ناصر بن إبراهيم السلیمان، دار الثريا، دار الوطن، (د.ط)، 1413 هـ.
- 155- محاسن التأويل، محمد جمال الدين بن محمد سعيد القاسمي، تحقيق: محمد باسل عيون السود، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1418 هـ.
- 156- المخابرات في الدولة الإسلامية، سلامة محمد العوض، الرياض، دار النشر، (د.ط)، 1408 هـ.
- 157- مختصر تسهيل العقيدة الإسلامية، عبد الله بن عبد العزيز بن حمادة الجبرين، (د.م)، مكتبة الرشد، ط2، 1424 هـ.
- 158- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، علي بن (سلطان) محمد، القاري، بيروت - لبنان، دار الفكر، ط1، 1422 هـ - 2002م.

- 159- *المستدرک علی الصحیحین*، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1411هـ - 1990م.
- 160- *المصباح المنير في غريب الشرح الكبير*، أحمد بن محمد بن علي الفيومي، بيروت، المكتبة العلمية، (د.ط)، (د.ت).
- 161- *معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول*، حافظ بن أحمد بن علي الحكي، تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر الدمام، دار ابن القيم، ط1، 1410هـ - 1990م.
- 162- *المعارف*، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، تحقيق: ثروت عكاشة، القاهرة، الهيئة المصرية العامة، ط2، 1992م.
- 163- *المعجم الكبير*، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير، أبو القاسم الطبراني، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، القاهرة، مكتبة ابن تيمية، ط2، 1994م.
- 164- *معجم اللغة العربية المعاصرة*، أحمد مختار عبد الحميد عمر، (د.م)، عالم الكتب، ط1، 1429هـ - 2008م.
- 165- *معجم المناهي اللفظية وفوائد في الألفاظ*، بكر بن عبد الله أبو زيد، الرياض، دار العاصمة، ط3، 1417هـ - 1996م.
- 166- *المعجم الوسيط*، إبراهيم مصطفى وأحمد الزيات وحامد عبد القادر ومحمد النجار، (د.م)، دار الدعوة، (د.ط)، (د.ت).
- 167- *معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم*، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد إبراهيم عبادة القاهرة - مصر، مكتبة الآداب، ط1، 1424هـ - 2004م.
- 168- *المغني*، أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة، (د.م)، مكتبة القاهرة، (د.ط)، (د.ت).
- 169- *مفاتيح الغيب*، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن الرازي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط3، 1420هـ.

- 170- *مفحات الأفران في مبهمات القرآن*، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، تحقيق: مصطفى ديب البغا، دمشق، مؤسسة علوم القرآن، ط1، 1403هـ - 1982م.
- 171- *مفهوم الحكمة في الدعوة*، صالح بن عبد الله بن حميد، المملكة العربية السعودية، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف، ط1، 1422هـ.
- 172- *الملل والنحل*، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني، (د.م)، مؤسسة الحلبي، (د.ط)، (د.ت).
- 173- *المنتظم في تاريخ الأمم والملوك*، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1412هـ - 1992م.
- 174- *منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية*، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، (د.م)، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط1، 1406هـ - 1986م.
- 175- *المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج*، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط2، 1392م.
- 176- *الموالات والمعاداة في الشريعة الإسلامية*، محماس بن عبد الله بن محمد الجلود، (د.م)، دار اليقين، ط1، 1407هـ - 1987م.
- 177- *موسوعة الأخلاق والزهد والرفائق*، ياسر عبد الرحمن، القاهرة، مؤسسة اقرأ، ط1، 1428هـ - 2007م.
- 178- *الموسوعة الفقهية الكويتية*، مجموعة من المؤلفين، الكويت، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، (د.ط)، (د.ت).
- 179- *النصر والتمكين آت بإذن الله*، علي بن نايف الشحود، (د.م)، (د.ن)، ط1، 1433هـ - 2012م.
- 180- *نصرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ*، صالح بن عبد الله بن حميد، جدة، دار الوسيلة، ط4، (د.ت).

- 181- النظام السياسي في الإسلام، محمد عبد القادر أبو فارس، عمان - الأردن، دار الفرقان، (د.ط)، 1986م.
- 182- النظرية الإسلامية في تقاليد وآداب الحرب، محمد جمال الدين محفوظ، (د.م)، دار الاعتصام، (د.ط)، (د.ت).
- 183- النظم الإسلامية، حسن وعلي إبراهيم حسن، بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات، ط1، 1406 - 1987م
- 184- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي، القاهرة، دار الكتاب الإسلامي، (د.ط)، (د.ت).
- 185- النكت والعيون، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب الماوردي، تحقيق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، بيروت - لبنان، دار الكتب العلمية، (د.ط)، (د.ت).
- 186- نور الهدى وظلمات الضلال في ضوء الكتاب والسنة، سعيد بن علي بن وهف القحطاني، الرياض، مطبعة سفير، (د.ط)، (د.ت).
- 187- نيل الأوطار، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني، تحقيق: عصام الدين الصبابطي، مصر، دار الحديث، ط1، 1413هـ - 1993م.
- 188- الهداية الى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، أبو محمد مكي بن أبي طالب حمّوش، تحقيق: الشاهد البوشيخي، (د.م)، (د.ن)، ط1، 1429هـ - 2008م.
- 189- الوابل الصيب من الكلم الطيب، محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، تحقيق: سيد إبراهيم، القاهرة، دار الحديث، ط3، 1999م.
- 190- الوحي المحمدي، محمد رشيد بن علي رضا، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1426هـ - 2005م.
- 191- الولاء والبراء في الإسلام، أبو عاصم الشحات شعبان محمود عبد القادر البركاتي المصري، (د.م)، دار الدعوة الإسلامية، ط1، 1433هـ - 2012م